

دَرَدَشَاتُ وَمُشَاكَسَاتُ صُحَفِيَّةٍ فِي مَقْهَى الْمَاسِنَجَرِ الثَّقَافِيِّ

أربعون جِوَارًا وتحقيقًا ومقالًا صحفيًا مع كالياسمين والقداح مُنتخبَةً من حداثق
الإعلام وبُستان الصحافة الفواح مع أعلام الأدب والمعرفة والثقافة والفكر النير الوضاح



بقلم :
أحمد الحاج مكتبجي

دَرَدَشَاتٌ وَمُشَاكَّسَاتٌ صُحَفِيَّةٌ

في مقهى الماسنجر الثقافي

أربعون حواراً وتحقيقاً ومقالاً صحفياً كالياسمين
والقِدَاح مُنْتَخَبَةٌ من حقائق الإعلام وبُستان الصحافة
الفواح مع أعلام الأدب والمعرفة والثقافة والفكر النير
الوَضَّاح...

الفهرس

إهداء.....	5
مقدمة.....	6
القاصة والروائية العراقية الكبيرة ميسلون هادي بضيافة مقهى الماسنجر الثقافي (*).....	7
دردشة أدبية.. وفنجان قهوة افتراضية مع الروائي العراقي سعد سعيد (*).....	15
الدكتور حارث عبود.. بضيافة مقهى الماسنجر الثقافي (*).....	22
دردشة إعلامية.. مع الكاتب والأديب المصري حاتم سلامة (*).....	32
حوار مع باحث عراقي.. دحض خمسا من قواعد أرسطو الاستدلالية واشتق أخرى بدلا منها وزيادة! (*).....	41
قطوف من بساتين الذكريات.. مع الباحث الموسوعي جميل إبراهيم حبيب (*).....	48
ترفيف المكتبات وفهرستها وتوريثها يأتيك بالعجائب! (*).....	53
الياسمين والقداح لكتابة مقال وتقرير صحفي وإنساني بعطر فواح (*).....	62
حوار الصراحة مع الأستاذ حامد الفلاحي... اليتيم الذي صار مهندساً ورائداً لأدب الأطفال وثقافة الناشئة في العراق (*).....	74
حوار حافل بالمحطات.. مع رحالة الصحافة والإعلام العراقي ليث مشتاق (*).....	86
المتحف البغدادي... لمحات وضوء من عقب الماضي وحنين الذكريات (*).....	96
حوار مع الأديبة والشاعرة العراقية المغتربة "مي العيسى" (*).....	106
لفت الأنظار.. الى فوائد الذكاء الاصطناعي وكم المخاطر والأضرار (*).....	112
حوار من الذاكرة... مع شيخ المذيعين العراقيين نهاد نجيب (*).....	123
وقفة مع الخطاطة جنة عدنان.. (*).....	127
ذوو الاحتياجات الخاصة والمبادرات الإنسانية الخالصة.....	134
من بغداد المستنصرية إلى رحاب الأندلس (*).....	139
الورد والآس... في رحاب "فلسطين بعيون عراقية" دفعا للالتباس.....	145
من وأد عذراء العراق؟! (*).....	148
فنتازيا سيطرة وهمية!.....	150
كوميديا سوداوية في عصر الديستوبيا والكلبتوقراطية!.....	153
أنصار الشوارب واللعى.. خصومات ليلية افتراضية ومجاملات واقعية وقت الضحى.....	158
القول المصون.. في آداب استخدام هواتف الهواي والسامسونغ والآيفون (*).....	163
الى ولدي الحبيب في الجامعة.. مع التحية! (*).....	168

172	لماذا نُخفق في أنواع الرياضة وينجح غيرنا؟! (*)
178	حوار هامس .. مع مؤلف البوصلة القرآنية وليلة سقوط بغداد (*)
189	سلسلة "حكاية مسجد وبان وإمام" ... (1) .. جامع أبي حنيفة النعمان
195	رحال ... مفردة غناها الساهر وصاغت ناصرة السعدون دوامتها في حب تجدد طيفاً من بغداد إلى كتارا (*)
201	طائر حلق بجناحي ماجدولين الرفاعي في سماء الحرية الملبدة بالدخان والصواريخ البالستية والأرواح البريئة! (*)
208	كُتَابٌ ومبدعون عرب.. في مهب ريح "دكاكين" الطباعة والنشر والتوزيع التجارية! (*)
213	أساليب وبرامج التربية والتعليم العربية الحديثة مع التربية المصرية هبة عبد الجواد (*)
220	رحلة روحانية بضيافة جمعية القراء والمجودين العراقيين
225	حوار شفاف... مع الأستاذ التربوي علاء ياسين عن تشكيل الوعي والتربية وغرس القيم (*)
238	فنان قهوة افتراضية.. في عيادة الماسنجر الطبية مع البروفيسور أسعد فاضل حمودي (*)
247	دردشة رمضان.. مع الدكتور واثق عباس بمقهى الماسنجر الثقافي (*)
254	حكاية مسجد وبان وإمام... (2) جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني (*)
261	نصائح فندقية للمسافرين عامة وللوفود الدبلوماسية خاصة (*)
	النسخة الإنجليزية.. من مختصر مقال "نصائح فندقية" المنشور في موقع صحيفة International political newspaper (POSP) (*)
266	
269	أطباء التخدير.. متاعب مهنية ومخاطر صحية وفصول عشائرية وحساد على امتيازات المهنة (*)
274	بصيص من الوعي والمنطق السليم في عالم يغص بالعبث والتجديف السقيم!
280	الدكتور خالد القيسي.. رئيس المركز الوطني للثقافة والإعلام والفنون بضيافة مقهى الماسنجر الثقافي
291	عدسة عراقية... أجادت اقتناص الظل والضوء فأنجبت إبداعاً حلق في سماء العالمية (*)
296	دردشة عن الاستشراق والإذاعة والتلفزيون وملتقى القلوب مع الدكتور أمجد الجنابي (1)

إهداء

الى جميع الكتاب والأدباء والمثقفين والإعلاميين والتشكيليين والقراء العراقيين والعرب أهدي كتابي هذا، أمل أن ينال إعجابهم، وأن يحظى باهتمامهم ليجدوا متسعاً من الوقت وسط زحمة الحياة ومشاغلكهم اليومية لقراءة صفحاته، وتقليب الطرف وإمعان النظر في سطره وكلماته، وأزعم بأن بين دفتيه من المعلومات النافعة، ومن الفوائد الماتعة، ما يمتنع أبصارهم، ويُبهِج قلوبهم، ويُداعِبُ أسماعهم، ويُثِلِّجُ صدورهم، وبما يرتقي بالوعي الجمعي ويحلق بالذائقة الصحفية الى أفق أرحب.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي)،
سورة طه: 25-28

بعد حمد الله تعالى كثيرا، والثناء عليه بما هو أهله، ومن ثم الصلاة والسلام على خير خلقه المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، أقول إن هذا الكتاب وأمل أن يحظى بإعجابكم، يضم أربعين حواراً وتحقيقاً ومقالاً صحفياً مُنتخباً من حداثق الإعلام الفيحاء، ومن بساتين الصحافة الغناء، كنت قد كتبها ونشرتها تباعا في الصحف والمجلات ووكالات الأنباء المحلية والعربية، الورقية والإلكترونية، بعضها نشر كأعمدة صحفية، وبعضها كمقالات رأي، وأما عن الحوارات والتحقيقات فكنت قد أجريتها مع أعلام الأدب والمعرفة والثقافة والفكر النير الوضاح داخل العراق وخارجه، وقد أجري بعضهما وجاها، ومعظمها عبر الماسنجر بعد موافقة أصحابها على إجرائها ونشرها عن طيب خاطر بحكم العلاقات الوطيدة الطيبة، والمعرفة الثقافية السابقة، والثقة المتبادلة بيننا.

وها أنذا أضع بين أيدي القراء الكرام زبدة التحقيقات والحوارات والمقالات الصحفية المختارة ذات الصلة المباشرة بمضمون العنوان الرئيس ورسالته "دردشات ومشاكسات صحفية في مقهى الماسنجر الثقافي"، وكلها حول هدف الكتاب وعنوانه تدندن، وفي حى خريطته الثقافية والمعرفية والإنسانية كقطب رعى تدور سبق وأن كتبها خلال 20 عاما، وتحديدًا بين عامي 2006-2026 ونشرتها في العديد من وسائل الإعلام المقروءة، وأبرزها صحيفة كتابات، الصحيفة الجزائرية للأخبار الصادرة باللغات العربية والفرنسية والامازيغية، صحيفة عروس الأهوار، ميدل إيست أون لاين، صحيفة صوت العراق، موقع الحوار المتمدن، موقع صوت الأمة العراقية، موقع منبر العراق الحر، مجلة الكاردينيا العربية الصادرة في سويسرا، صحيفة المثقف العربية الصادرة في استراليا، مجلة "سنا توقد" الأنبارية، وكالة عراق برس للأنباء، إضافة الى أعداد من صحيفة الزمان / طبعة العراق، وبعض أعداد صحيفة التآخي، كذلك صحيفة دار السلام، وصحيفة الجيريا تايمز الصادرة باللغة الانجليزية، ومجلة "همس الحوار" المؤرشفة في المكتبة البريطانية، وصحيفة تعريف الشمال إفريقية، وموقع معهد الدبلوماسيين العرب، وصحيفة رأي اليوم اللندنية، وموقع المتوسط أون لاين، والجزيرة توك، وصحيفة دنيا الوطن الأردنية، والعراق تايمز، وغيرها.

وألفت عنايتكم الكريمة الى أن ما يضمه هذا الكتاب بين دفتيه وبجزئه الأول يحلق في العوالم الثقافية والصحفية تحديدًا، وأما عن بقية تحقيقاتي وحواراتي أسوة بمقالاتي السياسية والمجتمعية والإنسانية والفكرية والتحليلية والتربوية المنشورة في ذات الفترة الزمنية وبما يربو على 1000 عمود صحفي ومقال وتحقيق وحوار وتقرير إذاعي أو متلفز فهذه سأنشرها بإذنه تعالى، وبمشيئته سبحانه، تباعا في كتب أخرى كل واحد منها على حدة وعلى غرار هذا الكتاب الذي بين أيديكم والمعني بالجانب الثقافي فحسب، ومن الله تعالى وحده السداد والمنة، وفي الختام تقبلوا خالص محباتي وتحياتي...أخوكم المحب دوما "أحمد الحاج مكتبي" وقد فرغت من الجزء الأول للكتاب وترتيبه وإعداده بحمد الله تعالى وتوفيقه وحده بتاريخ 1/ آب /2026م، الموافق 15/صفر/1448هـ.

القاصة والروائية العراقية الكبيرة ميسلون هادي بضيافة مقهى الماسنجر الثقافي (*)



* يبقى الشيء المميز في كل قصة قصيرة، هو توظيف بعض الأحداث العابرة لإثارة بعض الأسئلة التي تنتهي بلحظة شجن.

* القراءة هي بدء وعود على بدء، وهي ورشة الكاتب الوحيدة للارتقاء بأدواته وأفكاره.

* أنا وإن كنت قد كتبت الكثير من الروايات، إلا أنني أعتبر نفسي لا زلت مخلصاً لفن القصة القصيرة.

أقر وأعترف ليس من باب تضخم الأنا، ولا

انتفاخ الذات، حاشا وكلا، وإنما ثمرة محصلة تراكمية للعمل الدؤوب والمضني في مهنة المتاعب وعالم السلطة الرابعة، بأنني قد اعتدت على امتطاء صهوة قلبي لأشوق به غبار الكلمات دون أن يعاندني كحصان جامح إلا لمأما، ولا سيما حين تختمر الفكرة، وتنضج الثمرة، وتنسج شمس الإلهام خيوطها، وقد عاهدت نفسي على كتابة مقدمة شائقة تتواءم مع نخلة روائية باسقة، تتناسب مع شجرة قصصية سامقة، وبما يتماهى مع العطاء الأدبي والروائي الثر الدافق الذي أنحففتنا به على مدار عقود لتهل من معينه العذب الرقراق أجيال تلو أجيال وبما يليق بقامة وقيمة رفيعة على المستويين العربي والعراقي خلدت في الذاكرة الجمعية، وحفرت في الذائقة الفنية، إلا أنه وعلى قول الكاتب والأديب الروسي الشهير انطون تشيخوف "لقد تعبت لدرجة أنني لن أحرك إصبعاً من أجل خلاصي" وكيف لا تتعب أصابع صحفي، وقد تبعثرت أوراقه، تبدد غرور قلمه، جف حبر دواته لتستحيل كلها أثراً بعد عين، وهو لا يدري يقينا من أي المحطات يبدأ، وإلى أي المرافئ ينتهي وكيف يمسك بطرف الخيط، متسائلاً في دياالوج داخلي، هل نبدأ برسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي كتبت عن سيرتها الأدبية؟ أم بقصصها ورواياتها إلى ترجمت إلى لغات عديدة كـ "نبوءة فرعون" التي ترجمت إلى الانجليزية والفارسية، تليها "أخوة محمد" التي ترجمت إلى الكردية "وعلى منوالها" العرش والجدول" التي ترجمت إلى الانجليزية والفرنسية؟! هل نبدأ برواياتها التي حازت، أو نافست، أو حصدت أرفع الجوائز تنصدها "رواية شاي العروس" التي دخلت القائمة القصيرة لجائزة الشيخ زايد 2012م، كذلك الحال مع رواية (جانو أنت حكايتي) الحائزة على جائزة الإبداع العراقي عام 2019م، ورواية (العرش والجدول) الفائزة بجائزة كتارا للرواية العربية عام 2015م عن فئة الروايات غير المنشورة؟!

هل نستعين بالكتب التي ألقت عن مسيرتها الإبداعية وفي صدارتها "ميسلون هادي وأدب عصر المحنة" و"الفراشة والعنكبوت، دراسات في أدب ميسلون هادي القصصي والروائي" و"بين الخيال العلمي والواقع: قراءة نقدية في مجموعة ماماتور باباتور لميسلون هادي"، و"الحضور والغياب في الخطاب الأنثوي، ميسلون هادي نموذجاً"؟!

أم ترانا نبداً بمحاضراتها في كل من العراق والأردن والإمارات والجزائر وأمريكا، أم برواياتها وقصصها وكتبها المنشورة وفي مقدمتها "انتظرنني في البيت"، "التلصص من ثقب الباب"، "ساعة في جيب الملك"، "المتيم"، "زينب وماري وياسمين"، "بدلاً من الأبيض"، "الغرفة وضواحيها"، "فكشني"، "سيارة مكشوفة في يوم مشمس"، "أجمل حكاية في العالم"، "جائزة التوأم"؟!

هل نستهل حوارنا بمسيرتها في أروقة صاحبة الجلالة، يوم حلفت كحمامة بيضاء في سماء الصحافة الملبدة بالغيوم الى أفق أرحب، لتكتب في الموسوعة الصغيرة، ومجلة الطليعة الأدبية، والقسم الثقافي لمجلة ألف باء، فضلاً على تميزها بمجال كتابة العمود الصحفي والترجمة وأدب الأطفال، علاوة على كتابة المقالات في الشأنين العربي والمحلي وقضايا المرأة العربية؟!

الحقيقة وبعد كم من التساؤلات الحائرة فقد آليت على نفسي وآثرت أن أترك الأدبية العراقية ميسلون هادي، المولودة في مدينة الأعظمية برصافة بغداد، وهي خريجة قسم الإحصاء في كلية الإدارة والاقتصاد جامعة بغداد /1976، وزوجة الناقد الأدبي الدكتور نجم عبد الله كاظم، لتستمرس بالحديث عن نفسها بنفسها، وبإدراكها بالسؤال الأول:

* لماذا وقع اختيارك على فن كتابة الرواية التي تعد من أصعب الأجناس الأدبية وأعقدها فضلاً على الجهد والوقت الكبيرين المبذولة في كتابتها، وكم عدد رواياتك المطبوعة حتى كتابة السطور، وهل في الجعبة أو في أدراج مكتبك رواية جديدة لم تر النور بعد؟

- الكتابة بحد ذاتها هي مختبر لتفاعل الأفكار وإنتاج أفكار مختلفة، وهذا المسار الجدلي لا يحدث فقط بين الكاتب ومجتمعه، ولكن يحدث أيضاً بين الكاتب ونفسه، فيتغير الكاتب ويتطور باستمرار.. وهذا الكاتب لا يختار أو يقرر أن يكون كاتباً، ولكن غزارة الأفكار هي الزاد الذي يجعله يعيش داخل هذا المختبر، فإذا كان يمتلك اللغة، والحس النقدي أو الأدبي، سيجد نفسه يحول تلك الأفكار إلى قصص أو قصائد أو روايات، وبالتالي فإن طبيعة الفكرة هي التي تحدد موضوعها، وأيضاً مدى قدرته على صناعة العمل ضمن تقنيات القصة أو الرواية، لأن كلا منهما هو فن مختلف عن الآخر، فلا يمكن أن يكون التدريب على كتابة القصة القصيرة هو الطريق إلى كتابة الرواية. فالرواية لها قدرة أكبر على احتواء شخصيات عديدة وعوالم مختلفة وأزمان عديدة، بينما زمن كتابة القصة القصيرة هو زمن حدوثها على الأكثر. أحياناً أتحمس للواقع كثيراً وأشعر بأني معنية ومهمومة به وبتقديمه بالصورة التي يجب أن يكون عليها بعيداً عن الأحقاد والكراهية والاستبداد بالرأي. وهذا متاح في الرواية من خلال تعدد الشخصيات واختلاف وجهات النظر. فيكون تقديمها من خلال مكان واقعي أو قريب من الواقع، أما إذا حلفت فوقه قليلاً، فسأكتب في الفنتازيا أو الخيال الجامح أو الغرائبي.. في الحالين هناك قاسم مشترك لا أستطيع التخلي عنه.. وهو التشبث الخفي ببساطة الحياة، ونبد المبالغات التي أصبحنا نعيش فيها سواء في العقيدة أو الاستهلاك أو التكنولوجيا أو الاتصال عبر الأقمار الصناعية. كتبت عشرين رواية تنوعت بين المجالات التي ذكرتها. ولدي مخطوطات مكتوبة سابقاً لم أنشرها لحد الآن.

* "حفيد البي بي سي" واحدة من روايتك الصادرة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، تدور حول صداقة النساء مع جهاز المذيع وذلك من خلال الجدة، حدثينا عن هذه الرواية بإيجاز؟

- هذه التجربة سببت لي القلق الشديد، لأنها مختلفة تماماً عن تجاربي السابقة، مع هذا وجدتها ضرورية من أجل نقل السرد إلى مستوى جديد من التعامل مع الواقع المساوي بالتهكم عليه، ومن الضروري أن تنتقل هذه

الروح الساخرة إلى الخطاب الإعلامي والفني في العراق، لأن هذه الروح تخفف من الاحتقان وتجعلنا نتقبل النقد والرأي الآخر.... في (حفيد البي بي سي) تكون الجدة شهرزاد هي صديقة المذيع والبطلة التي تسخر من كل شيء حتى من حفيدها عبد الحليم الذي يتمسك بسلوكيات غير قابلة للتغيير.

* "الخطأ القاتل" و"الطائر السحري" و"سر الكائن الغريب" و"الخاتم العجيب" و"الهجوم الأخير لكوكب العقرب" خمس روايات مخصصة للفتيان صدرت لك تباعاً في أماكن وتوقيات مختلفة، بعضها عن دار ثقافة الأطفال في بغداد، والسؤال الملح هاهنا، ماذا تمثل لك الكتابة للفتيان، وماهي المواضيع التي تناسب عقولهم وأعمارهم؟

- بالنسبة لقصص الأطفال أو الفتيان، فببساطة شديدة تطرأ على بالي فكرة عن مغامرة أو قصة خيالية لا تصلح إلا للصغار، وأحياناً كنت أرومها لأولادي في مراحل مختلفة من أعمارهم، فأكتبها بلغة بسيطة بدون فذلكات أو مفردات صعبة. ستكون الكتابة عفوية إلى حد كبير، ويجب أن أحافظ على هذه العفوية عند مراجعة النسخة الأخيرة للعمل، على العكس من كتابة رواية للكبار، التي قد تخضع إلى مراجعات كثيرة جداً قد تصل إلى خمسين مرة.



*وماذا عن مجموعاتك القصصية وأبرزها "رومانس" الصادرة عن الإتحاد العام للكتاب العرب في دمشق، كذلك الحال مع مجموعة "لا تنظر إلى الساعة" و"رجل خلف الباب" و"الفراشة" و"الشخص الثالث"، الصادرة عن دار الشؤون الثقافية في بغداد، كذلك مجموعة "أشياء لم تحدث" الصادرة عن الهيئة المصرية للكتاب في القاهرة؟

- يبقى الشيء المميز في كل قصة قصيرة، هو توظيف بعض الأحداث العابرة لإثارة بعض الأسئلة التي تحرك البركة الساكنة، وإحداث هزة في وعي القارئ. الكثير مما كتبت من قصص يندرج تحت التجارب اليومية التي تنتهي بلحظة شجن وأسى، لا يمكن قراءتها الآن إلا ضمن سياقها التاريخي. وإذا ما وجدنا قصة من هذه القصص صالحة لكل زمان ومكان فهذا يعني أنها تجاوزت حاجز الزمن، لأنها معنية بهواجس الإنسان الوجودية. وجدتُ أيضاً في القصة اقتراباً للاحتجاج على تدمير الإنسان لبيئته الطبيعية، وجاءت مجموعتي (ماما تور بابا تور 2015) مكرسة لقصص من هذا النوع. أختار منها، قصة اسمها (عطر الورد)، التي تقدم فكرة عن تدهور البيئة، وافتقاد الرائحة الطيبة المميزة في الكثير من الفواكه والورود والخضروات، مما يجعل النحل يهاجم البيوت بحثاً عن العطور المحفوظة في القناني، بدلاً من التجوال في الحدائق.



* جمهورك ومحبوك يودون معرفة أيهما الأقرب إلى قلبك ونفسك، فن كتابة القصة القصيرة بفروعها المختلفة "القصة القصيرة جداً، القصة القصيرة، القصة القياسية، الرواية القصيرة" أم فن الرواية الطويلة، ولماذا؟
- كل اتصال بين الكاتب وفكرته يحتم شكلها النهائي.. أي لا يمكن أن تتحول قصة قصيرة إلى رواية إلا فيما ندر.. وأنا وإن كنت قد كتبت الكثير من الروايات، إلا أنني أعتبر نفسي لا زلت مخلصاً لفن القصة القصيرة، الذي يتيح لكتابتها التجريب كثيراً، فنجد طيفاً واسعاً من التجارب السردية اختصت بها القصة تحديداً، فكانت قصيرة جداً أو برقية، أو على شكل ومضة من سطر واحد، أو أنها استخدمت تقنيات السينما وتكنولوجيا التواصل، كالموبايل والسايب والفيس بوك، ولكن الرواية هي الأقدر على استيعاب التغيرات التي يمر بها العالم مقابل اغتراب الفرد أو شعوره بالعزلة. هذه أزمة وجودية قديمة، لكن تناولها أصبح مختلفاً من خلال تجارب جديدة، كأن تكون

ساخرة كما في بابا سارتر لعلي بدر، أو علمية كما في محنة كورو لرغد السهيل، أو فنتازية كما في روايتي (انتظرني في البيت) التي تقدم تناظراً غرائبياً بين منطقة نائية غير مأهولة ومجتمع إعلامي زاهر بالتضليل والمبالغات. أميل إلى أن تتنوع الشخصيات في روايتي، وبالرغم من تنوع تلك الشخصيات بين طبائع مختلفة، فهي تشترك بشيء واحد، أنها تبدو واقعية جداً في ظاهرها.. ولكنها ليست كاملة ولا مستقرة، وتعيش حالة من التوجس لحدوث خطأ ما في مكان ما.. في (العيون السود)، مثلاً، تقع يمامة في حب رجل غريب الأطوار هو نسخة طبق الأصل، شكلياً، من حبيبها الأول، ولكنه نقيضه في المضمون.. وفي (نبوءة فرعون) تجد يحيى الذي يُفقد في الحرب، يختفي بطريقة غريبة تشبه الخرافة.. وهناك أيضاً المذيع وربة البيت وموظفة البدالة والجار الملحن عبد الملك، وكلهم يبدوون في غاية الواقعية، ولكنهم يخضعون لبنية إيهامية تجعل تحركهم داخل القصة شبيهاً بالحلم.. أنا إذن أجد الرواية تتوافق مع طبيعتي كإنسانة يتوحد عندها الواقع مع الحلم.

* هناك العديد من البحوث النقدية ورسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي تناولت جانباً من نتاجاتك الأدبية الغزيرة، فهل تطالعين وتتابعين عن كتب كل ما كتب ويكتب عنك، أم تراك لا تولين هذا الجانب اهتماماً يذكر، ومالذي يلفت انتباهك أكثر، النقد الأدبي، أم البحث الوصفي والتحليلي؟
- بالتأكيد يحدث ذلك، لأجد أن النقد استطاع تأطير تجربتي أو وضعها ضمن سياق معين.. هناك نقود تكتب على شكل انطباعات وهي مفيدة للإضاءة أو الترويج فقط. ولكن النقد التحليلي يضع العمل ضمن سياق تاريخي أو أدبي، أو يؤشر أهمية عمل دون غيره من الأعمال. الدراسات الأكاديمية مهمة جداً للكاتب، وهي تغني تجربته وتثريها.

* نود من جنابك الكريم تقديم نصيحة ذهبية إلى الشباب ممن قد ولجوا فعلياً، أو أنهم يرغبون بولوج عوالم كتابة الرواية، أو القصة القصيرة التي تستهويهم حالياً وعلى غير سبق مثال؟
- القراءة هي بدء وعَوْدٌ على بدء، وهي ورشة الكاتب الوحيدة للارتقاء بأدواته وأفكاره. ولهذا لا أؤمن بورشات الكتابة، وأعتذر عنها عادة، لأن التصورات أو الأسرار التي يحتاجها الكاتب الجديد سيجدها أثناء القراءة. إنها فعل شبيه بنقطة ضوء داخل بقعة كبيرة من الظلام، وتراكم مثل هذه العلامات الضوئية يصبح القارئ أكثر وعياً بجمال الحياة وأشد حساسية ضد الظلم والاستبداد بالرأي... نستطيع القول أن القراءة تدير المفاتيح في العقول وتغسلها مما يتراكم عليها من مغالطات. والقراءة ليست مهمة للكاتب فقط، وإنما سنجد أي صاحب مهنة سيكون متميزاً في عمله، لأنه يحدّث نفسه ومعلوماته باستمرار.. ويستطيع عن طريق القراءة جمع عشرة عقول في عقل واحد.

* من وجهة نظرك لماذا لم تولد من رحم الساحة الروائية والقصصية العراقية المكتظة بالمواهب والابداعات، روايات أو مجموعات قصصية تدور حول مواضيع نحو "الخيال العلمي، القصص البوليسية، قصص الرعب، الروايات التاريخية، أدب السجون، أدب المنافي، أدب الخيام، الرواية السياسية الفكرية لا السردية"، إذ وباستثناء الرومانسية وهذه الأخيرة كلنا نتفهم أسباب عدم بروزها في مجتمعاتنا المحافظة، إلا أن الذي لا أفهمه هو القصور المشخص في المجالات الأخرى وقد أحصيت ورصدت من خلال جولاتي شبه اليومية في سوق الكتب بشارع المتنبي انكباباً غير مسبوق للشباب على هذه الفروع الأدبية ولاسيما التاريخية والبوليسية والرعب والخيال

العلمي والسياسي منها، ونحن الذين عشنا أجيالا تلو أجيال ننبش التاريخ وتستحضره نوستالجيا فيما عشنا الحروب المرعبة زيادة على المهاجر والمنافي والسجون والخيام لنتنفس دخانها ونتلظى بنيرانها؟ - كل هذا الذي ذكرته مكتوب عنه في السرد العراقي سواء أدب السجون أو المنافي أو الخيال العلمي. هناك أيضاً كتاب جدد يهتمون بهذه الجوانب المهمة في الكتابة السردية، أي الرعب والخيال العلمي، وبالنسبة لي فأجدها فسحة مهمة في الكتابة عندما تصبح مجالاً لارتدادات فكرية وتجريبية، وهذا ما أفعله أحياناً عندما أكتب أعمالاً خارج المؤلف، كما في مجموعتي القصصية (ماما تور بابا تور) في الخيال العلمي، أو (انتظري في البيت) في الفنتازيا، أو (حفيد البي بي سي)، التي ضمنتها عشرات المواقف المضحكة والمفارقات، وهي ساخرة منذ عنوانها وحتى سطرها الأخير، ولدي نَفَس تهكمي في هذا المجال الساخر مع بعض القصص القصيرة.

* في ذهني سؤال حائر سبق لي وأن طرحته على العديد من الروائيين والقصاص العراقيين، وأجدني مضطراً لتكراره هاهنا أمام قيمة أدبية يشار لها بالبنان لعلي أجد في جعبتها جواباً شافياً لم أجد له نظيراً في سابق حواراتي خلاصته "لماذا لم تتحول معظم رواياتنا إلى مسلسلات درامية، أو إلى أفلام سينمائية، أو حتى برامج إذاعية على منوال روايات إحسان عبد القدوس، ونجيب محفوظ، وأسامة أنور عكاشة، على سبيل المثال وليس الحصر؟

- هذا السؤال طرحته أكثر من مرة على صفحتي في الفيس بوك، ورشحت بعض الروايات العراقية التي تصلح لتحويلها إلى مسلسلات، والجواب عليه هو أن جهات الإنتاج تفضل التعامل مع نصوص جاهزة يكتبها كتاب السيناريو المتخصصون. هذا طبعاً بالإضافة إلى وجود فجوة بينهم وبين الأعمال المكتوبة في مئة عام من تاريخ الرواية العراقية.



* كتبت العشرات من مقالات الرأي والأعمدة الصحفية في العديد من الصحف والمجلات العراقية والعربية، فهل وظفت بعض فروع وفنون الصحافة وأهمها التحقيقات الاستقصائية، ضمن نصوصك الأدبية، وهل جل شخصيات رواياتك متخيلة، أم أن بعضها حقيقي مستلهم من صميم الواقع المعاش من حولك؟

- أنا أكتب عن أشياء أعرفها وهناك غيري يكتب عن أشياء يعرفها أيضاً.. كتبتُ عن بغداد مثلاً والبيت البغدادي، وهناك كتاب غيري كتبوا عن البصرة والكويت والموصل والحلة والعمارة وكوردستان. وبتنوع التجارب والأمكنة ستكتمل صورة المكان والزمان العراقيين... الأحداث التي تتضمنها رواياتي بعضها حقيقي وبعضها متخيل، والخيال هو جزء أصيل من النشاط العقلي للإنسان، وبسببه تم خلق الكثير من النظريات والفرضيات والشخصيات الأسطورية أو الافتراضية، وبهذا المعنى تكاد أن تكون شخصيات لديستوفسكي ثيرانتس وكازانتراكيس ونجيب محفوظ وفؤاد التكرلي، حقيقية يمكن اعتمادها.. حفيدي الصغير سيف مثلاً يعتقد بوجود الأشباح والوحوش، سألته:

- كيف ذلك؟

قال بحماس شديد:

- مادام لديها أسماء (أشباح ووحوش) فهي موجودة.

قلت له:

- ولكننا نحن من أطلق عليها هذه الأسماء؟

قال:

- لو لم تكن موجودة لما كنا أسميناها بهذه الأسماء.



بصراحة حيرني جوابه، وجعلني أعيد حساباتي، لأن بعضنا لا يؤمن بالحسد أو الكارما مثلاً، لكن نظرية سيوفي تقول إن أي شيء نطلق عليه اسماً فهو موجود. وإذا أخذنا نظريته إلى مستوى الخيال فهي أيضاً صحيحة، لأن الخيال جزء لا يتجزأ من الإنسان، وبهذا المعنى فإن شخصيات مثل سوبرمان وباتمان وسايرون هيد (شخصيته المفضلة) أيضاً موجودة. ولا زلت أفكر ملياً بنظرية حفيدي الحبيب سيوفي (أي شيء نطلق عليه اسماً فهو موجود).

حملت حقيقة أوراقي قبل أن تتزاحم الأفكار في ذهني ولسان حالي يردد ما قالته الأديبة والكاتبة الأمريكية، مايا أنجلو "إن مهمتي في الحياة ليست مجرد البقاء، بل الارتقاء، مع بعض الشغف والرأفة والفكاهة والجمال" وانطلاقاً من هذا الارتقاء الممزوج بالجمال والشغف عقدت العزم على اقتناء الطبعتين الجديديتين من روايتي

(العيون السود) و(العرش والجدول) لميسلون هادي، إثر وصولها حديثاً الى شارع المتنبي، يحدوني الأمل بالعثور هناك على مجموعتها القصصية الجديدة أيضاً "ديدن العروس الأبدية" ضمن سلسلة (آفاق عربية) التي تنشر أعمالاً قصصية للكتاب العرب، لأواصل مشواري بعدها وأتابع عن كُتب أعمال تطوير وتحديث وتأهيل شارع الرشيد العريق ضمن فعاليات "اختيار بغداد عاصمة للسياحة العربية لعام 2025م" قبل أن تختتم الرحلة الممتعة بـ"مقهى الزهاوي" التراثي وهذه هي بغداد الأصالة والحضارة والعراقة التي قال فيها ابن خلف النيرماني، وكما ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:

فدى لك يا بغداد كل مدينة	من الأرض حتى خطي ودياريا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها	وسيرت رحلي بينها وركابيا
فلم أر فيها مثل بغداد منزلا	ولم أر فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل أهلها أرق شمائلها	وأعذب ألفاظا وأحلى معانيا



(*) حوار المنشور في "صحيفة المثقف" العربية الصادرة في أستراليا بتاريخ 18 شباط/فبراير 2025.

دردشة أدبية.. وفنجان قهوة افتراضية مع الروائي العراقي سعد سعيد (*)

* الواقع وحده لا يصلح لأن يكون رواية ولا بد من أن نستعين بالخيال ليستوي ما تختزنه ذاكرتنا نصوصاً مائعة جميلة.

* الرواية الأحبّ الى قلبي هي (ثلاث عشرة ليلة وليلة)، وأعتقد بأنّ فئة الشباب هي أكثر من تقرأ لي.

"أحبك حبا جما وبلا حدود ولا أريد مقابلا لذلك، فالحب ليس أن تمنحني فأبدلك المنح، هو عطاء خالص" بهذه العبارات الندية التي تفيض حلاوة وعذوبة ختم الروائي العراقي سعد سعيد، غلاف روايته الأخيرة "نهر جاسم" الصادرة عام 2023م، وكيف لا يبدأ سعيد رواياته الـ16 ولا يختتمها بكل هذا العصف الذهني، والإعصار الوجداني، ومن دون التعرّيج على الصراع بين الأنا والهو من جهة، وعلى الصدع الذي لم ولن يردم بين الأنا السفلى والعليا من جهة أخرى، وهو الذي عاش دفق الحب بدفته وحنانه وخضرته في أتون حروب ضروس بدخانها ومأساتها وآلامها وبما لم تبق حبا ولا دفنا ولا أخضر حيثما حلت ولم تذرا!

في خضم ذلك كله لم يجد سعيد بداً من طرح سؤال وجودي ولكن بصيغة تهكمية صارخة في سياق روايته "موت رخيص" وهو المحب للحياة والسلام "ماذا لو تمنى الناس هدأة الموت وفضلوها على رعب الحياة؟".

وهكذا ظل الروائي سعد سعيد بفكره الوقاد، وبقلمه السيال، وبخياله الخصب، وبذاكرته الحبل، يخلق بقرائه عاليا إلى أفق أرحب ليسبر أغوار عوالم مختلفة، ويميط اللثام عن مفاهيم متخالفة، ويكشف عن كنه شخصيات وعلاقات وصراعات ونزوات ونزعات معقدة حرص وبسخرية لاذعة ممزوجة بالسخط ليضيء بعض جوانبها مع وضع السبابة والإبهام على أسبابها وخلفياتها ودوافعها، لا لينكأ جراحاتها ولما تشف وتندمل بعد، وإنما ليشخصها تارة، وليضمدها أخرى، كل ذلك بين غلافي رواياته التي كتبها بين 2008 و2023م ومنها "هسيس اليمام" و"ياحادي العيس" و"السيد العظيم" و"صوت خافت جدا" و"ثلاث عشرة ليلة وليلة" و"كواليس القيامة" وغيرها.

وتأسيسا على ما تقدم وجدتي أصارع دوامة من البحث الدؤوب والتقصي عن سعد سعيد، نعم لقد علمت من أحد الأصدقاء بأنه يدمن شرب القهوة متفرغا للكتابة في ركن قصي من أركان أحد فروع مقهى رضا علوان، وسط العاصمة الحبيبة بغداد، ولكن ضيوفه هناك كثر، وأحابيه وأصدقاءه أكثر، وأنا أريد أن نتشاطر همومنا سوية، لترتشف فنجانا من القهوة الافتراضية على إحدى طاولات "مقهى الماسنجر" الذي أهدانا إياه الفضاء السيبراني، بعيدا عن الضوضاء والمداخلات وفضول الأصدقاء، ولقد كان الدكتور أمجد الجنابي، حلقة الوصل بيننا، ولاسيما وأنه قد التهم روايات سعيد التهاما الواحدة تلو الأخرى مستعرضا إياها، ومثنيا على حبكة سردها، وعمق مضامينها، وجزالة عباراتها، ومتانة أسلوبها عبر صفحته على موقع التواصل فيسبوك فكانت هذه الدردشة التي لا تخلو من الجرأة فضلا عن الصراحة والشفافية بين "أبي خليلين" سابقين لم يبقيا حربا عبثية إلا وزجا في أتونها قسرا، ولا دخانا أو غبارا إلا واختنقا بعصفهما خنقا، ولا خندقا إلا وقد عفرا جبينهما وخدمتهما الناصعين بتراجه جبرا، حتى صار المُخَاوِرُ صحفيا، فيما صار المُخَاوِرُ روائيا، ومن رحم الصحافة التي قالوا عن نبيلها



"الصحافة الحقيقية يُراد بها تقويم المعوجّ وإصلاح الفاسد وعلاج المعتلّ" ومن رحم الرواية التي قيل في حَسَنَها "الشرع والعقل لا يستهجنان أن يعمد الإنسان إلى حكاية حادثة خيالية لغرض إشراب نفوس المطالعين حكمةً عالية وعظلة بالغة"، ولد هذا الحوار الذي لم يخل من بعض النديات والمشاكسات البريئة والعفوية، بين كاتبين قد أدمنا روح الفكاهة والدعابة والنكتة، فهلموا لنبحر سوية مع سعد سعيد، بقارب شراعي جديد في بحر فن الرواية العراقية المديد.

* بداية ماذا تقرأ بطاقتك الشخصية؟

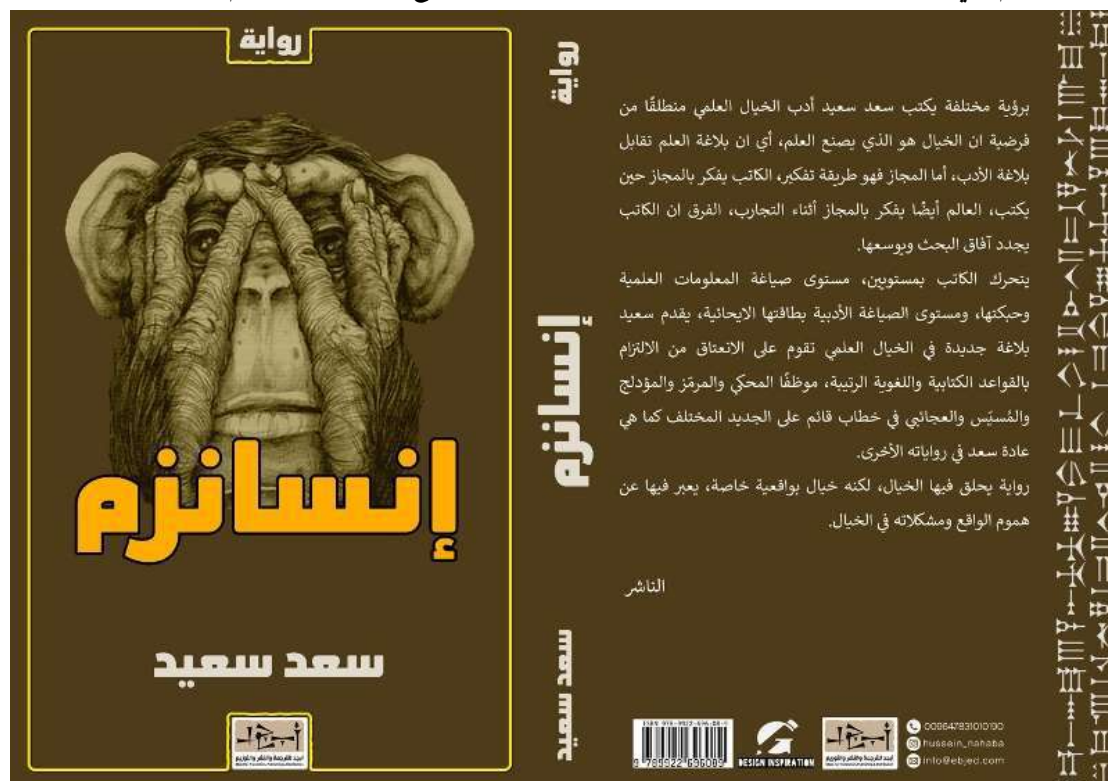
- عراقي ولد في خانقين عام 1957م، شاء قدره أن يكون روائياً بلا تخطيط، وهو ممتن لهبة القدر، وكلّ الباقي غير مهمّ.

* أين تضع رواياتك في خانة الأدب الواقعي، أم الرمزي، أم الرومانسي، أم التسجيلي، أم الفنتازي، أم إنك تراها مزيجاً من كلّ ما سبق وقد صهرت بحرفية عالية داخل بوتقة واحدة؟
- لا أضع رواياتي في أية خانة، فهذا ليس من حقّي، ولكنني شخصياً أميل إلى الواقعية وأهوى الخيال.

* بكلّ موضوعية، ولا أقول حيادية، ما هو تقييمكم للرواية العراقية الحديثة، وهل تبوّأت مكانتها الحقيقية بين نظيراتها العربية والأجنبية، أم إنّها تراوح في مكانها تارة، وتعاني من الإقصاء والتهميش تارة أخرى على مستوى معارض الكتب ودور النشر والتوزيع، فضلاً عن اللجان التحكيمية خلال المسابقات العربية والإقليمية؟
- ليس من حقّي أن أقيّم، فأنا مجرد كاتب، ولكن رأيي الشخصي هو أنّ الرواية العراقية لم تنضج بعد إلى الدرجة التي تستحق أن تكون مدرسة خاصّة، ولعلّ السبب هو أنّ العراق بلد الشعر، وشتان ما بين العقل الذي ينتج شعراً، والآخر الذي ينتج رواية، أمّا عن الإقصاء والتهميش فأنا أتمنّى على الذين تعودوا على تكرار هذا الادّعاء المزيف أن يكفّوا، وأن يحاولوا أن يكتبوا روايات حقيقية بدلاً عن ذلك.

* مسارات متعثرة، وأزمنة مختلفة، بل ومصائر مفاجئة لبعض شخوص وأبطال رواياتك المهمّة، فهل هذه الشخصيات علاوة على الأحداث، حقيقية، أم إنّها من بنات أفكارك، ومن نسج خيالك، أم تراها قد جاءت استدعاء من اللاوعي، واستحضاراً من الذاكرة الجبلى لتكون بمثابة إسقاط ومخاض طبيعي بناء على ثراء تجربتك، وسعة اطلاعك، وتراكم أحداث مجتمعتك وبيئتك، وكثرة قراءاتك؟

- الواقع لوحده لا يصلح لأن يكون رواية، لا بد من أن نستعين بالخيال ليستوي ما تختزنه ذاكرتنا نصوصاً ممتعة جميلة، نعم، هي استذكارات من الذاكرة الحبلية، يتعاون فيها العقل مع المخيلة لبناء عالم يسعد الداخلين فيه.



* لقد أبدع الناقد الأدبي صادق الطائي، في تقديمه لروايتك "فيث- فيرجوالية ثالثة"، وأسهب في استعراض ألقها وتميزها وحجم إبهارها، حتى عدّها واحدة من الروايات العربية القلائل التي نجحت بتوظيف العوالم الافتراضية والتقنيات في السرد الأدبي، ولأسيما من خلال الحوار الشائق الممتع بين (أنس حلمي) والكودي، والسؤال الذي يدور في خلدي هاهنا، وأخاله قد دار قبلاً في أذهان القراء، ما معنى "فيرجوالية" ولماذا خصّصت لها ثلاثية ولم تختتمها بواحدة على منوال رواياتك السابقة واللاحقة؟

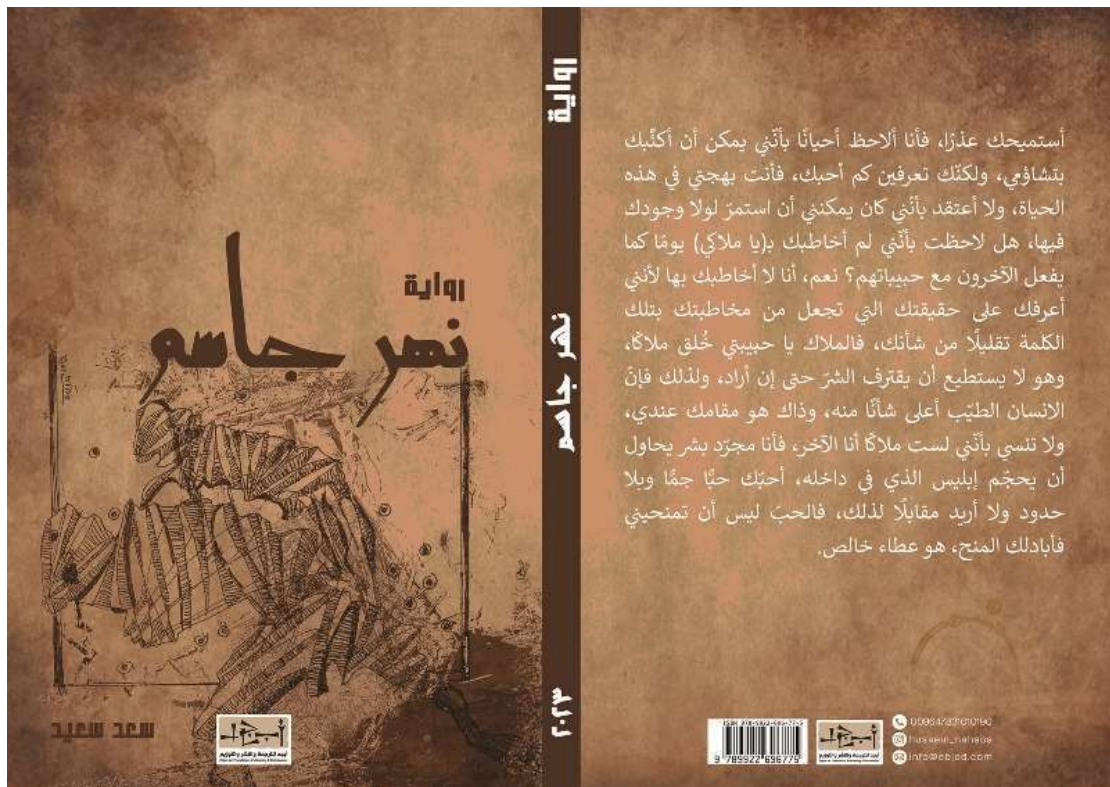
- الحقيقة هي أنّ للأستاذ صادق فضلاً كبيراً في وجود هذه الثلاثية التي اعتزّ بها، فقد كان من أبرز المعجبين بهذه الرواية التجريبية التي كتبها باستحياء وقلة ثقة، وهو من أعطاني الثقة الكاملة بما جرّبت، فقرّرت أن أصل بها إلى النهاية، وأمل أن أكون قد نجحت.

أمّا عن معنى فيرجوالية، فهي كلمة نحتمها من كلمة virtual الإنكليزية التي تعني الافتراضي، ومن المعروف أنّ عالم الإنترنت يسمّى العالم الافتراضي، ولذلك أطلقته لأنّ الرواية تعني بهذا العالم وما يدور فيه.

* أفترض بأنك قد وضعت الركائز الأولى، ونسجت الخيوط العريضة لروايتك "إنسانزرم"، مستلهماً إياها من تجاربك المميرة، ومن يومياتك الأليمة المعاشة خلال الحرب العراقية- الإيرانية قبل أن تسقطها على القرد - الإنسان "تيمو"، كذلك على الراويين، المعلوم منهما والمجهول ضمن سياقها، حدّثنا قليلاً عن هذه الرواية الرائعة. - الفضل في هذه الرواية يعود إلى الصديق المرحوم الشاعر سلمان داود محمد، الذي طالبني بأن أكتب له قصة لينشرها في مجلة "آفاق أدبية" أيام كان رئيساً لتحريرها، فواتني فكرة تيمو التي ما إن بدأت بها حتى أيقنت بأنّها ستتعدى حدود القصة، فاتخذت قراري بأن أحولها إلى رواية، وقد استعنت من أجل ذلك بذكرياتي من الجبهة، فكانت "إنسانزرم"!

* وماذا عن روايتك الأولى "الدومينو"؟ وهل كانت بمثابة قدم السعد ولا أحبذ استعارة مصطلح "تعويذة الحظ" التي تذكّرني بتخاريف راسبوتين، ورباعيات نوستراداموس، وهلاوس ليلي عبد اللطيف، هذه القدم التي فتحت أمامك أبواب الكتابة مشرعة لتطلق العنان لأفكارك، ومن ثمّ لتمتطي صهوة قلمك وتشق غبار الكلمات بعد طول امتناع، أو لنقل انكفاء على الذات حيال كتابة الرواية ودخول عوالمها الكبيرة مشوّبًا بالخطر؟
- الحقيقة هي أنّني كتبت الدومينو لقارئة واحدة، ولم أفكر البتة بنشر أو اقتحام عالم الرواية، ولكن القدر شاء أن تكون هي السبب في دخولي هذا العالم اللذيذ، نعم هي التي شرعت أمامي كل تلك الأبواب.

* في روايتك "قال الأفعوان" استطعت أن تطوّع الرمز خلال السرد لتزواج من خلاله وبحرفية عالية بين التراث العربي وعالم الحيوان والتاريخ والايديولوجيا، ففي آية خانة تضع روايتك تلك؟
- أخبرتك بأنني لا أقيم ولا أضع رواياتي في خانات، كلّ الذي أعرفه هو أنّني تمتعت جدًّا بكتابة قال الأفعوان، وساعدني في ذلك قراءاتي التاريخية الكثيرة، وأنا أشعر بامتنان كبير لكلّ من قرأها وفهمها وتمتّع بها، وأخصّ بالذكر د. سعد داحس الذي درسها في بحث أستطيع من خلاله أن أقول بأنّه كاد يصل إلى الكمال في فهم رموزها، وهو ما أحججه من القراء ككاتب.



* لجنايبك الكريم تجارب في كتابة قصص الأطفال، وسيناريو لأفلام التسجيلية، أما زلت تكتب للأطفال والسينما؟
- أتمنّى ذلك، ولكن للأسف لا أستطيع حالياً لانشغال بالي المستمر بعوالم رواياتي.

* هل أدرجت واحدة أو أكثر من رواياتك ضمن القوائم الطويلة أو القصيرة في بعض المسابقات العربية المعروفة نحو "البوكر" و"كتارا"؟

- لا أبدًا، ولا يهتمي الأمر، فأنا أربأ بنفسي عن عالم الجوائز لكي لا أضطرّ إلى محاباة أو تزوير، فما أريده هو أن أقدم الحقيقة كما أؤمن بها فقط.

* لماذا برأيك لم تتحوّل رواية واحدة من رواياتنا إلى مسرحية ملحمية أو أوبرالية، أو إلى فيلم سينمائي عالمي، أو مسلسل تلفزيوني، عربي أو أجنبي على حدّ علمي؟
- الأمر واضح جدًّا، فأما إنّها لم تنضج بعد لتقدّم ما يستحق أن تتصدّر الصفوف، أو إنّها لا تلبّي متطلّبات أصحاب الجوائز الذين يمتلكون إيديولوجيات خاصّة بهم، أو مصالح!
* قديمًا قيل "الكتاب أو الرواية تُؤلّف في مصر، وتُطبع في لبنان، وتُقرأ في العراق"، أو ما يزال الوضع على ما هو عليه؟ أم إنّ المعادلة قد تغيّرت جزئيًّا أو كليًّا برأيكم؟
- أعتقد جازمًا بأنّ هذه المعادلة قد تغيّرت، ويرى من يهتمّ بالإحصائيات بأنّ معدل القراءة في مجتمعنا منخفض جدًّا، خاصة نسبة إلى العالم الغربي والدول المتقدّمة.



* أيّ رواياتك هي الأحبّ والأقرب إلى قلبك، ومن هي الشرائع والفئات التي تقرأ رواياتك وتقبل عليها بنهم؟ ومن التي تنتقدها أو تحقّظ عليها؟
- الأحبّ هي رواية "ثلاث عشرة ليلة وليلة"، وأعتقد بأنّ فئة الشباب هي أكثر من تقرأ لي، ولا أنتقد أو أتحدّث على أحد، فالقراءة تتعلّق بثقافة الفرد وأهوائه، ولا أستطيع أنا أو غيري أن يفرض على أحد ما لا يرغب بممارسته.

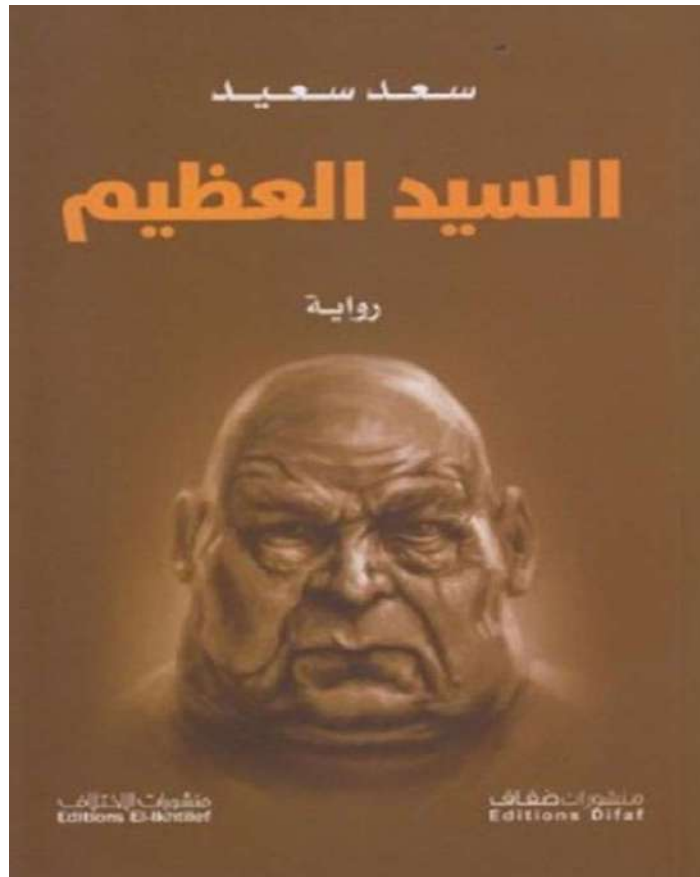
* هل في الجعبة رواية جديدة، أو مجموعة قصصية سترى النور لتجد طريقها إلى القراء قريبًا؟
- أنا أكتب روايات فقط، وعندني رواية الآن وصلت فيها إلى مراحل متقدّمة، وستصدر حال انتهائي منها.
* كلمة أخيرة إلى جمهورك وإلى قرائك ومحبيك.

- أحبّكم كثيرًا، وأتمنى لو استطعت أن أقدم لكم ما يفيدكم، ونصيحة مجّانية، خاصّة للشباب، اقرؤوا أقصى ما تستطيعون، اقرؤوا ما دمتم تمتلكون الوقت لذلك، فالقراءة فعل لا يمكنكم أن تندموا عليه أبدًا.

شكرا من القلب للروائي العراقي المتألق سعد سعيد، وتمنياتنا القلبية له بالموفقية والنجاح الدائم، وقبل أن أدعوه إلى جولة واقعية وليست افتراضية في شارع المتنبي لنشرب خلالها شربت زبيب الحاج زباله، ولنثني بتناول كبة السراي، ولنثالث بالشاي المهيل في مقهى الشابندر المقابل لنحث بعدها الخطى قدما ونذرع سوق الكتب ذهابا وجيئة، مروراً بسوق السراي، وصولاً إلى سوق السراجين، وقبلها في حدائق القشلة الغناء، وبيت الحكمة، والقصر العباسي، لنلتقط الصور التذكارية قرب ساعة القشلة، وتمثال المتنبي، ونازك الملائكة، وإذا بالمثلث الأصفر يظهر أمامي مؤشراً إلى انقطاع شبكة الإنترنت الضعيفة، وبما أهاب بي بالعودة سريعاً لشحن الموبايل والذاكرة على حد سواء، والتخطيط لإجراء حوار جديد مع نخلة باسقة، وشجرة سامقة، وقامة عراقية جديدة جلبها قد أدمنت التحليق كسعد سعيد، في سماء التميز والإبداع كطائر الفينيق من تحت رماد الواقع مدلهم الخطوب، متعدد الكروب، ولكن لا عصي البتة على من خبر عوادي الزمن، وتواتر الأحداث الجسام، وضيق الدروب.

وما إن مضت أيام عدة على قهوتنا الافتراضية تلك، وعلى حوارنا الماسنجري ذاك حتى يمت وجهي نحو القاعة B4، جناح دار خطوط وظلال في معرض العراق الدولي للكتاب بدورته الخامسة 2024 وقد أقيم بمشاركة 350 دار نشر من 17 دولة، لأشهد عصر يوم الجمعة، حفل توقيع رواية "السيد العظيم" للروائي المضيء سعد سعيد، "فما الذي جرى.. وشنو اللي صار؟! على حد تعبير الإعلامي الشاب المبدع الصاعد والمهندس المتميز عبدة النعيمي والذي أنصح بمتابعة برنامجه الثقافي المنوع على منصة أنستغرام. فهذا ما ستعرفونه في السطور التالية...!!

وقتئذ لم أشأ أن أطلب من المؤلف نسخة تذكارية كهدية، وكان الرجل الذي لن يبخل على محاوره بنسخة مجانية قطعاً، مشغولاً بتوقيع نسخ الإهداء تباعاً لجمهور قرائه العريض الذي بدأ يتقاطر على منصة التوقيع وبالتالي فلم يتسن له رؤيتي، وفضلت أن أتسلل كطائر القطا خلسة بعيداً عن ناظره وعن منصته مستمراً انشغاله بالتواقيع والنقاشات الأدبية وتجاذب أطراف الحديث مع قرائه لأشتري نسخة من روايته من دون أن يعلم وبصمت حتى لا تفسد الهدية المجانية تلك وإن بتوقيع مؤلفها، وإن كان صاحبها كريماً وودوداً لا تكاد البسمة أن تغادر محياه لود الحوار الماسنجري الأنف ولقهوته الافتراضية.. قضية!!



****لا تذهبوا بعيداً يا أصدقاء الكتب ويا سفراء القراءة والأدب والمعرفة في عصر الأمتين الأبجدية والتقنية ويا قناصل...فاصل لتناول سندويج مخ ولسان.. متبوعا بلفة كبدة وحواصل.. ونواصل!!!**

(*) حوارى المنشور فى موقع "ميدل إيست أون لاين" اللندنى بتاريخ الجمعة 06/12/2024

الدكتور حارث عبود.. بضيافة مقهى الماسنجر الثقافي (*)



* المعرفة جبل كلما تسلقته اتسعت من حولك مساحة المجهول، حتى إذا وصلت القمة أيقنت أنك لا تعرف شيئاً.

* عندما ترى الإعلامي مبتسماً وهو يلتقط صورة تذكارية بين الحاكم واللس فاعلم أن الوطن قد سرق.

* كل الأعمال سهلة إذا عرفت كيف تقوم بها.

صوت عراقي شجي رقرق لطالما شتف أسماعنا، وارتقى بذائقتنا، وزاد من حصيلتنا المعرفية وبلسان عربي فصيح كل يوم ببرنامجه الممتع "سلام الله عليكم" عبر أثير إذاعة

بغداد بين عامي 1987-1997 ليطل علينا بأكثر من 3000 حلقة على مدى عشر سنين متتالية لم نمل من سماعها يوماً، وكل حلقة منها كانت أعمق وأثري من سابقتها. لم يختلف الحال مع مؤلفاته ومقالاته وبحوثه الأكاديمية الرصينة التي تناولت تكنولوجيا الإعلام والتعليم، والاتصال التربوي، والأنماط اللغوية الشائعة في كتابة نصوص التواصل الرقمية، وأثر استراتيجية التخيّل الموجه لتدريس التعبير في تكوين الصور الفنية الكتابية، وتكنولوجيا التعليم المستقبلي، وفن إدارة المؤسسات الإعلامية، والتحديات القيمة للبث التلفزيوني الوافد، والبعد التربوي في الإعلان التجاري التلفزيوني، واستخدام التعليم المصغر في تعزيز التعلم الذاتي، وغيرها الكثير. كذلك كانت برامجه الوثائقية والتلفزيونية التي أتحفنا بها لسنين طويلة سواء بقلمه السيال الذي لا يشق له غبار في مجال تخصصه، أو بلسانه المفوّه، أو بطّلته الأنيقة الهادئة، وبشخصيته الواثقة المؤثرة، وبصوته العذب الذي ينساب كسمفونية تخترق القلوب والأسماع لتدخلهما من دون استئذان. ولما يزل يقدم للأجيال عصارة ما عنده من خزين علمي وتراكم معرفي بإرادة لا تلين، ليضفي على المشهد التربوي والثقافي العربي عامة، والعراقي خاصة الشيء الكثير وبما تصدق فيه الحكمة الصينية "للنفوس العظام إرادة، وللنفوس الضعيفة أمنيات".

إنه الأستاذ الدكتور حارث عبود، الذي حل ضيفاً غزير العطاء، متواضعاً وحسن المعشر على مقهى الماسنجر الثقافي لتتناول بمعيته فنجان قهوة افتراضية نرسو أثناء تحضيرها بمراق متعده، ونتوقف خلال تناولها بمحطات مختلفة نستدعي خلالها ماضياً، ونستجلي حاضراً، ونستشرف مستقبلاً مستثمرين وجوده معنا. فہلموا بنا نحلّق بجناحي طائر مع قائمة أكاديمية وقيمة معرفية يشهد لها القاصي والداني في هذه الدردشة ولسان حالنا علاوة على مقالنا يردد رائعة أحمد شوقي:

واطلبوا الحكمة عند الحكماء

وخذوا العلم على أعلامه

* ماذا تقرأ بطاقتكم الشخصية والأكاديمية؟

- أول سطر في بطاقتي دونه والذي رحمه الله في مفكرته الخاصة مشيراً إلى أنني ولدت في قرية خرنابات القريبة من مدينة بعقوبة مركز محافظة ديالى أواخر أيام عام 1949. وخرنابات قرية وادعة على نهر ديالى محاطة ببساتين البرتقال الذي منح اسمه لمدينة بعقوبة فلقبت "مدينة البرتقال". هناك أكملت دراستي الابتدائية والمتوسطة ثم انتقلت مع أسرتي إلى أعظمية بغداد التي أكملت فيها المرحلة الإعدادية والتحقت عام 1967 بكلية التربية في جامعة بغداد لدراسة الأدب الانكليزي. خلال دراستي الجامعية التحقت بقسم المذيعين في إذاعة بغداد مذيعاً لنشرات الأخبار ومعداً ومقدماً لعدد من البرامج. بعد تخرجي عملت مدرساً للغة الانكليزية في محافظة ديالى، ثم نُسبت لأكون من مؤسسي التلفزيون التربوي عام 1971، وفيه كتبت أول فلم وثائقي من إخراج الصديق العزيز عصام السامرائي، وقدمت عدداً من البرامج التربوية. ثم واصلت عملي مدرساً للغة الانكليزية في مدارس العاصمة. في 1980 التحقت بجامعة ويلز في المملكة المتحدة للحصول على الدكتوراه في الاتصال وتكنولوجيا التعليم. عدت عام 1983 وكُلفت بتأسيس دائرة جديدة في وزارة التربية تعنى بالإعلام التربوي، ذات مهام مستقلة عن مديرية الإعلام التي كانت موجودة أصلاً في الوزارة. ومنها ابتداءً مشواري في المهام الإدارية.

* هل تعدون ما يُنشر من خلال قنواتكم "محطّات معرفيّة" على منصّة اليوتيوب استكمالاً لما كنتم قد بدأتموه في برنامجكم الإذاعي ذائع الصيت "سلام الله عليكم" وكان واحداً من أيقونات البرامج المهمة التي تربعت على صدارة ما كانت تبثه إذاعة بغداد سابقاً؟

- نعم هذا صحيح، فقد واصلت كتابة حديث "سلام الله عليكم" بعد سنوات من انقطاعه بعد عتب العديد من الإخوة المتابعين الذين وجدوا أن الحاجة الاجتماعية متزايدة إليه في ظل الظروف الحالية، وهكذا أطلقت القناة وسميتها باسمه ثم أضفت إليها أبواباً أخرى كالمحاضرات العلمية والأفلام الوثائقية التي كتبها، وكذلك الرسائل القصيرة جداً والشعر لتكون بين أيدي متابعي القناة بالاسم الجديد.

* وماذا عن كتابكم "أحاديث سلام الله عليكم في الفكر والتربية والثّقافة والأخلاق" الذي حظي بإعجاب منقطع النظير ولأجيال مختلفة من القراء؟ وهل ضم بين دفتيه ملخصاً لمجمل ما كنت قد تناولته خلال السنوات العشر التي أمضيتها في كتابة البرنامج الإذاعي الشائق الذي يحمل ذات العنوان وتقديمه؟

- بعد احتلال العراق عام 2003 تعرض مبنى الإذاعة والتلفزيون في الصالحية إلى عمليات نهب واسعة فُقدت فيها عشرات الألوف من الأشرطة الصوتية والصورية التي احتوتها مكنتها. وهي وثائق الدولة العراقية عبر تاريخها الوطني من خطب الملوك والرؤساء والبيانات السياسية والعسكرية والمؤتمرات والاحتفالات واللقاءات الفكرية والثقافية والأحداث المختلفة، وكذلك أشرطة التلاوات القرآنية والأغاني والبرامج والموسيقى وأحاديث الشخصيات العراقية وغير العراقية. وكان من بين هذه الأشرطة أكثر من 3000 حديث قدمتها من إذاعة بغداد، فضلاً عن عشرات الأفلام والبرامج الوثائقية التلفزيونية التي كتبها وقدمتها قبل الاحتلال. وبعد جهد مضني استطعت جمع حوالي 400 حلقة من أحاديث "سلام الله عليكم" على شكل مسودات مكتوبة أو مقالات منشورة في جريدة الجمهورية، ووجدت أن من المفيد نشرها في كتاب بالاسم نفسه مع دراسة علمية عن الحديث الإذاعي تكون بين أيدي الباحثين وكتاب الحديث الإذاعي عموماً، ذلك أن من يقرأ الأحاديث التي تضمنها الكتاب يمكنه أن يتعرف على طبيعة الحياة العراقية وأنماط عيش العراقيين وهواجسهم وأحاديثهم اليومية في السياسة والثقافة والاقتصاد، ويفهم البيئة الاجتماعية على مدى عقود من الزمن. وأحمد الله أن أصداءه في وسائل الإعلام التقليدية والرقمية أكدت ما توقعت.

من خطط الحملة التي عُدت من المنجزات المتميزة عالميا في خفض معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة. في 1988 نُقلت مديرا للإذاعات الدولية التي كانت تسمى "الإذاعات الموجهة" وهي مخصصة للمستمعين الأجانب وتعنى بتقديم البرامج والتقارير الإخبارية وتحليلات الأحداث بسبع لغات أجنبية... عمل مختلف من حيث النوع لكنني كنت أعمل في المؤسسة التي خبرتها من قبل وجلّ العاملين فيها من المذيعين والمخرجين والفنيين والإداريين هم زملائي منذ مطلع السبعينات، وهو ما يسّر لي مهمتي كثيرا وأعادني إلى نشاطي الإذاعي السابق في قراءة نشرات الأخبار وإعداد البرامج وتقديمها في إذاعة بغداد، إلى جانب مهمتي الإدارية في الإذاعات الموجهة. في تلك السنة توقفت الحرب العراقية الإيرانية، وبدأ الإعلام العراقي ومنه إذاعة بغداد مرحلة جديدة من النشاط بإعادة نظر شاملة ببرامجها بما ينسجم مع نبض الشارع العراقي بعد الحرب مما تطلب مواصلة الليل بالنهار لإنجاز مهام كثيرة ومتنوعة في أوقات محددة لا تحتمل التأجيل. كانت إذاعة بغداد ببتي الذي أقضي فيه يومي من الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل لأكون مع زملائي العاملين في استوديوهات الإذاعة، بل كثيرا ما تطلب الأمر المبيت في الإذاعة لإنجاز ذلك... عمل شاق وبالغ الدقة والحساسية ولا يَسْمَح لك بالخطأ، كما إنه مُتَابِع على امتداد ساعات اليوم تقريبا من قبل جمهور متعدد الرغبات متنوع المزاج. ويعلم زملاء المهنة أن المواقف المحرجة واللحظات الصعبة وربما الخطرة أحيانا والتي تتطلب تصرفا فوريا كانت كثيرة في عملنا. ولا شك أن أيام العدوان الثلاثيني الغاشم مطلع عام 1991 على بلدنا الحبيب كانت لي ولزملائي في الإذاعة أشد الأيام قسوة وخطورة، إذ كنا نمارس عملنا من مواقع بديلة عديدة خارج مبنى الإذاعة والتلفزيون. وفي ظروف استثنائية يصعب تصورها، وتحت قصف كثيف ومتواصل من دول العدوان بقيادة الولايات المتحدة... موضوع كبير لا يتسع المجال للخوض فيه الآن. لكننا بالمقابل كنا نشعر أننا نمارس عملا ممتعا حد الوله، إذ ليس هناك أجمل من نجاحك في أداء مهمتك بصدق وأمانة بما يحقق رغبات المستمعين ويستجيب لحاجاتهم.



* سبق لجنايب الكريم أن حصلت على جائزة رفيعة في مجال تقديم البرامج التلفزيونية، فضلا عن جائزة مماثلة تكريما لجهودك المشهودة في مجال كتابة سيناريو البرامج الوثائقية التلفزيونية. السؤال هنا ومن وجهة نظرك ما هي أهم البرامج الإذاعية التي قدمتها بنفسك خلال مشاركتك الإذاعي الطويل باستثناء برنامج "سلام الله عليكم"؟ وما أبرز البرامج الوثائقية التلفزيونية سواء تلك التي أعدتها أو قدمتها أو كتبت السيناريو الخاص بها؟

- هذه الجائزة كانت تمنحها وزارة الإعلام سنويا لأفضل النتاجات الإعلامية والثقافية والفنية بعد تقويمها من قبل لجان متخصصة. وقد حصلتُ على جائزة أفضل مقدم تلفزيوني عام 1997 عن برنامج "العالم اليوم" التلفزيوني الأسبوعي الذي كان يعده الزميلان د. محمد فليحي و د. رجاء آل بهيش. والثانية كانت عام 2001 لأفضل

سيناريو وثائقي بالاشتراك مع الزميل محمد السبعوي عن البرنامج الأسبوعي الوثائقي "أضخم حملة حربية في التاريخ". وعلى ذكر المواد التلفزيونية الوثائقية فقد كتبت سيناريوهات وتعليقات عشرات الأفلام والبرامج الوثائقية منذ 1972 حتى الآن، لصالح تلفزيون بغداد والفضائية العراقية وبعض المحطات العربية، ربما يكون أهمها فلما "حراس الفجر" و "دق الحياة" وسلسلة "الحياة في العمل" عن مرحلة الإعمار التي أعقبت العدوان الثلاثيني على العراق عام 1991 وهي على التوالي من إخراج د فارس مهدي وفاروق القيسي رحمهما الله والزميل نزار الفدع. أما البرامج الإذاعية فأهمها النصوص الأدبية الصباحية التي كان يشاركني في كتابتها لفترة طويلة الزملاء الروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي ومحمد هاشم وأحمد عزيز رحمهم الله والزميل القاص عبد الواحد محسن، وكذلك برنامج صباح الخير مع الزميلة أمل حسين، وبرامج رمضان عديده مع الزميل المرحوم د. عدنان الجبوري.

* بحكم خبرتك الطويلة في مجال تدريس مواد الإتصال وتكنولوجيا التعليم في جامعات عراقية وأردنية عدة، وقبلها الفنون الإذاعية والتلفزيونية علاوة على ترؤسك قسم السمعية والبصرية قبل أن تصبح عميدا لكلية الفنون الجميلة في بغداد قبل 2003، نود أن نتحفظنا من خلال هذا الحوار بأهم النصائح التي تراها ضرورية لمذيعي ومقدمي البرامج الإذاعية والتلفزيونية في أيامنا، لا سيما وأن منهم من يبدو مرتبكا أو باهتا أو متشنجا وكثير المقاطعة للضيوف، وهناك منهم من يلحن باللغة العربية ليأتي بأخطاء فادحة قد تمر على غير المعنيين ولا المتمنعين باللغة مرور الكرام، إلا أنها ولا شك من شأنها أن تخدش أسماع ولربما حياء المهتمين والمتبحرين بأدائها وفروعها أيضا؟

- لا أحب يا صديقي أن أكون في موقف الناصح، إنما هي حصيلة من الاستنتاجات تشكلت لدي عبر تجربة ميدانية ودراسة أكاديمية امتدت أكثر من خمسين عاما. ما نجده اليوم في الواقع السمعي والمرئي العراقي بكل الأسف يبعث على الألم حقا فقد ابتدأ المشهد بتدمير المكتبات الإذاعية والتلفزيونية ونهب ألوف الأشرطة فور سيطرة القوات الأمريكية على بغداد التاريخ والحضارة والثقافة عام 2003. وشرعت مئات الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون بنشاط لا تظلل الخيمة الوطنية الجامعة بسبب توزع ولاءاتها الفئوية وتضارب مصالحها واختلاف مصادر تمويلها، مما انعكس على طبيعة العمل ومنظومته القيمية ومعايير المهنة. وليس ضعف لغة المذيعين والمقدمين وثقافتهم إلا الوجه المكشوف من وجوه هذا التراجع المريع. وأنت عندما ترى الإعلامي مبتسما وهو يلتقط صورة تذكارية بين الحاكم واللى فاعلم أن الوطن قد سرق! من المؤكد أن ذلك ليس وصفا لجميع العاملين في هذا القطاع فهناك الكثير من الخبرات الإعلامية الوطنية التي تستحق الاحترام ما تزال تعمل كالقابض على الجمر للمحافظة على نبل رسالتهم وتاريخهم المهني. المطلوب اليوم هو تأكيد قيم الرسالة الإعلامية الوطنية الجامعة البانية التي من شأنها تعزيز الانتماء للعراق الواحد الموحد وترك ثقافة المكونات التي جاء بها المحتلون. لا بد من إشاعة الأمن المجتمعي ونبد الاحتراب وترك التشاتم بين الواجهات الإعلامية، والسعي إلى بناء منظومة قيمية تعتمد صدق الخطاب وتقديم المصلحة الوطنية على المصالح الخاصة، والإفادة من موثاق الشرف الإعلامي التي تنظم إيقاع العمل بما يضمن تشكيل مؤسسات إعلامية مهنية تسهم في بناء البلد وتضعه على طريق التحضر والتقدم وليس تمزيقه بإثارة النعرات الفئوية وافتعال الصراعات وتعميقها بحجة المحاصصة وحقوق المكونات.



* أنت القائل "10 أخطاء شائعة في البحث العلمي... لا ترتكبوها" و"دراساتنا العليا في خطر والحل بأيديكم" فما هي هذه المخاطر فضلا على الأخطاء الشائعة، وما الحلول الناجعة التي تقترحونها لتلافي الوقوع في حبالها وشرائها؟

- الخطاب الأول موجه للباحثين طبعاً، غير أن توضيح الأخطاء وكيفية معالجتها يتطلب إجابات مطولة لا أود أن أرهق بها القارئ الكريم، وهي جميعاً مشروحة بصورة مفصلة ضمن سلسلة "كيف نكتب بحثاً علمياً" على قناتي "محطات معرفية" على اليوتيوب، لكن من الممكن إجمال ذلك بالقول إن البحث العلمي عملية منظمة تحكمها منهجية واضحة لا بد للباحث الأمين أن يلتزم بتفاصيلها إذا أراد أن يكون بحثه صادقاً ومفيداً. والأخطاء المقصودة هنا هي خلاصة الإشراف على عشرات الأطاريح الجامعية، وتمثل ما يُهمله الباحثون عادة في تطبيق مفردات المنهجية البحثية، مما يتسبب في فشل تحقيق أهداف البحث. أما التحذير من الوضع الخطير للدراسات العليا فكان موجهاً لزملائي المشرفين على الدراسات العليا في الجامعات للتنبيه إلى ما يهدد مستوى البحث العلمي وكيفية تقويم صدق الباحثين الذين يشرفون عليهم وأمانتهم في كتابة أبحاثهم، وذلك بسبب انتشار مكاتب تجارية تقدم بحوثاً جاهزة للباحثين مدفوعة الأجر. وقد زاد الطين بلة التطور التكنولوجي في مجال الذكاء الاصطناعي الذي يقوم بالمهمة نفسها بسهولة وفي وقت أقصر، مما يفرض على الجامعات إلزام طلبتها بالتمسك بالأمانة العلمية، ولفت نظر المشرفين إلى ضرورة المتابعة التفصيلية لطلبته لمنع انتشار هذه الظاهرة الخطيرة. إن شيوع هذا النهج يعني القبول بعملة مزيفة تُضخ في سوق العمل، وخريجين يحملون شهادات علمية وهمية في كل التخصصات إذا لم ينتبه المشرفون لذلك في الأقسام العلمية في جامعاتنا.

* صدرت لكم حديثاً الطبعة الأولى لكتاب بعنوان "التعليم الإلكتروني.. آمال وتحديات" وقد جاء الكتاب الصادر عن مكتبة دجلة للطباعة والنشر والتوزيع (بغداد وعمّان) بحلة قشيبة، وتصميم رائع بـ 338 صفحة، فحول أي من الآمال والتحديات يتمحور الكتاب؟ وما أهم الموضوعات التي يتناولها؟

- يحتوي الكتاب تسعة بحوث منشورة في مجالات علمية عربية وأجنبية، تناولت أسباب ضعف انتشار التعليم الإلكتروني في البلاد العربية وبعض المشكلات الميدانية الناشئة عن تطبيقه، والحلول المقترحة لها" ولقد شاركني في إنجاز هذه البحوث تسعة من الباحثين العرب المتميزين الذين بذلوا فيها جهوداً طيبة، وتفضلوا بالموافقة على نشرها في كتاب مشترك لكي تكون متاحة للقراء والباحثين العرب وهم كل من أ.د. مزهر العاني، د. بهجت التخينة،

د ميماس كمور، د عبير ديرانية، د علي الحلاق، د أسامة الدلالة، د غادة العرعر، السيدة مها موسى أبو ميزر، السيدة صفاء حسني الصوي.

ضم الكتاب بين دفتيه عددا من البحوث والمواضيع المهمة في مجال التربية والتعليم، ومن أبرزها تقويم مشاريع تخرج طلبة تكنولوجيا التعليم في جامعة جدارا في ضوء معايير البرمجيات التعليمية، ومعوقات انتشار التعليم الإلكتروني في الأقطار العربية، وبناء برنامج تدريبي لتحسين عادات الدراسة لدى الطلبة في الجامعة العربية المفتوحة، ودور الجامعة العربية المفتوحة في إنماء الواقع الاقتصادي والاجتماعي لخريجها، اضافة الى تطوير معايير تقويم طلبة التربية العملية في برنامج البكالوريوس في التعليم الابتدائي في الجامعة العربية المفتوحة. كما ناقش الكتاب استراتيجيات معالجة الغش في الامتحانات عبر الإنترنت، وفاعلية نموذج توليدي معرفي بنائي مطوّر لتدريس الحاسوب في تحسين مهارات برمجة الحاسوب وتنمية معتقدات الكفاءة الذاتية لدى طالبات التاسع الأساس في الأردن، معرجا على التحديات التي تواجه معلمات رياض الأطفال الخاصة في تطبيق التعلّم عن بعد خلال جائحة كورونا بالعاصمة عمّان وسبل مواجهتها مستقبلاً، علاوة على مشكلات التقويم الإلكتروني في الجامعات الأردنية أثناء جائحة كورونا من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.



* حدثنا قليلا عن عناوين كتبك الأخرى، وهل في أدراج مكتبتك مخطوط لكتاب جديد سيرى النور قريبا ليثري رفوف المكتبة العربية كسابقه؟

- أحمد الله أنني تمكنت حتى الآن من إصدار عشرة كتب بصورة منفردة أو بمشاركة زملائي من أساتذة الجامعات العراقيين والعرب، توزعت موضوعاتها بين الاتصال وتكنولوجيا التعليم. بعض هذه الكتب يُدرّس في عدد من الجامعات العربية، وهي على التوالي:

- الحاسوب في التعليم
- تكنولوجيا التعليم المستقبلي
- الاتصال التربوي
- بحوث ودراسات في تكنولوجيا الإعلام والتعليم
- الإعلام والهجرة إلى العصر الرقمي
- التدريس بمساعدة الحاسوب
- تكنولوجيا التعليم
- طرائق التدريس العامة
- أحاديث سلام الله عليكم



وأرجو أن يعينني الله سبحانه في إكمال تدوين كتابٍ بدأت العمل فيه، يروي خفايا العمل اليومي في المواقع البديلة لإذاعة بغداد تحت القصف الجوي أيام العدوان الثلاثيني عام 1991.

* بصفتك متخصصاً في قضايا الإعلام الرقمي والتعليم الإلكتروني، ما هي انطباعاتك عن مستقبل الجهد والإبداع البشري بوجود برامج الذكاء الاصطناعي تخطت كل حدود المهارات الفردية يتصدرها برنامج شات جي بي تي، وقد طرحت الشركة المنتجة "أوبن إيه أي" نسخة محدثة منه باسم شات جي بي تي برو، لتضاف إلى نسخ شات جي بي تي بلس، وشات جي بي تي تيم، وشات جي بي تي انتربرايز، ليظهر لنا الملياردير ايلون ماسك، ببرنامج "غروك" الذي انتجته شركته الناشئة "اكس إيه أي"، أعقبه إعلان الملياردير مارك زوكربيرغ عن إطلاق برنامج "Llama 3.3" مشفوعاً بالتمهيد لبرنامج "Llama 4" للذكاء الاصطناعي قريباً لتعزيز مساعد الذكاء الاصطناعي "Meta AI"، فهل ستقضي أمثال هذه البرامج الذكية على المواهب الفردية لتبذل الطاقات البشرية؟ أم تراها على النقيض من ذلك ستعمل على رفدها وصقلها وتعزيزها وتنميتها؟

-إذا أردنا أن نغمض أعيننا عما يستجد كل يوم في تكنولوجيا المعلومات والاتصال فسنكون خارج التاريخ. وإذا سلّمنا بما تدعونا إليه هذه التكنولوجيا والقائمون عليها من قوى عالمية تتحكم بمصائر الشعوب فسنفقد هويتنا وتاريخنا. لا بد من طريق ثالث ترسمه بوصلتنا الخاصة المتفاعلة مع المحيط الإنساني، لا بد أن يكون لنا دورنا في بناء مستقبل هذا العالم بوصفنا أمة تستند إلى حضارة علّمت العالم كيف يكتب ويفكر وينتج. كل المسميات التي تفضلت بها أخي الكريم هي قواعد بيانات وبرامج وتطبيقات مستحدثة لها تأثيراتها الإيجابية الفاعلة في تطوير صيغ الحياة المعاصرة في جميع ميادين الحياة، ولا شك في أنها ستساعد البشر في حل مشكلات كثيرة كانت حتى اليوم عصية على الحل وربما مستحيلة، في الطب والهندسة واللغات والزراعة والصناعة والمال والإدارة وغيرها. المشكلة الأساسية التي تقلقنا كما تقلق العالم هي الخشية من انفلات هذه التكنولوجيا في ظل ضعف الضوابط الأخلاقية التي تمنعها من تجاوز القيم الإنسانية وخصوصيات الشعوب والثقافات... القلق من أن تتحول هذه التكنولوجيا إلى أدوات مضافة في أيدي حكومات وشركات تتسابق للسيطرة على العالم ونهب ثرواته... الخوف من أن تخرج هذه التكنولوجيا عن البروتوكولات الموضوعية لها فتدمر الإنسان. هذه الازدواجية المقلقة بين المنجز الإنساني في ميادين العلم المختلفة من جهة، واحتدام الصراعات والتدخل في مصائر الشعوب وخياراتها حد التوحش من جهة أخرى، يأتي في مقدمة عوامل القلق في حياتنا المعاصرة.

* تناهى إلى علمنا بأنك محب للشعر العربي ومتيم به، فهل سبق أن نظمت قصائد في الشعر العمودي أو الحر؟ -أنا لست شاعراً، لكن لي محاولات متواضعة في كتابة الشعر، فَالشعر كما يقول الحُطَيْئة صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلْمُهُ. لقد نشرت قصيدة واحدة من شعر التفعيلة بعنوان "اشتقتُ إليك فماذا أفعل" تتحدث عن بغداد وما حل بها بعد احتلالها عام 2003. وقد سجلتها بصوتي على قناة "محطات معرفية" على يوتيوب بعد أن نُشرت في قناة "الشرقية" ومجلة "همس الحوار" التي تصدر في لندن. أما تعلقي بالشعر فيعود الفضل فيه ابتداءً لوالدي وأربعة من أفراد الأسرة الذين كانوا شعراء كذلك، وللمكتبة الكبيرة التي أنشؤوها في البيت، ومن بعد ذلك لما اطلعنا عليه من شعر بالعربية والانكليزية.

* حكمة تؤمن بها وتعمل بمقتضاها، وكتب لا تمل من قراءتها؟ -أعتقد أنك تتفق معي في القول إننا لكي نبني مستقبلاً أفضل لابد أن نكتشف الخلطة السحرية التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة. ذلك ما خرجتُ به من رحلة الحياة وعملتُ بمقتضاها فعلاً أينما حللت، فوجدت أنه كفيل بالإجابة عن كثير من التساؤلات التي يعيشها مجتمعنا اليوم في ظل فوضى الحضارة الجديدة وقيمها المشوهة وشيوع المنطق التبريري والنفعي على المستوى الفردي والعام. أما الشق الثاني من سؤالك الجميل فإن نمط ما تقرأ يتغير بحسب المراحل العمرية تبعاً لتحوّل الاهتمامات في كل مرحلة... أليست تلك هي سنة التجديد! ويبقى الأول والآخر والأسمى والأرفع بين الكتب هو القرآن الكريم الذي لا يَمَل المرء قراءته بوعي وتبصّر طوال العمر.



* كلمة أخيرة لمحبيك قبل أن يغلق "مقهى الماسنجر" الثقافي أبوابه. -أقول لأولادي وطلبي ومتابعي... إذا كنتُ قد نجحتُ يوماً في مخاطبتكم فلأنكم أكرمتُموني بإصغائكم. لكم كل ما أملك من محبة وامتنان، ولك أخي أحمد كل التقدير والاعتزاز بعمق تساؤلاتك وشمول إحاطتك.

ودعت الدكتور حارث عبود، ويممت وجهي شطر الباب الشرقي عبر ساحة الطيران حيث تنتصب جدارية الفنان التشكيلي العراقي فائق حسن، وكانت قد أفتتحت عام 1960، لأمر بعدها سريعاً بنصب التحرير للنحات العراقي جواد سليم، الذي توفي قبل افتتاح جداريته البرونزية المعمولة بطريقة الريليف والمتناثرة على قاعدة عريضة

بمثابة لافتة مصنوعة من المرمر الأبيض بطول 50 متراً، وبارتفاع 8 أمتار، قبل أن تواصل زوجته البريطانية لورنا سليم، اكمال المشروع بمعية النحات العراقي محمد غني حكمت، حتى افتتاح الجدارية عام 1961م. لقد كنت في طريقي الى مكتبة دجلة في شارع السعدون، هذا الشارع الأنيق والجميل الذي يتوسط العاصمة بغداد والذي يحمل اسمه تيمناً بالشخصية الوطنية العراقية عبد المحسن بن فهد باشا السعدون، ثاني رئيس وزراء للعراق في العهد الملكي، وذلك لشراء نسخة من الطبعة الأولى لكتاب "التعليم الإلكتروني.. آمال وتحديات" لمؤلفه الأستاذ الدكتور حارث عبود، وهناك وبين أوراق المكتبات الشهيرة ورفوفها المكتظة تارة، وبين أكوام الكتب التي تغفو فوق الأرصفة المغبرة أخرى، وقع بصري بين دفتي المجموعة الشعرية الكاملة لشاعر القرنين عبد الرزاق عبد الواحد، على قصيدته "سفر التكوين"، التي يقول في خواتيمها:

هُوَ الْعِرَاقُ.. سَلِيلُ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ هُوَ الَّذِي كُلُّ مَنْ فِيهِ حَفِيدُ نَبِي!
كَأَنَّمَا كَبْرِيَاءُ الْأَرْضِ أَجْمَعِهَا تُنْئِي إِلَيْهِ، فَمَا فِيهَا سِوَاهُ أَبِي!
هُوَ الْعِرَاقُ، فَقُلْ لِلدَّائِرَاتِ فِي شَاخِ الزَّمَانِ جَمِيعاً وَالْعِرَاقُ صَبِي!



(*) حوار المنصور في "مجلة الكاردينيا" العربية الصادرة في زيورخ / سويسرا، بتاريخ الأحد، 15 كانون 1/ديسمبر

2024

دردشة إعلامية.. مع الكاتب والأديب المصري حاتم سلامة (*)



*أحب كتبي التي ألفتها (حكايات عاشق الكتابة) وهو مقرون بسيرتي الذاتية وسيرة كثير من المؤلفين والأدباء.

*وأنا أعد كتاب (رحلة التكوين) كان للقلم النسائي نصيب كبير من الابداع وقد أبدعن أكثر من أقلام الأدباء الرجال!

*تعجبني كثيرا مقولة مانديلا: (حافظ على كرامتك حتى لو كلفك الأمر أن تصبح صديقا لجدران زنزانتك).

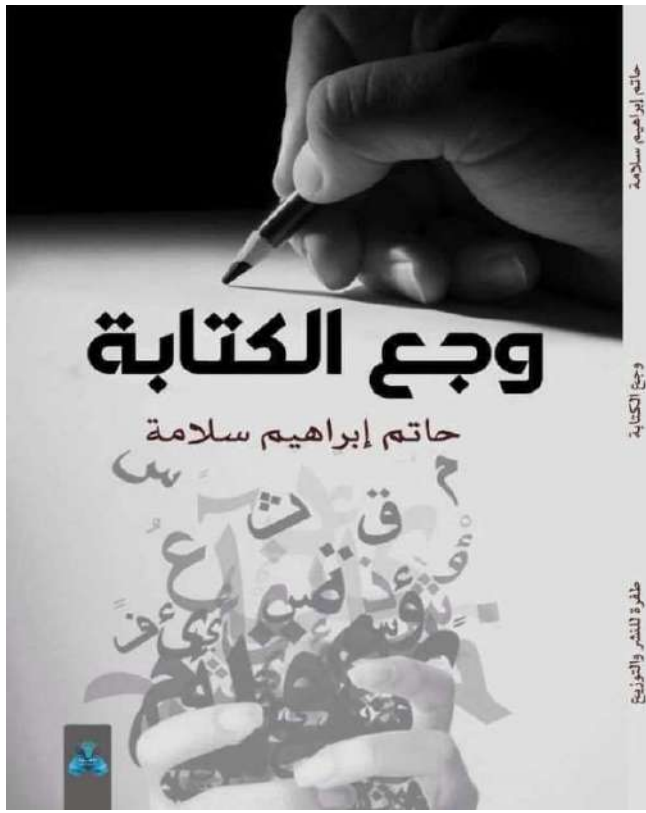
— حدثنا عن بطاقتك الشخصية وعرفنا بنفسك؟

** الاسم (حاتم إبراهيم سلامة) مواليد ١٩٧٨م بقرية سنجرج مركز منوف، وهي قرية ريفية من قرى محافظة المنوفية، تعلمت في صغري بكتاتيب القرية، ثم حصلت على الشهادة الابتدائية فيها، وانتقلت إلى الالتحاق بالتعليم الأزهرى حتى حصلت على الليسانس في الدعوة والثقافة الإسلامية.. ونشأت وترعرعت في ربوع قرينتنا، بين أسرة تتكون من أربعة إخوة وأبوين، نلنا جميعا تعليما عاليا، وكان أبي متعلما مثقفا، غرس فينا التطلع للقراءة والمعرفة، وكثيرا ما كنت أشاهده يقرأ، ويتناقش في الأدب والفكر والقضايا السياسية، وكان لهذا أثر بالغ في توجيهي.. أما أمي فهي ربة منزل قامت على رعايتنا وتربيتنا، ولم تنل حظا من التعليم، فلم يكن في ذلك الوقت تحفيز كبير يدفع الأسر لتعليم الفتيات، لكنها من بيت كريم الأصل عالي الحسب والنسب، فجدها كان عمدة القرية، وعائلتها هي أكبر العائلات فيها.. وكان جدي لأمي موظفا حكوميا، وشخصية لها اعتبارها وقيمتها في قرينتنا. لم أكن مجتهدا في بداية دراستي، وأخفقت في بعض السنوات الدراسية، وكان ذلك يلهم والدي بأنني لن أنفع في مسيرة التعليم، وكان يبحث لي عن مهنة وحرفة أتعلمها لتكون سندا في الحياة، وبعد الصبر والمحايلات تخطيت المرحلة الثانوية، وتخصصت في علوم الدين والدعوة، وبدأت مواهبي الفكرية والأدبية تتفتق، ومن الغريب أنني مع تعثري الدراسي، كنت أحب القراءة وأجمع الكتب، وأهوى الكتب الثقافية عن الكتب المدرسية، وكان والدي يستنكر ذلك، ويحثني على العناية بكتب الدراسة، ليتشكل مستقبلي أولا وبعدها أقرأ ما أريد، لكن هذه القراءات وجدت أكلها في مرحلة الجامعة وما بعدها، ولعلها الأرضية الصلبة التي شكلت وجودي المعرفي اليوم.

- "القراءة.. المجد الذي أضعناه"، عنوان أحد كتبك المهمة وأنت القائل "لو أردت أن تنال من العظمة التي نالها مشاهير الكتاب وبلوغ الرتبة التي تصدروها، فما عليك إلا أن تحاكمهم في نهمهم القرائي، وعشقهم للكتب، وصحبتهم للأوراق".. فهل أنت ممن يعتقد جازما بأنه وعلى قول الكاتب عزيز السيد جاسم "عندما يقف قلمك على السطر بلا حراك، فستدرك تقصيرك في القراءة؟".

**** نعم هذا ما قلته في كتاب (القراءة المجد الذي أضعناه)، ولعله الكتاب الثاني عن القراءة بعد كتابي (اقرأ).. رسالة الوحي الأولى) وهذا من شدة اهتمامي وتأكيدي على القراءة ونفعها للفرد والمجتمع، وليس للكاتب فقط، فهي أساس النهوض والتفوق الحضاري، لأية أمة تريد أن تثبت وجودها وتؤكد كيانها، وبدونها لا تقوم للأمم قائمة، لأن القراءة تعني العلم والثقافة، وبدونهما ينتشر الجهل والخرافة التي تتسبب في ضعف العقول والشعوب.**

وقد عنيت بهذا المعنى فعلا حينما وجدت كثيرا من الكتاب يعتقدون أن الكتابة موهبة في النفس، لا دخل لها أحيانا بالاكْتساب، وهو ما سار ويسير عليه كثير من الكتاب الناشئين، الذين يعتمدون على خواطرهم النفسية وخلجاتهم الوجدانية فيما يكتبون، فأحببت أن أذكرهم بهذا النقص الرهيب الذي فرضوه على أنفسهم، والحلقة الكبيرة الغائبة في تكوين الأديب الحقيقي.. وأن الكاتب الكبير ما هو إلا قارئ كبير.



وأنت لو نظرت معي إلى أي كاتب كثير الإنتاج دائم الحضور، فلن تجده إلا بارعا مجيدا، وباحثا مجتهدا، لأنه يؤمن ببساطة، أن القراءة وقود الكتابة، كما أن الكاتب الحقيقي الذي يعشق القلم والكتابة، لا يمكن أن يبتعد عنها وينتظر الوحي كي يمن عليه بفكرة يكتبها، وإنما لابد له أن يسعد أو يذهب إلى هذا الوحي ذاته، ولن يكون ذلك إلا بالقراءة، وأنا واحد من هؤلاء، كلما جذب معين أفكار، أسارع للقراءة حتى تنجلي العقدة وتزول السدة.

- وماذا عن كتبك المهمة الأخرى؟ حبذا لو أوجزتها لنا مع نبذة عن كل كتاب، ولاسيما تلك التي شاركت بها في معارض الكتب المحلية والعربية.

**** كتبني والحمد لله كثيرة وإنتاجي موفور بفضل الله ومنته علي، فقد تخطت العشرين كتابا، وإذا تحدثت عن كل كتاب فسوف يطول الحديث، لكنني أحدثك عن آخرها وهو كتاب يطبع الآن وسوف يشارك في المعارض القادمة بإذن الله وهو تحت عنوان (تعلمت من هؤلاء) وقد ضم نخبة من الأدباء الكبار القدامى وأبرزهم كالرافعي والعقاد وطه حسين ومحمد فريد وجدي وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وغيرهم، وقد حاولت في هذا الكتاب أن أعكس للقراء، بعض جوانب العظمة في حياتهم الشخصية وسلوكهم الإنساني، فكما نعتبرهم عباقرة في ميدان الأدب والفكر، أردت أن أثبت عبقريتهم كذلك في المعاني الإنسانية، وما أردت بهذا إلا أن أوجه رسالة لكل المثقفين بأن المثقف هو المتحضر، وأن الثقافة ترتقي أول ما ترتقي بسلوك الإنسان ونظريته وتعامله مع الحياة والأحياء، وأن الثقافة لا تنفصل بشيء عن الأخلاق والسلوك والقيم.. ومن خلال هذا الكتاب أحببت أن أقول: إن الكتاب ما هو إلا فكرة قيمة إذا وردت للذهن سهل بعدها تأليف الكتاب، فالفكرة هي التي تفتح الطريق للتأليف وتعين**

عليه، شريطة أن تكون فكرة جديدة وملهمة وغير مقلدة، أو حتى مقلدة لكنها أتت بالجديد المهم والمخبوء، ولعل هذا الكتاب الجديد يحمل هذا المعنى، ومن أطرف ما قابلني فيه اختيار عنوانه، فأنا أعلم أن هناك كتاب معروف للرائد سلامة موسى تحت عنوان (هؤلاء علموني) يتناول فيه فلاسفة ومفكري الغرب، فتحيرت ماذا أسي كتابي؟ وقمت بعكس الجملة لتكون تعلمت من هؤلاء، وبحثت هنا وهناك حذرا من أن يكون العنوان متشابهًا مع كتاب مؤلف من المؤلفين لكنني لم أجد، فأطلقت عليه هذه التسمية التي سعدت بها كثيرا لأنها تعبر مباشرة عن المضمون، فأنا أخشى كثيرا لو تشابه عنوان كتابي مع أحدهم، فأشعر ساعتها أنني سرقت كتابي كله منه وليس العنوان فقط، حتى ولو كان المضمون متغيرا.. ولا يوجد أي عيب لو أنك سرت على فكرة من كان قبلك شريطة أن تقدم الجديد بأسلوبك ومعلوماتك، لتثبت حضورك ولمساتك، ولعله نفس ما حدث مع كتابي (العنائم الثائرة)، لكن لا ضير هنا أن ألمح لك لبعض كتبي التي شاركت بها في المعارض وكان منها (خفايا التاريخ) ذلك الكتاب الذي يصحح للقراء كثيرا من المعلومات التاريخية الخاطئة التي استقرت في الأذهان بفعل التشويه والجهل، فقام هذا الكتاب ليصحح كثيرا من هذه المفاهيم المغلوطة ويضع الحق في نصابه، وقد لاقى الكتاب قبولا واستحسانا لدى القراء، كما يأتي كتاب (دهاليز الكتابة) وهو كتاب مهم في موضوعه، يقدم روشات دقيقة ومهمة لمن أراد أن يكون كاتبًا وأديبا، ماذا يفعل وكيف يسير؟ وهناك إقبال كبير على هذا الكتاب لأهمية موضوعه، كما أنه مكتوب بنمط أدبي وليس على طريقة كتب التنمية البشرية، حتى يكون زادا للمثقفين والأدباء،

تقرأه كل الشرائح فتستفيد منه، ولا يقف أمره على طبقة الكتاب فقط.

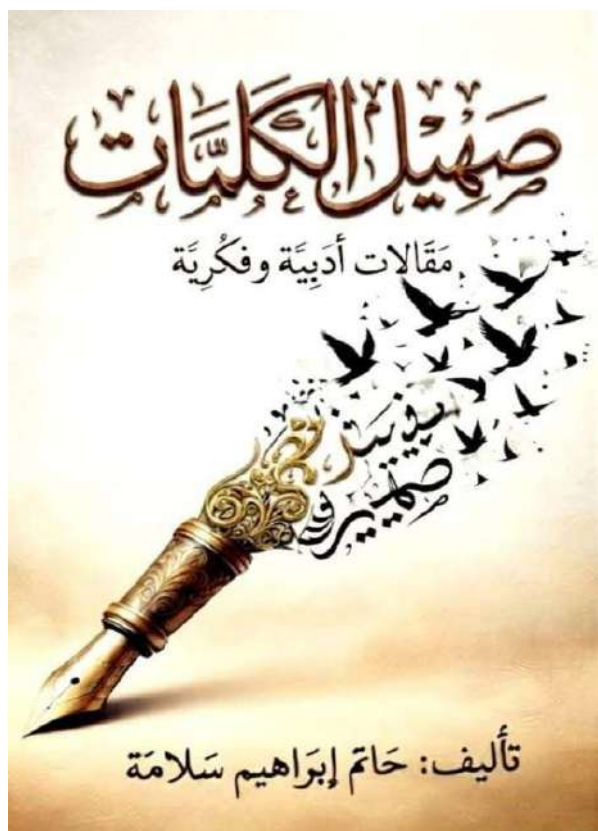
- أحب كتبك التي ألفتها إلى قبلك ولماذا؟

** من أحب كتبي التي ألفتها هو كتاب (حكايات عاشق الكتابة) وهو كتاب مقرون بسيرتي الذاتية وسيرة كثير من المؤلفين والأدباء، تعكس كيف كان عشقهم للكتابة، كما يقدم نصائح غالية للكتاب تعمل وتقوم على تنمية حب الكتابة في مشاعرهم، ولعلي أقول: إن هذا الكتاب شديد التأثير على كل من يقرأه، ويكاد قارئه بعد قراءته يتمنى أن يكون كاتبًا، كما أنه ينمي العقل بكثير من المعارف والمعلومات، ولا يغفل جوانب المتعة في عرضه،



فمن يقرأه يخرج بحصيلة نافعة ومتعة حقيقية، ويمكن كذلك أن يدخل في باب التراجم التي تعد من أفيد المنافع الثقافية للمتعلم والمثقف.

- رحلة التكوين في حياة الكتاب والمبدعين، حلم تبلور الى كتاب جميل ضم بين دفتيه في جزئه الأول مقالات للعديد من الكتاب الواعدين والمخضرمين على سواء وكل واحد منهم يتحدث فيه عن بداياته الأولى... ترى كيف إختمرت تلكم الفكرة في ذهنك وكيف نضجت لتتحول الى واقع حال ملموس وما هي رسالتها السامية، ورؤيتها الثقافية، وهدفها النبيل؟

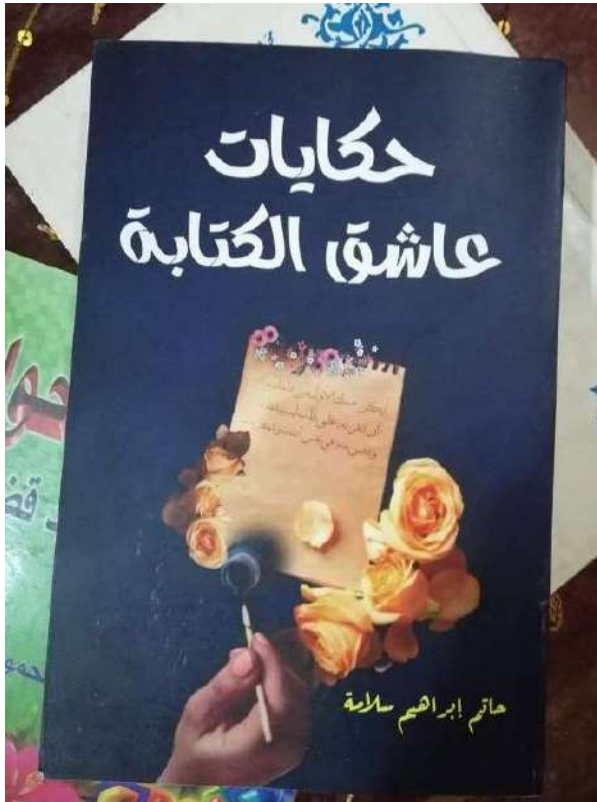


** كتاب رحلة التكوين، كان الدافع إليه وليد الصدفة حينما اقترح بعض أصدقائنا فكرة كتابة مقالات في باب معين، فاقترحت هذه الفكرة لأنها فعلا تستحق العناية والتسجيل، وتعد كل واحدة منها قصة حياة واقعية قد لا يعلمها القراء عن أي كاتب أو أديب يقرؤون له، وانصببت هذه الفكرة كلها على الأدباء الشبان والمحدثين، وبالفعل حدث أكثر مما توقعته من جمال الفكرة، فكل منهم حكى وبقلمه رحلة تكوينه الثقافي وكيف كان عشقه للقراءة صغيرا، فكان في قراءتها متعة كبيرة، تعكس التحديات والعقبات والمهام في حياة كل كاتب، وكيف بدأت تلك اللحظة التي ارتبط فيها بالكتاب وتطورت معه حتى صار كاتباً له مؤلفات أو غيرهم ممن أهلته الكتابة ليكون مثقف واعيا، فيمكن لهذا الكتاب أن يكون تجارب حياتية من الدرجة الأولى في التكوين الثقافي، ويمكن أن يستلهم منه

المربون كثيرا من معاني الترشيد والتوجيه في تكوين المواهب وتأصيل القدرات.. وقد حرصت أن أسلط الضوء على رحلة هؤلاء الكتاب المغموين أو الذين هم في بداية الطريق، لنبرز رحلتهم التي ربما لم يقصوها من قبل ولا يعرف أحد عنهم أي شيء، مع أن فيها عبرة كبيرة، فكانت لونا من ألوان التشجيع والتحفيز لهم، وبمعاونة الكاتبة الأدبية غدة صلاح الدين، التي اقترحت أن تستمر الفكرة لتكون موسوعة كبيرة تضم مختلف الأدباء الموجودين على الساحة الأدبية، كما عاونني فيه الكاتب والأديب سعد السعدي، والمثقفة الواعية مي السيد مكي، في المراجعة اللغوية والإعداد لخروجه واستوانه، وقد لاقى حماسا كبيرا من كل الكتاب المشاركين وغيرهم.

- كثير من أصدقائك لا يعلمون بأنك فنان موهوب في الرسم منذ الصغر إلا أنك لم تعط هاتيك الموهبة من وقتك وجهدك ما أعطيته وتمنحه للكتابة والتأليف، حدثنا قليلا عن موهبتك الرديفة، متى اكتشفتها ولماذا لم تعمل على صقلها وتنميتها بمرور الوقت؟

****** أما عن موهبة الفن فيمكن أن أقول لك إنها موهبة بالوراثة فأخوالي منهم عدد من الفنانين البارعين في الرسم والخط، وكذلك والدتي كانت حينما ترسم لنا موضوعات الرسم المدرسية كانت بارعة ومجيدة، وعن هذا خرجت متشبعاً بحب الفن والرسم، الذي ظهرت بوادره عليّ مبكراً، فكنت أرسم الشخصيات والمناظر الطبيعية وأقلد الخطوط العربية، حتى أنني التحقت بمدرسة الخطوط وكنت أحصل على المراكز الأولى فيها، لكنني لم أستمّر فيها، فقد شغلني كثير من التوجهات الأخرى، لكن موهبة الرسم والخط ما زالت في إلى الآن فما أن يطلب أحدهم مني رسم شيء حتى أتقنه، ويكون كثير الشبه به، وكذلك أولادي يعتمدون علي كثيراً في رسم موضوعاتهم المدرسية، وحتى زوجتي وهي معلمة تربية فنية تستعين بي كثيراً في رسم بعض الموضوعات، ولعلي أصدق بهذا من يقولون: إن الفنان يكون فنانياً في كل شيء، وهو فعلاً ما ألمسه في حياتي التي أتعامل مع كثير من مهماتها بنوع من الدقة والنباهة والاتقان، وتمييز الأفضل والأليق منها.. لكنني لم أواصل صقل الموهبة، لأنني ولع الموهبة الأدبية والمعرفية قد أخذني وكان أكثر جذبا من أي ميول أخرى فالفن قد لا يخاطب كثيراً من الشرائح بقدر الثقافة التي تخاطب الجميع، أو لعل الفن لا تشعر أنه يصقل العقل وينمي الخبرات، ويشعر بالمتعة، بقدر ما تنميه أو تشعر به الثقافة والمعرفة.



- بكلمتين لا أكثر.. ماذا يمثل لك هؤلاء، وما هو رأيك فيهم: "العقاد، محمد الغزالي، الرافعي، أحمد شوقي، محمود محمد عمار، طه حسين، الشعراوي، المنفلوطي، علي الوردي؟".

******العقاد: معجزة الفكر

الغزالي: الحب والعشق

الرافعي: المحارب الجسور

محمد عمار: حصن الإسلام

شوقي: هبة الله للعربية

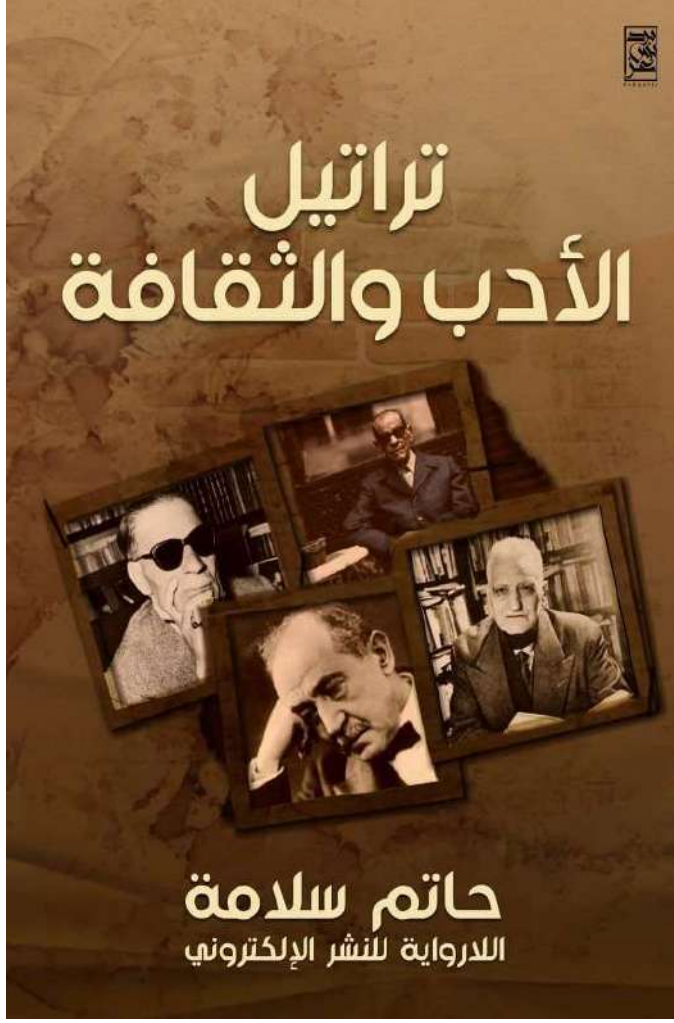
طه حسين: الإنسان والمشاكس

المنفلوطي: القديم المضيء

الوردي: عبقرية العراق

- ماذا تشكل المرأة في حياتك؟

****** أحترم المرأة كثيراً وأؤمن بقدراتها، وأدرك أنها مظلومة كثيراً في عالمنا العربي، والمرأة لديها قدرات عظيمة ويمكن لها أن تفوق الرجل في كثير من المهمات، شريطة أن تراعي هذه المهمات أنوثتها وقدراتها حق القوامة، وإلا خرقت معالم الأنوثة وحدث لها ضرر كبير حتى ولو حققت كثيراً من النجاحات والانجازات الحياتية. قدر لي مؤخراً أن أخوض التجربة لأقف على إبداعات المرأة وأنا أعد كتاب (رحلة التكوين) فكان للقلم النسائي نصيب كبير من الإبداع، بل إنهن أبدعن كثيراً أكثر من أقلام الأدباء الرجال، حقيقة كنت فرحاً بهذا جداً، فبعضهن وصلت إلى حد العبقرية في العرض والأسلوب، وتعطينا رسالة مهمة بضرورة الاهتمام بالمرأة وحسن تكوينها العلمي والنفسي، لأنها يمكن أن تقدم الكثير والكثير.



- لو لم تكن كاتباً ومؤلفاً فماذا كنت تتمنى أن تكون؟

** لو لم أكن كاتباً لتمنيت أن أكون عالماً فقيهاً أو داعية للناس على المنابر والحق أنها أمنية لا أراها بعيدة عن الكتابة، فيمكن للكتابة أن تحقق بعض هذه المعاني.

- شخصية تتمنى لقاءها ولم يتسن لك ذلك؟

** الشخصية الحقيقية التي كنت أتمنى لقاءها هو الشيخ الغزالي رحمه الله، فهذا الرجل له كثير من الفضل علي في تكويني الوجداني والمعرفي بفضل كتبه وأسلوبه الفريد، وحزنت كثيراً يوم موته، وحينما زرت المدينة المنورة دلي أحدهم على مكان قبره فوقفت وترحمت عليه، وتدفقت في هذه اللحظة كثيراً من معاني الحب والوفاء له، وشعوري الكبير بالرباط الروحي بيني وبينه.

- لمن تقرأ؟

** أنا أحب القراءة للشيخ الغزالي وممن أثر في كذلك كتابات عبد الوهاب مطاوع، ود. مصطفى محمود، وقد قرأت أكثر ما كتبوه، ولا أمل من الاستمتاع بأسلوبهم وأفكارهم وأدائهم.. كما أنني قد وجدت في نفسي طبيعة الاختلاف التي طرأت علي ميولي كلما تقدم بي الزمن فقد كنت أهوى القراءة الدينية بعمق في صغري وبحكم نشأتي، ثم مالت أكثر بعدما كبرت إلى القراءة الأدبية، واليوم أجد الميل أكثر للكتب الفكرية، لكن يظل هؤلاء الثلاثة محبيون إلى نفسي إلى هذا اللحظة مع اختلاف ميولي وتعدد جهاتي لأنهم كتبوا أو جمعوا في مكتوباتهم هذه المسارات الثلاثة.

- كتاب لا تمل قراءته؟

- كتاب لا تمل قراءته؟

** الكتاب الذي لا أمل من قراءته إنما هي كتب كثيرة لنفس الأشخاص الذين ذكرت حب القراءة لهم، فكل كتاب من هذه الكتب كلما تصفحته كان ذلك يعني أنني أستعيد مواقف سعيدة في حياتي، ومن الغريب أنني مع إعادة القراءة لها أكتشف أفكاراً جديدة أكتب عنها وأستلهمها، وأعجب كيف لم أفطن إليها من قبل؟!



- شاعر تردد أبياته باستمرار؟

**** كل شعر يحمل معاني العبرة والحكمة أردده وأتغنى به وأستشهد به في كتاباتي والروعة لم يختص بها شاعر بعينة إذ تجدها لدى كثير من الشعراء القدامى والمحدثين.**

- اللون المفضل لديك ولماذا؟

**** اللون المفضل لي ألوان كثيرة، ويختلف الميل إليها في مواطن متعددة.. ومن ألطف الألوان التي تحبها نفسي ومهواها فؤادي هي ألوان الكتب الصفراء القديمة، أجد في ذاتي تعظيما وحبا وإكبارا لها.**

- حكمة تؤمن بها؟

**** تعجبني كثيرا مقولة مانديلا: (حافظ على كرامتك حتى لو كلفك الأمر أن تصبح صديقا**

لجدران زنزانتك) وهي حكمة ألمسها في حياتي، فكثير من الناس حينما تختلط بهم، تجد منهم تصرفات ومواقف تحزن نفسك، وتدل على عدم الحرص على نفوس الآخرين، ومن ثم كانت العزلة عنهم خير طريق لتجنب شرورهم، لأن الكاتب يحب دوما أن تكون نفسة هادئة بعيدة عن ما يعكر صفوها حتى يستطيع أن يكتب، خاصة من كان منهم يملك نفسا حساسة وشعورا مرهفا، لقد آمنت أن خير من يقترن بهم الإنسان ويصحهم هم أولئك الذين يماثلونه في الفكر والتوجه والهوى، سترتاح معهم كثيرا ولن تجد منهم عناء لأنهم يشبهونك.

- بلد سافرت إليه ولديك ذكريات لا تنسى فيه، وبلد تتمنى زيارته ولم تتوفر لك الفرصة لزيارته بعد؟

**** سافرت إلى العديد من بلدان العالم بحكم عملي الصحفي وخاصة بلدان قارة إفريقيا، وكم رأيت فيها من جمال الطبيعة ما لن أنساه أبدا أو رأيته في مكان آخر، ومما أزعجني فيها أن الغرب يغزوها غزوا كاملا بالمشاريع والاقتصاد والمعاملات والمصالح بينما نحن غافلون عنها وعن ثرواتها، أما البلد التي كنت أود زيارتها فهي تركيا والعراق، تركيا لمشاهدة مآثرها الإسلامية، أما العراق فهي تعني للمصريين معاني كثيرة فهذه البلد له فضل كبير على مصر وشبابها ونهضتها، ونحب العراقيين أكثر من غيرهم، وفوق هذا هي عنوان الحضارة العربية، وفخر الأمة الإسلامية، وما زلت أتذكر أحاديث أحمد أمين، وزكي مبارك عن العراق والعراقيين.**

- شخصية تأثرت بها كثيرا؟

**** الشخصية التي تأثرت بها هي شخصية الشيخ الدكتور محمد الغزالي رحمه الله، ولا شك أن هذا راجع لعاملين، الأول أسلوبه البديع الذي ملك علي جوانح نفسي، ثانيهما ما كان من حياة الشيخ العملية وجهاده في نصرة الإسلام والاهتمام والعناية بقضايا الأمة، فلم يكن الغزالي في نظري مجرد عالم دين لا يفقه إلا أمور الشريعة فقط، وإنما**

كان العالم البصير الذي ارتقى إلى رتب الزعماء والمصلحين والفلاسفة، وإدراكه العميق لمكان الداء في حياتنا وتسليطه الضوء على كل المعاطب التي تعللت بها النفوس.

- كتاب ندمت على تأليفه قبل أوانه وكنت تتمنى لو أنه تأخر قليلا ليرى النور بعد إضافة المزيد من الآراء والمعلومات والأفكار إليه لينضج أكثر؟

** الكتب التي ألفتها وطبعتها في مقتبل حياتي، كانت تحتاج لبعض التريث والتهذيب، فبعضها كانت مادته كبيرة وكان يمكن فصله لكتابين، وكنت في بداية حياتي مولع بالجمع وحشد المعلومات، حتى إذا خرج الكتاب ربما يفوق ٣٥٠ أو ٤٠٠ صفحة، وقد تبينت بعد هذا أنه خطأ، ويمكن للفكرة أن تصل بقليل من المعلومات المهمة والمركزة، لكن أكثر ما يضايقني إلى الآن هو الأخطاء اللغوية، في بعض كتبي السابقة، فقد تم طباعة بعضها دون مراجعة، لكن هذه الكتب عموما كانت منذ زمن مضى وانتهى، ومن محاسنها أنها كانت البداية التي منها انطلقت وتطورت، وكان هناك شيئا غريبا أراه من محاسنها عليّ، فكلما ألفت كتابا، وجدت همة في نفسي وعزما متحمسا للعمل على الذي يليه، وإلى الحين، لا يمر يوم ينتهي فيه كتاب، حتى أفكر في الذي يليه، وهو منهج حياتي أسير عليه، فلا يمكن أبدا أن أخلو من فكرة كتاب أعده، وأطرح فيه أفكار ورؤاي.

نعم فالانتهاء من التأليف، من أقوى المحفزات على التأليف. إن حياتي وعقلي إذا لم يفكرا في التأليف، فإن هذا يعني توقفي عن الحياة.

- كيف تقضي وقت فراغك؟

** أقضي وقتي عموما في القراءة والكتابة، والبحث عن أفكار جديدة، فلذلك الحنين الأول، وإذا مللت بحثت عن أي عمل أمارسه مما يتطلبه المنزل ولو كان في النجارة والسباكة والخياطة، فأنا أتقن هذه الأشياء وأمارسها كلما أصابني فتور، كنوع من التسلية.

- ماذا يمثل لك غروب الشمس وشروقها، وما هو الوقت الذي تهبط عليك فيه إشراقات الكتابة فتجد قلمك يتحرك لا إراديا ليشرّب ظلمة قبل أن يلفظ نورا؟

** حينما يمر عليّ يوم بدون كتابة شيء، أضيق جدا وأشعر بحالة اكتئاب وأشعر أن العمر يمر مني دون الاستفادة منه في شيء، واليوم الذي أكتب فيه، أشعر فيه بنفسه وكيان، وأني قدمت شيئا مهما ثميناً لحياتي ووجودي.

- مالذي يضحكك، ومالذي يبكيك؟

** ربما هناك ما يضحكني وما يبكيني وأنا بهذا أشارك فيه مع كل البشر في كل مثل تلك المواقف العارضة الطبيعية في الحياة، لكن الغريب أن أجد في حياتي المضحك المبكي، وأكثر الصور التي تجمع هذا التضاد حينما أجد شخصية نالت أرقى الدرجات العلمية ثم هي جاهلة وغير واعية ومتجردة من الحكمة والنظر والصواب.. والمصيبة أن تجد هذه الشخصية وقد أيقنت بما حصلت عليه من درجة علمية أنها أهل للتنظير والحكم والتقييم، ومن ثم ستأتي بالجهالات والمبهرات.

وقد أضحك منفردا من لحظة أبحث فيها عن معلومة وبعد عناء البحث والتنقيب أجدها، فساعتها تغمرني فرحة كبيرة، أما المبكي على انفراد فهو حينما أسعى إلى شرح حسن قصدي وسلامة نيتي في بعض التصرفات، ثم أراه لا يقتنع ويبحث في دهاليز أقوالي عن سقطة يلومني فيها، فهؤلاء الناس أدرك أن البعد عنهم غنيمة لكنهم لا شك

يكون المرء ويحزنونه لنفوسهم المنغلقة، حتى أنني حدثت أحدهم مؤخراً لأقول له، من المعروف أن العقول الكبيرة لا تجد عناء أن تبصر مدلولات الأمور وحقائق الأشخاص ولا يجد المرء معها عناء في إيصال المعنى المراد، لكنك تتعبني كثيراً لأنك لا تريد أن ترى مني شيئاً محموداً.

- محطة غيرت هندسة حياتك؟

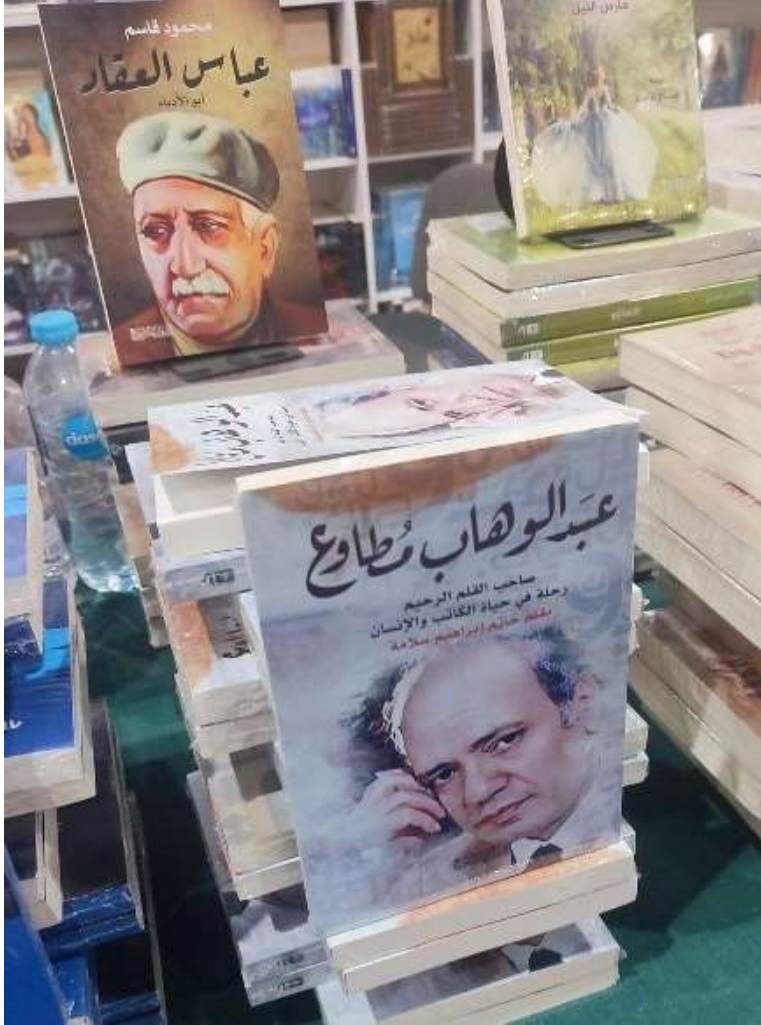
** للمرء في حياته محطات كثيرة تغير مسار حياته، لكنني أشعر أن البداية التي غيرتني كثيراً هي تلك البداية التي التزمت فيها بالقراءة والكتابة، وتأتي ثورة 25 يناير التي شهدت انطلاقاً كبيراً لقلبي، رغم أنني كنت أكتب قبلها ولكن ليس بالصورة الحرفية المرجوة، فمنذ هذه البداية شهد قلبي انطلاقاً كبيرة ليحقق بالمعنى الحرفي معنى الكاتب.

- أمنية تراودك كثيراً ولكنها لم تتحقق بعد؟

** ليست لي أمنية إلا أن أرى كتبي ومقالاتي قد قدمت شيئاً طيباً يصلح النفوس ويهدي العقول، وحينما أجد أحدهم قد قرأ لي واستفاد وتعلم، أشعر بسعادة كبيرة ولا أطلب شيئاً غير هذا في الحياة.

- كلمة أخيرة لقرائك ومحبيك في العراق ومصر وعموم الوطن العربي.

** العودة لمعين الدين وقيمه وتعاليمه، فهذه العودة تحقق لنا الكثير مما فقدناه في دوامة الحياة من القلق والتأخر والضياع والانحدار.



(*) حوار المنشور في صحيفة "صوت العراق" بتاريخ 2022/3/31

حوار مع باحث عراقي.. دحض خمساً من قواعد أرسطو الاستدلالية واشتق أخرى بدلاً منها وزيادة! (*)

ضجت العديد من الصحف والمجلات الورقية والإلكترونية فضلاً عن منصات ومواقع التواصل الاجتماعي العراقية والعربية على سواء طيلة الأشهر الماضية بخبر مهم لا يمكن أن يمر مرور الكرام وليس بوسع المهتمين بقضايا الفكر والمنطق والفلسفة وبأي حال من الأحوال غض الطرف عنه أو تجاهله البتة، الخبر الذي تناقلته على صفحاتها باهتمام كبير جاء بعنوان مثير وبالمناشيت العريض (باحث عراقي يدحض خمس قواعد استدلالية لأرسطو ويشق تسع قواعد بدلاً عنها)، وذلك في معرض نشر خبر إصدار كتاب جديد بعنوان (المنطق الموحد- تحديث المنطق الأرسطي) على صفحاتها الثقافية والذي تناول فيه مؤلفه مباحث منطق أرسطو طالعيس بمنهج جديد وغير مسبوق، دحض فيه خمس قواعد استدلالية قال بها أرسطو، واشتق بدلاً



عنها تسع قواعد، كما تضمن الكتاب مباحث مستحدثة منها طرق استدلال مباشر، هذا الكتاب القيم الفريد في بابه يمثل إضافة معرفية وفكرية وثقافية ونوعية غير مسبوقة بما ضمه بين غلافه من كنوز وطروحات وأفكار جديدة وجريئة في ذات الوقت وبما أثرى المكتبة العربية وزودها بما ينقصها ولا ريب ليمثل إضافة في غاية الأهمية سينهل من معينها الثر الدافق الباحثون ولأمد طويل مقبل، الكتاب من تأليف الباحث العراقي المعروف عبد الرحمن كاظم زيارة، الذي التقيناه بناء على الحاح القراء عامة، وإصرار الكتاب والمثقفين خاصة، لنحاوره عن الكتاب والسيرة الذاتية وعلم المنطق في آن واحد، فرحب بنا مشكوراً وكان سؤالنا الأول له في رحلة شائقة عبر محطات ماثرة تنقلنا خلالها بين حداث غناء عدة فقطفنا من كل بستان زهرة لنرفل بعبقها ونشم أريجها الفواح:

* لننتحدث بداية عن بطاقتك الشخصية ومسيرتك التربوية، ماذا تقرأ؟

- أنا مواطن عراقي عربي من قبيلة شمر وهو وسام اعترز به أيما اعتزاز، ولدت في ظهيرة يوم جمعة من شهر رمضان عام 1960 في مدينة السماوة مسقط رأس والدي وأجدادي، على بعد 25 كم من مدينة أوروك التاريخية التي اكتشف فيها العراقي لأول مرة في التاريخ أبجدية الكتابة في الألف الثالث قبل الميلاد، وكنت أصغر الأبناء الذكور الثمانية، جميعهم متعلمون، منهم الاستاذ الجامعي والمعلم والمهندس والمدرس، وكان لهم دور في الحركة الوطنية والحركة الثقافية. تخرجت من الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم الرياضيات (بكالوريوس رياضيات) عام 1986. انتدبت من الخدمة العسكرية للعمل في دائرة الاذاعة والتلفزيون من عام 1987 حتى عام 1991، مديعاً ومحرراً في اذاعة صوت الجماهير للبرامج السياسية وبرامج التنمية (غير معين وبرتات الجيش). لم أكن استسيغ العمل في التعليم الثانوي بصفة مدرس، إذ كنت ابحت عن أفق أوسع فحصلت على فرصة عمل في المعهد التقني / السماوة بصفة محاضر غير معين، ثم دخلت بمنافسة مع عشرين مدرسا من حملة البكالوريوس للظفر بالتعيين كتدريسي بتخصص الرياضيات في المعهد وبلقب مدرس مساعد بحسب قانون هيئة التعليم التقني

وحصلت على الدرجة عام 1992، وبدأت مسيرتي العلمية بنشر البحوث الاكاديمية في المجالات المحكمة وكانت الحصة قبول ثلاثة بحوث في مجال الرياضيات، إضافة الى العديد من البحوث والدراسات الأخرى ذات الصلة بواقع التعليم التقني في العراق. وعلى خلفية انتشار أحد بحوثي التخصصية باللغة الانكليزية انتدبتني بعض المجالات الاجنبية المحكمة بإجراء التقييم على البحوث التي ترد إليها للنشر، لقبولها أو رفضها، وهذه حالة نادرة أن يكلف من يحمل درجة بكالوريوس بتقييم بحوث يجريها اساتذة من حملة شهادة الدكتوراه في الرياضيات والاحصاء ليقرر صلاحية قبولها للنشر أو رفض قبولها.

* قبل أن نخوض في غمار هذا البحر اللحي، متلاطم الامواج، وقبل أن ننهل من هذا العلم الضارب في القدم، عالي الكعب، راسخ القدم، والذي قد يبدو عصيا على فهم الكثيرين، لابد لنا من أن نمهد للقراء الكرام ونقدم لهم تعريفا ولو موجزا عن ماهي علم المنطق وفوائده ودوره في تطور مجمل الفلسفات والمعارف والعلوم عبر التاريخ؟

- لا يمكن الاحاطة بفكرة موجزة تنفع القارئ الكريم عن ماهية المنطق، لكن دعنا نرسم اطارا عاما للمنطق. المنطق هو علم الفكر، يقرر صدق أو كذب القضايا التي تواجه المنطقي، ويستخرج قضية صادقة من أخرى صادقة، ويستنتج قضية صادقة من قضايا عدة صادقة هي الأخرى. وله طرق للوصول الى ما ذكرت تسمى طرق الاستدلال، التي تخضع جميع المقولات سواء كانت خطابا إنسانيا كالفلسفة والفقه وعلم الاجتماع وغيرها، الى قواعده فتقرر صدق أو كذب المقولات. ولي تعريف خاص للمنطق وهو أن المنطق بنية علاقات، وكان هذا التعريف منطلق أساس لبحوثي المنطقية. يقسم الاستدلال الى مباشر وغير مباشر، أما المباشر فله طرقه الخاصة وهي: أحكام القضايا (التناقض والتضاد)، فالمتناقضتان هما القضيتان المختلفتان بالسور والكيف، نحو: (كل جوهر ثابت) و (بعض الجوهر ليس بثابت) متناقضتان، أما التضاد فهو اختلاف الكليتين بالكيف، نحو (كل حواء متشاكل) و (كل حواء ليس بمتشاكل) متضادتان. وهناك الدخول تحت التضاد. أضف الى طرق العكس المستوي والنقض وعكس النقيض، فلكل طريق من هذه الطرق قاعدة عامة وقواعد للمسورات الأربع (الكلية الموجبة، الكلية السالبة، الجزئية الموجبة، الجزئية السالبة). كل ما تقدم يدخل في حيز متبنيات المنطق الأرسطي التقليدي. أما الاستدلال غير المباشر فيشمل الاستقراء والقياس، وهما طريقان يعملان على مجموع قضايا. فالاستقراء هو استنتاج قضية كلية من قضايا جزئية، وعكسه الاستنباط فهو استنتاج قضية جزئية من قضية كلية. أما القياس فإن أهم اقسامه بحسب أرسطو هو القياس الحملي الاقتراضي، تتألف هيأته من مقدمتين تنتجان قضية واحدة هي نتيجة القياس.

والمنطق بصفته علم التفكير يشمل أيضاً متبنيات المنطق الرياضي، والفرق بين المنطق الأرسطي والرياضي هو أن مادة الأول القضايا العملية البسيطة وأمثلة كما تقدم ذكره، بينما مادة المنطق الرياضي القضايا المركبة، وتتألف من قضايا عملية عدة تربط بينها أدوات ربط وليس علاقات كما في القضايا العملية.

* متى اختمرت الفكرة في رأسك، وأعني هنا فكرة دحض خمس قواعد استدلالية قال بها فيلسوف الاغريق الكبير ارسطو طاليس، وتابعها شراحه، لتشتق بدلا عنها تسع قواعد في العكس المستوي والنقض وعكس النقيض لاسيما أنك قد طرزت كتابك بمباحث، تطرق لأول مرة في تأريخ المنطق، حدثنا عن أبرز ما نقضته بمنهج استدلال أرسطو وأهم ما أضفته ولماذا؟

- قبل سنين خلت وقع بين يدي كتاب المنطق للشيخ العراقي محمد رضا المظفر (ثلاثة أجزاء)، وهذه أول مرة أطلع فيها على المنطق الأرسطي، وفيما سبق درست المنطق الرياضي أثناء دراساتي الجامعية في كورس واحد فقط، والمنطقتان مختلفان في مادتهما وبأسلوبيهما. ولا أخفيك سرا وجدت صعوبة في فهمه لسببين: الأول، لم اعتد على لغته. والثاني، الخلط بين الفلسفة واللغة من جهة وقواعد المنطق من جهة أخرى. انتهت إلى السبب الثاني ومنه حددت موضوع المنطق بالضبط، وشرعت بكتابة سلسلة من المقالات بعنوان (نقد المنطق الأرسطي) ونشرتها في موقعي الثقافي (فضاء أوروك) وفي مواقع أخرى. كانت أوجه النقد محدودة وليست بالشمول الذي أدى إلى نقض قسم من قواعد أرسطو ومنهجه. وبعد عامين من قراءتي لكتاب الشيخ المظفر حصلت على كتاب المنطق لأرسطو باللغتين العربية والانكليزية وعكفت على مطالعتها، فوجدت أن جميع كتب المنطق الأرسطي هي في الحقيقة شارحة لمن كتاب أرسطو، ولم تضيف شيئاً، سوى التفنن بطرق العرض، وهذا لا يقدر في العلم كما هو معروف. قررت عندئذ أن انقض بتأليف كتاب يعرض المنطق الأرسطي بفك التداخل الفلسفي واللغوي معه، وفي أثناء تأليفي للكتاب أخذت باكتشاف الاحالات المنطقية (الاطحاء) في منطق أرسطو، ووضعت قواعد جديدة وأضفت مباحث وطرق استدلال غير مسبوقة في تاريخ المنطق.



* وماذا عن كتابك الثاني (منطق القضايا الحملية) هل لك أن تحدثنا عنه قليلاً؟

- ضم منطق القضايا الحملية - قواعد الاستدلال المنطقي - نتائج المباحث التي ضمها الكتاب الأول (المنطق الموحد - تحديث المنطق الأرسطي) بطريق عرض غير موهلة بالتحليل المنطقي والمناقشة والاختبارات والاستقراء، ولم أنطرق فيه إلا إلى القضايا الحملية البسيطة دون القضايا المركبة. وقد ألفتها لتكون قواعد المنطق ميسرة للقارئ المتعلم. والفرق بين الكتابين أكثر من هذا.

* قلت في معرض تقديمك لكتابتك بأنك أنهيت تأليف الكتابين منذ زمن بعيد إلا أن طبعهما قد تأخر لأسباب تتعلق بالنشر داخل وخارج العراق ما جعلك تلجأ إلى المطبعة مباشرة بعيداً على الوسطاء وبجهد خاص، نرجو من جنابك الكريم أن تلخص لنا مجمل معاناتك مع دور الطباعة والنشر والتوزيع وأسباب تأخر صدور الكتابين المهمين كونها تلخص معاناة المثقفين العراقيين والعرب مع تلكم الدور حتى بات الكثير منها يشكل عبئاً حقيقياً على كواهلهم وعائقا كبيراً أمام نشر ابداعاتهم وطباعة مؤلفاتهم ما تسبب في تلكؤ إصدار عشرات العناوين المهمة.

- للأسف لا توجد في العراق دور طبع ونشر بالمعنى الذي تتولى طباعة المخطوطات وتوزيع ونشر وبيع المطبوع، بل تكتفي بدور الوسيط بين المطبعة والمؤلف، وعلى المؤلف القيام بتوزيع نسخ كتابه وبيعها بعد تسلمها من (الدار) مطبوعة ومعبأة بكراتين، ناهيك عن عدم الاشتراك بمعارض الكتاب، أي أن المطبوع يولد ميتاً. هنالك ثلاثة أنواع من (دور الطبع والنشر) في العراق والدول العربية، كلها تتقاضى كلفة الطبع كاملة من المؤلف، أولاًها تكتفي بكلفة الطبع ولا تطبع عدداً آخر من النسخ المطلوبة، وثانيها تنهج أسلوب النشر المشترك حيث يطبع الناشر ضعف عدد النسخ التي يطلبها المؤلف، تسلمه النسخ التي طلبها وتقوم هي ببيع النسخ الأخرى لحسابها. وثالثها تكتفي بعدد النسخ المطلوبة للمؤلف وتطبع ما يحلو لها من النسخ فتبيعها لحسابها. لاحظ في كل الأحوال ليست هناك ضمانات للنشر وتوزيع وبيع الكتاب وعرضه.

في تجربة سابقة صدر لي كتاب في الفلسفة من قبل (دار طباعة ونشر) مقرها مكتبة وهذا هو حال هذه الدور، وفي زيارة للمكتبة لم أجد نسخة واحدة من كتابي في رفوف المكتبة! وفي أشهر لاحقة وجدت كتابي إضافة إلى كتب أخرى قمت بتأليفها تباع في بسطيات شارع المتنبي بسعر أقل من كلفة طباعتها! حقوق التأليف، ونشر المطبوع غير متاحة في العراق للأسف. وما يهمني هو نشر أعمالي وإيصالها إلى من يهمه أمرها، ويبدو أن هذا الأمل بعيد للأسف. ولكي لا تبقى أعمالي العلمية طي النسيان اضطررت للتعامل المباشر مع مطبعة، وعليّ أن أوزعه بنفسه، ومن المؤكد سأوزع أغلبه مجاناً داخل العراق!

*ماهي رؤيتكم للمناهج الدراسية الحالية للمراحل المتوسطة والاعدادية والجامعية، العربية والعراقية، هل لديكم مقترحات ما لتحديثها أو تطويرها وبما يتماهى مع التطور المعرفي، ويتناغم مع السمو الثقافي الحديث لنخلق معها إلى مديات أبعد، لاسيما مع تراجع العالم العربي على مستوى التربية والتعليم إلى مستويات متدنية حتى صار معظمها يتذلل قوائم التصنيفات الدولية بهذا الشأن، وآخرها وليس أخيراً قطعاً خروج العراق أسوة بسورية وليبيا واليمن والصومال والسودان من التصنيف العالمي لجودة التربية والتعليم أساساً؟

- للأسف مخرجات التعليم لم تعد كفوءة كما كانت سابقة، وهنالك مشاكل ذات أوجه متعددة تتعلق بأركان العملية التعليمية: المدرس والمنهج والطالب. وفي تقديري أن المشاكل المتعلقة بالمنهج هي أهون بكثير من المشاكل التي تتلبس طرفي العملية التعليمية: المدرس والطالب. فيما سبق كان تقييم المعلم في المدارس الابتدائية والمدرسة في المدارس المتوسطة والثانوية يستند إلى نسبة النجاح والدرجة المعيارية التي تقيس التحصيل الدراسي للطلبة بدلالة الدرجات، فليس لأهمية نجاح الطلبة بنسبة عددية متقدمة إذا كانت درجاتهم أقل من متوسط، فهذا خلل في العملية التعليمية، وبالعكس إذا كانت نسبة النجاح منخفضة ودرجات الطلبة فوق المتوسط، فهو خلل أيضاً في العملية التعليمية. يتحدد مستوى أسئلة الامتحان بأنواعها ومنح الدرجات وطرق تعامل المعلم والمدرس بضوء أوجه تقييم أداءه. وأرى أن يعاد النظر بمعايير تقييم الأداء. لقد استجدت عوامل إضافية أضعفت المعلم

والمدرس هي من تداعيات الاحتلال الأمريكي للعراق وهي معروفة للقاصي والداني. والأمر مشابه في التعليم الجامعي.

يمكن أن نلخص مسار انخفاض مستويات التعليم بعبارة السلوك الجمعي السلبي للطلبة. فعندما يكون أغلب الطلبة لا يلون أهمية لتحصيلهم الدراسي والتفوق العلمي يضطر المعلم والمدرس الى خفض معايير النجاح. وأما بصدد المناهج فقد قمت بتأليف بحث علمي، بأدوات رياضية، كشفت فيه أن درجات الدروس العملية في المعاهد التقنية هي التي تقرر نجاح الطالب، أما درجات الدروس النظرية فمكانتها متدنية جداً في تقرير نجاح أو رسوب الطالب، وبالرغم من الأهمية النسبية لدرجات العملي إلا أن الطالب الذي يتخرج من قسم الكهرباء مثلاً غير قادر على تأسيس نقطة كهرباء في بيته!

* هل في جعبتكم مؤلفات قيمة أخرى في طريقها الى النور؟

- نعم لدي كتابان جاهزان للطبع: الأول، (علم البنى - التأصيل الرياضي للبنىوية)، أرد فيه المقولات البنوية الى أصلها الرياضي، والكتاب يجمع بين علم اللغة - علم اللسان بالمعنى السوسري - والثاني، مجموعة ومنطق الهواء، يهتم بالكشف عن مجموعة جديدة غير مسبوقة ومنها نؤلف منطقاً يستوعب المنطق الأرسطي والمنطق الرياضي والمنطق الضبابي والمنطق البوولي. وهناك أعمال أخرى تتعلق بالفلسفة.



* لو لم تكن أنت الآن، ماذا كنت تتمنى أن تكون؟

- لا أتمنى غير ما أنا عليه الآن، فأنا راض عن وضعي الاجتماعي فأولادي ثلاثتهم أطباء يحظون باحترام الوسط الصحي والوسط الاجتماعي، أما عن وضعي العلمي فأني عملت وأنتجت بأكثر مما يتيح له درجتي العلمية ولقبي العلمي، سوى أنني كنت أتمنى إكمال دراستي العليا ولم تسمح الظروف العامة بذلك.



* حكمة تؤمن بها؟

- اعمل لدنياك كأنك تموت غداً، واعمِل لدنياك كأنك تعيش أبداً الدهر.

* شخص تدين له بالفضل لما وصلت إليه؟

- والدي رحمه الله، رغم أنه توفي وأنا بعمر السابعة، إلا أن صورته تحفزني لكل ما هو إيجابي في الحياة.

* ماذا تحب وماذا تكره؟

- في الفنون أحب الموسيقى والرواية والشعر، وأحب الشطرنج. وأكره الكذب لأنه عدم، معه لا تستقيم الحياة، وتزعجني المسكوكات الكلامية المتكررة التي يتداولها هواة الكلام من الناس.

* ماذا تشكل المرأة في حياتك؟

- المرأة هي الأمومة والحب، وأناقة الحياة.

* بماذا تنصح أبناءك الطلبة وللمراحل الدراسية كافة؟

- أقول لهم: أنتم صورة المستقبل فانظروا كيف يكون مستقبل بلادكم، واعلموا أن ديدن الانسان الناجح هو الصدق والاخلاص، واجعلوا القيم السامية والأخلاق الحميدة قاعدة سلوك ومنهاج حياة، ولا تخوضوا مع الخائضين وإن كثروا، واتقوا الله تعالى حق تقاته.

* كلمة أخيرة لمحبيك ولكل متابعيك؟

- في العراق مبدعون في جميع حقول المعرفة وفي العلوم والفنون والآداب، إلا أنهم لا يحصلون على فرصة للإفصاح عن أعمالهم، وتطبيقها في بلدهم. العراقيون في البلدان المتقدمة فيهم من أمهر الأطباء، وأمهر الاساتذة والمهندسين والعلماء، ويديرون حلقات مهمة ويؤدون اعمال تخصصية عالية المستوى في الدول المتقدمة، فأين بلدهم عنهم؟

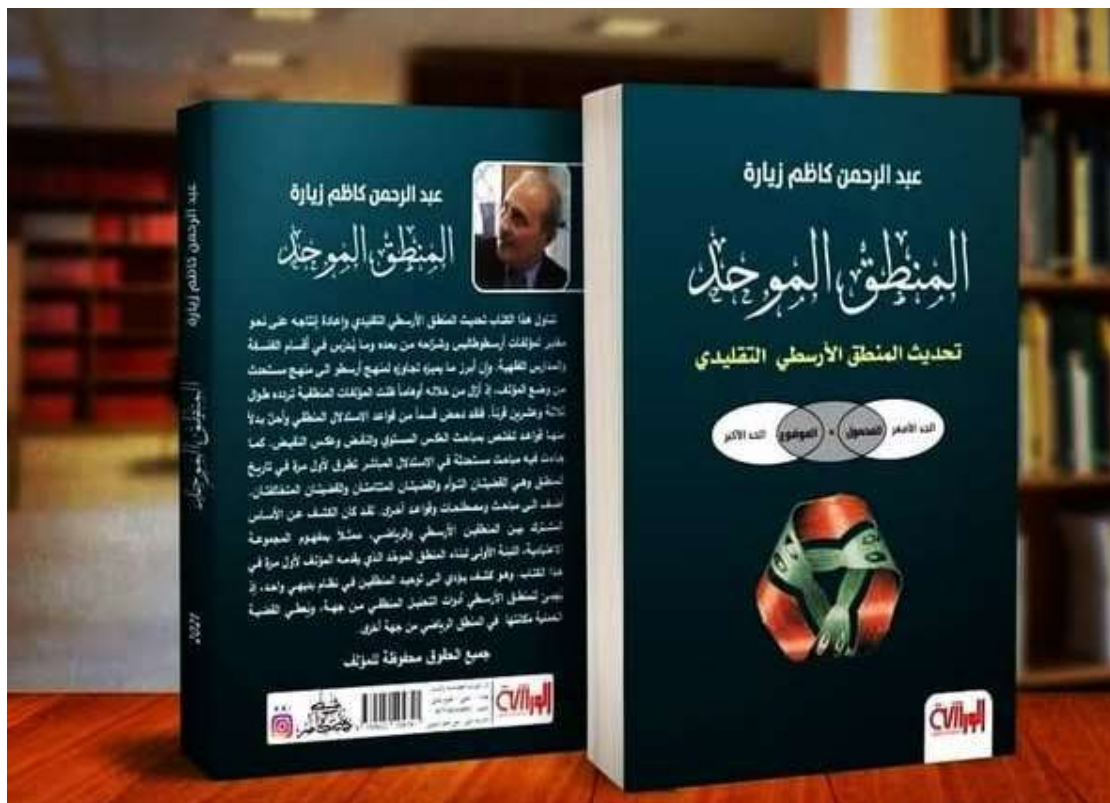
*** خارج النص:

انتقل الباحث الموسوعي عبد الرحمن كاظم زيارة، من دار الفناء الى دار البقاء رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته عام 2023م، ففقدت الأوساط العلمية والثقافية العراقية والعربية بوفاته المفاجئة علماً من أعلامها، وقامة شامخة من قاماتها، وبعث إليّ ابنه الدكتور أنمار عبد الرحمن، برسالة على شكل تعليق كتب أسفل الحوار ولم يكن نجله يعلم بنشر الحوار قبلها حتى قراءته على صفحات "صحيفة المثقف" الأدبية والفكرية والثقافية الرصينة، أنقل لكم نصها:

"طابت أوقاتكم أستاذ: أنا دكتور أنمار رحمن زيارة / طبيب اختصاص جراحة أطفال؛ ووالدي هو الأستاذ رحمن كاظم زيارة، وأنا الابن الأكبر له رحمه الله تعالى وأمواتكم.

اطلعت على الحوار المثمر- وبأسلوبك الصحفي الراقي والمتميز- والذي أدرته مع والدي حول مؤلفاته في "صحيفة المثقف"; وكانت هذه أول مرة أطلع فيها على هذا الحوار بعد قرابة السنتين من وفاة والدي، وكان مؤثرا جداً بالنسبة لي، أشكرك غاية الشكر، وأتمنى لك مزيداً من النجاح والتوفيق.

أخوك د. أنمار رحمن."



وأما ردي على تلكم الرسالة النبيلة التي تفيض عذوبة وتنشج بألوان العواطف الجياشة فكان بتعليق نصه الآتي:

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته وألهمكم الصبر والسلوان...الحقيقة الآن فقط ومن خلال تعليقكم الكريم علمت بأن السيد الوالد قد رحل عن عالمنا الى رب كريم رحيم...لقد كان رجلاً مثقفاً وموسوعياً هماماً، وحري بكم أن تفخروا به، وأن تحيوا ذكره وأثره، وأن تتعاهدوه بالدعاء والصدقة وبالذكر الطيب.. بوركتم وجزيتم. وتقبلوا تحيات أخوكم المحب دوما / أحمد الحاج.

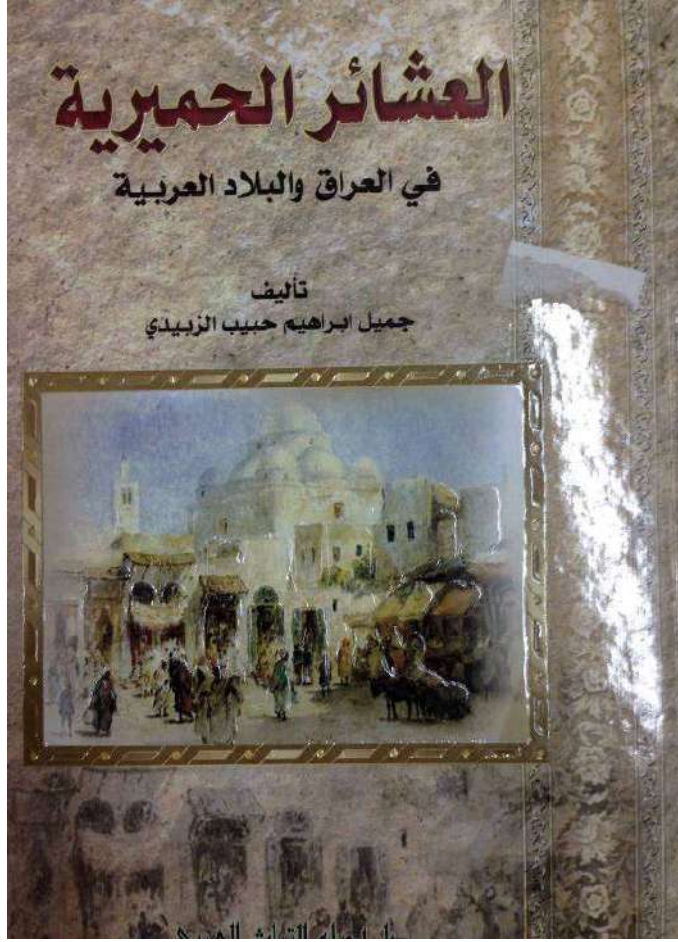
(*) حوار المنشور في "صحيفة المثقف" الصادرة باللغة العربية في أستراليا بعددها المؤرخ 3/ أيار/ 2021

قطوف من بساتين الذكريات.. مع الباحث الموسوعي جميل إبراهيم حبيب (*)

لم تكن صبيحة ذلك اليوم التموزي القائظ من عام 2011م كسائر الصباحات التقليدية والروتينية في مسيرة حياتي، ففي ذلكم اليوم المشرق تشرفت وللمرة الأولى بالتعرف شخصيا على الباحث الموسوعي جميل إبراهيم حبيب الزبيدي، رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته، وهو ضيف دائم خفيف الظل على شارع المتنبي وعلى مكاتباته الشهيرة العامرة حتى أصبح واحداً من معالم شارع الكتب والثقافة في العراق، وأحد أعمدته، إضافة الى كونه أحد الزبائن الدائمين والدائمين على مقهى الشابندر التراثي.

قبل ذلك التاريخ كنت أعرف الزبيدي فقط من خلال مطالعتي لبعض كتبه والاستشهاد بفقرات مما جاء على صفحاتها في بعض أعمدتي ومقالاتي الصحفية تباعاً، ومن أبرز كتبه التي كنت قد قرأتها قبل التعرف عليه عن كُتب، كتاب "تاريخ متصوفة بغداد" الصادر عن مكتبة الشرق الجديد عام 1988م، وكتاب "وصايا الشيخ عبد القادر الجيلاني".

حينها تجاذبنا أطراف الحديث سوية من دون الانتباه الى الوقت الذي مضى سريعا ونحن نتنقل من غصن ثقافي نظر، الى فرع معرفي زاهر لنخوض في الزخارف والهندسة والمعمار البغدادي، ولاسيما وأنا كنا نقف حينها الى جوار مكان سبق وأن كان يسمى بـ جامعة آل البيت في منطقة الأعظمية، وكانت قد تأسست في عهد الملك فيصل الأول عام 1922م، يومها أذاع لي الزبيدي سرا مفاده حرص البتاء البغدادي على ذكر اسم الله تعالى مع كل طابوقة كان يصفها، وكل لبنة كان يضعها، قبل أن تنتقل بالحديث عن السبل والطرائق المثلى للتدقيق في شجيرات الأنساب والأرومات الطيبة، ومن ثم في الخطوات الناجعة لتحقيق ومقابلة وتصوير نسخ المخطوطات النادرة التي لم تُحقق بعد، وقد برع الاستاذ جميل الزبيدي في كليهما، إذ لا يكاد يمر أحد من الباحثين على ذكر هذين الفنين ممن يتحاشا كثير من المحققين خوض غمارهما لحساسيتهما وصعوبتهما البالغة في آن واحد أولا، ولعظم المسؤولية وثقل المهمة التي تقع على كاهل كل من يطرق بابهما ونوافذهما الموصدة بإحكام ما خلا من يمتلك ناصيتهما ومفاتيحهما الذهبية ثانيا، إلا وأثنى على الزبيدي خيرا وأشار إليه بالبنان في هذا المضمار الذي صار فارسه بحق قبل أن يترجل من صهوته تاركا المهمة للأجيال التي ربّأها وعلمها لتكمل المسيرة من بعده، بعد أن داهمه هادم اللذات = الموت وكل من عليها فان، ليخسر العراق بوفاته أيقونة من أيقونات توثيق الأنساب، وتحقيق المخطوطات.



يومها تحولنا للحديث عن أشهر الشخصيات التاريخية، ومدارس كتابة التاريخ وتفسيره وفلسفته وكيفية صناعته وتحريك عجلته التي لا تتوقف أبداً - سلباً أو إيجاباً - إما إلى الوراء، وإما إلى الأمام، لتبدأ ومنذ ذلك الحين وبرغم فارق السن بيننا، صداقة متينة ومن نوع خاص عادة ما تستهل بتناول فطور الصباح سوية في مكان ما، وكان زاد صحبته وقوامها هي الاستزادة من عبق بساتين العلوم التي يتقنها، وتنسم شذا المعارف المختلفة التي يجيدها، والغرف من معين الثقافات الثر الدافق التي أشرها طويلاً بعيداً عن صداقات المصالح الوقتية، والمنافع الشخصية، والشراكات المادية، وعن الصداقات الندية المسمومة، وجلها لا تسمن، ولا تغني من جوع!

حين فجعت وصدمت شأني في ذلك شأن كل مثقف عراقي وعربي تنامي إلى علمه، وتناهى إلى سمعه خبر رحيل الباحث العراقي الموسوعي جميل إبراهيم حبيب، وهو من مواليد عام 1944م، وجدت نفسي لا إرادياً وأنا استدعي إلى ذاكرتي الحبلى لفتات ومواقف ومقتطفات من ملف الذكريات الجميل مع هذا الباحث الموسوعي الراقى مرهف الأحاسيس، لين العريكة، سريع الدمعة، رقيق القلب، سريع البديهة، جياش العواطف، واسع الاطلاع وكان قد تخرج في قسم الفلسفة / جامعة بغداد عام 1966م، ليعمل في سلك التدريس بالمدينة المنورة، قبل أن يعود إلى العراق ليعمل مدرسا ومحققا وباحثا في الأنساب والشخصيات التاريخية وتحقيق المخطوطات مع الانكباب على تأليف الكتب ولاسيما في علوم التاريخ والتصوف والفلسفة وبما يربو على 80 كتاباً لعل من أبرزها "تاريخ أعيان البلاد المدفونين في بغداد" الصادر عن دار إحياء التراث العربي، وكتاب "الدرر الغوالي من أشعار الإمام الغزالي" ضمن سلسلة "من عيون الشعر الصوفي" عام 1985، وكتاب "تاريخ الأسر البغدادية..دراسة عن نزوحها وأصولها ومناطق استقرارها ببغداد"، وكتاب "العشائر الزبيدية في العراق ومتفرعاتها والملحقة بها مع إشارة إلى صلاتهم بالقحطانيين"، وعلى منوالها كتاب "العشائر الشيبانية وتفرعاتها في العراق والعالم العربي"، وكتاب "العشائر الحميرية في العراق والبلاد العربية"، وكتاب "سيرة الإمام الشهيد الحسين بن علي 4-61 هـ"، وكتاب "العباب الزاخر في تاريخ الامام محمد الباقر"، وكتاب "القول الجازم في نسب بني هاشم"، وكتاب "قصة أبي جهل فرعون هذه الأمة"، وكتاب "سيرة الزبير بن العوام" الصادر عن الدار العربية للموسوعات، ويكشف الزبيدي في تحقيقه لكتاب "معارج القدس في مدارج معرفة النفس" للغزالي، بأن "هذا الكتاب يعد الثاني الذي

سطا عليه ديكارت " بعد كتاب " المنقذ من الضلال " للغزالي أيضا، وغيرها الكثير من الكتب وبما لا يتسع المقام لذكرها في هذه العجالة ولكل مقام مقال.

ذكريات ومذكرات

كان الأستاذ جميل إبراهيم حبيب الزبيدي، الذي وافته المنية بتاريخ 6/10/2025 في العاصمة الحبيبة بغداد لا يمل خلال مجالس السمر والأمسيات الثقافية، ومثلها في الجلسات والأصبوحات الأدبية من الحديث عن استاذة ورفيق دربه العلامة المحقق الدكتور محيي هلال السرحان، وقد لازمه حتى وفاته بأجله المحتوم في تموز/ 2024، وكان المحقق جميل إبراهيم، قد بعث إليّ بقصيدة للسرحان سبق وأن كتبها بخط يده لنشرها في إحدى الصحف المحلية الورقية لم يتسن لنا نشرها في حينه بسبب اغلاق الصحيفة ولأسباب لا داعي للخوض بتفاصيلها كونها غير ذات قيمة بالنسبة للقراء، وكان الأستاذ جميل قد سمع هذه القصيدة بنفسه ودونها في أجندته خلال مجلس من مجالس السرحان العلمية الكثيرة والغزيرة حين سئل الموما إليه عن ما يقرأه ويطلعه في شهر رمضان المبارك قائلا:

إن كنت تسألني عما أطلعه	أو ما أسطره في باطن الكتب
في ظل شهر عظيم الخير جاء لنا	بالنور بالنصر، بالإخبات بالقرب
فإن في رمضان الخير مكرمة	تسمو على سائر الأعمال والرتب
شهر الفضائل والطاعات تجمعنا	تصفو بأنواره الأنفاس من كرب
نخير ما نقرأ (القرآن) نافلة	تجري قراءته في سلسل عذب
وخير ما تكتب الأقلام معرفة	ترقى بصاحبها في العلم والأدب
من روحه نستمد العزم يلهمنا	تاريخه الباهر المشهود في الكتب
لنرسم النصر، والرايات شامخة	على مشارف دنيا أمة العرب



((يظهر على يسار الصورة، العلامة الدكتور محيي هلال السرحان، وهو برفقة صديقه ورفيق دربه الأستاذ جميل إبراهيم، في ختام ندوة علمية كانت قد أقيمت على أديم قاعة أبي حنيفة النعمان في أروقة الجامعة العراقية))

ولا غرو بأن من الذكريات الجميلة هي حديث الزبيدي بإسهاب عن كيفية كتابة التاريخ، مع تأكيده على إن التصدي لدراسة التاريخ فضلاً عن كتابته هي مهمة شاقة وصعبة وشائكة قد تحتاج من صاحبها إلى دقة التحري وتوخي الحذر في رصد المعلومة أو نقلها أو توظيفها لخدمة الحقيقة والوصول بيقين إلى ما هو صحيح يشتمل بعدئذٍ على عمل علمي محقق ورصين ومنهجي يستند على المصادر والمراجع والشواهد الموثقة.

ولطالما شدد الباحث الموسوعي رحمه الله تعالى حول منهجه في تحقيق المخطوطات على، أن "إستخدام الوثائق الخالية من التزوير والتحريف والتلاعب من شأنه أن يزيد من أهمية ومصداقية المادة التاريخية وقيمتها، كما أن معاصرة المؤرخ لها دور في إبراز الأهمية التاريخية للأحداث أو الوقائع، وعلى الجميع الاتفاق الحازم على إنقاذ التاريخ من براثن الجهلة الضالين والمتاجرين به لغايات مريضة لا يفاد منه إلا الأجنبي الطامع، أو ناكر النعمة والجميل، وقد تنبه لهذا الخطر الكامن في تدريس مادة التاريخ قادة الفكر الحديث في العالم، وفي ذلك أنشأ الشاعر الرصافي يقول:

فشُرّ العالمين ذو خمولٍ إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا

كما كان الباحث الزبيدي مهتما بالشخصيات التاريخية، ولاسيما بالمؤرخ العربي والقاضي والمؤسس لعلم الاجتماع أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، الشهير بابن خلدون، وبمقدمته الشهيرة، وبالأخص ما يتعلق منها بالفصل المخصص عن التربية وكيف أن ابن خلدون كان إماماً ومجدداً في علم التاريخ، وفن "الاتوبوغرافيا" أي ترجمة المؤلف لنفسه، كما كان إماماً ومجدداً في أسلوب الكتابة العربية، وكان دبلوماسياً بارعاً، حيث قابل تيمورلنك بعد أن كلفته الدولة المصرية في حينها للتفاوض معه، وكيف كانت أفكاره ورؤاه التربوية تقترب إلى حد كبير من الفلسفات الحديثة حينما يتحدث عن قانون الاستعداد والتعلم في علم النفس وعن الأوراك الكلي (الجسطلت) ويؤكد على استخدام الأمثال الحسية من وسائل التعليم بعجزه فينصرف عن التعلم.

العشق الدائم الى مسقط رأسه مندي

لطالما شعر الاستاذ جميل إبراهيم حبيب، بالحنين الجارف وهو يغالب دموعه بمعرض حديثه المتواصل عن محلته "قلم حاج" في مسقط رأسه مدينة مندي، وقد أرسل اليّ ذات مرة مقالاً لنشره في إحدى المجلات العراقية الثقافية عن هذه المدينة العريقة أذكر بعضها مما جاء فيه وفاء لكتابته:

لا شك في أن مدينة مندي تعد واحدة من المدن الأثرية القديمة التي تتوغل بجذورها العميقة الى ما قبل فجر التاريخ وكانت ذات خصوبة حضارية مميزة في اشعاعها وفريدة في خصائصها وأنها حلقة متصلة بالشبكة السكانية المتعاقبة على ثراها من ذرية سام بن نوح (الجد الأكبر للعراقيين الاوائل) والتي توزعت بين أرجاء وادي الرافدين وأعلاها ووسطها وجنوبها وأطرافها امتداداً الى الغطاء البشري المتحضر القاطن على جميع مساحات شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وسيناء ووادي النيل وما وراء باب المندب، وهي مُتوافقة ومتطابقة مع أنشطة مراكز الإشعاع الحضاري على المنطقة من أكديّة وبابلية وآشورية، لافتاً الى أن "أقدم إشارة الى اسم مدينة مندي جاءت بقلم المؤرخ اليوناني هيرودتس الذي زارها وألح الى سمو مقامها الحضاري بين المدن العراقية القديمة،

وطيبة سكانها، وحبهم للعمل، وأن فيها عيوناً للنفط، ولعلها وقفة، بل حجة تاريخية شاهدة على أن منطقة النفط خانة هي جزء من مندلي وبقيت كذلك الى فترة الاحتلال الانكليزي، حيث عملت على إلحاقها بخانقين".

ويضيف الزبيدي بأن "الكاتب التاريخي البدائي ياقوت الحموي قد أشار اليها أيضا في كتابه- معجم البلدان-".

وأردف بالقول "إن كلمة مندلي محورة من بندنيجين ثم الى الاسم الحالي، وهي كلمة سامية قديمة تعني (الملاكون الطيبون)، وكانت مدينة عامرة وقديمة لا تُعرف بانها، ولها حضارة لا مثيل لها قبل التأريخ أي قبل التأريخ أي قبل الطوفان، وآثارها هي كلدانية وأشورية وبابلية.

رحم الله تعالى الباحث والمؤرخ والنسابة العراقي جميل إبراهيم حبيب، وأسكنه فسيح جناته، وألهم ذويه ومحبيه وسائر طلابه وتلامذته الصبر والسلوان.



(*) مقال المنشور في صحيفة "الجزائرية للإخبار" الناطقة بالعربية والفرنسية والأمازيغية بعددها الصادر في 26/ تشرين 2025 /1

ترفيف المكتبات وفهرستها وتوريثها يأتيك بالعجائب! (*)

"رفف المكتبة القديمة ونظفها ورتب كتبها وفهرسها واحصل على ما تشاء من كتبها وعناوينها المختلفة مجاناً"، مبادرة ثقافية لافتة أطلقها صاحب مكتبة قديمة تضم عشرات الألوف من الكتب المستعملة بداية شارع الرشيد وسط العاصمة الحبيبة بغداد، وسرعان ما حلقت المبادرة عالياً في فضاء الثقافة والقراءة والمعرفة لتجد لها صدى واسعاً وأذانا صاغية بعد أن حظيت بإشادات الجميع وأعجابهم، وبالفعل فلقد استجاب عدد من الشباب ومن كلا الجنسين ويمموا وجوههم شطر مكتبة المتقاعد المثقف وقاموا بترفيف مكتبته الكبيرة وتنظيفها وترتيبها وفهرسة أكوام كتبها المكدسة وفقاً للمبادرة، إلا أنهم أبوا أن يأخذوا نظير عملهم التطوعي شيئاً من كتبها مجاناً، وفضلوا أن يشتروا ما يحتاجونه من الكتب، ومعظمها وبرغم عناوينها الكبيرة، ومضامينها المهمة، وأسماء مؤلفيها ودور طباعتها ونشرها وتوزيعها البارزة، تباع بأسعار زهيدة تتراوح بين 500 دينار – 3 آلاف دينار عراقي، وبما يعادل 33 سنتاً إلى دولارين للكتاب الواحد تقريباً، وذلك إسهاماً منهم بدعم المكتبة وصاحبها السبعيني المتقاعد، ورحم الله تعالى من عمل عملاً صالحاً فأنمه وأتقنه كما جاء في الأثر، وهكذا وعلى الدوام يأتيك ترفيف المكتبات الشخصية والعامة وإعادة ترتيبها وتنظيمها وتأهيلها بين الحين والآخر بالعجائب والمسرات الباهرة، يعلم ذلك يقينا كل من خاض غمار هذه التجربة الفريدة شطراً من حياته!

بحث دؤوب جاء بالعجائب

عامان كاملان ونيف وأحد الأصدقاء الأعزاء يبحث عن دفتر خدمته العسكرية من دون جدوى، كان يروم إضافة خدمته تلك إلى نظيرتها المدنية بعد إحالته على التقاعد بقانون السن الذي خفض السن التقاعدي في العراق من 63 إلى 60 سنة نزولاً عند شروط البنك الدولي، وضمن فقرات ما يسمى بـ"الورقة الإصلاحية البيضاء" التي رفعت أسعار صرف الدولار مقابل هبوط الدينار العراقي، وبما أشعل الأسواق المحلية وقض مضاجع الفقراء، بزعم توفير المليارات من العملة الصعبة والمحلية للخرينة العراقية، ليصدم العراقيون جميعهم بفضيحة "سرقة القرن" التي وصلت إلى 8 مليارات دولار وتزامنت مع تطبيق الورقة الإصلاحية المزعومة وذلك في مفارقة عجيبة لا تحدث حتى في الأفلام الهندية، والمسلسلات الكرتونية، ومع أن القانون يشترط إكمال السن القانوني لأغراض الإحالة على التقاعد، إلا أنه قد أحوال وما يزال كل من دخل السن ومنذ اليوم الأول، بدلاً من إكمالها بنص القانون، ما تسبب بإشكال قانوني لما يزل محط اهتمام ومناقشة حتى كتابة السطور، لأن الفارق بين دخول السن، وبين إكمالها وببساطة شديدة هو عام وظيفي كامل برواتبه ومخصصاته وعلاواته وترقياته بالتمام والكمال!

كل هذه المدة وصاحبي الباحث عن دفتر خدمته العسكرية ولما تبلغ خدمته الوظيفية 14 سنة بعد فيما يشترط قانون التقاعد 15 سنة كحد أدنى، بمعنى أنه بحاجة ماسة إلى دفتر الخدمة ليمنحه 10 سنين على أقل تقدير بعد مضاعفتها وبما يعرف بالخدمة الفعلية أو الحركات لتعزيز الخدمة التقاعدية بغية الحصول على هوية التقاعد التي صارت كالوظيفة الحكومية ولو بصفة عقد، ولو بأجر يومي، وكالضمان الاجتماعي والرعاية والمعين المتفرغ وامتلاك متر واحد في دولة نصف أراضيها مترامية الأطراف بين المحافظات، إما عبارة عن أراض قاحلة أو شاغرة، ينبع فيها البوم، وينعق بسماها الغراب، وتعوى فوق أديمها الذئب، لا هي زراعية، ولا هي سكنية، ولا هي صناعية أو استثمارية، وإنما مجرد فيافي مقفرة صارت حلاًماً لملايين العراقيين ولسان حال الجميع يردد أسفاً وحسرة:

أيشتكى الفقر غاديننا ورائحننا

ونحن نمشي على أرض من الذهب؟

فيأتي الجواب سريعاً على سؤال الشاعر الأول بنعم، لماذا جنابك؟ لأنه وببساطة وعلى قول الشاعر الثاني:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة إذا جهالهم سادوا

قبل أيام قرر الرجل إعادة ترتيب ونقل مكتبته الشخصية من مكان إلى آخر وأثناء تصفح أحد الكتب المهمة "تفسير ابن كثير"، وإذا بدفتر خدمته العسكرية موجود ومحموظ بين جلاديه، فصعق من هول الدهشة ليذهب من فوره في صبيحة اليوم التالي لترويج معاملة تقاعده التي وصلت إلى 24 سنة خدمة فعلية بعد أن كانت وطيلة عامين ونصف حاول خلالها جاهداً وبشتى الوسائل والطرق لإضافة ولو سنة واحدة فقط لا غير إلى خدمته أماًلاً بوصولها إلى 15 سنة ولكن من دون جدوى!

بدوره عثر أحد أصدقاء مواقع التواصل والعوالم الافتراضية، الاستاذ صكر الحلبوص، على ما يهيمه، فكتب على صفحته الشخصية في منصة "فيسبوك"، إن من حسنات حظر التعداد السكاني أي قد ذهبت لأرتب قسماً من مكتبي وأزيل الغبار عنها، وبما أجبرني على العطاس مرات ومرات ليقع بين يدي كتابان عجيبان يتحدثان عن تاريخ الرياضة في بلاد وادي الرافدين، أولهما بعنوان "ملحمة جلعامش والفكر الرياضي"، لمؤلفه نجم الدين السهروردي، أما الكتاب الثاني فبعنوان: "الرياضة بدأت في وادي الرافدين"، لمؤلفه طارق الناصري، ومراجعة الدكتور سامي سعيد، وتقديم الدكتور حسين أمين.



وأضاف الصديق اقتباساً من أحد الكتائين المهمين نقلاً عن عالم الآثار البريطاني ليونارد وولي: "كانت حضارة وادي الرافدين قد أمدت العالم بحضارتها وقد بطل القول الذي يرد أصل جميع العلوم والفنون إلى الإغريق، وأن السومريين وجامع الآثاريين قد أبدعوا الحضارة دون تقليد أو اقتباس".

أما عني شخصياً، وبعد أن عقدت العزم على إعادة تبويب وترتيب مكتبي الشخصية وإذا بي أعثر على نسخة بخط اليد كان قد سلمني إياها المؤرخ والباحث الموسوعي المحقق جميل إبراهيم حبيب، مكتوب فيها قصيدة من نظم رفيق دربه

العلامة محي هلال السرحان، عن شهر رمضان، وكما أشرت إلى ذلك بالتفصيل في المقال السابق.

ولعل من محاسن الترفيه وإعادة ترتيب الكتب وتبويبها هو عثورك لا محالة على العديد من الكتب وهي ليست ملكاً لك، وقد عثرت بالفعل على عدد منها وكلها مستعارة من أصحابها ومنذ سنين خلت، وبما أن اثنين من أصحابها قد رحلا عن دنيانا الفانية إلى نظيرتها الباقية، وبما أنني لا أعلم لورثتهما هاتفاً ولا عنواناً، ولم أهتد إلى

من يعرفهما سبيلاً، فقد عقدت العزم على استنساخ هذه الكتب وتجليدها ومن ثم إهداءها إلى عدد من المكتبات العامة للفائدة لتكون صدقة جارية، وعلماً ينتفع به لأصحابها الأصلاء، أما عن الكتب التي استعيرت من مكتبي، ومن ثم لم يتم إرجاعها على مدار سنين، وبينها المجموعة الكاملة للدكتور علي الوردي، فأنا أخلي ذمة كل من فعل ذلك وأسامحه تماماً، لأن الكتب في العراق مثل المسبحة، إذا ما أمسكها أحدهم بيده عرضاً، أو استعارها برهة فاقراً عليها السلام، وأنصح كل من يُعيرَ أحداً كتاباً في زمان ما، بأن يشتري في اليوم التالي نسخة ثانية من الكتاب نفسه، لأن النسخة الأولى، وعلى قول جارة القمر، كما يطلق عليها، وأعني بها المطربة اللبنانية فيروز، والتي احتفلت بعيد ميلادها التسعين مؤخراً: "أنا صار لازم ودّعكن!!".

بدوره أعاد أحد أصدقاء مواقع التواصل نشر مخطوطة نادرة بعد عثوره عليها أثناء ترفيف مكتبته الشخصية وهي عبارة عن نسخة مصورة وفريدة بعنوان (منهج علماء الدين في التعليم) ظل يحتفظ بها في خزانة كتبه وضمن أرشيفه الخاص، كان قد أملاها الشيخ عبد الكريم المدرس، المعروف بـ عبد الكريم بيار (1905-2005) ليكتبها بخط يده، نجله صلاح الدين، ليلة الجمعة 29/ شوال / 1420هـ، الموافق 4/ 2/ 2000 م.

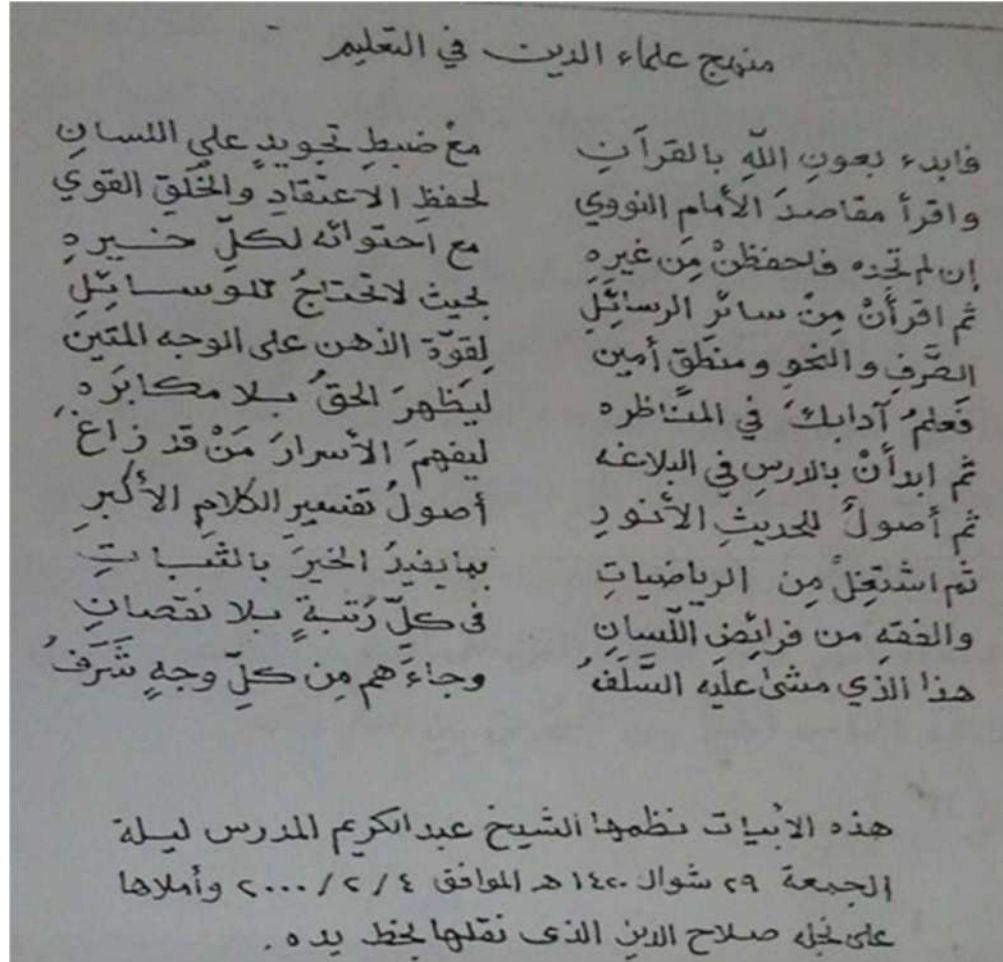


وينصح مفتي العراق السابق، العلامة الشيخ عبد الكريم بن محمد بن فاتح بن سليمان المدرس، وهو فقيه، ومحدث، ومفسر، وأصولي، ومتكلم، ولغوي عراقي أشهر من نار على علم في رسالته العلمية المهمة تلك والموجهة الى طلبة العلم الشرعي تحديداً، أصول المنهج العام المفيد والنافع لهم ولاسيما في خط شروعيهم الأول وبداية مسيرتهم العلمية والتي تبدأ بضبط أصول وأحكام وقواعد التجويد و التلاوة لكتاب الله تعالى، ومن ثم ثني برسالة الـ "مقاصد" للإمام النووي، وتدور حول التقوى والورع والاستقامة واتباع السنة والصبر والتوكل والقناعة والتفويض وتحقيق الرجوع إلى الله تعالى.

يسترسل العلامة المدرس رحمه الله تعالى بعدها في رسالته التي كتبها شعرا بـ 11 بيتا، كل بيت منها ينتهي بقافية متوافقة مع قافية شطرها الأول ومختلفة عن قافية شطري البيت الذي يليها، بتقديم النصائح الى طلبة العلم الشرعي تباعا وفي صدارتها قراءة الرسائل العلمية النافعة والرصينة، يعقبها تعلم علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق، وبما يعرف بـ "علوم الوسائل = علوم الآلة" ومن ثم دراسة علوم وتفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والفقه، وبما يعرف بـ علوم الغاية.

ومن الجدير ذكره أن للعلامة عبد الكريم المدرس مؤلفات غزيرة باللغتين العربية والكردية لعل من أبرزها كتاب "مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ونور الإسلام، ونور الإيمان، إرشاد الأنام إلى أركان الإسلام، إرشاد الناسك إلى

المناسك، وإسناد الأعلام، وإعلام بالغيب وإلهام بلا ريب، الأنوار القدسية في الأحوال الشخصية، والقصيدة الوردية في سيرة خير البرية، والوردة العنبرية في سيرة خير البرية، والوسيلة في شرح الفضيلة، وجواهر الفتاوى، وجواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام وغيرها الكثير.



الشيء بالشيء يذكر

على ذكر الكتب والمكتبات الشخصية وإعادة ترفيفها وترتيبها كتب صديقي الإعلامي الجزائري الغيور، الدكتور زواغي عبد العالي، على صفحته في موقع التواصل فيسبوك، متألماً وذلك في معرض تعليقه على صورة لمكتبة شخصية عراقية كانت قد أخفيت تحت الأرض خشية أن يسرقها - المحوسمون - بعيد عام 2003 قائلاً: "خسرنا بإحتلال العراق، إرثاً حضارياً غزيراً، وجغرافية ذات رمزية كثيفة بالنسبة لنا كأمة فاقدة للبوصلة... خسرنا إنساناً فائقاً يعز نظيره في باقي بلداننا، وهذه الصورة لمكتبة أحد العراقيين، قام بإنشائها تحت الأرض ليحفظ آلاف الكتب التي اقتناها طيلة حياته!".

فعلقت وعقبت يومها على ما كتبه بالقول: بما إنك قد أثرت موضوع الكتب والمكتبات في العراق بعد 2003، وبما أنك قد نكأت جرحاً غائراً لم يندمل بعد، فدعني أذيع لك وللأصدقاء سرا لا يخفى على من عايشه ففي أيام الحصار الأمريكي الغاشم الذي ستمر 13 سنة متتالية ونتيجة لشظف العيش الذي عاناه العراقيون فلقد اضطر الآف المثقفين الى بيع مكتباتهم الخاصة التي قضوا وأفنوا أعمارهم في جمع كنوزها برع ثمنها إن لم يكن أقل، حيث أجبر المثقف العراقي آنذاك على بيع مكتبته بنفسه على الأرصفة المغبرة وعلى قارعة الطرق بعشر

ثمناً للكتاب الواحد وكان المسكين ينظر بحسرة الى كتاب كان قد اشتراه بخمسة الاف دينار عراقي ليبيعه بخمسمائة دينار فقط لا غير لأي عابر سبيل حتى يأكل بثمنه خبزاً، يومها كان المثقف المظلوم يتأمل في حاله وواقعه البائس وهو يقف على الرصيف كالمشردين تحت فيض الصيف وبرد الشتاء القارس ليبيع كتبه..علمه..ديوانه الشعري..روايته..مجموعته القصصية..لوحاته...أطروحة الدكتوراه خاصته، رسالة الماجستير تبعه... وبعد مرور فترة كان هذا المثقف نفسه إما أن يستعير كتابه الذي باعه برخص التراب مجدداً لقراءته ثانية..وإما أن يشتريه بأضعاف السعر الذي باعه به، وربما بالسعر الذي اشتراه به أول مرة، وأعرف مثقفاً وأثناء دخوله الى الحمام العام لقضاء حاجته اضطراراً كان قد ترك كتبه داخل كيس هناك بالقرب من النافذة بعد فشله في تصريفها وبيعها بخمس ثمنها داخل سوق الكتب وأطرافه في شاري الرشيد والمتنبي، فتم سرقة كتبه بالكيس الذي وضعت داخله فما كان منه إلا أن ضرب أخماساً بأسداس وكفا بكف ولم يجر جواباً على ما حدث، تماماً كسرقة حذاء المثقف الثاني الذي أعرفه بعد أن تركه خارج الحرم في أحد مساجد منطقة وسط العاصمة بغداد ما اضطره الى مغادرة الجامع وعبور الشارع حافياً لأن سراق الأحذية المستعملة كانوا يتقاطرون على الباحات الخلفية للجوامع الشعبية وهدفهم هو سرقة أحذية المصلين تحديداً فور إقامة الصلاة ليبيعونها في - سوق الحرامية - وسط ساحة التحرير القريبة، يصدق فيهم قول المزارع العراقي: " إذا كلها تصلي..لعد، باللهجة البغدادية = جا، باللهجة الجنوبية = عجل، بلهجة أهالي الغربية، منو باك الحذاء؟! " وأشد ما ألمني آنذاك هو رؤية أحد أبطال العراق بلعبة التايكواندو وهو يبيع الميداليات والكؤوس والهدايا والمقتنيات الرياضية الخاصة باللعبة والتي كان قد حصل عليها تكريماً له في بطولات محلية وعربية عدة على قارعة الطريق لحاجته الماسة الى المال، وكذلك الحال مع عدد من أبطال الشطرنج وكانوا يبيعون جوائزهم وميدالياتهم على بعد أمتار منه في الباب الشرقي!!

وبالقياس على ما تقدم أقول "إذا كان الكل يتحدث عن أهمية الشفافية، وضرورة مكافحة الفساد، وتحقيق النزاهة، وإرساء دعائم العدالة الاجتماعية، ترى فمن الذي نهب خزائن البلاد وتركها خاوية على عروشها وأفرغها وأهدر الموازنات السنوية والثروات الطائلة وبما وصل الى 2 ترليون دولار طيلة 23 عاماً كالحلة إذأ؟!"، علماً بأن الفساد لا يكافح عبر إلقاء القبض على بعض صغار الفاسدين ولقطائهم وذيولهم وأفراخهم، مكافحة الفساد إنما تتم عبر برنامج واقعي ومتكامل وجاد وجريء مخصص لاجتثاث شأفة منظومة الفساد بأكملها وتجفيف منابعها فكرياً ومجتمعياً وأخلاقياً وأيديولوجياً ومالياً وإدارياً وسياسياً، فهذه المنظومة الديستوبية التي تتحالف بأكنافها وأروقعتها وكواليسها رؤوس الأموال القذرة وبعض رجال الأعمال والسياسة والمال، وقسم من الأحزاب، وبعض الإعلاميين المرتزقة، وبعض القانونيين والمتنفذين والمشرعين والمسؤولين المأجورين، وحتى بعض زعماء القبائل ورجال الدين، ستظل تفرخ وتفقس جرائمهم وطفيليات وفير وسات الفساد الى أن يشاء الله تعالى أمراً كان مفعولاً، فمن يزرع الريح لن يحصد سوى العاصفة، ومن لم يجفف برك الفساد الأسنة ويردمها الى الأبد فعليه أن يُجهز أنفه لروائحها النتنة المنفرة، وللسمات هوامها وبعوضها المُمِرِضة، وكلما ألقى القبض على ثلة من الفاسدين، كلما سارعت منظومة الفساد العميقة لاستئصال آلاف مؤلفة منهم تعمل على دفعهم الى أحضان المجتمع وإلى أعلى هرم الدوائر والمؤسسات والهيئات وال نقابات والاتحادات والمناصب الرفيعة كتعويض فوري للملقى عليهم القبض، وكبديل عاجل وغير أجل عنهم وذلك في دوامة مقيتة أشبه ما يكون بالدور والتسلسل وفقاً لعلم المنطق لا تعلم وأنت تسير بين متاهاتها المتشعبة والمتشابكة يقينا، هل أن البيضة الفاسدة من الدجاجة القمّامة الملقبة بخنزير الطيور، أم أن الدجاجة القمّامة التي أدمنت بقايا المزابيل من البيضة الفاسدة..ويموت الديك وعينه على المزيلة؟!

وحقا ماقاله أحد الاصدقاء: كان كل بيت عراقي لديه مكتبة خاصة يتفاخر بها سواء أكان يقرأها أم لمجرد الزينة، حيث كان الكتاب عندنا تحفة فنية نتعامل بها ومعها بصدق وإعجاب!!

حدث وبعد اجتياح رعاة البقر أن أحرقت العديد من المكتبات الخاصة والعامة.. سرقتم.. بعثروا.. نهبت، وأذكر بأنني قد مررت يومئذ في سوق الباب المعظم فوجدت بائع - لبلبي- بعبرته الخشبية المتهالكة والى جانبه رزمة من الكتب باللغة الانجليزية كان يعتمد الى تمزيق صفحاتها تباعا ليعمل منها -كبوسات ورقية- مخصصة لوضع الحمص الساخن بداخلها قبل بيعها للأطفال والمارة، فطلبت منه أن يسمح لي بتقليب بعض هذه الكتب وتصفحها؟ فقال لي على الفور، وما تزال يداه تعبيء المزيد من الحمص داخل الصفحات الممزقة: يعمود تدلل.. كدامك!!!

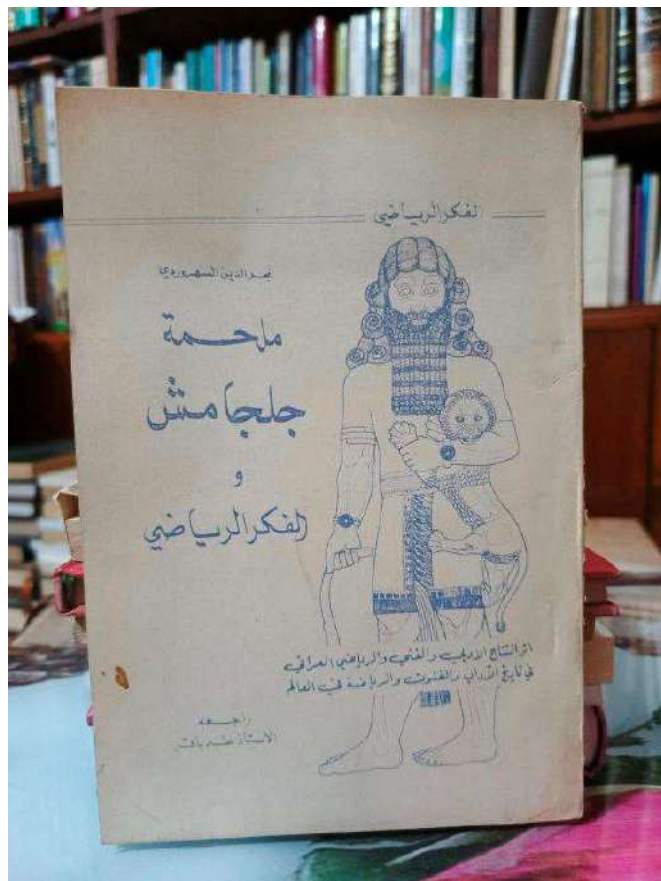
وماهي سوى ثوان معدودة حتى وقع تقليب تلكم الصفحات على رأسي وقع الصاعقة حين اكتشفت بأنها كتب طبية -محوسمة- حينذاك من مكتبة كلية الطب والصيدلة والمعهد الطبي التقني القريبة أيام الفوضى والحواسم فلم أتمالك نفسي وقلت له بعصبية بالغة "هاي شنووو؟!!"، فرد عليّ بكل برود: "هههه، يعمود شدةواك، هي بالانكليزي!!!".

ما قرأتم من وقائع بدأت بالكتب والمكتبات وانتهت إليها، قد استدعى الى ذهني العبارة التي قالها الأمانة السابقة لمكتبة البصرة، ويعود تاريخ انشائها الى عام 1931م، هذه المرأة الشجاعة التي عاشت في مدينة البصرة والتي تركت بوفاتها بوباء كورونا المستجد في قلوبنا ألف حسرة وحسرة:

" إن أول ما أمر به الله تعالى، نبيه محمداً في القرآن الكريم هو (اقرأ) ولقد كان احتراق الكتب كأنه معركة، وتصورت أن تلك الكتب، كتب التاريخ والثقافة والفلسفة تصرخ منادية، لماذا، لماذا، لماذا؟!!".

بهذه العبارات الرائعة التي تتلمس مدى الحزن والأسى بين سطورها قد أسهمت السيدة عالية محمد باقر، أمانة المكتبة المركزية السابقة في البصرة لسنتين طويلة، بإنقاذ عدد كبير من الكتب والمخطوطات النادرة من السرقة والحرق عام 2003 وبما يقدر بـ 30 ألف كتاب ومخطوط، بينها مخطوطة لسيرة النبي ﷺ يعود تاريخها إلى 1300 سنة في عمق التاريخ، حيث قامت أمانة المكتبة وقتئذ بتسريبها ونقلها وحفظها في أحد المطاعم القريبة قبل نقلها مجددا الى منزلها وحفظها هناك لحين إعادة تأهيل المكتبة، وبالفعل فقد شرعت بنقل الكتب والمخطوطات التي حفظتها وخزنتها كأمانة في بيتها وتم إعادتها الى رفوف المكتبة ثانية!

وبحسب وكالات الأنباء فقد سبق للكاتبة الأمريكية جانيت ونتر، أن احتفت بهذه المرأة العراقية الشجاعة وكتبت واحدة من أجمل قصص الأطفال الرائعة باللغة الانجليزية، بعنوان (أمينة مكتبة البصرة) عام 2005م، لتفوز بالجائزة الأولى كأفضل قصة للأطفال، وقد ترجمت إلى الإيطالية والفرنسية والإسبانية والروسية واليابانية، فيما تم تحويلها إلى عروض مسرحية عالمية للأطفال قدمت بلغات عدة.



ولمن لا يعلم فإن الاف الكتب والوثائق والمخطوطات المهمة كانت قد نهبت أو أُلقت عمدا بفتح صناير المياه على مخازنها أسفل البنايات ولاسيما في مخازن المكتبة الوطنية التي تضم أرشيف العراق كاملا وللعهد العثماني والملكية والجمهورية، أو بإشعال النيران في الموقع

عمدا من قبل عصابات الجريمة المنظمة عام 2003، فيما هربت آلاف أخرى الى خارج البلاد ومنها عشرات القطع الأثرية التي لا تقدر بثمن، ولوحات لكبار التشكيليين العراقيين كانت قد سرقت من المتاحف العراقية الوطنية تباعا، كذلك الحال مع الأرشيف اليهودي الذي احتفلت وزارة خارجية الكيان اللقيط في 22 كانون الأول / 2015 بمشاركة حاخامات بمناسبة وصول مخطوطة التوراة العراقية إلى الكيان بعد أن قامت القوات الأمريكية بإخراجها من العراق مع بقية الأرشيف اليهودي ويضم 2700 كتاب وعشرات الآلاف من الوثائق التاريخية للجالية اليهودية في العراق، كان قد عثر عليها الاميركان في قبو بمقر الاستخبارات السابق "بزعم صيانتته وإعادةته ثانية عام 2018، فيما شهد متحف "أرض التوراة" بمدينة القدس عام 2015 فعالية مماثلة عرض خلالها نحو 200 لوح طيني بالخط المسماري واللغة البابلية الحديثة، كانت قد هربت من العراق في أوقات سابقة على مراحل وفقا لوكالات الأنباء العربية والعالمية، والأعجب هو أن بعض الذبول والمتفقيين قد برر وصول الارشيف الى الكيان على اعتبار أنه تعويض لليهود المهجرين طوعا أو كرها عن أعمال الفروهود التي لحقت بهم ببغداد في نيسان عام 1941م، وفات الذيل الوضع، بأن "العراق قد تفرهد مرارا وتكرارا على مدار قرون، وحري به ومن باب الإنصاف أن يطالب بإعادة كل ما تم فرهدته على حين غفلة منذ الغزو المغولي لبغداد سنة 656 هـ وما يزال يعرض في متاحف بريطانيا وأوروبا وأميركا وجمهوريات آسيا الوسطى حتى يومنا هذا، وأن لا يكتفي بتبرير تهريب هذا الأرشيف وإلحاقه بأصحابه على وصفه فحسب!".

ختامها مسك

وفي الختام لايسعني إلا أن أهيب بكل صاحب مكتبة شخصية، وبكل من يدير مكتبة عامة بأن يعيد ترفيف وتصنيف وترتيب وتنظيم وتحديث المكتبة التي بذمته وسيكتشف العجب العجائب، ولا يفوتني التذكير بأتمته المكتبات العامة بما فيها من مراجع ومصادر وكتب قديمة وحديثة، وإنشاء موقع إلكتروني خاص بها على محركات البحث العالمية المعتمدة، مع استحداث خاصية التصفح الإلكتروني للكتب والاصدارات الحديثة، مقابل أرشفة المكتبات الشخصية رقمياً، وتوثيق المعار منها وكتابة اسم الشخص أو الجهة التي استعارتها وعنوانهم الكامل ورقم هواتفهم وبريدهم الإلكتروني كي لا يضيع أغلبها ولأي سبب كان، ولكي يطالب الورثة برد الكتب المعارة الى رفوف مكتبة مورثهم ثانية، ولكي لا يفقد الموما إلهم قسما من كتبهم مجدداً، ولكي ينتفع بكنوزها طلبة العلم وجميع الأكاديميين والمؤلفين والمثقفين والباحثين فضلاً عن الورثة، إن كانوا من قراء الكتب والمهتمين.

كما أهيب بكل صاحب مكتبة شخصية عامرة بأن يكتب وصية بشأن مصير مكتبته من بعده، لكي لا يبيعها بعض ورثته ممن يهيمهم ميراثه المالي والعقاري، أكثر من مكتبته وكتبه التي لا يعبرونها اهتماماً قط، ليتخلصوا منها برخص التراب ببيعها لأصحاب- العتيك للبيع- ومعظمهم من الجهلة، أو يتخلصوا منها برمها في مكبات النفايات، أو باتلافها وحرقيها، وقد عايشنا وشاهدنا وسمعنا بمن فعل ذلك واقعا، وأنا مطلع شخصياً على شاب لا ديني طائش كان يعاقر الخمر ولا يهتم بالكتب إطلاقاً وكيف بعثر مكتبة والده العامرة بعيد وفاته وكانت تضم أمهات التفاسير وكتب الحديث والفقه وأصوله والتراث والأدب العربي والتاريخ المعتمدة، ولا بد من أن يوصي كل صاحب مكتبة شخصية في حال توجسه من مصير مكتبته أو ليتقنه من عدم اهتمام ورثته بها من بعده، بأن تهدى مكتبته بعيد وفاته لتلحق بمكتبة المسجد القريب، أو بمكتبة كلية علمية، أو بمكتبة جامعة للدراسات الإنسانية، أو بمكتبة معهد علمي متخصص بحسب طبيعة العلوم والآداب والمعارف التي تضمها المكتبة، أو أن تعطى لأهل العلم والاختصاص لتكون صدقة جارية له، وعلماً ينتفع به من بعده، وفي ذلك قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وأقترح إطلاق مشروع خيري يتكفل وبالانفاق مع الورثة، بجمع كتب ومكتبات الراحلين في حال عدم توصية المورثين بمصير مكتباتهم ولا تحديد لهم لمن تعطى من بعدهم، ليحمل المشروع اسم (مكتبات الآباء الراحلين لتعليم الأبناء المخلصين) لكي لا يحار الورثة بها بعد رحيل الآباء ولكي لا يعتمدوا الى تبديد كنوزها عشوائياً ومزاجياً، أو كيفما اتفق شريطة – وهذه نقطة في غاية الأهمية – أن توقف هذه المكتبات على طلبة العلم وكل فئة وشريحة منهم بحسب اختصاصها، وأن لا يُتصرف بهذه الكتب والمكتبات بيعاً أو شراءً أو إهداءً أو إتلافاً البتة ولا بأس باعتماد نظام الإعارة للفائدة العامة على أن يُضمن إعادة الكتب المعارة الى الرفوف مجدداً، كذلك اعتماد نظام المبادلة أو المقايضة للكتب على أن تساويها في القيمة المعرفية والثرمنية كأن يتم استبدال كتب الطب والصيدلة والقانون والهندسة والكيمياء والفيزياء التي أودعت ضمن مكتبة جامع كبير على سبيل المثال لا الحصر، والتي لن تنفعهم في تخصصاتهم الشرعية في شيء، بكتب الحديث والسيرة والتفسير والفقه وأصوله وعلوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق وما شاكل، والعكس صحيح تماماً لتحفظ كل مكتبة تم توريثها ووقفها ضمن هذا المشروع الكبير والمهم بتخصصها، ولكي لا تفقد بوصلتها، ولا تضل وجهتها الصحيحة، ولكي يُنْتَفَعُ بها أيما انتفاع لعقود طويلة مقبلة، ولكي لا تظل كتبها ونفائسها مركونة على الرفوف يعلوها الغبار من دون فائدة تذكر..والله من وراء القصد.

(*) مقال المنشور في صحيفة الجزائرية للاخبار بتاريخ 15/كانون 2024/1، والمنشور أيضا في مجلة الكاردينيا بتاريخ 21 تشرين 2/نوفمبر 2024، والمنشور كذلك في "موقع الجبال" بتاريخ الثلاثاء 26/نوفمبر/2024.

الياسمين والقداح لكتابة مقال وتقرير صحفي وإنساني بعطر فواح (*)

إذا كنت تطمح بأن تكون كاتبا محترفا يريد مغادرة عتبة الهواة وإلى غير رجعة وولوج عالم المحترفين والمخضرمين في الصحافة المجتمعية والإنسانية فعليك أن تهتم جديا بمعاني المفردات ومدلولات الألفاظ والمصطلحات، وأن لا تخلط حابلا بنابل، وأن لا تأتي بالمصطلح جزافا على عواهنه هكذا من دون تمحيص ولا فهم لمعناه لتضعه في غير موضعه ظنا منك بأن هذا هو مكانه الصحيح وموقعه المؤثر فتقع بالمحذور وبما لا تحمد عقباه.

أقول ذلك لأنني وبفعل صحافة المواطنة التي شاعت مؤخرا وبمساعدة منصات التواصل بت أشخاص أخطاء كارثية، وخطا عجيبا بين الكلمات والمفردات ولاسيما منها المترادفات، مثال ذلك أن مفردة حبس غير مفردة سجن، فكن على بينة من أمرك، لأن الحبس في القوانين العربية الوضعية مدته تتراوح بين 24 ساعة وصولا إلى 3 سنين، أما السجن فمدته من 3 سنين إلى المؤبد أو مدى الحياة"، كذلك الجناية غير الجنحة، فالجناية عقوبتها السجن، والجنحة عقوبتها الحبس، كذلك السجن المؤبد = 25 عاما، أما مدى الحياة = حتى الممات في حال لم يصدر عفو خاص أو عام أو تقليص مدة المحكومية لحسن السيرة والسلوك وبالتالي فإن الاتيان بالمؤبد للدلالة على مدى الحياة، أو ذكر السجن بدلا من الحبس، والجنحة بدلا من الجناية في سياق النص المكتوب يعد بمثابة خطأ فادح والعكس بالعكس.

وكل ما ذكرته آنفا يعني شيئا واحدا ألا وهو أن تكون مجتهدا وملما بشيء ولو كان يسيرا من مصطلحات القانون والفلسفة والاقتصاد والسياسة ومفاهيم المحاكم والنظم والدساتير كجزء من المنظومة الاحترافية في الكتابة وكخطوة مهمة في طريق الالف ميل إذ من غير المعقول ولا المقبول بالمرة أن تكتب مقالا أو عمودا صحفيا ثابتا مخصصا لك في الصفحة الرياضية، وأنت لا تفرق بين القائم والعارضة، ولا بين الفاول والأوف سايد في كرة القدم، ولا تفرق بين الكونغ فو الصينية والكاراتيه اليابانية والتايكواندو الكورية والمواي تاي التايلندية والسيالات المايزية وكلها فنون قتالية، ومن المعيب جدا وأنت تعد الصفحة الرياضية أن لا تفرق بين المصارعة الحرة والرومانية في عالم المصارعة الاولمبية، ولا بين سباحة الظهر والصدر والحرّة والفراشة في رياضة السباحة الاولمبية، ولا بين رفعة النتر ورفعة الخطف في رياضة رفع الأثقال وقس على ذلك بقية الزوايا والصفحات الثابتة. التأين على سبيل المثال لا الحصر هو غير النعي وغير النذب وغير العزاء، فالتأين هو الثناء على الميت وبيان فضائله واستعراض مزاياه بعد وفاته، أما النعي فهو إعلان وفاته وبيان ذلك للناس "تنعى نقابة الفنانين المصريين فقيدها الراحل الفنان فلان الفلاني الذي وافاه الأجل المحتوم بمرض عضال عن عمر ناهز الـ 70 عاما... الخ"، فيما النذب هو البكاء على الميت والحزن عليه، وربما إظهار الجزع بوفاته أيضا، وأما العزاء فهو تطيب خاطر ذوي المتوفي وتفقد أحوالهم وتقديم واجب العزاء لهم والتفكير في الموت وما وراءه للعبرة والعظة. وكلها تندرج تحت عنوان جامع هو "الرثاء" وللعرب باب أدبي كامل ومتكامل في المراثيات، فمنهم من رثى حاله، ومنهم من رثى وطنه، ومنهم رثى قومه، حبيبته، ابنه، أمه، أطلاله، زمانه، وهكذا دواليك وبالتالي فإن الخلط بينها غير مقبول وغير محبب بالمرة!

التقريب غير التقديم وغير التوطئة في الكتب والمؤلفات، فالأول هو مدح الكتاب ومؤلفه على سواء في حياته، أما الثاني فهو التعريف بمضمون الكتاب وفصوله عموما، أما التوطئة فهي بمثابة موضع القدم الذي تطلأ به عتبة الباب تمهيدا لولوجه!

قرض الشعر، غير نظم الشعر، غير كتابة الشعر، فالأول ويسمى بقريض الشعر يعني أن تحفظ عن ظهر قلب وتردد وتسترد وتكتب وتنقد وتفسر وتشرح ما نظمه غيرك من السابقين واللاحقين من أبيات وقصائد شعرية

وبيان مواطن جمالها أو قبحها، الوقوف عند نقاط ضعفها وقوتها، بيان محاسنها ومعاييها، بخلاف نظم الشعر ويعني أنه من قريحتك الشعرية، ومن بنات خيالك، ومن نظمك أنت شخصيا على الوزن والقافية وبحور الشعر السبعة إذا كان شعرا عاموديا، وعلى وحدة التفعيلة إذا كان شعراً حرّاً، وإن كان خاليا من الخيال الشعري والسحر والمعنى والمضمون، وإن كان مفرغا من التشبيهات والمجازات والتحسينات والاستعارات والكنايات، بخلاف كتابة وقول وإلقاء الشعر ولو ارتجالا، فهذا يتضمن الوزن والقافية فضلا على سحر البيان والمعنى والمغزى والمضمون والصور الشعرية المنثالة المبهرة نحو قول المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وأبيات نصر بن سيار:

أرى تحت الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكي وإن الشر مبدؤه كلام

الجشع غير الطمع، الأول يتمثل بالرغبة العارمة للاستيلاء على ما بيد الغير وإن كان قليلا، ولو كان ما عندك وما بحوزتك أكثر منه بكثير، أما الطمع فيعني الرغبة بالمزيد سواء أكان للغير مثلها أو أكثر أو أقل نحو "أن يكون لك بيت فاره فتطمع بيتين وتتمنى لجارك السكن في شقة مستأجرة قديمة بعمارة متهالكة" فهذا هو الجشع، أما أن تكون لك سيارة وتريد سيارتين ولو كان لجارك مثلها فهذا طمع ولا يملأ فم ابن آدم إلا التراب، علما بأن ليس للكفن جيوب ولن نرحل عن هذه الدنيا الفانية بغير القطن والكفن، ولله در الشاعر محمود الوراق العباسي، وإن من البيان لسحرا، قائلا في ذلك:

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيراثاً لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلَوْا الْبُكَاءَ فَمَا يُبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
مَالَتْ بِهِمْ عَنْكَ دُنْيَا أَقْبَلَتْ لَهُمْ وَأَدْبَرَتْ عَنْكَ وَالْأَيَّامُ أَحْوَالُ!

الاعتقال غير الأسر غير السجن والجبس، الأول يطلق على عملية إلقاء القبض على المعارضين السياسيين ومعارض الفكر والمنهج في الأعم الأغلب، وأما الثاني فيلقاء القبض يكون من قبل الأعداء، وأما الجبس والسجن فعلى المتورطين بجنح أو جنایات، ولا يصح أن تقول "لقد تم أسر تاجر المخدرات فلان الفلاني..أو اعتقال قاتل جاره علان العلاني".

كذلك المشرّد فهو غير النازح وغير المهجر وغير المهاجر وغير اللاجئ، الاول يسكن الفيافي والقفار ويفترش الأرضة لضر مادي ومعنوي ونفسي قد لحقه وألم به وأصابه على حين غرة، فيما الثاني كان قد هجر داره ومنطقته بسبب الحروب والكوارث الطبيعية وأمثالها ما اضطره لترك مسكنه ودياره ليسكن الخيام والكامبات بعد أن صار نازحا، فيما الثالث قد أجبر على الهجرة بحثا عن لقمة العيش، عن الأمان الضائع، عن المستقبل المفقود والمجهول في بلده وفي - زمان - قد يطول وقد يقصر، أما المهجّر فهو من أرغم على هجر منطقته ودياره

عنوة وبالقوة لتغييرات ديمغرافية تعقب أو تتزامن عادة مع الحروب الأهلية والاحتراب الداخلي، بينما اللاجئ هو من فر بدينه، بنفسه، بفكره، بعلمه ليطلب اللجوء الإنساني أو السياسي في بلد آخر لظروف اجتماعية وسياسية قاهرة تعصف ببلده الأم لم يعد بمقدوره تحملها، وللعرب أدب رفيع في مآسي " المخيمات والمنافي والمهاجر والاغتراب والتشرد واللجوء " ومن المفارقات المحزنة أن الأدباء والمثقفين العراقيين لهم باع طويل في هذا اللون الأدبي والإنساني الرفيع ولطالما كتبوا عن محنة ولاجئي فلسطين الحبيبة بسبب جرائم الكيان، كذلك عن محنة الجزائري أيام الاستعمار الفرنسي، وعن معاناة اللبيين أيام الاستعمار الايطالي، وعن معاناة المغاربة أيام الاستعمار الاسباني، والارتييرين أيام الإستعمار الإثيوبي ومثلها الصومالي حتى جاء الوقت الذي صار فيه المثقفون العرب كلهم هم من يكتبون عن نزوح العراقي وهجرته وتهجير قسريا ولجونه إجباريا بعدما كان ملاذا آمنا وبيتا حاضنا وقلبا رحيمًا دافنا لكل اللاجئين العرب، والله تعالى في خلقه شؤون!

البخل غير الشح، فالشح هو السعي المحموم للحصول على شيء تغلفه الانانية والجشع، بينما البخل هو التقصير ببذل ولو جزء يسير منه بعد قبض الشيء والحصول عليه لا قبله، كما أن الشح يكون حتى في العلم والتعليم وبذل الجاه والنصيحة وزكاة الحسب والنسب والمكانة فالشحيح لا يتوسط ولا ينصح أحدا إلا بمقابل مادي أو معنوي، بينما البخل غالبا ما يكون بالمال.

الحجة غير البرهان، الأولى تقدم بالأدلة القطعية الثابتة، وبالأدلة الظنية المحتملة، بينما الثاني = البرهان لا يقبل إلا بالقطعيات الدامغة ليكون فيصلا في المناظرات والمناقشات والحوارات والمرافعات.

الفرح غير السرور غير السعادة، وإن كانت كلها نقيض الحزن والأسى، فالأولى وقتية عابرة تتعلق بأحداث أو أخبار آنية حسية، وأما الثانية فمؤقتة أيضا ولها علاقة بالقضايا المعنوية المتوقعة وغير المتوقعة = توقع نجاح، ترفيع، علاوة، تعيين، بعثة، زمالة.. وهلم جرا "، بينما السعادة فهي دائمية ومنبعها القناعة والرضا والطمأنينة القلبية والسكينة النفسية.

البدن، غير الجسد، غير الجسم، غير الجثة، غير الجثمان، فالأول يتطرق الى كل ما دون الرأس، والثاني يختص بالإنسان وحده، والثالث يشمل جميع المخلوقات، بينما

الجثة تطلق لتوصيف جسم الإنسان بعد الموت وبالأخص في القضايا الجنائية والمادية والطبية، بينما الجثمان يستخدم لتوصيف جسم الإنسان من النواحي الاجتماعية والشرعية والاعتبارية والأدبية، فلا تقل "تم نقل جثة العلامة الكبير فلان الفلاني الى مثواه الأخير" وإنما "تم نقل جثمان العلامة الكبير فلان الفلاني.."، كما أنك لا تقول، لقد تم تشريح الجثمان، وإنما لقد تم تشريح الجثة.

العلم غير المعرفة، الأول يستحصل بالتعلم والتعليم، بينما الثاني بالتجارب الشخصية والافادة من مثيلاتها الانسانية السابقة واللاحقة كذلك من الاعراف والتقاليد والخبرات المتراكمة والمشورة ونحوها فضلا عن التعلم والتعليم.

الخلق غير الخليفة، فالخلق مصطلح يطلق على البشر، وأما الخليفة فيطلق على سائر المخلوقات.



قل ولا تقل

لطالما استثمرت يوم الضاد العالمي في 18 كانون الأول/ ديسمبر سنويا لمطالعة بعض علوم النحو والصرف والبلاغة والأدب العربي لشحد الذاكرة، ولتصويب ما يكمن تصويبه من أخطائنا اللغوية المتكررة أو التي تسقط سهوا من دون قصد خلال كتابة التقارير المتلفزة والمقالات الصحفية، وتشخيص عدد من هفوات بعض الصحفيين والمراسلين الشباب، وأقول لصديقي وزميلي الصحفي والمراسل الإنساني، كذلك الكاتب الواعد والمجتهد الرحماني:

- لا تقل من الملفت للنظر..وقل من اللافت للنظر.
- لا تقل قال البعض..بل قل "قال بعضهم".
- لا تقل إنذار أخير الى كافة الموظفين المتقاعسين..وقل انذار أخير الى الموظفين المتقاعسين كافة.
- لا تقل الرجل الغير المتلزم..وقل الرجل غير الملتزم.
- لا تقل ساهم بتحرير الخير..وقل أسهم بتحرير الخير.
- لا تقل المنتجات النفطية..وقل المنتجات النفطية.
- لا تقل تغطية وقائع المؤتمر..وقل نقل وقائع المؤتمر.
- لا تقل الطبيب الخفر..وقل الطبيب الخافر.
- لا تقل رواية شيقة..وقل رواية شائقة.
- لا تقل كتاب ممتع..وقل كتاب مائع.
- لا تقل عمل مشين..وقل عمل شائن.
- لا تقل المظاهرات الشعبية..وقل التظاهرات الشعبية.
- لا تقل الطبيب الاخصائي..وقل الطبيب الاختصاص.
- لا تقل مطالب المعتمدين..وقل مطالب المعتمدين.
- لا تقل شخص يحتذى به "يعني يلبس كالحذاء" ..وقل شخص يحتذى حذوه.
- لا تقل رضح له " لأن الرضح إنما يكون بالحجارة" ..وقل أذعن له.
- لا تقل الغلط اللغوي..وقل الخطأ اللغوي.
- لا تقل خارج عن القانون..وقل خارج على القانون.

- لا تقل تخرج من الجامعة..وقل تخرج في الجامعة.
- لا تقل المدراء العامون...وقل المديرون العموميون.
- لا تقل كادر العمل..وقل طاقم العمل.
- لا تقل خبر هام " لأن هام من الهم والحزن " ..وقل خبر مهم.
- لا تقل متواجد هنا " لأن التواجد من الوجد " ...وقل موجود هنا.
- عندما يخاطب المسؤول الأعلى من هو أدنى، يقول "يرجى"، ولكن وعندما يخاطب الأدنى من هو أعلى يقول "نرجو".
- قل ربت كتفه..ولا تقل ربت على كتفه.
- قل التقى عمداء الكليات، ولا تقل التقى بعمداء الكليات.
- لا تقل سيما الرجل..وقل لاسيما الرجل.
- لا تقل صلي..وقل صل.
- لا تكتب انشاء الله..وأكتب ان شاء الله.
- لا تكتب "انتي أيتها المرأة الطيبة" ..واكتب أنت...
- الصفة تتقدم على الموصوف عموما فلا تقل "الدكتور فلان الفلاني رئيس جامعة كذا" ..وقل "رئيس جامعة كذا، فلان الفلاني".
- عنوان الخبر لا يبدأ بفعل ولا برقم ولا بحرف جر فلا تبدأ عنوان خبرك برقم نحو " 55 قتيلا وجريحا في حادث مروري على الطريق الخارجي" ولكن قل "مقتل واصابة 55 شخصا بحادث مروري على الطريق الخارجي".
- متن الخبر يبدأ بفعل ولا يبدأ بحرف جر فلا تقل على سبيل المثال لا الحصر "عن دار النهضة صدر كتاب جديد بعنوان.." ولكن قل "صدر عن دار النهضة كتاب جديد بعنوان"، ولا تقل "باشراف عميد الكلية ناقشت طالبة الماجستير رسالتها الموسومة.." ولكن قل "ناقشت طالبة الماجستير رسالتها الموسومة باشراف عميد الكلية".
- التنبيه الى عدم الخلط بين ال"ضاد" و"الظاد" فشتان ما بين "ضل الرجل" بمعنى حاد عن الطريق القويم، وبين "ظل الرجل" أي بقي مكانه، وأسهل طريقة للتفريق بينهما على قول النحاة واللغويين هي أن "اللسان وحين النطق بالضاد أخت الصاد يكون داخل الفم، فيما يكون جزء من اللسان خارج الفم حين النطق بالضاد أخت الطاء"، ولا أدري حقيقة لماذا يكتب بعضهم كلمة ضابط "هكذا" ظابط "فيما يكتب بعضهم الآخر الياء المقصورة نهاية الكلمة بنقطتين أسفلها، بينما يكتب وفي نفس الصفحة وبعد عدة أسطر حرف الياء في نهاية الكلمة من دون نقطتين تحته، وحبذا لو أوضحوا لنا الأسباب للفائدة العامة.

إتحاف الأنام بشاعرية ورقة الأقلام

إذا أردت أن تكون كاتباً إنسانياً مؤثراً يغلب على مقالاتك فيض من الشاعرية والوجدانية الجياشة فعليك أن تحفظ أبرز أمثال العرب مع فهم واستيعاب مدلولات ومضامين قصصها ومغزاها وجلها حقيقية وأشهرها: "على نفسها جنت براقش"، "جزاء سنمار"، "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها"، "لم يبق في قوس الصبر منزع"، "بلغ السيل الزبى"، "أشأم من رغيف الحولاء"، "دقوا بينهم عطر منشم"، "أشأم من البسوس"، "أشأم من طويس"، "وعند جهينة الخبر اليقين"، "القول ما قالت حذام"، "رمتني بدائها وانسلت"، "وافق شن طبقه"، "عاد بخفي حنين"، "إياك أعني واسمعي يا جارة"، "في الصيف ضيعت اللبن"، "سبق السيف العذل"، "قطعت جهيزة قول كل حكيم" وغيرها الكثير ولكل مثل من هذه الأمثال العربية الأصيلة حكمة واقعية تصلح شاهداً لكل زمان ومكان، وبالأخص في المقالات الاجتماعية والإنسانية المطلوبة.

وما يصدق على الأمثال العربية الفصيحة يصدق كذلك على الأمثال الشعبية الجميلة ذات المعاني العميقة الأكثر استخداماً وشيوعاً بين الشعوب العربية نحو: "الدنيا بالضيق بتورجيك مين ببيعك ومين يشترك- مثل سوري- و" إن كنتو نسيتمو اللى جرا، هاتو الدفاتر تنقرا"- مثل مصري- و"يا مكثراً أحبابي يوم ظرفي دبس، ويا قلة أحبابي من ظرفي يبس"- مثل عراقي- و"اللي ما يعرف الصقر يشويه.."- مثل سوداني- وهلم جرا. ولا بد من حفظ عدد لا بأس به من أبيات الحكمة وأكثرها رشاقة وعمقا وجمالاً نحو:

- "ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم"
و "لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن"
و "ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تمشي على اليابس"
و "من يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر"
و "تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن تأكله الكلاب، وعبد قد ينام على حرير وذو نسيب مفارشته التراب،"
و "إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يبتسم"
و "لا تحقرن صغيراً في مخاصمة إن البعوضة تدمي مقلة الأسد"
و "ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء"

ومثلها العشرات، بل قل المئات من أبيات الحكمة الشعرية التي يحفل بها تراثنا وتاريخنا الأدبي المجيد، ولا شك أن حفظ هذه الأمثال والحكم والأبيات عن ظهر قلب يعينك على استدعائها فوراً عند الخطابة والكتابة واللقاء بسرعة البرق في لحظتها لأنها حاضرة في الذهن، وعلى طرف اللسان، ولا سيما الاجتماعية منها والنفسية والإنسانية نحو أبيات الشاعر العباس بن الأحنف، والتي يقول فيها مشخصاً بعض أمراض المجتمع العضال، راصداً قسماً من آفاته وعلله وأعرافه الفكرية والأخلاقية الواهنة:

يمشي الفقير وكل شيء ضده	والناس تغلق دونه	أبوابها
وتراه مبعوضاً وليس بمذنب	ويرى العداوة لا يرى	أسبابها
حتى الكلاب إذا رأته ثروة	خضعت لديه	أذنانها
وإذا رأته فقيراً عابراً	نبتحت عليه	أنيابها

وكما جاء في الأمثال البغدادية ما يوازئها في قولهم "إذا تجشأ الغني قالوا له: عوافي، وإذا تجشأ الفقير قالوا له: وجع"، "وإذا لبس محدث النعمة ثوباً جديداً قالوا له: بالعافية، تعيش وتلبس، ليضيف بعضهم عبارة: لبست

جديداً، وعشت سعيداً، ومت شهيداً!!!، ولكن إذا ما استبدل الفقير ثوبه المرقع الرث البالي يوماً وبعد عمر طويل قالوا له: من أين لك هذا؟!".

والحقيقة أن هذه الآفات المجتمعية وبعضها متغلغل وراسخ ومتجذر بحاجة الى تغيير شامل وكامل وعلى مختلف الصعد، ولعل واحدة من أهم الطرائق والوسائل والسبل لتحقيق ذلك إنما يكمن في إشاعة مفاهيم الخير والعمل التطوعي الإنساني إعلامياً لتفتح الأبواب بوجوه الفقراء بدلاً من غلقها، بل ولتطرق أبواب الفقراء وتشد الرحال الى خيامهم وأكواخهم وعشوائياتهم بغية مساعدتهم وفي عقر دورهم، بدلاً من طرقهم أبواب الأغنياء ليدفعوا عنها، أو يطردوا منها، أو يعطوا بقايا خبيث الموائد والفضلات والفتات، وربما بقايا النفائات أيضاً! بإسادة ياكرام إنها مسؤولية جماعية تتولاها الصحافة الإنسانية، والتربية الأسرية، والإدارات المدرسية، والخطب المنبرية، ودروس الوعظ والارشاد والمحاضرات الدينية، إضافة الى التقاليد الحسنة والأعراف المجتمعية.

وعلى نحوها أبيات شعرية لأبي العتاهية رصد من خلالها منظومة الكرماء والبخلاء وأبرز خصال هذين النقيضين، والضدين النوعيين المتعايشين رغماً عن أنفهما مع بعضهما يقول في بعضها:

إذا	اغتنى	البخيل	فلا	تزره	فبيت	الشُّح	تنقصه	الزيادة
وإذا	افتقر	الكريم	فزره	فشم	الورد	بعد	القطف	عادة

ومثلها الأبيات التي تحض على اغتنام الفرص وعدم تضييع الوقت واهدار ساعات العمر هباءً منثوراً:

إذا	هبت	رياحك	فاغتنمها	فعقبى	كل	خافقة	سكون
ولا	تغفل	عن	الإحسان	فيها	فَمَا	تدري	السكون متى يكون

كذلك قول أبو الحسن الجرجاني:

إذا أنت لم تَزَرَ وأبصرتَ حاصداً
ندمتَ على التفریط في زَمَنِ البَذْرِ

والأبيات الأخيرة والتي قبلها مستلهمة من زبدة وحكمة الحديث النبوي الشريف "اغْتَنِمْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" كما في صحيح الترغيب.

محاذير صحفية

تجنب يا رعاك الله الكتابة بالعامية وباللهجات الدارجة ما أمكن لك ذلك، ولابأس ببعض المفردات والمصطلحات والأسطر لتطعيم النص وإضفاء روح الدعابة والفكاهة عليه بين الحين والآخر وبالأخص في كتابة المقالات التي تندرج تحت يافطة الكوميديا السوداء، كذلك في نصوص فن الستاند أب كوميدي، مع وضعها بين اقتباسين أو شارحتين، ولابأس بكتابة مقال كامل بهذه اللهجة الدارجة موجه الى شرائح ما للتورية الساخرة واستخدام الرمزية المفهومة شعبياً والمستوعبة جماهيرياً بين الحين والآخر وكما كان عليه الحال أيام زمان مع "صحيفة حبزوز" الساخرة، لرئيس تحريرها السيد نوري ثابت، ومثلها صحيفة "جفجير البلد" لرئيس تحريرها السيد ضاري إبراهيم، وكان للصحيفتين شعبية طاغية على خلفية هذا الأسلوب التهكمي الساخر في فن كتابة العمود

الصحفي وتحرير الخبر، زيادة على رسوم الكاريكاتير البديعة التي كانت تزين صفحاتها وتنقل معاناة الناس وواقعهم رمزيا، وقد أبدعت "مجلة ألف باء" أيام السبعينات والثمانينات وحتى منتصف التسعينات بفن الكاريكاتير المذهل الذي طرز صفحاتها وما يزال المثقفون يقتنون أو يحتفظون بأعدادها طمعا بمتابعة رسوما اللادعة تلك، وكما كان عليه الحال مع أغاني وروائع المونولوجست عزيز علي، كذلك قصائد الملا عبود الكرخي، وغيرها من القصائد والبستات والأهازيج والطقطوقات والدارميات والابوذيات والهوسات الشعبية والمربعات البغدادية باللهجات الدارجة وكلها محببة الى قلوب الناس وقريبة من نفوسهم، ومعظمها ما يزال يتردد على ألسنة معظمهم وبعد مرور 90 - 100 عام على إطلاقها ونظمها، كل ذلك بخلاف إشاعة العامية واللهجات المحلية الدارجة في الكتابة والخطابة والإلقاء باستمرار ومن غير محاذير ولا ضوابط تذكر وليس على سبيل التنوع والإختيار وإنما على حساب اللغة العربية الفصحى بالتزامن مع الدعوة للكتابة بالعامية التي أطلقها ومارسها واقعا أمثال يعقوب صنوع، وسلامة موسى، وأنيس فريحة وغيرهم خلال القرن الماضي وذلك امتثالا لما كان قد دعا إليه المستشرق الألماني "وليلم سييتا"، فهذا الأسلوب الأخير وبخلاف سابقه هو ديدن المستشرقين والمستعربين ومن لف لفهم وغايتهم هي أن لا يفهم العرب بعضهم بعضا، فلو أنني كتبت مقالا بالعامية البغدادية فلن يفهم ثلاثة أرباع ما كتبت معظم القراء الشاميين والمصريين، ولو كتب شمال إفريقي مقالا باللهجة الجزائرية أو المغربية أو التونسية الدارجة فلن يفهم أهل المشرق العربي أيا من مقالاتهم قط والعكس صحيح..والخلاصة هي لا بأس بالكتابة بالعامية أحيانا وبين الفينة والأخرى عندما تكون هناك حاجة ماسة لكتابتها، ولكن إياك أن تدمن، أو أن تواصل الكتابة بها، أو أن تحصر قلمك وتقيده بها، إلا لغاية نبيلة منشودة ما!!

إمامك وعنايتك ولو بأهم القواعد الكلية الفقهية وفروعها ومعانيها ومراميها مهم جدا لأنها تمثل مقاصد الشريعة الغراء المستلهمة من الكتاب والسنة نحو: إذا ضاق الأمر اتسع، ولا ضرر ولا ضرار، والضرورات تبيح المحضورات، المعروف عرفا كالمشروط شرطا، والأجر والضمان لا يجتمعان، والغرم بالغم، اليقين لا يزول بالشك، العبرة بالمضامين لا بالعناوين، الأمور بمقاصدها، ما بني على باطل فهو باطل، ما حرم بيعه حرم شراؤه، الحاجة تنزل منزل الضرورة، السكوت في معرض الحاجة بيان، الأصل براءة الذمة، الضرورات تقدر بقدرها، درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، العبرة بالغالب الشائع لا بالقليل النادر، البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر، يدفع الضرر قدر الإمكان، ولا يزال الضرر بمثله، ما لا يدرك جله لا يترك كله، المعروف عرفا كالمشروط شرطا، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب "وأشباها ونظائرها من روائع القواعد الفقهية الكلية والفرعية ومقاصدها الشرعية، ولكن إياك أن تتقعر أو تتبختر أو تتمشدد أثناء الكتابة لتكثر من سوق ألفاظ ومفردات ومصطلحات ليس بوسع عوام الناس، وربما بعض خواصهم أيضا فهمها، وأنت تردد عبارة وكما سمعتها من بعضهم: "لا عليّ إن لم تفهم البقر!!" لأن الرسالة الإنسانية إذا لم تصل لتحرك البرك الراكدة وتصنع وعيا جمعيا هادفا فلا داعي لكتابتها ابتداء!

كذلك الحال والعناية بفنون البلاغة العربية حيث المعاني والبيان والبديع والكناية والتشبيه والاستعارة والمجاز، ومثلها العناية بأساليب الكتابة الأدبية تارة بأسلوب الواقعية المباشرة، وأخرى بالرمزية، أو الكلاسيكية، وربما بالشعبية أيضا في وقت ما، ولجمهور ما وللضرورة القصوى التي قد تحتّمها الظروف المحيطة، ويفرضها الواقع والبيئة.

الإلمام بأشهر وأهم المصطلحات الفكرية والسياسية والاقتصادية والفلسفية والاجتماعية وأكثرها تداولاً في البحوث والتحليلات ونشرات الأخبار، وأهمية الإحاطة بمعانيها لمعرفة الفروق فيما بينها لتنزل كل واحدة منها في مقالك الإنساني بمنزلة الصحيح، ولتضعها بموضعها المناسب، وأهمها راهنا من وجهة نظري الشخصية هي:

الديماغوجية، البراغماتية، الدوغماتية، الليبرالية، الشوفينية، الميتافيزيقية، الأناركية السوفسطائية، الابدستمولوجيا، الانطولوجيا، التكنوقراطية، الراديكالية، العلمانية، التيقراطية، الكلبتوقراطية، الاوتوقراطية، البيروقراطية، الارستقراطية، المكارثية، الاوليفارشية، الامبريالية، الفاشية، النازية، النوستاليجيا، البلوتوقراطية، الديموقراطية، التضخم الاقتصادي، الانكماش، الركود، الكساد، تعويم العملة المحلية، رفع أو خفض أسعار الفائدة، ونحوها من مصطلحات، زيادة على مفاهيم ومصطلحات الذكاء الاصطناعي والبرامج الرقمية، وذلك لكثرة تناولها عبر وسائل الإعلام مع جهل العوام شبه المطبق بمعانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، وإن كان بعضهم يلوكها ويتخللها بلسانه باستمرار، وحبذا شرحها وتوضيح معانيها ومراميتها للناس وبأسلوب مبسط تباعا.

الحوارات والمراسلات والتحقيقات الصحفية الإنسانية

الحوار الصحفي البناء سواء أكان مرثيا أم مسموعا أم مقروءا ولكي لا يتحول الى نهيق ونعيق ونعيب وخوار هدام تطلق من خلاله الاتهامات العشوائية، والتهديدات الثأرية، والعبارات الانتقامية، وتثار من جرائه كما في بعض الفضائيات العربية الحزازيات المناطقية، والنعرات الطائفية، وبما يهدد التعايش الوطني والسلم المجتمعي بأسره، فلا بد من مراعاة المهنية والموضوعية خلال إجرائه وفرض بعض الضوابط على الضيوف مقدما لكي لا يطلقوا العنان لألسنتهم حين -يحيى حمام أحدهم - قبل أن يعتذروا لاحقا عن بعض أو كل ما تفوهوا به ملقين باللائمة على كاهل المتلقي والمشاهد والمستمع لأنه لم يفهم مقصدهم ليتهمونه بدلا من لوم أنفسهم بقلة الفهم وضعف الادراك والاستيعاب!!

ومعلوم بأن فنون الحوار الصحفي تتضمن ثلاثة أنواع رئيسة، أولها (حوار المعلومات) وهو حوار مع شخص واحد لمناقشة عدة مواضيع، ويتم إجراؤه مع شخص له دراية كافية وخبرة واسعة في مجال تخصصه للاحاطة بموضوع تخصصه من جميع الجوانب " = استضافة وزير كهرباء سابق للحديث معه عن معظم مشاكل الطاقة وسبل توفيرها وطرق حلها"، و ثانيها هو (حوار الرأي) وهو حوار مع عدة أشخاص لمناقشة موضوع واحد محور الحلقة، ويستضيف أكثر من شخص معني بموضوع الحوار ومضمونه لبيان وجهات النظر المختلفة أو المتفقة بشأنه " = الحديث عن موضوع المخدرات مثلا وذلك باستضافة رجل دين، باحث اجتماعي، رجل قانون، استاذ جامعي، طبيب نفسي " للحديث عن موضوع واحد يمثل محور النقاش، وثالثها (حوار الشخصيات) ويركز على الشخص الذي يتم محاورته وإستعراض سيرته المهنية والشخصية، ومسيرته الابداعية، وأبرز محطاته، مؤلفاته، دواوينه، شهاداته، اخفاقاته، تكريماته، صوره، أسراره، ذكرياته، يومياته.. الخ ومن غير المحبذ ولا المهني ومن الخطأ بمكان خلط هذه الأنواع الحوارية المختلفة ببعضها في سياق حوار واحد!

أما عن التحقيقات الصحفية الرصينة ولاسيما منها الاستقصائية، فلا بد من إدراج معلومات، وتضمينها تصريحات شخصيات، وسوق أرقام ووثائق وصور إن وجدت وإحصاءات، ولا بد من مقدمة خبرية مثيرة، وعناوين فرعية مستفزة، وخاتمة مستوفية، وتساؤلات صحفية مغلقة موجهة للجمهور، وأخرى تتضمن تساؤلات مفتوحة موجهة للمسؤولين، وإلا فإن التحقيق الصحفي سينتهي على شكل موضوع إنشائي لا قيمة صحفية ولا معلوماتية له البتة.

أما الى المراسلين الميدانيين فخلاصة نصيحتي لهم هي إياك أن تظهر ومن خلفك شخص مستطرق بيتسم للكاميرا وأنت تتحدث عن كارثة إنسانية أو مأساة، وإياك أن يظهر من ورائك من يرفع علامة النصر وأنت تتحدث عن جملة الهزائم والانكسارات وعلى مختلف الصعد والمستويات، وإياك أن تستضيف من يدمن البكاء والعويل

والشكوى واطلاق العبرات والزفرات والآهات وتمزيق القمصان والدشاديش، أمام وسائل الإعلام والكاميرات، إياك أن تستضيف من يطلق سيلا من التصريحات والعنتريات والتهديدات أمام الكاميرات فأمثال هؤلاء وعلى قول الشاعر أسد عليّ - أمام عدسة الكاميرا -، ونعامة ربداء - بعيدا عنها - تجفل من صفير الصافر، إياك أن تستضيف معتوها أو سكيراً أو مكبسلاً لا يعي، ولا يزن، ولا يدرك ما يقوله، ولا ما يتفوه به أمام العدسات، إياك أن تستضيف متمنطقاً ومتلفسفا يدور حول أسئلتك ويتحایل عليها ويتنصل منها ولا يجيب عنها بقدر محاولته استعراض ماضيه وبطولاته ومهاراته الكلامية مع بعض المبالغات والتوابل والفرارات ليتخلل بلسانه تخلل البقر، إياك أن تكرر معظم تقاريرك المتلفزة إنطلاقاً من مكان واحد، أو من عدة أماكن متقاربة جغرافياً، ستهتم بالكسل والخمول جماهيرياً، وبالتقاعس والمراوغة من قبل إدارة الإذاعة أو الصحيفة أو المجلة أو القناة إعلامياً، وإياك أن تكرر ضيوفك، أو مضامين تقاريرك، وحاول تنويع الضيوف والمواضيع والتقارير باستمرار لتواصل سطوعك الإعلامي وإبهارك لكل من حولك.

وإياك إياك أن تضخم أحداثاً صغيرة وفردية وحصرية لتشيعها بين الناس على أنها ظاهرة عامة، نحو لدغ أفعى سامة لطفل في قرية عراقية ما في حادثة فردية لم تسجل مثلها من قبل ولا من بعد إلا بين فترات متباعدة، وإذا بخبرك وبدلاً من أن يكون عنوانه الموضوعي هو: " طفل صغير يتعرض للدغة أفعى سامة في قرية كذا" ليكون عنوانك المريب طمعا بالترند، وربما لإثارة الخوف وإشاعة القلق بين الناس، وربما لإشغالهم بخبر فردي عن كارثة جماعية فعلية تحدث قريباً منهم: "الأفاعي السامة تهاجم أطفال القرى وتثير الرعب في قلوب الفلاحين والمزارعين!!" ومثلها أن يعقر كلباً مسعوراً طفلاً واحداً في ناحية ما في حادث عرضي لم يحدث ما يماثله في هذه الناحية منذ سنين خلت، وإذا بخبر المهولين ونبأ المهاويل يأتي بعنوان كبير ومخيف: "الكلاب المسعورة السائبة تفتك بفلذات أكبادنا يومياً فهل من منقذ!!! هذا أسلوب خبيث وخنث ورخيص كان له ما يبرره في الستينات والسبعينات وحتى منتصف الثمانينات أيام الصحف والمجلات الورقية لكونه محدود التأثير وقليل الأثر وغايته جذب القراء وإثارة اهتمامهم، ولكن اليوم وبانتشار المنصات الرقمية وبوجود الفضاء السيبراني فإن مثل هكذا عناوين مثيرة ستنتشر كالنار في الهشيم لتثير الذعر في كل مكان وبما يطلق ألسنة المحللين - الطك عطية - والمصايين بنظريات المؤامرة ليصولوا ويجولوا في عالمي الأفاعي السامة والكلاب السائبة، وهل هي جزء من حروب الفضاء، والحروب الكونية والبيولوجية أم لا؟! وبما يطلق ألسنة الشامتين أيضاً ليصوروا الواقع المزري الراهن مقارنين إياه بما مضى وبما يحلو لهم تسميته ووصفه بالزمن الجميل "مع أنه لم يكن جميلاً ولا بطيخ" وبما يصدق فيه قول قائلهم "هذي العصا من تلك العصية، ولا تلد الحية إلا الحية" أو وبمعنى أدق "نفس الطاس ونفس الحمام" وعلى هالرنه طحينك ناعم.. يانواعم"، وخلصتها "مات كلب في البرية فاسترحنا من عواها...خلف الملعون كلباً فاق بالنبح أباه!!

فلولا خطايا وأخطاء وعبث وهراء وتجديف وغطرسة ما يسمونه بالزمن الجميل، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من بؤس وتعاسة وفاقة، ولما وصلنا راهنا البكاء والحزن والكآبة والانحطاط والعويل، والعبرة هي أن يقاس فاضل بأفضل، جميل بأجمل، صالح بأصلح.. لا أن يقاس رذيل بأرذل، ولا تعيس بأنعس، ولا ظالم بأظلم!!

والأهم من كل ما تقدم هو حذار من إخفاء نصف الحقيقة، وإظهار نصفها الآخر كما حدث ماضياً حين احتدم الصراع بين المسلمين واليهود على ملكية وعائدية جامع الكفل بمحافظة بابل حالياً، فأرسل الوالي العثماني آنذاك مصوراً لتصوير المكان وبيان عائدتيه من خلال المعالم التي ستظهر في الصور، وإذا بالمصور المرتزق وبعد

أن تم رشوته وعلى ما يبدو يسند ظهره الى منارة الجامع ليلتقط صورا للمكان من جميع الاتجاهات وبدرجة 180 وبما لم تظهر المئذنة في أي منها على الاطلاق، وبما عد يومها دليلا على أن المكان ليس إسلاميا بزعمهم!!



وأضيف أن إظهارك عمدا لمكب للنفايات على بعد أمتار من متنزه كبير وجميل لم تظهره كاميرتك، أو العكس، هو إخفاء لنصف الحقيقة مقابل إبراز نصفها الآخر كما حدث حين ظهر أحدهم وهو يصور فندق ومسرح الهلال القديم جدا الأيل للسقوط حاليا وسط بغداد، فيما لم يُظهر بعدسته شارع الرشيد الملاصق بحلته الجديدة بعد تأهيله وإعمارها وبأجمل ما يكون، ساعتها كان المصور يلتقط صورا لمسرح وفندق الهلال شبه المهدم والذي غنت فيه أم كلثوم عند قدومها الى بغداد عام 1932م، فيما لا قطعة المراسل التي تحمل لوغو القناة كانت مصوبة الى بعض المارة كعينات مستضافة عشوائيا ولا على

التعيين، وهم يتحدثون ويتساءلون بعد أن ركز المصور والمراسل السؤال والعدسة على المبنى المهدم: "هي هاي بغداد الحضارة؟!.. هي هاي عاصمة الرشيد؟!.. لعد وينكم يابه؟!.. وكان يكفيه أن يدير العدسة بضع مليمترات ليظهر شيئا آخر تماما غير ما يتم بثه وتصويره للمشاهدين، والحقيقة أن مثل هذه الأمور لا تنطلي على أمثالي - ممن كسروا كحوف الدنيا على رؤوسهم- وأنا في كل يوم عندي جولة في أزقة وشوارع وحارات بغداد القديمة والحيبية، إلا أنها ستنطلي حتما على العراقيين المغترين وعلى المشاهدين العرب ولا أشك في ذلك قيد أنملة!!

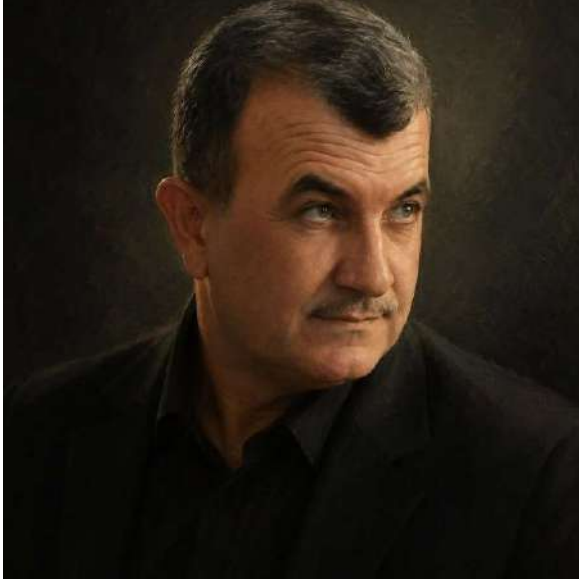
قبل أيام ظهر يوتيوبر لبناني في العراق = جل حي واحترامي واعتازي للاشقاء اللبنانيين بكل مكوناتهم وطوائفهم - بقلادته المتدلية على صدره، والوشوم البشعة تملأ ذراعيه طوليا وعرضيا، وهو يتحدث جلوسا على عربة خشبية يدفعها أحدهم ليقول وبطريقة المخنثين: "أوووي.. أففف، واووو، مطاعم وأكل وشرب - العراء - وفقا لهجته ما عجوني.. فننادق -العراء- ما عجيتي.. الشوارع وسخة... ما في شي نظيف ولا شي يستحق السفر الى العراق.. وهي ذقني إذا راح يجي أحد عندكن من هيك ورايح!!" وواضح جدا بأنها ليست آراء شخصية أدلى بها أحد اليوتيوبرية بكل حرية وشفافية، بقدر ما هي دعاية إعلامية مظللة تأتي بالصد من الإعلانات الترويجية لشركات السياحة العراقية، وبما يشبه كثيرا التيك توكر العراقي الذي يخفي وجهه وينشر ستورياته اليومية على منصة التيك توك ليظهر بمعظمها وهو يتناول وجبة غداء أو عشاء من أحد المطاعم العراقية الشهيرة، فيمدح هذا المطعم الى حد الهيام والعشق والغزل، فيما يذم ذاك المطعم الى درجة التسقيط والتهكم والهجاء، وواضح بأنه شخص نكرة ومبتز إنما هدفه الرئيس هو تسقيط بعض المطاعم المعروفة التي تهتم بوجباتها وبسمعتها ونظافتها كثيرا، بغية صرف زبائنهم عنها أو الدفع، ولا تفسير عندي لما يفعله الموما إليه غير ذلك، نعم لو أنه كان يتحدث عن النظافة أو القذارة للفت انتباه الجهات الرقابية والصحية لكان الأمر منطقيا بعض الشيء ومقبولا، إلا أن ستورياته كلها منصبة على طريقة إعداد الطعام وأسلوب تقديم الوجبات وجودتها من عدمها وبما يذكرني بالصحافة الصفراء التي تدم لتبتز لا لتصلح!!

إنها الحقيقة الناقصة التي يبرع بنقلها وعلى طريقة مصور الوالي العثماني الأنف بعض المصورين والمراسلين والمندوبين غير المهنيين ولا المؤتمنين ولا الموضوعيين بناء على توجيهات القناة أو المؤسسة أو الجهة الراعية، وربما

اجتهادا شخصيا منهم لدواع طائفية، وبدوافع سياسية أو قومية أو إثنية أو مناطقية ما، ونصيحتي لكل واحد من هؤلاء هي: "إما أن تنقل الحقيقة كاملة وكما هي من دون رتوش وبموضوعية ومهنية وحيادية قدر الإمكان وإن كانت خلاف ما تحب وتحلم وتعتقد وتتمنى، أو اترك الكتابة الصحفية وابحث لك عن مهنة أخرى بعيدا عن مشاقها ومخاطرها ومتاعها أغاتي!!".

(*) مقال المنشور في صحيفة كتابات بتاريخ 21 / آب / 2020، والمنشور في صحيفة " الحوار المتمدن " في العدد: 6653 بتاريخ 21 / 8 / 2020، والمنشور بعد الزيادة والإضافة والتنقيح في موقع " صوت الأمة العراقية " بتاريخ 15 / تموز / 2026.

حوار الصراحة مع الأستاذ حامد الفلاحي...اليقيم الذي صار مهندساً ورائداً لأدب الأطفال وثقافة الناشئة في العراق (*)



لطالما سأل القراء والمعجبون والمتابعون لمؤلفاته وكتبه الماتعة المتنوعة التي تغصّ بها رفوف المكتبات العامة والخاصة عن سرّ اهتمام هذا المؤلف غزير الانتاج- المولود في مدينة الفلوجة سنة 1964م- بأدب الطفولة وثقافة الناشئة، كيف لا وقد نشأ هذا المبدع العراقي يتيماً بعد أن توفّي والده وهو في سن الرابعة من عمره، وقد ترك اليُتم المبكر آثاره البعيدة في مستقبل حياته. نشأ في بيئة ذات أصول قروية تحكمها التقاليد ولم يكن فيها ما يشجّع على التفوّق والإبداع فلم يجد له فيها أُسوة، فعانى من الغربة المبكرة وهو يسير في دروب النجاح وحيداً وقد

تعجلَ أهله إدخاله المدرسة على خلفية نضوجه الفكري المبكر الذي منحه تفوّقاً على أقرانه. التحق بكلية الطب في جامعة الموصل أولاً سنة (1981) إلّا أنّه لم يجد في نفسه الرغبة بدراسة الطب فانتقل لدراسة هندسة البناء والإنشاءات في الجامعة التكنولوجية ببغداد ومنها حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة سنة (1985) فكان أول من يحصل على شهادة الهندسة بين إخوته وأبناء عمومته. إنّهُ المهندس والكاتب الهمام حامد الفلاحي، الذي تركنا في حيرة من أمرنا ونحن نغالب ونعصر أذهاننا لتحديد من أي المحطات الابداعية التي يتقنها نبدأ معه وكل محطاته تستحق أن يُبدأ ويستهل بها، ومن أي مرفأ نبحر معه، وكل مرافئه جديرة بالاهتمام والاستهلال والإبحار فكان هذا الحوار!

-صدر لكم في العاصمة العراقية بغداد كتيّب مصوّر تعليمي وتوضيحي عن كيفية أداء الوضوء والصلاة يتضمّن عبارة مختصرة لكلّ مسألة من مسائل الوضوء والصلاة مع صورة توضّح المقصود منها. يقع الكتاب في ستّ عشرة صفحة ملوّنة ويضم إحدى وعشرين صورة توضيحية، مع الأذكار الرئيسية في الصلاة والتشهُد والصلاة الإبراهيميّة والأدعية، ألحقت به أربع سور من القرآن الكريم هي سورة الفاتحة وثلاث سور قصيرة مع بيان معانيها، وتمّت مراجعة الكتيّب من قبل الدكتور طه الزبيدي. حدّثنا عن أسباب إعداد هذا الكتاب قليلاً.

* إعداد هذا الكتاب (فرض كفاية) قمنا به بعد أن اتّصل بي أحد الأخوة وفاجأني بقوله أنّه بحث عن كتاب مصوّر لتعليم الصلاة في الكثير من مكتبات بغداد فلم يجد تعليم الوضوء والصلاة للفلاحي يومها اتّصلتُ بالدكتور طه أحمد الزبيدي عضو الهيئة العليا للمجمع الفقهي العراقي الذي وافقني الرأي بضرورة إعداد كتاب مصوّر لتعليم الوضوء والصلاة، فقمّت بإعداده وتصميمه على برنامج الفوتوشوب وقام هو بمراجعته وتدقيقه والتقديم له. تساءلتُ يومها: إذا كانت مكتباتنا تخلو من كتاب لتعليم الصلاة، فأين هي مؤسساتنا المعنية؟

- بدأت القراءة في عمر مبكر في المرحلة الابتدائية وكانت قراءتك كثيرة حيث كنت تلتهم القصص التي كنت تستعيرها من مكتبة المدرسة، ثم قرأت بعد ذلك روايات نجيب محفوظ وكتب توفيق الحكيم وخالد محمد خالد، ثم توسعت قراءتك لتشمل كتباً قديمة وحديثة ومعاصرة فقرأت لابن كثير والإمام الشعراوي ولآخرين غيرهم كثير وكان لتلك القراءات الكثيرة دورٌ في صقل مواهبك وتنمية قدراتك. تُرى مَنْ هو الكاتب الذي أثر كثيراً في شخصيتك وصاغ أفكارك لاحقاً؟

* في مرحلة الدراسة المتوسطة قرأت كتاب (رجالٌ حول الرسول) لخالد محمد خالد رحمه الله تعالى وكان له وقعٌ خاص في نفسي، ذلك أنَّ أسلوب الكاتب فيه كان مختلفاً عن كلِّ ما قرأته قبله وعرفتُ لأول مرة حلاوة (السَّهل الممتنع)، ذلك الأسلوب الساحر الذي يجمع بين سهولة العبارة وبلاغتها. لقد كان خالد محمد خالد في كتاباته الإسلامية مجدداً في فن الكتابة، ولقد عشتُ في كتابه هذا مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأني معهم في بيوتهم ومسجدهم وغزواتهم.

قرأت لخالد بعد ذلك (خلفاء الرسول) و(عشرة أيام في حياة الرسول) و(هكذا تحدَّث الرسول)، وما زلتُ حتى اليوم أحاكي أسلوبه في الكتابة والرسم بالكلمات.

كاتبٌ آخر ترك أثراً كبيراً في شخصيتي هو الدكتور نجيب الكيلاني رحمه الله تعالى وهو طبيبٌ مصريٌ أبدع في كتابة القصص والروايات، وقد كتب أكثر قصصه ورواياته من عوالمه التي عاشها في الأرياف والمستشفيات والسجون، وقد قرأت بشغف كبير في عقد الثمانينيات من القرن الماضي رواياته التي صوِّر فيها معاناة الأقليات المسلمة في العالم مثل رواية (ليالي تركستان) و(عمالقة الشمال) و(عذراء جاكارتا) و(الظل الأسود)، وقد قرأت جميع رواياته التي تربو على الثلاثين.

- بداياتك كانت سنة (1986) وكنت يومها جندياً مكلفاً في مؤسسة الإسكان العسكري في صحراء حديثة، وهناك كتبت سلسلة من المقالات تحت عنوان (أيامٌ في الذاكرة) نشرت في (مجلة التربية الإسلامية) في بغداد. هل ما تزال الذاكرة تحتفظ ببعض عناوين تلك السلسلة الشائقة؟

* كانت تلك هي البداية، أكتب يوماً من الذاكرة كل شهر ثم أرسله بالبريد إلى مجلة التربية الإسلامية، وكان أول تلك الأيام هو (يوم الطائف) الذي تحدّث فيه عن رحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدينة الطائف وما لقيه من الأذى هناك. لم تتردّد المجلة في نشر المقالة وما زلتُ أذكر ذلك الإحساس العذب الغريب الذي راودني وأنا أمسك بذلك العدد من المجلة الذي نُشر فيه أول مقالاتي. وقد شجّعني نشرها على مواصلة الكتابة فكتبت بعد ذلك (يوم الوحي) و(يوم يوسف) و(يوم بدر) و(يوم سُرّاقة) و(يوم عمر) و(يوم الوداع) و(يوم القيامة) و(يوم الشجرة) و(يوم حُنين). وقد صدر بعض تلك الأيام في كتاب يحمل الاسم نفسه (أيامٌ في الذاكرة).

- وماذا عن سلسلة مقالاتك التي نشرتها عبر سنوات عديدة في مجلة (الفتوى) العراقية والتي حملت عنوان (وسنبقى معاً)؟

* طلب إليّ المشرفون على مجلة الفتوى في عقد التسعينيات من القرن الماضي كتابة مقالة للمجلة التي كانت تصدر شهرياً فاشترطتُ أن تكون مقالتي في ظهر غلاف المجلة وتحت عمود ثابت بعنوان (وسنبقى معاً) والحق أنني أردتُ من ذلك تحقيق غايتين:

الأولى: إنَّ موقع المقالة في ظهر غلاف المجلة سيجعلها منظورة للجميع
والثانية: إنَّ غلاف المجلة كان يطبع ملوَّناً فظهرت مقالاتي كلّها (بالألوان) وكانت ترفق صورة مع كلّ مقالة.
أول مقالة كتبها كانت بعنوان: (مات وفي يده الحجر) عن ثورة الحجارة في فلسطين، وقد لقيت المقالات
ترحيباً، ومن القراء مَنْ كان ينتظر صدور المجلة ليقرأ ذلك العمود. وقد توقَّفتُ عن الكتابة لتوقَّف المجلة عن
الصدور بعد الاحتلال الأمريكي للعراق سنة 2003م.

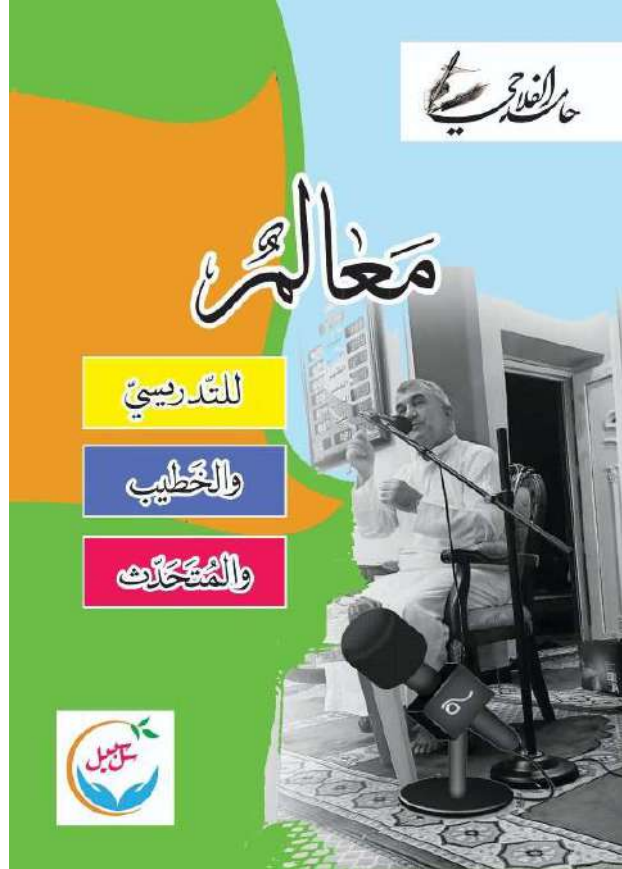
- أحدث كتابك (في ضيافة الرحمن) ضجّة، إذ رأى فيه العديد من النقاد جرأة أدبية غير منتظرة وغير مسبوقة
من كاتب في مؤلَّفه الأول وباكورة أعماله. حدَّثنا عن ذلك الكتاب ومضمونه.
* الكتاب يتحدَّث عن رؤيا رآها فتى في منامه نقلته إلى يوم القيامة بأحداثه وأهواله ومفاجآته، فتجول بصحبة
إحدى الحور العين بين مشاهد ذلك اليوم والتقى ببعض أصدقائه ومعارفه، فريق في الجنة وفريق في
السَّعير. تحدَّث إليهم وسأل كلّ واحد عن أسباب وجوده في الجنة أو وجوده في النار، ورأى الكثير من مشاهد
النعيم ومشاهد العذاب. رسمتُ مشاهد القصة مستعيناً بآيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله
عليه وسلَّم. وقد رأى بعض النقاد في القصة جرأة أدبية لسببين:
الأول: إنَّ الكاتب كان في بداية مشواره وقد اختار أن يبدأ بالأمر الأصعب وهو كتابة القصة، ولو أنه بدأ مشواره
بنوع آخر من فنون الكتابة لوقَّع على نفسه الكثير من الجهد.
والثاني: إنَّ مشاهد قصَّته من عالم الغيب، وبرغم أنَّه استعان بالآيات والأحاديث لرسم مشاهد يوم القيامة فإنَّ
الأمر لم يكن بتلك البساطة.

- حدثنا عن أسباب صب جل اهتمامك على أدب الأطفال والناشئة وثقافتهم؟ وما هي أهمّ مؤلفاتك وأبرز
محطَّاتك بهذا الصدد؟
* هناك أكثر من سبب، الأول: أهمية أدب الطفولة والناشئة في بناء شخصية الإنسان، فالطفل يُشبه (عجينة)
تستطيع أن تشكّلها في أية هيئة شئت، وبذور شخصية الإنسان تُبذَر في طفولته وهو ما عناه النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله: «كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة»، وقد قيل أنّ بناء طفل أسهل وأفضل من ترميم رجل.

الثاني: قلّة الكتاب المهتمّين بأدب الطفولة والناشئة في العراق، وشجّة الكتب التي تخاطب هذه الشرائح من
المجتمع. أذكر أنني التقيتُ في تسعينيات القرن الماضي بالدكتور صلاح السامرائي رحمه الله تعالى في مكتبته

في الأعظمية. يومها قدّمت له إحدى قصصي التي كتبها للأطفال ففرح كثيراً ثمّ حدّثني عن أهمية الكتابة للطفل، وقال لي أنه التقى بكتّاب عراقيين ثلاثة من كبار الكتاب وطلب إليهم الكتابة للطفل ولكنّ الثلاثة اعتذروا، ربما لأنّ أدب الطفولة والناشئة يحتاج إلى نوع من التخصّص- وهو كذلك بالفعل -، أو لانشغالهم بتأليف كتب أخرى أكثر الحاحاً وأكبر أهمية بالنسبة لهم ومن وجهة نظرهم وقتئذ!

كتبْتُ أول ما كتبْتُ للأطفال: (قصص إسلامية)، و(قصص الحيوان في القرآن الكريم) و(ألف سؤال وسؤال) و(قصص النبات في القرآن الكريم) و(السيرة النبوية المصوّرة). ثمّ كتبْتُ (قصص من التاريخ) و(فتح القسطنطينية) و(حكايات سلسبيل) الذي لم يرَ النور لأنني فقدت مسودته في خضمّ الأحداث التي شهدتها مدينة الفلوجة.



أما عن أبرز محطّاتي فقد أنشأتُ سنة (2006) نواة لمؤسسة تعنى بأدب الأطفال والناشئة أسميتها (سنابل) لم تعمّر طويلاً لأنها قامت بجهود فردية ولم تجد دعماً من أية جهة، وسبب ذلك عدم انتمائي لأيّ حزب أو حركة. ومن ثمّ بقيتُ خارج مجال الاهتمام وما زلت.

- كانت خاطرتك الأولى: (قبل أن تقولي وداعاً) هي أول ما كتبْتُ في حياتك وقد علّقت في لوحة الإبداع الأدبي بقسم هندسة البناء والإنشاءات في الجامعة التكنولوجية، فماذا عنها؟

* كان ذلك سنة (1985)، وكنت يومها طالباً في الصف الرابع بقسم هندسة البناء والإنشاءات، فكتبْتُ تلك الخاطرة في وداع الجامعة وأيامها الجميلة وأودعتها الصندوق الخاص باستقبال نتاج الطلبة الأدبيّ، وكان



المشرفون على الصندوق يقرأون ما يوضع فيه فما وجدوه مناسباً قاموا بعرضه في لوحة الإبداع الأدبي، وقد عرضت مقالتي تلك التي أذكر منها السطر الأخير: لسوف أرحل عنك وقد تعلّمتُ منك هندسة البناء وهندسة الأيام.

- منذ عام (2008) وأنت تعمل على تأليف وإخراج (موسوعة التفسير المصوّرة) التي تعتمد لغة الصورة واللون والحركة في عرض المعاني القرآنية. ما هي رؤية هذه الموسوعة ورسالتها وأهدافها؟
* موسوعة التفسير المصوّرة من أفضل التفاسير المصوّرة وهي تصلح للأسرة كلها، فالكتاب بتلويحه وصوره وتنوّع معلوماته يجذب الناشئة، وهو بعمق أفكاره وجمال طرحه يجذب الكبار، وأمّا عن تفسير الآيات فقد اتّبعتنا النّهج الآتي:

أولاً: تُقسّم السّور إلى تقسيمات موضوعية، ثمّ نأتي بشرح غريب المفردات في كلّ قسم ونضعها ضمن مربّعات ملوّنة، والكلمات التي تحمل خصوصية لغوية معيّنة تُفرد لها مربّعات خاصة.

ثانياً: تُشرح الآيات شرحاً موضوعياً في كلّ قسم.

ثالثاً: نقف عند آيات الخلق وندعو القارئ للتأمّل فيها من خلال ما يُقدّم من أدلّة علمية وإضاءات حولها.

رابعاً: نهتمّ بالبيان القرآني والبناء اللغوي لبعض الكلمات والتراكيب اللغوية وإعراب بعضها ونقدّم ذلك كلّه بشكل بسيط يجعل القارئ الناشئ قادراً على فهم معاني ربّما نتجنّبها عادة لتصوّرنا أنها صعبة الفهم.

خامساً: نوّيد التفسير بأحاديث النبي صلّى الله عليه وسلّم وأقوال الصالحين ويُفرد مربّع ملوّن لكلّ منها، وقد تذكّر أسباب النزول وتوضع في مربّعات منفصلة.

سادساً: نتوسّع في شرح ما يرد من قصص في السّور ونقدّمها برؤى تربوية وتنموية ودعوية جديدة.

والحقيقة إنّ الأسلوب يتجدّد مع كلّ سورة بما يتناسب معها لذلك قد يصعب تحديد آلية العمل تماماً، وإنّ ما يميّز التّفسير تنوّع الأساليب وتجدد المعاني وغنى المفردات والهدف من هذا التفسير الجديد في شكله ومضمونه أمور عدّة منها:

أولاً: تربية العقول على منهجية التفكير عند تلاوة كلّ كلمة من كتاب الله تعالى.

ثانياً: تربية النفوس على الوسطية والاعتدال والدعوة إلى الله بحكمة.

ثالثاً: تغيير أسلوب التربية التقليديّ الذي نشأ عليه كثير من أبنائنا حتى أصاب عقولهم بالجمود وقيدها بتقاليد وأعراف حدّت من حركتها وإبداعها—في هذا المقام يورد الكاتب مقولة جميلة: إنّنا نولد أمراء لكننا قد نتحوّل بالأسلوب المتبع في تربيتنا إلى ضفادع.

رابعاً: غرس الإيجابية وإحياء الأمل في نفوس الناشئة لصناعة حياة أفضل لهم ولمن حولهم ودعوتهم لبناء قصور جديدة جميلة بدلاً من الوقوف على الأثار والأطلال البالية. وهذا التفسير المصوّر هو أحد هذه القصور، بُنيّ بكلمات جميلة وأشكال جذابة وألوان زاهية، لعلّه يكون خطوة في طريق الإبداع والبناء.

اكتمل من التفسير حتى الآن عشرون جزءاً من القرآن الكريم، وما يزال العمل مستمراً لإخراج الأجزاء العشرة الأخرى بمشيئة الله تعالى ((تنويه المؤلف: هذه الإجابة تعود الى عام 2020م ساعة إجراء الحوار ونشره، أما اليوم فإن هذا التفسير المبارك المخصص للأطفال والفتيان قد اكتمل بجميع أجزائه بعد تصميمه وإخراجه بأبهى صوة، وأجمل حلة، وصار منهجاً معتمداً في عشرات الدورات القرآنية الصيفية، والدائمية المباركة))، شارك في مراجعة الموسوعة وتدقيقها خمسة عشر أستاذاً من الجامعات العراقية، وشارك في تخريج أحاديثه أربعة من المختصّين.

- هل لك كتب أخرى خارج إطار الطفولة وأدبها؟

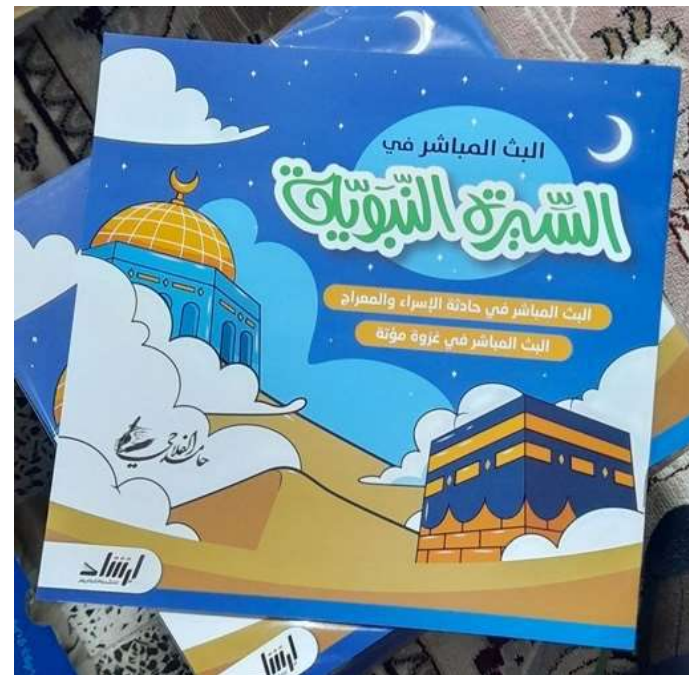
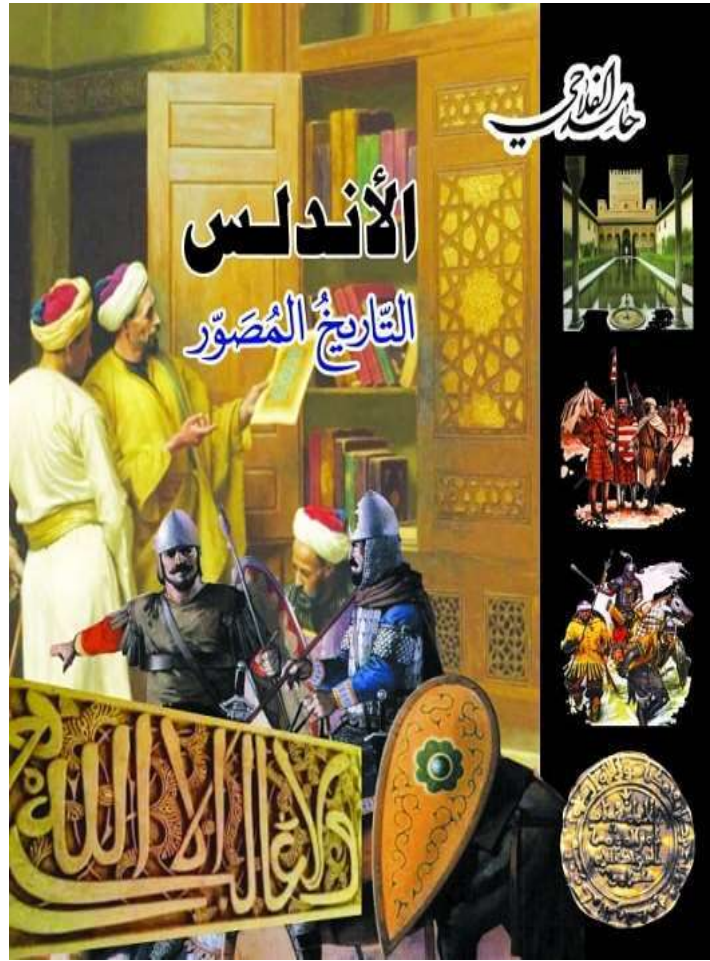
* كتبتُ مجموعة من القصص، منها (خطوات فوق الرمال) التي تلغي حواجز الزمان والمكان وتنتقل ببطل القصة إلى المدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وهناك يلتقيه البطل ويحدّثه عن أحوال الإسلام والمسلمين في القرن الحادي والعشرين، والقصة تجمع بين الحقائق التاريخية والخيال والتشويق. كما كتبتُ قصة أخرى بعنوان (لقاء في غرناطة) وتحمل البطل إلى مدينة غرناطة الأندلسية ليشهد الأيام الأخيرة فيها قبل سقوطها بيد الأسبان، وقصة أخرى من واقع الشباب عنوانها (في يوم عاصف) ومجموعة قصصية بعنوان خذني معك.

وصدر لي في بيروت كتاب (الدولة

العثمانية. التاريخ المصوّر) الذي يهدف إلى نقل الصورة الصحيحة لتاريخ تعرّض كثيرًا للافتراء والتحريف من قبل الغرب ودعاة القومية والعلمانية، وهناك كتاب آخر هو (الأندلس. التاريخ المصور) في طريقه للطباعة.

- ما هي الأسباب والعوامل التي كان لها الدور الأكبر في نجاحك في عالم الكتابة؟

*لنتفق أولاً: على أن الكتابة فن وموهبة. قال بعض المفسّرين في تفسير قوله تعالى: {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} أَنَّ الزيادة في الخلق تشمل الصوت الحسن والخلق الحسن، وأنا أقول كلّ موهبة هي زيادة في الخلق يمنّ الله تعالى بها على مَنْ يشاء من عباده، ومنها موهبة الرسم وجمال الخط. والكتابة هي إحدى تلك المواهب، لا يمتلكها كلّ أحد إن لم تكن هناك بذور موهبة لديه.



ثانياً: إتقاني للغة العربية وقواعدها، وهو أمر لا غنى للكاتب عنه، وصناعة العبارة البليغة مرتبطة بثروة الكاتب اللغوية.

ثالثاً: التخصص الهندسي كان له أثرٌ كبير، فبحكم كوني مهندساً فإنني لم أكتب بطريقة أكاديمية أو بطرق تقليدية قد ملّها القراء وأصبحت من الماضي، فلكلّ عصر لغته وطرقه في الحوار والمخاطبة، ولغة عصرنا هذا التجديد والإبداع والخروج عن المألوف، لذلك رحّْتُ أبحث عن أساليب مبتكرة في الكتابة تحمل فيما تحمله: التشويق الذي يأسر القارئ ويدفعه إلى قراءة الكتاب حتى نهايته.

رابعاً: كان لزوجتي أثرٌ كبير في نجاحي، وما كنتُ لأنجح في عالم الكتابة لو لم يكن البيت بيئة مناسبة للقراءة والتأمل والكتابة، وقد وقفت معي في سنوات عِجاف، وعادة ما ينسى الكاتب الكثير من واجباته تجاه زوجته وأطفاله بسبب إبحاره في عالم يبدو بلا ساحل ولا قرار، لكنّ زوجتي لم تشك يوماً من الإهمال، أثابها الله تعالى عني كلّ خير.

خامساً: كان لكتاباتي للطفولة والناشئة في عقد التسعينيات من القرن الماضي ردود فعل شجعتني على مواصلة الكتابة، وفي تلك السنوات كانت المكتبات العراقية تكاد تخلو من الكتب المهمّة بثقافة الأطفال والناشئة، لذلك لم تكن هناك منافسة قوية، فوجدت قصصي طريقها بسهولة إلى القراء.

سادساً: تواصلت مع عالم التنمية البشرية وصنّاع الحياة، وقد أيقظ هذا التواصل فيّ الكثير من مواطن القوة، ودفعني نحو الإبداع بحبّ ورغبة، وقد حصلتُ على أكثر من شهادة من (المركز العراقي للإبداع والتطوير)، وكان لمديره المدرب الدولي الدكتور زياد الحسني بصمة واضحة في حياتي.

سابعاً: إجادتي للتصميم على برنامج الفوتوشوب، وقد أغناني ذلك عن الاستعانة بالمصمّمين ووفّر لي الوقت والجهد والكلفة، وقد قمتُ بتصميم جميع كتبي وأغلفتها، وبخاصة كتاب موسوعة التفسير المصوّرة والسيرة النبوية المصوّرة والأندلس . التاريخ المصوّر والدولة العثمانية. التاريخ المصوّر.

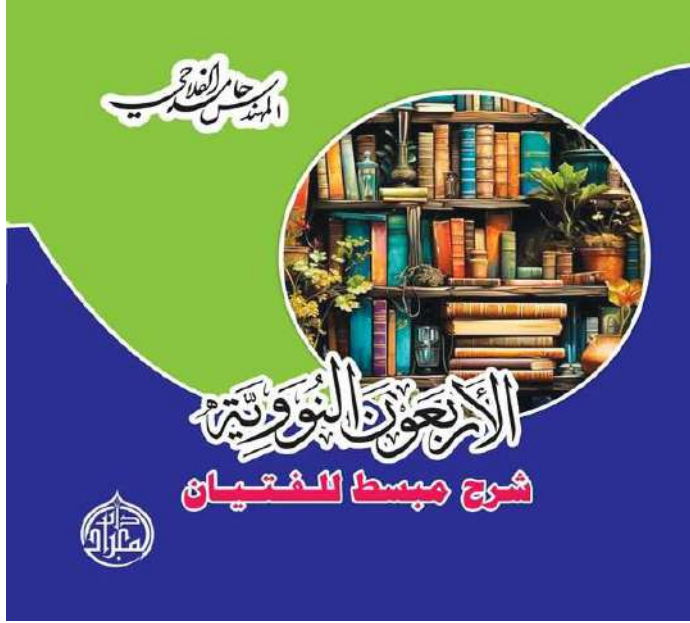
- هل كان لبعض معلّميك ومدرّسيك أثرٌ في بناء ثقافتك؟

* نعم كان لبعض معلّمي ومدرّسي أثر كبير في ثقافتي، وأذكر منهم الأستاذ عبد الرزاق حردان

العلواني مدرّس مادة اللغة العربية في الإعدادية المركزية في الفلوجة، وعنه أخذت العربية وأحببتها. كما أذكر منهم مدرّس الفيزياء الأستاذ أحمد عبد الهادي الراوي، الذي تربطني به حتى اليوم صداقة متينة، ومنهم أيضاً



معلّمي في المدرسة الابتدائية الأستاذ رافع الراوي، رحمه الله تعالى، وقد أوصاني وأنا طالب في الصف الرابع الابتدائي أن أكون طبيباً، وأن أعالج الفقراء مجاناً. كانت تلك وصيته لي، وقد حملتها في قلبي منذ سمعتها منه وما نسيته يوماً، وقد شاء الله تعالى لي أن أكون مهندساً لا طبيباً، فكتبتُ إلى معلّمي رسالة في تسعينيات القرن الماضي ذكرته فيها بوصيته وأعلمته أنني أصبحت مهندساً وكاتباً، أخاطب العقول وأعالج القلوب، وذلك لعمري عمل أشقّ من عمل الطبيب، فالطبيب يعالج الأبدان والكاتب يعالج الأرواح، ولعلّ في ذلك عزاءً لمعلّمي، فوصيته قد نفّذت ولكن بشكل مختلف.



- ماذا عن أحلام يقظتك قبل أن تقتحم

عالم الكتابة والتأليف؟

* أذكر أنني ولأكثر من مرة كنت أضع رأسي على الوسادة أيام طفولتي وأحلم (حلم يقظة) بأن أستيقظ من نومي فأجد عند رأسي مكتبة تزدهم فيها الكتب (القصص خاصة)، واليوم أقف أحياناً أمام مكتبي الخاصة فأندكر أحلام الطفولة البريئة وأقول لنفسي: لقد تحقّق ذلك الحلم، لا بمجرد التمني بل بالتخطيط والعمل والصبر والالتزام تجاه الأهداف، فأنا اليوم أملك تلك المكتبة التي تمنيتها في طفولتي، زد عليها: إنّ بعض ما فيها هو من تألّيفي

- ما هي الفئة والشريحة التي تقرأ لكم؟ وما هو أسلوبك المفضّل والمميّز في الكتابة؟

* أكثر من قرأ لي هم (الطبقة المتوسطة)، فأنا لا أكتب لأهل الإختصاص ولا لأصحاب الشهادات العالية، إنّما أكتب للأطفال والناشئة وأصحاب الثقافة المحدودة، هؤلاء هم من أكتب لهم وأخاطبهم. لذلك كان أسلوبي المفضّل في الكتابة هو (السهل الممتنع)، فهو (سهل) يفهمه كلّ قارئٍ أيّاً كانت درجة ثقافته، وهو (ممتنع) لأنّ فيه من البلاغة ما لا يستطيعه كلّ أحد.

- بما أنك عشتَ يتيماً وكان لك اهتمام واضح بأدب الفتيان والطفولة، كيف تنظر إلى الطفولة المعدّبة؟ وما هي الخطوات الواجب اتّباعها لإنقاذ هذا الجيل المحروم، الأيتام خاصّة؟ وكيف يمكن التخفيف من حجم الحرمان والأمية التي يعانون منها؟

* بناء الإنسان يبدأ ببناء الطفل، وإذا أردت أن تقيّم أمة فانظر إلى مستوى ثقافة أطفالها. الطفل هو البذرة التي تجب العناية بها كي تنمو إلى رجل سويّ منتج مستقيم، وقد عانت الطفولة في العراق، ولعقود طويلة، من الإهمال. دعني أنقل لك الصورة من هنا، من مدينة الفلوجة، لا توجد مكتبة عامة ولا نادٍ ثقافي للطفولة ولا مراكز تحتضن المواهب وتنمّيها. أحياناً يبحث الطفل عن كتاب يقرؤه فلا يجد، ويبحث عن نشاط نافع

يقضي فيه وقت فراغه فلا يجد. مؤسساتنا ودعاتنا وأغنياؤنا كلُّ مشغولٍ بليلاه؛ فلا عجب أن ترى الأطفال يلعبون في الشوارع أو هم أسرى الألعاب الإلكترونية. نحن بحاجة إلى التفاتة جادة إلى هذه الشريحة لأنها هي مستقبل الوطن، ومنها سيخرج قاداته.



- هل فكرت يوماً بإصدار مجلة شهرية متخصصة بأدب الأطفال؟ أم أنّ الصعوبات المادية والفنية حالت بينك وبين حلمك؟

* دعني أحدثك بصراحة، أنا عانيتُ وما زلت أعاني من (اللا إنتماء)، فأنا لم أنضمّ إلى حزب أو حركة، ولهذا استُقيتُ في الظلّ. لا أحد يرغب في دعمك أو التعاون معك ما لم تنتم إليه. أكثر أصدقاء الأُمس خرجوا من حياتي لأنني رفضتُ الإنتماء. الآن لديّ أكثر من مشروع وأكثر من حُلُم، ولكن خذ (موسوعة التفسير المصوّرة) مثلاً، إنها عمل لا تقوم به إلاّ مؤسسات متخصصة، بمواردها وأجهزتها وإمكاناتها. عرضتُ الموسوعة على أكثر من طرف، لكنني لم أجد أذاناً صاغية، لا عند الأحزاب ولا عند بعض مؤسساتنا الدينية، ووجدتني في النهاية أعمل على كتابتها وتصميمها وإخراجها وحيداً بعد أن استيأستُ من مؤسساتنا ومن أصحاب الأموال والثروات، فأخرجتُ منها حتى الآن (30) كتاباً، تغطي (20) جزءاً من القرآن الكريم، في (12) عاماً من العمل المتواصل، واستطعتُ بإمكانات محدودة جداً أن أطبع أقلّ من (20) دورة منها، المهم أنني فعلتُ شيئاً، لم أتوقف رغم أنني كنت أسير في الطريق وحيداً.

المسجد الأقصى

في أربعين سؤالاً وجواباً



- ما هي مشاريعك المستقبلية للطفولة أو أدب الشباب؟

* أولاً: إكمال موسوعة التفسير المصوّرة، فهذا الكتاب هو (هُوتِي)، وهو رسالة (الدكتوراه الفخرية) التي أحب أن ألقى الله تعالى بها، كما أنّ كثيراً من المشاريع المستقبلية سوف تُستلّ من هذه الموسوعة، ومن ذلك: كتاب (قصص الأنبياء) و(نساء في القرآن) و(رجال في القرآن)، وغيرها كثير. ثانياً: كتابة مجموعات قصصية للأطفال، ومنها: (حكايات في الغار) و(قصص الماء في القرآن الكريم). ثالثاً: بالنسبة لأدب الكبار ففي النية إخراج كتاب مصوّر عن حياة صلاح الدين الأيوبي.

- كلمة أخيرة لمتابعيك ومحبيك.

* أولاً: من أجمل الأشياء أن يمتلك أحدها الرغبة في النجاح والتفوق، ومن أراد النجاح في حياته فلا يقنع بما هو عليه، يجب أن يتحرّر من الجمود، ويكسر قيوده، ثم يُقبل على المستقبل بقوة وثقة. ثانياً: في داخل كلّ منّا شعلة إبداع وطاقة كامنة، ومن لم يمتلك الرغبة في النجاح لن يستطيع إيقاد تلك الشعلة أو إطلاق تلك الطاقة. ثالثاً: الأمة الكسولة تعيش على أمجاد الماضي، يخدرها دفء التاريخ، تنتظر المائدة من السماء، دون أن تعرف الأرض التي تقف عليها والعالم الذي تنتهي إليه، فهي مهزومة لا محالة. رابعاً: لا تنتظر الدعم الخارجي، فربما لن يصلك أبداً. ثق بنفسك ولا تقلل من قيمتها، واستخدم قدراتك ولو كانت محدودة، فكم من الأشجار كانت بدايتها حبة صغيرة؟ خامساً: حاول أن تترك وراءك بصمة في هذه الحياة، ولا تكن من الذين يجلسون في المكان نفسه، ولسنوات طويلة، لا غيروا شيئاً ولا فكروا في تغيير المكان.



(*) حوارى المنشور فى مجلة " همس الحوار " اللندنية بتاريخ 15 / تشرين 1 / 2020 ، والمنشور فى " مجلة الكاردينيا " الصادرة فى زيورخ / سويسرا بتاريخ الأحد ، 07 حزيران / يونيو 2020 ، والمنشور فى صحيفة " عروس الأهور " الصادرة فى أستراليا بتاريخ 9 / 6 / 2020 ، وصحيفة " صوت العراق " بتاريخ 8 / 6 / 2020 .

حوار حافل بالمحطات .. مع رحالة الصحافة والإعلام العراقي ليث مشتاق(*)

* جبت العواصم والدول والقارات وغرف الأخبار لأغطي الوقائع وأنقل التقارير وألتقط الصور وأوثق الأحداث وأسجل الحقائق للعالم وللتاريخ حاملا لا قطي وخارطي وبوصلتي وكاميرتي وقلبي ومفكرتي من بغداد إلى أفريقيا وآسيا وأوروبا والعالم.



مبدع عراقي يُطلق عليه بعض المهتمين بفنون السلطة الرابعة، وفروع صاحبة الجلالة المختلفة لقب "فارس ورحالة الصحافة والإعلام"، جاب العواصم والدول والقارات وغرف الأخبار واحدة تلو الأخرى من دون كلل ولا ملل.. غطى وقائع يشيب لهولها الولدان.. نقل تقارير متلفزة من أصعب الأماكن وأكثرها خطورة ووعورة على سطح الكوكب.. التقط صورا لم تتسن لأحد غيره التقاطها قط.. وثّق أحداثا جساما، رصد وسجل حقائق للتاريخ متسلحا بلاقطته وخريطته وبوصلته وكاميرته وقلمه من بغداد

إلى أفريقيا وآسيا وأوروبا، فكان بحق أنموذجا لمن قيل فيهم قديما "ليس من سمع كمن رأى، وليس من رأى كمن سمع" ليشهد الأحداث ويعيشها ويتعايش معها بنفسه، إلا أننا سنبدأ حوارنا هذا وبخلاف المتعارف عليه وبالمعكوس لنسأل عن حاضر مبدعنا قبل الغوص في ماضيه القريب فضلا على سيرته ومسيرته المتخمة بالمشاهدة والجهد والعطاء لنبدأ بسؤاله:

* أين أنت الآن؟

— حاليا وإضافة الى عمل التقارير الإخبارية المهمة على مدار الساعة، وإعداد البرامج الثقافية المتنوعة، وعلى منوالها الوثائقية المتلفزة، زيادة على كتابة مقالات الرأي الوصفية والتحليلية في موقع الجزيرة نت، أذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر "جغرافيا الثراء الأفريقي وتحديات السياسة والمنافسة" و"سواحل أفريقيا.. الثروات الغذائية في خدمة أوروبا" و"اللاجئون في رواندا.. قصة ادماج ناجحة تحظى بإشادة أممية" و"رواندا تحيي الذكرى 30 لآخر إبادة جماعية في القرن العشرين" و"شعار - رمح الأمة - محور صراع رفاق السلاح في جنوب أفريقيا" و"الصحة النفسية جانب خفي يضاف لأزمات أفريقيا" وغيرها، فأنا أشرف على إدارة صفحة "الجزيرة إفريقيا" وعدد متابعيها حتى كتابة السطور يبلغ (٧١٦) ألف متابع تغطي ثاني أكبر القارات حول العالم من حيث المساحة، متناولة أخبار (54) دولة بإجمالي عدد سكان يربو على مليار و500 مليون نسمة. ((تنويه: عدد متابعي الجزيرة - إفريقيا اليوم يبلغ مليون و300 ألف متابع))



*تنامي الى علمنا بأنك تعكف حاليا على توثيق محطات من مسيرتك المهنية الحافلة على خطى عمك عميد أسرة مشتاق أفندي، السياسي والدبلوماسي العراقي المعروف "طالب مشتاق" التي سبق له وأن سطرها في كتابه ذائع الصيت (أوراق أيامي 1900-1958) المطبوع والمنشور في بيروت سنة 1978، حدثنا عن ذلك بإيجاز.

– الحقيقة لقد شرعت فعليا بكتابة مقتطفات وإضاءة محطات من السيرة المهنية من خلال استدعاء صفحات من سجل الذكريات المتخم والمزدحم بحلوها ومرها، كل

ذلك موثقا بالخرائط والصور وقد بدأتها بحكاية "ما قبل النهر.. الجرسيون" و "ما قبل النهر" فيما ستأتي البقية الباقية لتنساب كنهز متدفق تباعا وبما ستقرأونه قريبا بإذنه تعالى بين دفتي كتاب مأمول وعلى صدر صفحاته، أمل أن تنال إعجاب القراء ولاسيما من شريحة الصحفيين والإعلاميين علاوة على المهتمين بأدب الرحلات و عشاق السير الذاتية واليوميات والمذكرات، ومؤكد بأنني سأهديك نسخة موقعة من هذا الكتاب حتما فور صدوره، إما خلال حفل التوقيع، أو على هامشه.

*شكرا للإهداء مقدما، والآن دعني أسألك عن بطاقتك الشخصية، وعن سيرتك المهنية، وماذا تقرأ كل واحدة منهما؟

– اسمي ليث مشتاق، ولدت في بغداد وعشت فيها حتى عام 2004 ، كانت بدايتي في الصحافة الاحترافية خلال الحرب على العراق 2003، حيث التحقت بقناة الجزيرة في العراق يومها، وعملت ضمن فريق كبير ومميز من خيرة الخبرات الصحفية العربية، وشاركت معهم في تغطية أحداث مهمة كان من أبرزها مقتل نجلي الرئيس العراقي الأسبق (عدي وقصي) في مدينة الموصل، ومعركة الفلوجة الأولى، والاشتباكات بين القوات الأمريكية، وبين عناصر ماكان يعرف وقتها بجيش المهدي في مدينة كربلاء، إضافة إلى الكثير من الاشتباكات والمعارك وسط وشمال العراق، غادرت العراق في آب 2004 لألتحق بمكتب كابل كمراسل لموقع الجزيرة نت، إضافة إلى عملي كمصور صحفي قمت خلالها بتغطية الانتخابات الأفغانية أواخر 2004 فضلا على عدد من التقارير الميدانية والمقابلات في ولايات أفغانية عدة من هلمند جنوبا، وحتى قندز شمالا، كما أنتجت فيلمي الوثائقي الأول يومها عن زراعة المخدرات في أفغانستان، وغطيت مطلع 2005 الانتخابات في طاجكستان، عدت بعدها وتحديدا في أبريل لأستقر في الدوحة ولتبدأ بعدها رحلات عدة ومتكررة إلى قارة أفريقيا، وتلك حكاية يطول سردها، في أواخر 2012 انتقلت للعمل في غرفة الأخبار وتحديدا في قسم التخطيط لأنتقل من التصوير الحربي والانتاج الميداني، إلى العمل في قلب المؤسسات الصحفية المتمثلة بغرفة الأخبار، ارتحلت كذلك إلى تركيا عام 2015 ثم إلى المملكة المتحدة، وتنقلت بين مؤسسات إعلامية عدة، واليوم أعمل كاستشاري في المجال الإعلامي، ومديرا لعدد من المنصات الرقمية الفاعلة وأهمها منصة الجزيرة / إفريقيا.



*حين يتحول الوطن الى طارد للمبدعين، والى مجرد مقبرة لدفن جثامين المغتربين بعيد وفاتهم وإعادتهم بنعوش خشبية أنيقة الى أرض الوطن محمولة على الأكتاف، فما هو الدور الذي يتحتم على الصحافة العراقية المقروءة والمرئية والمسموعة لعبه في هذه الحالة" إلزام الحياء والوقوف على التل، أم تبني الموضوعية، أم الصمت المطبق، أم الاصطفاف، أم

الانسحاب الى الداخل والتفوق على الذات؟".

-كل ما يجري في العراق ومنذ عقود استثنائي إذا جاز لي القول، فهجرة الكفاءات الأولى كانت عقب إنقلاب 1958م، وبداية مرحلة دموية شهدها العراق، ثم جاءت محاولة لإعادة اجتذاب بعض الكفاءات خلال مرحلة التنمية التي شهدها العراق مطلع السبعينات ورغم تعثره في الشق السياسي، إلا أن الاهتمام العلمي والثقافي ووفرة المال وارتفاع أسعار البترول قد أسهم في إنجاح تلك العملية ولكن بعيدا عن الصحافة، إذ لم تنل حرية الصحافة حظا في تلك المحاولة، كما أن الصحافة العراقية خلال مسيرتها الطويلة منذ أواخر القرن التاسع عشر كانت معقدة وصعبة عاشت رهينة قطبي السياسة والمال، والمتتبع لتلك المرحلة يلاحظ كم الصحف والمجلات التي انطلقت وأقفلت، منها من عاش لأسابيع، وأخرى لشهور وهكذا، هنا أعود للجواب عن المرحلة الحالية كونها استثنائية من حيث الظرف السياسي والأمني إضافة إلى التحدي الأكبر المتمثل بالثورة التقنية التي فتحت الفضاء الأوسع عبر وسائل التواصل الاجتماعي الذي خلط الأوراق أمام أي مشروع إعلامي في العراق ما لم يكن مستقرا ماليا ومبنيا على أسس صحفية رصينة، بين كل تلك التحديات ومع غياب مشروع إعلامي طويل الأمد عابر للحزبية، ومتخط للفتوية، يتمتع بهامش حرية عال يعزز بخبرات متنوعة، لا يمكن توجيه اللوم للصحفي العراقي الذي يبحث عن فرصته وسط غابة الشوك تلك، يحتاج الصحفي إلى كثير من الخبرة والتجرد والصبر للحفاظ على بوصلة الموضوعية في التناول والطرح لكل ما يجري من حوله، وتلك مهمة شاقة، أكرر في ظل مانعشه الصحافة في العراق، ولن نكون متطلبين إذا ما فكرنا بالشرط الأول، الأمان على حياة الصحفي ابتداء.



* لأنك صحفي وإعلامي عراقي مغترب عمل في أهم المؤسسات الإعلامية العربية، وتعامل مع أبرز المؤسسات الاعلامية الاجنبية طيلة عقدين من الزمن، فبماذا تنصح معدي التقارير الإخبارية المقروءة منها والمسموعة والمتلفزة؟

– لا أسميه نصحا بقدر مشاركة تجربة اكتسبتها من أساتذة عظام في المهنة، وهي الدقة والمصداقية وعدم التكلف في الطرح، ، علاوة على اليقين الدائم بأن الجمهور المتلقي ذكي وحساس يميز بين المفتعل والحقيقي، ولا يحتاج إلى مطولات بقدر حاجته إلى وضع الوقائع أمامه من دون تهويل، ولا تهوين مشفوعة بالبعد عن المبالغات الحماسية في السرد الرابط بين عناصر الحدث أو القصة، كما أن للشكل الفني المتقن صورة وصوتا دور بارز له حساسيته أيضا تخدمه التلقائية ويعيبه الاستعراض والمبالغات.



* وماهي نصيحتك للمراسلين، سواء من يعمل داخل العراق منهم أو خارجه؟

-كذلك سأسميه مشاركة تجربة وليست نصيحة، إذ لكل تجربة من التجارب ظروفها، ميزاتها وعيوبها وما من عمل كامل، وليس بعيدا عن الرد السابق، الدقة الدقة وعدم التعجل على حساب المصداقية، قد نخطأ جميعا أحيانا حين ننساق وراء الحماسة والبحث عن سبق الصحفي، بينما نسقط في فخاخ الأخبار الكاذبة، أو مبالغات شهود العيان، ورسائل بعض (المصادر المقرّبة) المبطنة، هنا علينا التوقف عند سؤال مهم ألا وهو "أيهما أولى، السرعة أم الدقة؟!!".

وقد تنماهى أحيانا مع النزعة الأدبية أو التعبيرية لدينا عند كتابة النصوص، فنذهب إلى الإقتباسات البلاغية من الحكم والأمثال والنصوص الدينية والشعر، نعم معلوم جدا أن اللغة العربية من أكثر اللغات غزارة وإغراء بمفرداتها وسحرها، إلا أن الصحافة الإخبارية ليست المكان المثالي لذلك التباري اللغوي، فكل كلمة لاتعبر مباشرة عن الخبر ومتعلقاته، فهي زائدة قد يعدها المتلقي استعراض براعة أو تسويق مضمون!

*أنت مصور محترف ولك سيرة ناصعة، ومسيرة حافلة، متشحة بالابداع والتألق بشهادة المختصين، في مجال التصوير الاحترافي، فهل لكم أن تقدموا لنا جملة من التوجيهات الى مصوري القنوات الفضائية من الشباب الواعدين، وحبذا لو بنقاط؟

-ربما أنقل عن أستاذاي الراحل أمجد حميد، الإنسان والفنان الذي كان بالنسبة لي المعلم الأبرز في تعلم أخلاقيات التصوير قبل التصوير، علمني الاستاذ أمجد أن حمل الكاميرا مسؤولية بعيدة عن الخيال، وأن احترامك للكاميرا وللقطة لا ينفصلان عن احترامك لمهنتك، وأن التصرف في الميدان هو إنعكاس لتربيتك ومهنتك



وفتك هذا على القيم التي كان يكثر الحديث عنها، ، فنيا علمنا الأستاذ أمجد أن ضغط زر التصوير في الكاميرا مسؤولية ستسأل عنها وتحاسب عليها، ، أو قد تنتقدها أنت بنفسك بعد سنوات، لذا تحر الدقة والتعبير والجمالية والمصداقية في كل لقطة قبل تسجيلها، ، كذلك البعد عن التكلفة والمبالغة، ، ففعل الكاميرا في الأخبار وبعض الوثائقيات هي محاولة للتقريب للواقع بتلقائيته، ، كما هي حتما بعيدة كل البعد عن الدراما والسينما، ، ففي الأخبار لا إعادات ولا تكرارات للحدث المائل أمام المصور، ، لذلك فازت لقطة أخذها مصور أحد الوكالات بدقة وبساطة وكانت تلك اللقطة لإغتيال الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات، حيث لم يختبئ المصور خلال هجوم المسلحين على منصة، بل ركض تجاه

المسلحين ليلتفت ويلتقط تلك اللقطات الشهيرة، وهنا تكمن رسالة المصور في تسجيل الحدث، لا نصوص ولا

أصوات، وربما لو كان تصويراً فوتوغرافياً، الصورة هي التي تروي القصة، كذلك على المصور أن يدرك بأنه يتعامل مع زمنين في آن واحد، فهو يغطي الحدث الآني إخبارياً، إضافة إلى تسجيل وثيقة للتاريخ، ستحسب عليه أو له من قبل جمهور آخر لربما بعد عقود.

*سماؤنا تمطر إعلاماً، يُزعمُ بأنه إعلام حر ومحايد وموضوعي وشفاف ونزيه، إلا أن أرضنا جدبة لا تنبت صحافة حقيقية، حرة ونزيهة، لماذا برأيكم؟
- يمكن اقتباس جزء من جواب سؤال سابق حول تاريخ الصحافة العراقية والظرف الحالي.

* ماهو رأيكم ببرامج التوك شو العراقية التي تستضيف عدداً من الخصوم السياسيين والحزبيين والطائفيين يومياً، وتدخلهم في (حلبة ملاكمة) على الهواء مباشرة ما يزيد من إحتقان الشارع المحتقن أصلاً، من دون أن يقدم أي من هذه البرامج فضلاً على مقدميها وضيوفها أية تحليلات حقيقية، ولا أية حلول واقعية للأزمات المتلاحقة، ولا للمشاكل العالقة؟

-لجعل الإجابة أسهل ربما علينا التفريق بين الإعلام المحترف الذي يتمتع بقدر من المهنية وبين سواه الذي يشبه إلى حد بعيد إما التوجيه السياسي كما في الجيوش، أو صالات المصارعة الحرة وكما هو معروف فهي مصارعة استعراضية وليست حقيقية، الغاية منها المراهنات وإمتاع هواةها..في التلفزيونات الاحترافية تعد البرامج الحوارية أحد أهم الركائز المهمة لعملها الصحفي، إذ ليس كل خبر أو موضوع يمكن تناوله تقرير متلفز أو خبر قصير في نشرة، من الأخبار والأحداث ما هو جدلي يقبل أكثر من تفسير ويحتمل أكثر من رؤية، هنا يأتي دور البرامج الحوارية التي تتيح للمشاهد الاستماع لوجهتي النظر أو أكثر، ، بتفصيلاتها وسياقاتها السابقة ليكون الجمهور على بينة بالرأي والرأي الآخر الذي يخالفه، ولكي لا يتبنى طرحة دون سواه قبل سماع وجهة النظر الأخرى، ، والوقوف على مدى المشتركات حتى بين الأطراف المتناقضة، ، وربما ينتج عن الرأيين رأي ثالث ورابع وذلك حق للجمهور على المؤسسات الإعلامية الحرة.



* تابعت تقريراً متلفزاً في عدد من الفضائيات العربية وكلها تتمحور حول موضوع واحد ألا وهو سرقة وتهريب الآثار العراقية والسورية والمصرية، وقد أذهلني حجم التناقض، فكل قناة كانت ترمي الكرة بملعب خصومها وتتهمها بسرقة هذه الآثار وتهريبها بالأدلة والأرقام والوثائق، ما يؤشر إلى أن الجميع متورط بسرقة هذه الآثار وتهريبها، برأيكم كيف يمكن للمشاهد العربي أن يفرز الغث من السمين، وينجو بنفسه من هذه الدوامة، ويتجنب الوقوع في شرك وحبائل التقارير التلفزيونية المفبركة أو المزيفة للحقائق أحياناً... والمتناقضة أحياناً؟ – بعيداً عن التقرير عينه، فإن علاقة المشاهد بالقناة أو الإذاعة أو الصحيفة علاقة تبنى بتراكم الثقة، عندما نشدد على الصحفيين والمحررين بموضوع الدقة والموضوعية والالتزام بأخلاقيات المهنة، فإن من دوافع ذلكم هو الحرص على سمعة المؤسسة الإعلامية ومصداقيتها أمام الجمهور، وقد تلاحظ أن كبريات المؤسسات الإعلامية الدولية تواظب على الاعتذار كلما أوردت خبراً فيه خطأ أو حين يجانبها الصواب في قصة خبرية ما، ولا تجد حرجاً من ذلك احتراماً للجمهور وحفاظاً على قيمها المهنية وبتلك الاعتذارات ترتقي المؤسسات بعيون الجمهور كما في عيون العاملين فيها، من تلك الدقة والموضوعية والتوازن ومنح الفرص المتساوية للأطراف بطرح وجهة نظرها في تقرير ما أو خبر ما، تكون المصداقية هي البوصلة، ما عداها أذكر بما أسلفت، ولو فصلنا بين الاحترافي وسواه من المؤسسات لسهل علينا التأصيل، كذلك قد ينساق بعض الجمهور خلف معلومة غير دقيقة، لكن سرعان ما يتوقف، أكرر بأن الجمهور حساس تجاه الحقيقة، وبالتالي إذا كان حبل الكذب قصير بالمجمل، فحبل الكذب على الجمهور أقصر.



* في العراق هناك ظاهرة يمكن تسميتها بـ "المؤسسات الإعلامية الوقتية" تتمحور حول تأسيس وكالات أنباء، وإصدار صحف ومجلات، ورقية وإلكترونية، قبيل الانتخابات بعدة أشهر ومن ثم إغلاقها عقب فوز أو خسارة ممولها الرئيس بالانتخابات، وقلما يبقى منها من يمارس عمله بعد هذه التاريخ، وذلك في فوضى عارمة وهرج وتهرج إعلامي غير مسبوق محليا ودوليا، ولاسيما وأن الضحايا هم العاملون في أروقة هذه المؤسسات ممن يخرجون منها من غير حقوق ولا مكافآت نهاية خدمة ولا حتى تقاضي رواتبهم للشهر الأخير من خدمتهم فيها وكأنهم ما عملوا فيها يوما قط... ماذا تقولون في ذلك؟

– أعتقد أنها ظاهرة عالمية، ومن الظلم للمؤسسات الإعلامية الرصينة أن تضع تلك الحملات الإعلامية في خانة (المؤسسات)، الحملات الإعلامية معروفة عالميا وهي مرتبطة بالانتخابات أو الصراعات السياسية، لها أجل محدود وهي أشبه بنشاط شركات العلاقات العامة منه بالعمل الصحفي الاحترافي، في الغرب عند التمهيد لكل انتخابات تظهر تلك اللجان أو الحملات بالتعاون مع شركات متخصصة تستقطب بدورها عدداً من الصحفيين للعمل معها، أحيانا من دون إطلاعهم على الغاية الرئيسة لتلك الحملات بشكل مباشر وواضح، بل مزوقة بشعارات تحاكي قضايا انتخابية، منها ما يحقق منجزات سياسية وبعضها يخفق، لذلك على الصحفي التحقق من الجهة التي يعمل معها ويؤمن برسالتها ومصداقيتها قبل الانضمام إليها.

* كلمة أخيرة للصحفيين خاصة، وإلى الإعلاميين عامة، ولاسيما وأن البرنامج الذي تناول مسيرتك الإعلامية قبل 15 عاما كمصور ميداني، ومعد برامج وثائقية، ومراسل حربي، ومدرّب إعلامي قد حاز على جائزة أفضل برنامج في التلفزيون الألماني وقد تم تكريمك في حفل أقيم خصيصاً بأحد القصور القديمة التي تعود إلى القرن السادس عشر بمدينة فايمر الألمانية، تلك المدينة التي عاش فيها الشاعر والمفكر العالمي غوته.



– أتابع عددا كبيرا من الصحفيين العراقيين الشباب، الكثير منهم يتمتع بحداقة وحرفية تبعث على التفاؤل، ربما تنقصهم الفرص المناسبة، ولحين توافر تلك الفرص عليهم بالمزيد من المثابرة في اكتساب الخبرات لأنه أمر مهم، وربما الأهم ونحن نشهد ما يعرف بالثورة الصناعية الرابعة، هو تعدد الخبرات إذ لا مكان في سوق العمل في المستقبل لمن يجيد فنا واحداً من فنون الإعلام، وأن التجارب والسعي في اكتشاف قدرات الذات لا تنتهي بمرحلة وظيفية ولا عمرية محددة، فكيف بالصحفي الذي دافعه الأول في المهنة هو حب الاكتشاف، كذلك ومع تطور الإمكانيات التكنولوجية الحالية وفي المستقبل المنظور، لا ينبغي على الشباب الصحفي التعويل فقط على المؤسسات الإعلامية الخاصة أو الرسمية، بل التفكير بجدية بمبادرات خاصة بهم، أفراداً وجماعات، وربما بالتعاون مع الصحفيين المغتربين لإقامة مشاريع صحفية وبإمكانيات بسيطة، بعد الالتئام على أهداف كل مشروع، وبتمويل ذاتي، أما للمؤسسات الإعلامية فأقول، أن خير المؤسسات هي التي تستثمر في أبنائها لتصل عندهم المواهب، وتنمي لديهم القدرات، وتبني فيهم الخبرات، إنها صناعة محلية بدلا من استيرادها، عندها ستنال المؤسسة إضافة إلى الكفاءات، ميزة الانتماء وهي إحدى لبنات التميز والابداع.



(*) حوارى المنشور فى "مفلة الكاردينيا" الصاءرة فى سويسرا بتاريخ الجمعة؁ 02 أيلول/سبتمبر/2022؁ والمنشور فى " صحيفة عروس الأهوار " الصاءرة فى أستراليا بتاريخ 15/ سبتمبر/ 2022؁ والمنشور فى صحيفة "الأخبارفة" الجزائفة" بتاريخ 3/ أيلول / 2022؁ والمنشور فى موقع " منبر العراق الحر " بتاريخ 25/ 9 / 2022.

المتحف البغدادي... لمحات وضاءة من عبق الماضي وحنين الذكريات(*)

أفتتح المتحف البغدادي وهو نسخة عراقية مصغرة عن متحف الشمع - مدام توسو - في لندن، بادئ الأمر بـ 45 مشهدا في سبعينات القرن الماضي، ضمت بمجموعها 197 مجسما، ومن ثم وفي عام 1985 ضم المتحف بين حناياه 77 مشهدا بـ 347 مجسما لتتوالى المجسمات والمشاهد المصنوعة من الجبس تارة، ومن الشمع تارة أخرى تباعا، مجسدة بمجموعها لمحات وضاءة من عبق الماضي وحنين الذكريات وملامح شتى عن الحياة الاجتماعية والتراثية البغدادية وبأدق تفاصيلها.



ولعل من أبرزها إضافة الى قاعة الصور التراثية، والشناشيل البغدادية، وقاعة الساعات القديمة، يأتي مشهد بائعات اللبن، ومشهد القصة خون (= الحكواتي)، كذلك مشاهد الخياط، الحداد، بائع السبح، البقال، الرواف، زفة العريس، جراح السكاكين، المكوجي، النجار، الجالغي البغدادي، خياط الفرفوري، المنقبة النبوية، الخباز، القصاب، النداف، المصور الشمسي، العرضحالي، بائع الباجة، بائعة الباقلاء بالدهن، ومثلها بائع العلوجة، وغيرها الكثير حتى أن ذاكرة هاتفي النقال قد امتلأت وأنا ألتقط صوراً تلو أخرى مهورا بمشاهد المكان، ومأخوذا بمجسماته التي تبدو لزوار المتحف وكأنها بلا نهاية، وها أنذا أستعرض لكم بعض ما تسنى لي التقاطه بعدسة

هاتفي النقال قبل أن تقول لي ذاكرته ولبسان الحال لا المقال: "Stop..يمعود، شنو القصة، ما شايف متحف بحياتك من قبل؟!!"، وللأسف لم يعد هناك متسعاً لمزيد من الصور، وإن كانت أجمل وأشد إبهارا من سابقتها!!

مشهد الملا عبود الكرخي



لا غرو أن واحداً من أجمل المجسمات في المتحف البغدادي، هو مجسم الشاعر العراقي الشعبي الساخر الملا عبود الكرخي، ويبدو بأن الكرخي قد تورط كما تورطنا نحن في مهنة الصحافة في بلدان شرق أوسطية أدمنت مصادرة الحريات وتكميم الأفواه في كل الحقب والأنظمة، وفي حال السماح لهذه الأفواه بالثرثرة



وللأقلام بالكتابة، فإنها عادة ما تكون جعجعة بلا جدوى تذكر، بمعنى: "قل ما تشاء قوله عزيزي المواطن أمام المايكروفونات والكاميرات، وأكتب ما تشاء في الصحف والمجلات، وغرد من خلال وسائل التواصل والمنصات، وسنفعل نحن ما نريد فعله حصريا حتى من دون مقدمات ولا تبريرات ولا مسوغات وبما يمكن تسميته بـ اللغة قراطية!!".

كان الكرخي يلقي الشعر هنا وهناك فلم ينل مراده ولم يحقق أمنياته من خلالهما برغم شهرته التي طبقت الأفاق من هاتين المهنتين "مهنة الشاعر، ومهنة الصحفي الوطني" أما عن غير الوطني من المتلونين، ومداحي الأنظمة، ورداحي السلاطين، فغير - شوووكل- حتى أنه أصدر صحيفتين الأولى بعنوان (الكرخ) عام 1927م وقد تعرض للملاحقة والسجن بسببها، ومن ثم أصدر صحيفة (الملا والمزمار)، وظل يقرض الشعر الشعبي التهكمي الساخر وينظمه حتى وفاته، ومن أشهر قصائده "المجرشة" و"قيم الركاع من ديرة عفج" حتى وصل به الحال الى هجاء المهنتين اللتين قضى عمره فيهما من دون جدوى مادية ولا معنوية تذكر قائلا:

صحافي يكرم الله وشاعر الجمهور

اسمي بالحصاد ومنجلي مكسور

تالي الخيط مني ضاع والعصفور

فِي (=ظل) وشمس أذرع وأنطح إحياطين!!

مجسم بائع الفرارات



من المهن الشعبية البغدادية القديمة "بائع الفرارات" وقد ظهرت هذه المهنة أيام القحط، يوم أن اضطر الكثير من الجياع والمسحوقين الى صناعة هذه المراوح الورقية الجميلة الملونة المحمولة على أعواد خشبية تستهوي الأطفال لبيعها لهم مقابل الحصول على نقود قليلة، أو على الخبز اليابس بنظام المقايضة ليتم بيع الخبز فيما بعد الى الرعاة واستخدامه كعلف للحيوانات مقابل النقود، ولذلك جاء في الأمثال الشعبية قولهم " فلان يبيع فرارات بخبز يابس" إلا أن سمعة سيئة كانت قد أصابت هذه المهنة ولحقت بها برغم عفويتها وبراءتها تمثلت بانتحال الكولونييل "جيرار إيفلين ليتشمان" الشهير بلجمان عراقيا وهو ضابط مخابرات بريطاني جاب الكثير من الدول العربية وتخفى

في بعضها بصفة "بائع فرارات" ودرويش يجوب أزقة ألبو كمال السورية نهرا، بينما ويبيت في مسجدها ليلا من دون أن يفطن إليه أحد، وقيل أنه قد عمل شحاذا وقارئ كف يحمل اسم "الفقير الى الله نجيمان" ساعده في ذلك ملامحه الشرق أوسطية الداكنة ومعرفته بالتقاليد واللهجات العربية ما جعله قادرا على التخفي والتجسس

على أحوال الناس قبل الحرب العالمية الأولى واحتلال بغداد سنة 1917م، وقد قتله الشيخ ضاري المحمود، بعد أن تجاسر عليه الأول وأهانته، وذلك في آب / 1920 أيام ثورة العشرين فهزج العراقيون يومها أهزوجتهم الشهيرة "هز لندن ضاري وبجها"، وأدناه أفيش فيلم "المسألة الكبرى" مقتبس عن موقع السينما-كوم، وهذا الفيلم الذي تم ترشيحه للجائزة الذهبية في مهرجان موسكو السينمائي الدولي في نفس عام إنتاجه 1983م، كان من إخراج المخرج العراقي الكبير محمد شكري جميل، يتناول جانب من أحداث ثورة العشرين، وبضمنها نبذة عن حياة الشيخ ضاري المحمود، الذي جسد دوره الفنان طالب الفراتي، وبمشاركة الممثل العالمي أوليفر ريد، الذي لعب دور الكولونيل لجمن، مع نخبة كبيرة من الفنانين العراقيين والأجانب اللامعين، وقد تشرفت بحضور الحفل الافتتاحي للفيلم في صالة سينما بابل وسط العاصمة بغداد.

مشهدا الحائك والرواف

كان في بغداد قبل 120 عاما أكثر من 200 مشغل للحياكة اليدوية تنتج ما يقرب من 40 ألف عباءة من مختلف الأحجام والأشكال والألوان، علاوة على 130 ورشة لصناعة الأحزمة القطنية -الحيص- و200 ورشة للأحزمة الحريرية، واشتهر حاككة باب الشيخ بالأزر الحريرية، وكان في بغداد نحو 4 آلاف آلة حياكة تتوزع بين الأعظمية والكاظمية وبعض المناطق، وأما عن مهنة الريافة (=إصلاح العيوب والثقوب في الملابس والثياب) فكان في شارع الرشيد وحده 17 روافا لم يبق منهم غير واحد فقط قرب جامع الحيدر خانة.





مجسم الشقاوة

من الشخصيات التراثية الشعبية التي ظهرت في العقود الماضية ومن ثم اختفت بالتدرج وتلاشت، شخصية (الشقاوة) كما يطلق عليها بغداديا، أو (الفتوة) كما يطلق عليها قاهريا، أو (القبضاي) كما يطلق عليها دمشقيا وبيروتيا، وتمثل امتدادا اجتماعيا لشريحة الزعار والشطار والعياريين التي ظهرت في حقبة ما منذ أيام الدولة العباسية ونزولا ولعبت دورا مهما في مجمل الأحداث، وقد شارك بعضهم في صد هجمات التتار والمغول ودافع عن حياض بلاده، بينما تصدى بعضهم الآخر لكل من الاحتلال الفرنسي والبريطاني في حقبة ما على سواء!



وللشقاوة أيام زمان ملابس وهيئات خاصة يعرفون بها وأبرزها وضع "اليشماغ" على الكتف كذلك اعتمار الطاقية العصفورية وبطريقة لافتة كما يتميزون بطي كمي القميص الى الأعلى ولبس قطعة جلدية في اليد اليمنى، ومن أشهر الشقاوات في بغداد إبراهيم عبدكه، و خليل أبو الهوب، وعبد المجيد كنه، وجوامير النكه، وعلي ماما، وعلي شاهيه وغيرهم.

مشهد البوسطجي



"البوسطحي" أو ساعي البريد، هو ذلك الموظف الحكومي الذي كان محط أنظار وانتظار الناس أيام زمان، وكان البوسطحي وهي كلمة معربة عن الانجليزية مأخوذة من "بوست" مضاف إليها "حي" التركية للدلالة على صاحب المهنة أو القائم بالعمل بزيه الموحد الأزرق، وقبعته المميزة ودراجته الهوائية، وحقيبته الجلدية التي يضع فيها الرسائل المهمة بالطوابع البريدية الجميلة والتي كان هواة جمع الطوابع يجمعونها في ألبوم خاص بالطوابع وكان عندي خمسة ألبومات للطوابع المختلفة يوم كنت من هواة جمعها ولا أدري أين حل بها الزمان، أقول كان مشهد البوسطحي مألوفاً ولافتاً للأنظار إلى فترة التسعينات تقريبا، إلا أن تلك المهنة ما لبثت أن انحسرت ومن ثم انقرضت مع اختراع

الهواتف النقالة وانطلاق الانترنت ومواقع ومنصات الاتصال والتواصل وقد قدمت السينما العربية فيلمين بعنوان واحد "البوسطحي" الأول أنتج عام 1948م وهو من بطولة سراج منير...والثاني من بطولة شكري سرحان، وقد أنتج عام 1968م، وبرغم براعة التمثيل وروعة الإخراج وحبكة السيناريو، إلا أن الفيلمين قدما صورة مشوشة ومشوهة بعض الشيء عن شخصية ومهنة البوسطحي الشريفة النبيلة، كما قدمت شخصية البوسطحي من خلال الإذاعة والمسرح والتلفزيون والغناء، ولعل أغنية "طل البوسطحي" و"يا بوسطحي الحباب" و"اسكتش البوسطحي" و"يا بوسطحي" و"البوسطحية اشتكوا من كثرة مراسيلي" تعد من أشهرها!

مجلد الكتب

كانت صناعة الكتب والتجليد مهنة رائجة في بغداد العلم والحضارة في عصر التدوين أيام بيت الحكمة والترجمة والتدوين وأيام المدرستين النظامية والمستنصرية ومثلها مدارس العاقولية والأباريقية والوفائية والعادلية والموفقية، يوم أن كانت بغداد عاصمة للفكر والثقافة والعلوم والمعارف المختلفة تؤمها جموع الأدباء والشعراء والفقهاء والعلماء من أصقاع المعمورة حتى قال فيها القارئ الشهير أبو عمرو بن العلاء: "من أقام في بغداد ومات فيها، نقل من جنة إلى الجنة"، وقال فيها أبو القاسم الديلمي: "سافرت إلى الآفاق ودخلت البلدان من سمرقند إلى القيروان، ومن سندريب إلى بلاد الروم، فما وجدت أفضل من بغداد ولا أطيب منها".

مشهد السقا

مشهد السقا يتحدث عن مهنة أخذت بالإنقراض تدريجياً منذ ثلاثينات القرن الماضي بعد دخول أول ماكينة لإسالة الماء تم نصبها في شريعة الميدان عام 1907، وبعد إقامة أول خزان كبير للماء في جانب الكرخ من بغداد

عام 1931، حيث كانوا ينقلون المياه من دجلة، إلى المساجد، والأسواق، والحمامات، والمقاهي، والبيوت، وكانوا يحملون الماء بقرب خاصة مصنوعة من جلود الماعز والأغنام، ويرتدون زيا خاصا وأنيقا.

المقهى التراثي والثقافي البغدادي



من المشاهد الجميلة التي يضمها المتحف، مشهد المقهى البغدادي، ولطالما شكل المقهى التراثي ركيزة أساسية في حياة البغادة ولا يكاد يخلو شارع أو محلة أو زقاق أو حي من أحيائها القديمة من مقهى تراثي له اسم رنان تحفظه الأجيال كإبراهيم عن كابر، ولا شك أن (مقهى حسن عجيبي) كان وما يزال يعد واحداً من أشهر المقاهي الأدبية والثقافية البغدادية أيام زمان ففي هذا المقهى جلس معظم أدباء ومثقفي العراق ليس أولهم الجواهري ولا آخرهم رائد التفعيلة بدر شاكر السياب، ومن المقاهي التراثية الشهيرة أيضاً والتي تنتظم في ذات الشارع (مقهى الزهاوي) الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى الشاعر جميل صديقي الزهاوي، وكان من رواده البارزين حتى

توهم الناس بأن المقهى ملك له، إضافة إلى غريمه الشاعر معروف الرصافي، ومن هذا المقهى دارت المساجلات الشهيرة بين عباس محمود العقاد في القاهرة، والزهاوي في بغداد، برغم اتفاق الرجلين على انتقاد أمير الشعراء أحمد شوقي، وفي هذا المقهى تحديداً جلس شاعر الهند الكبير طاغور في ثلاثينات القرن الماضي بعد قدومه إلى بغداد ونظم إحدى قصائده فيه.. ومن عجائب هذا المقهى أن كبار العلماء فضلاً عن المثقفين والشعراء وقراء المقام والمناقب النبوية ومقرئي القرآن كانوا يجلسون فيه جنباً إلى جنب، ربما لقربه من محلة جديد حسن باشا، التي تزخر آنذاك بعلية القوم وكبرائهم، أو لقربه من القشلة - مبنى الحكومة القديم - وعلى إحدى طاولات هذا المقهى نظم بدر شاكر السياب، واحدة من أشهر قصائده المعنونة بـ "المومس العمياء" والتي يقول في بعض أبياتها:

أن الطفولة فجَّرَتْها ذات يوم، بالضياء

جَيْفٌ تستر بالطلاء، يكاد ينكر من رآها

ومن المقاهي الشهيرة أيضاً مقهى عزراوي، مقهى الشابندر أو مقهى الشهداء، مقهى البرلمان، مقهى البيروتي، مقهى التراث، مقهى المدلل، مقهى إبراهيم عرب، مقهى المربعة، مقهى البرازيلية، مقهى الجرداغ، مقهى السدير، مقهى رضا علوان، وغيرها الكثير وبما لا يتسع المقام لذكرها ولكل واحدة من مقاهي بغداد الثقافية والتراثية والفلكلورية

قصص وحكايا لا تخلو من الفكاهة والندارة والطرافة، منها من لا يزال يقاوم الانقراض وعوادي الزمن، ومنها ما أصبح في ضمير الغيب ليطويه النسيان وصار في خبر كان وأخواتها، وكانت بعض هذه المقاهي التراثية تحتضن فرق فن المربع البغدادي الجميل، والجالغي البغدادي الأجمل، زيادة على إقامة بطولات لعبة المحببس الشعبية في شهر رمضان تحديدا بين فرق الأحياء والمناطق والمحلات البغدادية الشعبية لتوزع في ختامها الجوائز والهدايا والشرابت والحلويات وفي صدارتها- صواني الزلابية والبقلابة!



مشهد الحلاق

من المشاهد الجميلة المعروضة في أروقة

المتحف البغدادي، مشهد الحلاق الذي لعب دورا كبيرا في الحياة البغدادية الثقافية والاجتماعية، بل والسياسية كذلك، حيث كان الحلاقون ينتظمون في نقابة مهنية تأسست ووفقا لموسوعة الأنطولوجيا عام 1929م في بغداد وشارك مؤسسوها وأعضاؤها من الحلاقين المعروفين في معظم التظاهرات الحاشدة ضد الاحتلال الانكليزي في عشرينات وثلاثينات وأربعينات القرن الماضي، ولاسيما وأن معظم صالونات الحلاقة الفاعلة والشهيرة آنذاك كانت منتشرة في قلب بغداد، وكانت تتوزع بين أزقة وحارات ومحلات العاصمة المحاذية والملاصقة والمحيططة بشارع الرشيد الرئيس تحديدا وهذا الشارع يتوسط بدايته من جهة الميدان وما يزال "جامع الحيدر خانة" العريق الذي انطلقت منه كل التظاهرات الوطنية المنددة بالمستعمر الانكليزي الغاشم ومنه اندلعت شرارة ثورة العشرين، وبالتالي فإن مشاركة الحلاقين ونقابتهم كانت جزءا وثيقا لترابطها ولقربها- زمكانيا - من مجمل الوقائع والأحداث وقتئذ.

حكايات ألف ليلة وليلة بدورها كانت قد تطرقت الى طرائف الحلاقين ولطائفهم ومواقفهم وكان واحد منهم يمارس مهنة عدة إضافة إلى مهنته الأصلية، ومنها عمل الحجامة، وقلع الأسنان، وختان الأطفال الذكور، ومن أشهر محال الحلاقة في بغداد أيام زمان حلاقة الجابي، وشنب شيك، وحلاق الملوك، وحلاقة توكالون، وحلاق الباشوات، ومهم السيد حكمت محمد الحلي، وإن كان بعض زملائه في المهنة ينكرون عليه ما كان يرويه ويزعمه من قصص حلاقة الملوك وبالأخص حلاقة الملك فيصل الثاني يوم كان صغيرا في قصر الرحاب، وكان الحلي معروفا بشدة أناقته وبحسن هندامه وعلى الطريقة الايطالية حتى أصبح نجما تتقاطر عليه وسائل الإعلام كافة في وقت ما، وكان صالونه الصغير الذي ظل محافظا على ديكوراته القديمة برغم تهالكها يقع مقابل محل شربت الحاج زباله الشهير الذي تأسس سنة 1900م، وقد زاره كل الملوك والرؤساء والوزراء ماضيا وحاضرا تقريبا، وما يزال نشطا يقدم عصير الزبيب البارد المنعش صيفا وشتاء الى يومنا هذا، وأما عن أشهر قصص الشعر وموضات الحلاقة آنذاك فكانت قصة المجيدة، والتوالييت، والهاي لايف، والبروص، وأبو الطوبة، ونمرة صفر، ونمرة أربعة، والكعكولة، والطاسة وغيرها.

مشهد الصفار

مشهد النحاس أو الصفار الذي خصص له المتحف البغدادي ركنًا خاصًا تعد أقدم مهنة عرفها البغداديون منذ القدم، وما لبثت أن انحسرت في سوق خاص بها حاليًا هو سوق الصفافير، حيث كانت صناعة الصفر تهيم على أثاث ومستلزمات وأمتعة المنازل كالقدور النحاسية، ودلال القهوة، والمباخر، والقناديل، والتحفيات وغيرها، وأبرز معادتهم تتمثل بالمطارق والمبارد والسنادين وذلك لتزيين منتجاتهم بالنقوش والزخارف المختلفة. مشهد "الزورخانه"

تعد رياضة الزورخانه الأب الروحي لكل رياضات القوة وكمال الأجسام المعروفة حول العالم وتتألف من كلمتين (زور - خانه)، وتعني القوة والبيت، وترجمتها (بيت القوة)، وهي رياضة كانت شائعة في القرون الغابرة ولغاية النصف الأول من القرن العشرين بعد أن انحسرت أماكنها وقل عدد ممارسيها فيما توجه معظم الشباب لممارسة ألعاب قوة أخرى بدلا منها في قاعات الجيم، والنوادي الرياضية، وصالات رفع الأثقال وكمال الأجسام. وكان وما يزال لرياضة الزورخانه من الطقوس الخاصة، والآداب الفريدة، كذلك الزي الخاص بها والمعدات الرياضية المذهلة ما لا تتوفر لأية رياضة معروفة للقوة البدنية في أرجاء المعمورة، فكل شيء برياضة الزورخانه مميز جدا وفريد من نوعه، وبعضها يتسم بالغرابة وبما يثير الدهشة والاعجاب في آن واحد.

تأسس اتحاد اللعبة الدولي عام 2004م، وضم في عضويته أكثر من 55 بلدًا بينها العراق، بينما تشكل اتحادها الرسمي عراقيا عام 2013م لينضوي تحت مظلة اللجنة الأولمبية العراقية، بحسب رئيس اتحاد الزورخانه.

بقي أن تعرف بأن فريق الزورخانه يتألف من 12 - 14 لاعبا، وقد يصل أحيانا الى ثلاثين شخصا، وبحسب الباحث الموسوعي طارق حرب، رحمه الله تعالى، فإن من تقاليد الزورخانه تلاوة القرآن الكريم، وأداء التواشيح، وبعض المقامات كالدشت والسيگاه، قبل أن تبدأ الهرولة تصاحبها إيقاعات الطبلية، ثم (الشناو) وحركة العصي المسماة ب(الأميال) يليها الدوران السريع، فالقفزات والمراوحة، ومن ثم الثزالات التي تسمى (الحلوانه) إذا كانت ودية، وتسمى (الخصمانه) إذا كانت



حقيقية.

تمارس الزورخانه تحت قبة تتوسطها نافذة زجاجية لتؤدي فعاليتها وتمارينها فوق منصة دائرية منخفضة تسمى (الجفرة)، فيما يجلس (الأسطة) بمكان مرتفع ليؤدي التواشيح الدينية والأشعار الحماسية، وفقا لبحث موسوم بـ "رياضة الزورخانه..دراسة تاريخية"، وأما عن أدوات اللعبة فهي "السنك" وهو عبارة عن قطعتين من الخشب ثقيل الوزن، يليه "الكبادة" أو (القوس)، والميل، أو (الهاوة) إضافة الى خشبة الضغط، وأشهر أبطال اللعبة

عراقيا، عباس الديك، ومهدي زنو، وحسن نصيف، وصبري الخطاط، ونائل الصباغ، وصادق الصندوق، وغيرهم، بحسب بحث تراثي جميل بعنوان "الزورخانات في بغداد".

ختام الرحلة

أطفأت كاميرتي..أو بالأحرى - وليس أكذب عليكم، وحتى لا تسألني شنو نوع الكاميرا مالتك، كانون، سوني، باناسونيك، نيكون-أقول بأنه هاتفي النقال أغاتي وبعد أن انتهى شحن بطاريته وتحول الى مجرد قطعة خردة محمولة في الجيب، تأبطت أوراقى..خرجت من المتحف البغدادي مشدوها بمشاهدته، ومأخوذا بمجسماته التي تخلب الأبواب وقد عصفت بي خلال تجوالي مشاعر شتى تراوحت بين فرح غامر بما شاهدته، وبين حزن غائر على ما مضى منا وكان من أزمنة ومعالم جميلة لم يعد لأغلبها وجود، لأجد نفسي فوق أحد أعرق الجسور الـ 13 في بغداد - جسر الشهداء- وقد سمي بهذا الاسم بعد انقلاب 14 تموز وكان اسمه قبلها جسر المأمون، وذلك لسقوط العديد من الشهداء والجرحى فوقه عام 1948م تنديدا بمعاهدة "بورتسموث"، حيث وقفت وسط الجسر متأملا في رقعة شاسعة وحافلة بالمعالم الأثرية والتراثية عن يمين وشمال، فهناك تغفو المدرسة المستنصرية على ضفاف دجلة الخير وهي أقدم جامعة في التاريخ البشري، وهناك يتربع تمثال الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي، فضلا عن جامعي الوزير والأصفية العريقين ولكل منها قصص وحكايا لا تمل، وهناك سوق السراي التراثي الشهير الى جانب سوق السراجين الأشهر، وهناك على مرمى البصر ساعة القشلة التراثية، ولم أكد أفرغ من تأملاتي ومشاعري الجياشة تلك حتى مر من أمامي الباص الأحمر ذو الطابقيين فركبته لا إراديا والى لا وجهة محددة، والى اللامكان، وأنا أتمتم برائعة أمير الشعراء احمد شوقي، عن بغداد قديما:

دع عنك روما وأثينا وما حوتا
كل اليواقيت في بغداد والتؤم

***وفي ختام تحقيق المتحف البغدادي، أودعناكم مؤقتا أغاتي.. فلا تذهبوا بعيدا..

لفة فلافل حارة بالطماطة العراقية والعنبة الهندية الشريس من- أبو العريانة - الخشبية متبوعا بقدح سكنجبيل مثلج من - أبو العريانة - المجاورة أيضا، وبعدها استكان شاي مهيل من راس القوري الفرفوري- يكعد الراس- العراقي والمصري والسوداني والسوري، وراجعين!!

(*) تحقيقي الصحفي المنشور في " مجلة الكاردينيا " الصادرة في سويسرا بتاريخ الأربعاء، 04 آذار/مارس 2026، ومنتدى "البيت الأرامي العراقي" بتاريخ 13 / أغسطس / 2022، ومنتدى " فخامة العراق " بتاريخ 20 / مارس / 2026.

حوار مع الأدبية والشاعرة العراقية المغتربة "مي العيسى" (*)



* صالوننا الأدبي في لندن يحضره المثقف الإنكليزي والأمريكي والهندي والإسباني والإيطالي والعربي.

* سماني أبي وكان أديبا وكاتبا معروفا على اسم الأدبية العربية الشهيرة "مي زيادة".

* ماذا تقرأ بطاقتك الشخصية والمهنية؟

— عراقية نقلت حضارتها إلى بريطانيا وتحافظ عليها بإفادتها مما يحمله العرب من تراث رائع، وقِيمٍ راقية.

* أنت رئيسة تحرير مجلة "همس الحوار" المحكمة الصادرة في لندن، هل لك أن تطلعينا على تاريخ صدور العدد الأول من المجلة، وكيف تولدت الفكرة ابتداءً؟

— صدر العدد الأول من دورية "هَمْسُ الحِوَارِ ~ Whispering Dialogue" للأدب والفنون والعلوم الإنسانية في كانون الثاني ٢٠١٨ م.

أما عن فكرة إصدارها فقد اختمرت في ذهني أول الأمر خلال دراستي للترجمة واللغويات، ومن ثم المالية الدوليّة في إنكلترا، وقد تلمست حينها نقصاً في المواد المؤرخة، وكنت أشخص شحا فيها مهما بحثت و تقصيت، برغم ما توفره مكتبات الجامعة من مصادر ومراجع على مستوى عال وبما لا يحصى، وبالأخص تلك المصادر التي أحتاجها باللغتين، ما جعلني أفكر ملياً في إصدار مطبوع دوري أدبي وثقافي يسد هذا النقص، بما يوفر الكثير من الجهد والوقت أمام الباحثين من بعدي، وبالفعل فلقد طرحْتُ على المسؤولين في المكتبة البريطانية، فكرة إصدار دورية ذات محور رئيس ومهم يناقش ما يحدثُ آنياً لكلِّ عددٍ من إصداراتها وباللغتين العربية والإنكليزية في تشرين الأول ٢٠١٧ م، فما كان منهم إلا أن رَحَّبوا بالفكرة، وأثنوا عليها كثيراً، ولله الحمد والمنة، وبهذا صادقتُ إدارة المكتبة على الدورية برقم تسلسل عالمي ثابت، وها هي في أرشيفها كمجلة إلكترونية محكمة (بي دي أف ~ pdf) زيادة على موقعها الإلكتروني الرسمي الذي يحفظها وموادها الثرية من المتسللين والمنتحلين، إضافة لحمايتها من السرقات الأدبية وحقوق الملكية.

* ماذا يعني أرشفة "همس الحوار" في المكتبة البريطانية بالنسبة للكتاب والباحثين والأكاديميين وطلبة الدراسات الأولية والعليا، سواء العرب منهم أو الأجانب؟

— الأرشفة عاملٌ مهمٌ جداً لكونه يضمن المحافظة على الدورية مدى الحياة داخل المكتبة البريطانية لتشكل مرجعاً ومصدراً يرجع إليه الباحثون والدارسون في أي وقت شاؤوا، حاضراً ومستقبلاً، بغية الاستفادة من مواضيعها وبحوثها ومحاورها وأبوابها المهمة المتعددة.

* هناك عدد كبير من المثقفين والكتاب والباحثين العراقيين والعرب يودون الكتابة في مجلتكم الرصينة، ترى ما هي ضوابط وشروط النشر فيها؟

– نرحب بالكتاب والباحثين من أنحاء العالم كافة، شريطة الالتزام بالرصانة والموضوعية وأصول وقواعد النقد الأدبي والبحث العلمي، ونؤكد للجميع حرصنا على انتقاء الجيد والجديد من النصوص الأدبية التي تتناسب مع رقي لغة الضاد، لتحلق بها عالياً إلى آفاق أرحب، علماً بأن النصّ أولاً وآخره، إنما يُعبر عن وجهة نظر، ورأي كاتبه، أما شروط النشر، فهي كالآتي:

أن لا يكون النص قد نُشر في أية صحيفة أو موقع إلكتروني سابقاً، أو قبل مرور عام كامل على الأقل من تاريخ النشر وبإذن من الناشر، كذلك خلو النص من أي نَفَس طائفي، وأن يتعلّق النص بمحور العدد، مع سلامة اللغة بمفرداتها كلّها، وتوفّر المعايير اللغوية ومقاييس البلاغة حسبما يقتضيه النص، وأن يخضع النص للتدقيق من قبل أساتذة أكفاء في هيئة التحرير حسب الاختصاص، ولهينة التحرير رفض أي نص على أن تبيّن أسباب ذلك، على أن يُقدّم النص العربي بتوطئة باللغة الإنجليزية، والنصّ الإنجليزي بتوطئة باللغة العربية، فيما تُكتب خلاصة باللغتين العربية والإنجليزية وتحليل أكاديمي مهني وموضوعي للبحوث والدراسات التي يتم قبولها على أن يتضمن البحث عناصر القوة والضعف في النصّ موضع الدراسة أو التحليل النقدي بعيداً عن المحاباة. وهو النهج الثابت لسياسة الدورية.

ولهذه الشروط والضوابط مجتمعة أصبحت مجلّتنا الفصلية المحكمة "همس الحوار" معتمدة ليس في المكتبة البريطانية وحدها، وإنما قد تم اعتمادها وأرشفتها أيضاً في العديد من مكتبات الجامعات المرموقة حيث تؤرشف اليوم في مكتبات جامعة أوكسفورد وجامعة كمبريدج وجامعة دبلن وجامعة ويلز وجامعة سكوولندا.

* أنت أديبة وشاعرة وكاتبة ومترجمة، حديثنا قليلاً عن أهم دواوينك الشعرية، وكتاباتك وترجماتك من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس.

– بعض النصوص الشعرية جمعتها في ديوان (و.. هَمَسْتُ) على أمل أن أجمع الجديد منها في ديوان آخر، أما عن المقالات فقد نُشرت في بعض المجلات والصحف ابتداءً بـ(الشرق الأوسط) مروراً بـ(سيدتي) و(كلّ العرب). فيما نشرت المقالات الإقتصادية منها في (جريدة الحياة) كما في بعض الترجمات. أما الإنكليزية منها فتم نشرها في بعض المواقع الإلكترونية.

ولا يفوتني التنويه إلى أن بعض النصوص الشعرية والقصص القصيرة قد أُلقيت في العديد من المنتديات البريطانية وباللغتين، ولا سيّما في مقهى الشعر اللندني Poetry Café، وأنا عضوة فيه.

* وماذا عن صالونك الأدبي المعروف والذي شبهه بعضهم بـ"صالون مي زيادة" وكان يعقد كل يوم ثلاثاء في القاهرة، ويؤمه كبار الأدباء والكتاب والشعراء العرب، ولا سيما أنكما تشتركان في الاسم ذاته أيضاً، وهو من الأسماء المؤنثة الشاعرية والأكثر عراقية عند العرب وفيه قال النابغة الذبياني:

يا دارَ مَيَّةٍ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَدِيدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَظْمُهَا سَالِفُ الْأَبَدِ

– (صالون مي) الجديد يأتي امتداداً لصالون الكاتبة والأديبة التي سماني والذي رحمه الله تعالى، على اسمها، تيمناً بها، وذلك لشغفه بالأدب والشعر العربي والعالمي وتربيته وتربيته الأصبلة التي سقاها إياي.

صحيح أن صالوننا الأدبي قد توقف برهة من الوقت لظروف خارجة عن إرادتنا بما فيها ظروف الحظر بسبب جائحة (كوفيد – 19)، إلا أننا واصلنا إقامة الجلسات الأدبية من خلال اللقاءات الإلكترونية لمناقشة القيم من

المواضيع وما يُكتب فيها، كذلك الشعر والقصة القصيرة، بالعربية والإنكليزية، فصالوننا الأدبي يحضره المثقف الإنكليزي والإسباني والإيطالي والهندي والأمريكي والعربي، ومن الجلسات ما تتداخل فيها الثقافات، وتتزامن في أروقها الآراء، وتتراكم المعارف، ومنها ما تتشابه، أو تتعاكس، لننقل خلاصة التجربة الثرية تلك، وزبدها لاحقاً إلى دوريتنا الثقافية "هَمْس الجوار".

* والدك هو المحامي والأديب عبد الودود العيسى، وهو من أسرة بصرية عريقة ومعروفة، وله روايات ما تزال محفورة في الذاكرة فضلاً على الذاكرة الأدبية، أولها "مذكرات مسلول" وثانها "شمخي" وثالثها ظلت مخطوطة بعنوان "الشاطئ المسحور"، حديثنا قليلاً عن سيرته الأدبية التي قد تجهلها الأجيال الناشئة. – والذي المرحوم عبد الودود العيسى الخصيبي البصراوي، معروف بحكمته وعدله وحنكته كمحام، وبكتاباته الراقية ككاتب، وقد تناول في روايته "مذكرات مسلول" تجربته الشخصية حين كان يدرس في الجامعة الأمريكية في بيروت، أما رواية "شمخي" التي كتبها عام ١٩٦٩م، فقد تناول فيها معاناة الفلاح المتهك المستغل إقطاعياً، متطرقاً الى ملابسات غبن الحقوق العامة، والخاصة من خلال "شمخي" وأمثاله، ليس للفلاح فحسب، وإنما للجميع. وأما عن (الشاطئ المسحور) فقد ظلت المسودة تنتظرنا بعد أن قال لي أبي بأننا سنكملها سوية، قبل أن نفقدها وللأسف!



لقد كان يكتب مقالاته الأدبية والسياسية اللاذعة وينشرها في الصحف والمجلات الأدبية والسياسية منذ أن كان طالباً في بيروت ولاحقاً في بغداد والبصرة. حتى اللقاءات الاجتماعية في دارنا كانت تتحوّل إلى جلسات وصالونات ثقافية وسياسية وأدبية نناقش فيها محاور شتى منها الحادثة ومنها الأنية، من دون أن نغفل عن الأحداث الماضية، وعن الذكريات المهمة، وقصص التراث التي تروى كجگم وعبر وعظات وتجارب لا مناص من ذكرها والتذكير بها البتة. كان مديراً للحقوق والأراضي في شركة نفط البصرة، وقد سنّ قانوناً يحمي به حقوق العمال، ووزع أراضي سكنية لهم.

وكان رحمه الله تعالى نهم القراءة باللغتين العربية والإنكليزية، وظلّ يتعلم ويقرأ. وقد أعاد دراسة الفرنسية حين كنّ في الابتدائية، وقد أفدت كثيراً من كتبه تلك لاحقاً، فمكتبته ورفوفها كانت عامرة بالكتب والمخطوطات

الأصيلة، وفي كل شهر كان يأتيه أفضل كتابين من المكتبات الإنكليزية ليزين بها مكتبته. وكان حين يكتب الدعاوى أرتبها له لاحقاً بخطي.

وكان رحمه الله تعالى شديداً في التربية، ودوداً كاسمه، حريصاً على قول الحق في حياته وكتابات، وأذكر أنه وفي الرابع الابتدائي حدث وأن صححت لي مدرسة الإنكليزي الإملاء ووضعت لي درجة ١٠/١٠، ففرحت كثيراً، إلا أنني وحين سلمت الورقة إلى أبي وإذا به يذهب إلى المعلمة في اليوم التالي ليؤنبها وينبها على وجود خطأ إملائي وبالتالي فأنا لا أستحق تلك العشرة الكاملة عليه، فصارت المعلمة ومنذ ذلك الحين تراجع ورقتي الامتحانية أكثر من مرة قبل أن تسلمني إياها!

ولعل عزائي الوحيد هو أنه قرأ كتاباتي قبل أن تُنشر رسمياً، وكان يشجعني ويشكل مصدر إلهام لي، وما تزال نصائحه الأبوية الذهبية، تداعب مسامعي، وترن في أذني.

* مجلة (همس الحوار) تتضمن أبواباً عدة، حبذا لو أطلعت القراء الكرام على تلك الأبواب وأبرز خصائصها وأهم من كتبوا فيها؟

— الأبواب الرئيسية، في مجلتنا هي:

— البحوث والدراسات والمقالات في علوم اللغة والنقد الأدبي والعلوم الإنسانية.

— الشعر.

— المقالة.

— القصة القصيرة.

— الفنون.

— أدب الرحلات/ في باب

ابن بطوطة.

— الوثائقيات.

— ذخائر الأدب.

— ما قبل التاريخ؛ عن

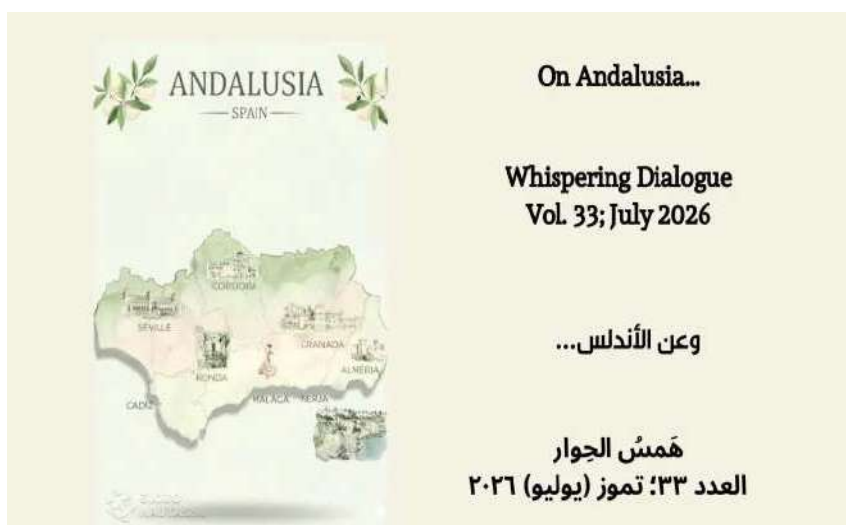
الحضارات الغابرة.

— الحوارات.

والحق يقال فإن دورية

همس الحوار "تزرخ بالأسماء اللامعة المعروفة، فضلاً على الواعدين من حملة الأقلام الشابة لتشجيعهم، والقائمة تطول، وكما أسلفت فنحن نختار القيم والدسم من المواضيع المهمة دائماً.

كانت أستاذتنا المرحومة الأدبية "ناصر السعدون" من أوائل من حاورناها أدبياً، كذلك الأستاذة الدكتورة بشرى البستاني، أطال الله في عمرها، والفنان التشكيلي الكويتي سامي محمود، وغيرهم كثير من الشخصيات العربية المهمة، إضافة إلى البريطانية المحامية (عينا خان) التي حصلت على الوسام الملكي تمييزاً لجهودها في إدخال الشريعة الغراء في قانون الزواج البريطاني للمحافظة على حقوق الزوجة في عقود الزواج في بريطانيا. علاوة على أساتذة في جامعات أمريكية كأستاذ الفلسفة مارك جوزيف، وأستاذة اللغة كرستينا كيتسون.



ومن خلال الدورية نتعرف كذلك على أدب وثقافة الهنود الحمر، والفرنسيين، والإسبان، وشعوب أمريكا اللاتينية، والعرب من الخليج إلى المحيط...

أسرة تحرير مجلتنا كان لها الدور البارز والجميل من خلال المناقشات المفتوحة لاختيار المواد، ومراجعة النصوص، والمحاور في اجتماعاتنا الدورية. أذكر منهم الكاتبة الإسبانية إيزابيل دُل ريو، والشاعرة الدكتوراة ثريا نعمان، كما هي أسهاماتك أستاذنا الفاضل (=أحمد الحاج مكتبي).

* ماذا تعني لك الرواية والمجموعات القصصية كفن أدبي مؤثر ومرموق ولاسيما وأن هناك من الأدباء المعروفين من يقلل من شأنهما، عمدا تارة، وسهوا أخرى؟

– في الرواية، ننتقل إلى عالم آخر نستقي منه الحقيقة عبر الخيال. التاريخ فيها عبرة وحكمة ونصيحة. أما القصص القصيرة ولا سيما الموجزة منها، فهذه تختصر الحياة بجملة، وتوجز الواقع بالتفاتة. وفي كل منهما نقول ما لا نستطيع الجهر أو البوح به.

ولكل كاتب أسلوبه الجميل والمتع في الكتابة والحكاية التي يرومها لنا، وبما يختلف عن نظرائه الآخرين، والحق يقال بأن أصحاب (الأنا) الفارحة هم وحدهم من يريدون إسقاط سواهم ربما للصعود والتميز.

* بماذا تنصحين الشعراء الشباب من كلا الجنسين؟

– يا حبذا لو يقرأ الشعراء أمهات الكتب العربية، وترجمات الشعراء، كما الكتاب للتعرف على مجمل المدارس الأدبية والثقافات الموسوعية، ويحرصوا على أن يطوروا أنفسهم، ويصقلوا مواهبهم، ويشذبوا مهاراتهم في كتابة الشعر ونظمه، سواء منه المقفى، أو الحرّ.

* كلمة أخيرة لقرائك ومتابعيك.

– لننقل الأصيل من ثقافتنا الجميلة ولنجول بها حول العالم بأجمل ثوب قشيب، وبأبهى حلة. ولكم مّي طيّب التحايا، وصدق الدعوات.

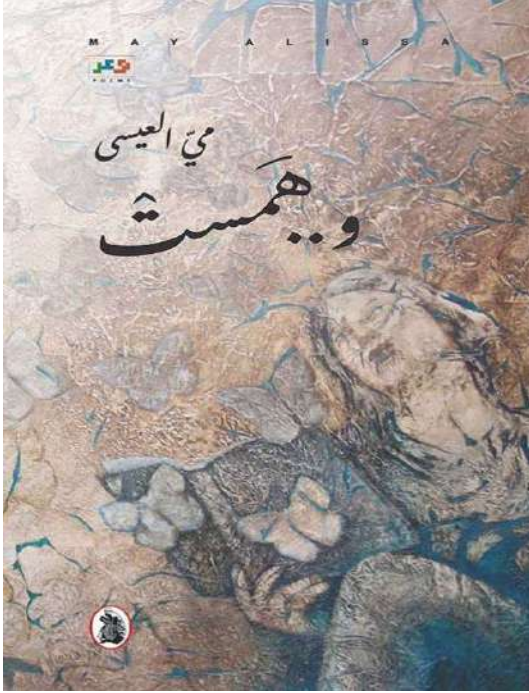
يشار الى أن للأديبة والشاعرة والأكاديمية العراقية المغتربة، مي العيسى، ديوان شعري شارك في العديد من معارض الكتب العربية، بعنوان "وهمست"، كانت العيسى قد دونت بين دفتيه حبا إنسانيا دافقا حلق بجناحي العشق والغربة عاليا من مدينة الضباب – لندن – ليعانق نخيل البصرة الفيحاء، وجنائن بابل المعلقة، وشناشيل بغداد، وحذاء الموصل، وقلعتي كركوك وأربيل، وكل معالم ومدن العراق القديمة، ديوان تماهت عناوينه البراقة الجميلة، مع شاعريته المثالة الأصيلية:

" حوارية الشمس والقمر، كحلة الليل، نثيث صيف، حلم آفل، رقصات، لا، انخطاف، لعبة الثلج والوحل، لحظة انتظار.. وساعة، الحياة أوراق، في قنينة، هبني، بين الظهيرة والليل، تسلل، حنين، دعابة الأمس، حجري، بينكما، ثلاث حفنات، وأدي، وكفى اغتيالاً، مشاكسة، منام."

ومن عناوينه المهمة كذلك "اهرب، فلنرقص، يأس!، الصبر، يا ابن أُمي، صمت كلمات، هيا شهرزاد، غضب، صدى الأعماق، جراح الورد، هيولى، إليك، إضافة الى، خبيء، ومضة، علمني المشي، لقاء عابر، نيام نيام، إبليس،

مشاكسة، من أنت، بعد الغد، أمان محالة، سيكارة، دورة مدى، مصيدة، نسيان الذكرى، في الفؤاد.. وردتان، دمعة..".

لقد باحت العيسى بمشاعرها الجياشة بين كلمات وسطور وأبيات قصائدها النثرية المبهرة لتصول وتجول بمواضيع شتى تتحدث بمجملها عن حب الوطن، عن ألم الفراق، عن لوعة العشق، عن خبايا النفس والحياة، وتقول في قصيدتها "يا ابن أمي":



يا ابن أمي يا ابن أمي، أين أمي؟
ها قد توالدت الذئاب
رأيهم هنا وهناك
بتكشيرتهم ينهشون لحمي
يا ابن أمي، أين أمي؟
تكاثر الذئاب من حولي
أراهم.. هنا وهناك
بوجود تحت ألف قناع وقناع
يحتفون بغرز الأشواك.. في جسدي
هنا. وهنا. وهنا. وهناك
يا ابن أمي، أين أمي؟

(*) حوار المنشور في "صحيفة المثقف" العربية الصادرة في أستراليا بتاريخ 10 أيلول/سبتمبر 2022، والمنشور في "مجلة الكاردينيا" الصادرة في سويسرا بتاريخ الخميس، 08 أيلول/سبتمبر 2022، والمنشور في صحيفة "الجزائرية للأخبار" الصادرة باللغات الفرنسية والعربية والأمازيغية بتاريخ 8/سبتمبر / 2022، والمنشور في مركز "الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي" بتاريخ 8/9/2022.

لفت الأنظار..الى فوائد الذكاء الاصطناعي وكم المخاطر والأضرار(*)

*الأستاذ الجامعي د. عامر ممدوح: أشعر أحياناً بأن الدقة المتناهية في المنجز هو بحد ذاته دليل واضح على ذلك الانتحال المبني على الذكاء الاصطناعي، ودون شك فإن لبرامج كشف الاستلال دور في معالجة جانب من تلك المعضلة.

*الإعلامي صهيب الفلاحي: المحامون والأطباء وغيرهم سيجدون العشرات من برامج الذكاء الصناعي التي تخدم مهنهم، ومن المهم جداً أن نتجاوز مراحل الانبهار بهذا الذكاء ومن ثم ننطلق للتعامل مع برامجه بذكاء.

*المهندس عمر المشهداني: نعم قد يكتب لك الـ Chat GPT مقالا متكاملًا في موضوع علمي بحت، ولكن من الغباء الطبيعي الاتكاء عليه في علوم الهوية، وأقصد بذلك علوم الدين واللغة والتاريخ.

تصاعدت في الآونة الأخيرة وتيرة المنافسة الشرسة التي تستعر حالياً بين شركات مايكروسوفت وغوغل و آبل وميتا وإكس للاستحواذ على تقنيات الذكاء الصناعي، ولا سيما بعد نجاح برنامج (شات جي بي تي) أو Chat GPT وهو برنامج لمعالجة اللغة إضافة الى الدردشة والكتابة من إنتاج شركة (أوبن إيه آي) بإمكانه التفاعل مع المستخدمين أطلق في تشرين الثاني / 2022 ليتربع على قائمة (روبوتات المحادثة) من خلال تقنيات (التعلم التعزيزي) وبما هز أركان التكنولوجيا الرقمية وأثار موجة من الفرح الغامر المشوبة بالخطر الشديد، فهذا البرنامج الذي توقعت الشركة الأمريكية المنتجة تحقيقه مليار دولار خلال العام 2024 م وحده، ينتشر كالنار في الهشيم وبات يحظى باهتمام كبير للغاية من قبل المدونين والباحثين وصناع المحتوى الرقمي على سواء، كل ذلك قبل أن يطلق الملياردير إيلون ماسك، الذي سبق له وأن أبدى مخاوفه من خروج الذكاء الاصطناعي عن السيطرة ليعلن عن أول نموذج ذكاء اصطناعي توليدي لشركته الناشئة AI x، باسم "غروك" لمنافسة برامج غوغل وميتا وأوبن إيه آي، وبمواصفات تتفوق على شات جي بي تي، ليس أولها روح الدعاية التي يتمتع بها هذا البرنامج الجديد المحصور بمستخدمي منصة إكس حالياً، وليس آخرها الإجابة على أسئلة تحجم أنظمة الذكاء الاصطناعي الأخرى في الإجابة عنها، زيادة على قدرته الفائقة على إنشاء نصوص ورموز وصور تشبه البشر بغضون ثوان معدودة!على حد وصفه.

ولا يفوتنا التعرّيج هاهنا وفي سياق المقدمة على نموذج "لاما 3" الذي أطلقته شركة "ميتا بلاتفورمز" في تموز 2024م ويتميز باحتوائه على 405 مليارات متغير، ناهيك عن التحدث بثماني لغات، وكتابة أكواد بجودة عالية، وبما توعده الملياردير مارك زوكربيرغ، بأن يتسيد برنامجه هذا مشهد الذكاء الاصطناعي برمته خلال العام 2025! على حد زعمه.

حوار مع أهل الرأي وأرباب الصناعة

للوقوف على أضرار ومخاطر الذكاء الاصطناعي ووضع السبابة والإيهام عليها من جهة، ولتسليط الضوء على فوائده وتبديد المخاوف بشأنه من جهة أخرى بوجود 950 تطبيقاً تحمل مصطلح "الذكاء الاصطناعي" تحقق إيرادات كبيرة جداً بينها مليون دولار يومياً لـ شات جي بي تي، وحده وفقاً لموقع "عالم التقنية"، حاورنا عدداً من

المتخصصين والمهتمين وبدأنا بالأستاذ الجامعي، والباحث الأكاديمي الدكتور عامر ممدوح، مؤلف الكتاب المهم "تاريخ المستقبل خطوة إلى الوراء خطوتان إلى الأمام"، وبإدراجه بالسؤال الأول:

*لقد أثار الانتشار الهائل للذكاء الاصطناعي وتوسع مديات استخدامه مخاوف المعلمين والمدرسين وبما يهدد مستقبل مهنتهم قاطبة، فهل تعتقدون ومن وجهة نظركم بأن الذكاء الاصطناعي سيسفر عن تلحم المخاوف مجتمعة واقعا، أم أنها مجرد مبالغات لم تجد حتى الآن ما يؤيدها أو يدعّمها؟

- نعم دون شك، فإن تنامي قدرات الذكاء الاصطناعي سيؤثر على مجالات عمل واسعة، ولكن هذا الأمر ينطوي على شقين:

الأول: أن التوظيف الأكبر والتأثير الأشمل سيكون في المجتمعات المتقدمة صناعياً وتكنولوجياً، وبالتالي سيتأخر وصول هزات وارتدادات ذلك في المجتمعات المتأخرة نسبياً لضعف أدواتها، بل على العكس فلربما تُحرّم تعمداً من كثير منها كي لا تأخذ طريق التقدم مثل غيرها!

الثاني: ستبقى هناك مهارات يعجز عنها ذلك الذكاء الموجه، ومن أبرزه أنه يتعامل آلياً وفق ما يغذى به، وسنة الله تعالى في خلقه أن التفاوت بين الأفراد وامتلاك المهارات سيظل قائماً لا ينتهي، وأن ثمة موضعاً في الإنسان فيه مكن يميزه لن يصل إليه أحد ومنه ينبع الإبداع ذاتياً دون تكلف.

* (نهاية العالم في طريقها فعلاً فالخوارزميات لا تشبع، والبيانات لا تعاني)

بهذه العبارة وجه المطرب والمؤلف الأسترالي (نيك كيف) سهام النقد إلى نظام الذكاء الاصطناعي (شات جي بي تي) بعد أن قلّد أسلوبه في تلحين وكتابة أغانيه، فما هو تعقيبك على ما قاله، ولأسيما وأن الفنون التشكيلية برمتها وبالأخص فن الخط والزخرفة والتصميم والكرافيتي والكولاج والفنون التطبيقية وغيرها باتت كلها مهددة أسوة بروادها وأساتيدها ومواهبها بالمثل؟

- يبقى الذكاء الاصطناعي تقليداً وليس أصلاً، وربما المخاوف الكبرى مردها إلى أنه يسير بالعالم كله إلى هاوية الآلية وانعدام المشاعر وطرح البعد المصلي بشكل صارم يفسح المجال لأصحاب رؤوس الأموال للمزيد من الكسب ويسحق المحرومين ومن دون رحمة.

إن تفاقم هذا الأمر. إذا وضعنا معه تأثيراته في حرمان الكثيرين من وظائفهم والإمعان في التعامل معهم بقسوة بالغة. سيكون منتهى ثورة إنسانية ترفض ذلك المسخ الجديد بينهم، والدورات الحضارية لا بد لها من تحدٍ عظيم يحفزها على الاستجابة المتوائمة والمتماهية معه.

* تتمتع برامج الذكاء الاصطناعي بقدرات خارقة لفهم واستيعاب اللغة المكتوبة والمنطوقة تمهيدا لكتابة الرسائل المهنية وبما أثار الكثير من الجدل فضلاً على المخاوف الأخلاقية خشية تنامي قدرات هذا (الذكاء الاصطناعي) ليتفوق حتى على من قاموا بتصنيعه بحسب دويتشه فيله الألمانية، وبصفتك أستاذاً جامعياً، وبوصفك باحثاً أكاديمياً، فهل هناك مخاوف جدية من سوء استخدامه في كتابة بحوث التخرج الأولية، علاوة على رسائل الماجستير، وأطاريح الدكتوراه كاملة من الألف إلى الياء، وهل بالإمكان اكتشاف هذا النوع من التلاعب والاتكاء المريح على الذكاء الاصطناعي إن لم يكن التحايل على الهيئات التدريسية ولجان السيمينار في حال وقوعه وذلك بخلاف الاستلال العلمي الذي تمكن المختصون من كشفه والوصول إليه من خلال برامج إلكترونية حديثة ومشاعة حالياً؟

- نعم، ليس مخاوف فحسب، وإنما إحساس واضح بذلك الاستخدام الذي يوفره أيضاً، حتى غدا دون مبالغة مُتَكَاَللِ كَسَالِي والعاجزين، وقد بدت هناك بوادر لذلك، وكشفها سيحتاج إلى الأستاذ الحاذق الذي يدرك بأن زمن المعجزات قد انتهى، وأن الطلبة الذين خير مستواهم لن يتمكنوا من تقديم مثل هذا النتاج. أشعر أحياناً بأن الدقة المتناهية في المنجز هو بحد ذاته دليل واضح على ذلك الانتحال الذي يتقاطع مع الاعتبارات العلمية والأخلاقية والمهنية، ودون شك فإن لبرامج كشف الاستلال دور في معالجة جانب من تلك المعضلة، ولكن التحدي الأكبر يكمن في انتحال أساليب الغير وأفكارهم. ومن اللافت أن هذا الذكاء سيولد غياباً تراكمياً لاحقاً، مثلما أن تيسير العلوم قد أحدث كسلاً معرفياً له ما بعده، وربما سيجد أصحاب الأفكار والأعمال الأصلية أنفسهم . ما لم يتخذوا الإجراءات الوقائية والدفاعية . منعزلين وحدهم وكأنهم حبسوا داخل جزيرة منقطعة وهم وسط هذا الفضاء مترامي الأطراف.

* بحسب مسؤول الذكاء الاصطناعي في شركة (ميتا) فإن تطبيق (شات جي بي تي) بوسعه تقديم إجابات وردود بشرية مقنعة على الأسئلة مع قدرته على إنشاء نصوص وإعلانات بثوانٍ معدودة وبما يعطي إنطباعاً لمستخدميه بأنهم يتحدثون إلى شخص ما، إلا أنه نظام ينشئ كلمات تلو الأخرى من دون القدرة على تكوين رؤية للعالم.. ما تعليقكم على ذلك؟

- يقيناً أن الآلة لا تنتج رؤية ولا تكون فكراً، تظل الإجابات ناقصة ومفتقرة لحرارة الإنسان التي منحها الله تعالى له، وستبقى الردود الإلكترونية جامدة وغير قادرة على المضي مع المتسائل حتى نهاية المطاف. لكن ما يحصل هو أن أصحاب رؤوس الأموال الكبرى سيصوغون رؤيتهم الأئمة عن هذا العالم ويقدمونها متسللة بنعومة عبر هذا السبيل.

إننا أمام محاولة لمحاكاة الحياة والبشرية والأفكار، وذلك متوافق مع طبيعة الحضارة الغربية التي تريد محو الهويات، وإذابة الحدود، وإخضاع الآخرين لمنظومتها المعادية للفطرة تحت إغراء شعارات براقة تخفي جوهرها، ولا بد من الانتباه والاستدراك قبل فوات الأوان.

وظائف وعوالم مهددة أو مدعمة بالذكاء الاصطناعي

في هذا المحور حاورنا الكاتب والإعلامي المتخصص بالصحافة الإلكترونية والإعلام الرقمي، الأستاذ صهيب الفلاحي، وكان سؤالنا الأول له الآتي:

*في عالم يدخن فيه أكثر 1.1 مليار شخص، ما يتسبب بوفاة 8 ملايين إنسان سنويا في 190 دولة وفقا لمجلة لانست الطبية البريطانية، وبرغم أهمية العامل النفسي، والجهد البشري للإقلاع عن التدخين واقعا، إلا أن الممرضة التي تعمل بتقنية الذكاء الاصطناعي "فلورانس" والتي تتحدث العديد من اللغات الحية، والتي أطلقت منظمة الصحة العالمية نسختها العربية عام 2021، تواصل مهمتها على مدار الساعة لمساعدة الأشخاص الراغبين بالإقلاع عن التدخين عن طريق الاستجابة الفورية وتقديم الإجابات والإرشادات..والسؤال هنا، ماذا لو استنسخ وعلى غرار الممرضة الرقمية فلورانس العديد من الأطباء والممرضين الإلكترونيين من متعددي التخصصات للفحص وتقديم الاستشارات الصحية زيادة على الوصفات الطبية فهل سيعطل ذلك من مهمة الأطباء ويعقد مهنتهم؟!

- من المهم أن نتفق على نقطة جوهرية عند الحديث عن الذكاء الصناعي، وهي أن هذا الذكاء مساعد ومساند للإنسان وليس بديلا عنه أبدا، فإذا استطعنا إدراك ذلك والتعامل بمقتضاه فحينها ستوقف وستحل مشكلة الخوف من أخذه كمساند للوظائف وفي مختلف المجالات.
المهم هو أن يجيد المجتمع التعامل مع الذكاء الصناعي بالشكل الصحيح والأمثل،



فالممرضة فلورانس التي تقدم خدمات إنسانية كبيرة للمجتمع وإذا ما استطاعات أن تؤتمت عملها المكرر بكل لغات العالم من خلال الذكاء الصناعي فهذا يعني بأنها ستقدم خدمة عظيمة للمجتمع لم تكن لنتخيلها والى ما قبل سنوات قليلة خلت، ما يعني بأن آلاف الأطباء ممن يستعينون بالذكاء الصناعي سوف يساعدونهم ذلك على دقة تشخيصهم بعيدا عن ما يعانیه الطبيب من حالات إنسانية يتعرض لها كالتعب والإرهاق والمرض وتشتت الفكر وغيرها.

المهم فقط أن يُحسن المجتمع الطبي وغيره، ما يسمى بـ "هندسة الأوامر" ليخرج من هذا الذكاء الصناعي أفضل ما عنده، وأحسن ما فيه!

* هناك برامج نحو Legal Robot، و Law.co، و Law Geex وغيرها وكلها قانونية ومتطورة ومدعومة بالذكاء الاصطناعي مخصصة لعامة الناس إضافة الى المحامين، والكل يسأل ترى ما هو مصير مهنة المحاماة على المدى المنظور في حال أُطلقت برامج ذكية أكثر تطورا من سابقتها لإدارة الممارسات القانونية المختلفة، وعمليات

الأتمتة، وتبسيط الجوانب المختلفة لأعمال مكاتب المحاماة، فهل سيبحث المحامون عن مهنة أخرى تعينهم على أعباء الحياة في هذه الحالة؟

-المحامون وغيرهم من أصحاب المهن المختلفة سيجدون العشرات من برامج الذكاء الصناعي التي تخدم عملهم، إذا أدركوا بأن هذه الأدوات إنما هي جزء من الحل ونوع من المساعدة وبما يمكنهم من التفرغ للتفكير في الحلول الإبداعية أو حتى تطوير أجوبة وأدوات الذكاء الصناعي ذاته الأمر الذي يعني بأن إنتاجهم سيتضاعف بالشكل الذي لم يكونوا يتوقعونه بالمرّة.

ومن المهم جداً أن نتجاوز مراحل الانهيار بالذكاء الصناعي، ومن ثم ندرك بأن الخوف منه إنما يمثل عائقاً في طريق زيادة إنتاجنا، لننطلق ونتعامل معه بذكاء، ما سيتمخض عن إيجاد فرص لعشرات المهن الجديدة المرتبطة بالذكاء الصناعي وفي جميع المجالات.

وأضيف بأن من سيفقد عمله نتيجة الذكاء الصناعي هو ذلك الشخص الذي سيُصر على عدم التعامل معه، ومثله من يعتبر هذا الذكاء عدواً له، ومهدداً لمهنته، وهو في الحقيقة وسيط مساعد ومساند للجميع.

* سبق وأن تحدينا الذكاء الاصطناعي لترجمة نصوص عربية تُقرأ من الأعلى ومن الأسفل لتعطي نفس المعنى حرفياً ومن دون أن تفقد أسلوبها ولا بلاغتها ولا إعجازها اللغوي فأخفق، ومن ثم كررنا التحدي لترجمة أبيات أخرى تُقرأ من اليمين فتصبح مدحاً، ومن اليسار لتصير ذماً فأخفق أيضاً، فهل هذا ومن وجهة نظرك يعد بمثابة مثلبة وعجز في قدرات الذكاء الاصطناعي، أم عدم قدرة على استيعاب بعض النصوص وتحليلها حالياً على الأقل؟

- لقد سألت الذكاء الاصطناعي عن سؤالك فكان جوابه:

كتابة بيت شعري يقرأ من الاتجاهين على مستوى الكلمات (وليس الحروف) مع الحفاظ على المعنى والتماسك هو تحدٍ كبير في اللغة العربية. سأحاول تقديم بيت بسيط يحقق ذلك قدر الإمكان:

”كلُّ في سرِّه فرحٌ وبه فرحٌ سرِّه في كلِّ”

هذا البيت يمكن قراءته من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين على مستوى الكلمات ويعطي نفس المعنى تقريباً، وهو أن “كل شخص يجد الفرح في سره، وأن سروره يكون فرحاً له”. هذه محاولة بسيطة لكنها تعكس الفكرة، إذ أن إنشاء بيت كامل بمعنى قوي وسياق شعري متماسك يعد تحدياً كبيراً ويحتاج إلى إبداع خاص.

* وماذا عن توظيف الذكاء الاصطناعي في غرف الأخبار بصفتكم من العاملين في هذا المضمار؟

-أما عن فوائد وسلبيات استخدام الذكاء الاصطناعي في غرف الأخبار فهذه تحتاج إلى مقالة موسعة أو بحث شامل، ولكن عملياً يمكننا تلخيصها بنقاط:

• لقد زادت من إنتاجية الصحفي بشكل ممتاز من حيث السرعة والجودة.

• قُدمت نتيجة جيدة جداً وبكفاءة عالية.

• قللت الجهد المبذول في العمل.

• خلو النص وإلى حد كبير من الأخطاء اللغوية.

• إمكانية الإنتاج بلغات متعددة حتى لو لم يكن الصحفي يتقن لغة العمل.

ولكن يبقى دور الصحفي أو مشرف العمل مهما جدا في ضبط إيقاع السياسة التحريرية، كما يبقى ChatGPT غير قادر على إعداد تقارير معمقة أو تحليلية إلا إذا أتقن الصحفي "هندسة الأوامر" معه بالشكل الأمثل، وهذه تحتاج إلى مهارات جديدة يجب أن يُتقنها الصحفي وأرى بأن التلكؤ والتأخير في تبني الذكاء الاصطناعي في غرف الأخبار له تأثيرات سلبية على العمل بشكل كبير، كما أن الاعتماد الكامل على الذكاء الاصطناعي سيُضعف قلم الصحفي، وهذا الموضوع فيه الكثير من الآراء والنقاش.

مخاطر وخطوات

عن أبرز الخطوات اللازمة لتلافي الوقوع في شرك الذكاء الاصطناعي وتحويله الى وسيلة مفيدة ونافعة للبشرية وليس إلى غاية يكتنفها الكثير من المخاطر والغموض حاليا، حاورنا اختصاص الإعلام والعلاقات العامة المهندس عمر المشهداني وسألناه:

* باعتباركم أحد المتخصصين بمجال الإعلام والعلاقات العامة، نود أن نسألك عن ماهية المخاطر الحالية فضلا على المستقبلية المحتملة لبرامج (AI) على هذا التخصص المهم والحيوي المعني بنقل المعلومة، وبناء جسور من العلاقات البناءة والمتينة بين المؤسسات المختلفة؟

- أولى المخاطر التي أجدها هي الخطورة على اللغة العربية الفصحى، صحيح أن كفاءة الترجمة عبر الذكاء الصناعي هي أفضل بكثير من برامج الترجمة السابقة، ولكن في المقابل فإن الأغلبية الساحقة من المنتجات الفديوية المقروءة عبر الذكاء الصناعي تفتقر إلى التشكيل الصحيح من حيث ضبط الحركات!



ولعل واحدة من الأسباب هو ضخامة المخزون اللغوي (العامي) الذي يضخ إلى الشبكة العنكبوتية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والذي زاحم المؤلفات والمنشورات العربية الرصينة، وهذا المخزون اللغوي هو المادة الأساس التي يستند إليها الذكاء الصناعي.

أما الخطورة الثانية فتتمثل بحالة الكسل المعرفي التي بدأت تتسلل إلى النفوس، فصار هناك اعتماد شبه كامل على ما ينتجه الذكاء الصناعي من نصوص، حتى من دون مراجعة علمية أو تدقيق، ليتم التعامل معه على أنه حقيقة ثابتة!

في حين أن التطبيقات نفسها تدعوك إلى التأكد من المعلومات وعدم الاعتماد على الذكاء الصناعي بشكل مطلق!

* جنابك الكريم واحد من المحاضرين المعروفين في مجال التربية والتوعية والتنمية البشرية، ولكم العديد من المحاضرات القيمة في هذا المجال الحيوي والتربوي المهم جدا في مختلف محافظات العراق، فهل برأيكم ومن وجهة نظركم أن برامج Artificial Intelligence ستتولى موضوعة التوجيه والتربية وإلقاء المحاضرات الخاصة بالتنمية البشرية، وبتشكيل الوعي الجمعي مستقبلا؟ أم أن الحديث في هذا الصدد ما يزال سابقا لأوانه، إن لم يكن مجرد أوهام ومبالغات من بعض المتشائمين وعشاق نظريات المؤامرة!!

-ليس سابقا لأوانه بلا شك، فحالة التطوير المتسارع في هذا المجال تضعنا أمام مسؤولية كبيرة في المحافظة على الهوية والقيم والأعراف والتقاليد المجتمعية التي باتت تتعرض للاندثار في الأجيال الجديدة! فازدحام وسائل التواصل الاجتماعي وتحول العالم إلى قرية صغيرة، أدى إلى جعل القيم المجتمعية أو الدينية أو الثقافية مهددة تحت سلطة العولمة الثقافية المهيمنة

وهذه المكونات هي أساسية في البناء التربوي للأجيال، ولذلك فإن ترك مصير الأجيال القادمة ووعمها إلى خوارزميات إلكترونية لا تخلو هي الأخرى من أدلجة وتحكم استهلاكي، سينتج عنه طمس للهوية والثوابت. بطبيعة الحال لا يعني هذا الكلام أن الذكاء الصناعي هو شر محض، بل على العكس فإن جوانب الاستفادة منه عديدة ومتنوعة، ولكن الذي أشير إليه هو أن بعض الجوانب الحياتية ينبغي أن تحافظ على كينونتها الخاصة والمستقلة، ومن بين ذلك موضوع التربية والتوعية والتوجيه الأسري.

* يسأل كثيرون سؤالاً محدداً ألا وهو "هل سيعلي الذكاء الصناعي من شأن السوق والجهلة ومترتبة الفنون والآداب ليصيرهم أساتذة في شتى الآداب والمعارف والفنون ليتربعوا على عروشها وليلبسوا تيجانها، وماذا لو اعتمدت المجالات والدوريات المحكمة فضلاً على المسابقات الدولية الرصينة على نتائج أدبية معمولة بالذكاء الصناعي لتحظى بجوائزها الرفيعة مقابل ركن أشباهها ونظائرها التي جادت بها قرائح الأدباء ممن لا يستعينون بالذكاء الصناعي مكتفين بأفلامهم وثقافتهم الموسوعية وبما تجود به قرائحهم، و تصوغه مواهبهم، ويشع به إلهامهم، وماذا لو منح هذا الذكاء وبمرور الأيام شيئاً من القدسية ليتحول الى تابو مقدس يمنع مناقشته والمساس به ولو همسا لأن بعض المراقبين بات يخشى من أن التمجيد اللا متناهي لقدرات الذكاء الصناعي سيسفر وبما هو غير مستبعد بالمرّة بالدفاع عن قدراته بلسان الحال أو المقال وترديد عبارة "الذكاء الاصطناعي قدس إيلون ماسك -سره-، وأعلى جيف بيزوس-مقامه-، وأطال مارك زوكربيرغ -بقاءه - وأدام ستيف بالمر، ورفيقه بيل غيتس -عزه-، كيف تردون على ذلك التهمك والذي لا يخلو من وجهة نظر معتبرة؟

-إلى حد ما ... ربما نعم، سيكون هناك من يحسن إدارة الذكاء الصناعي بشكل يجعل منه قادراً على تحسين إنتاجه بشكل ملحوظ، ولكن كما قلت لك بأن هذا الأمر غير ثابت على كل الجوانب، وخاصة في العلوم الإنسانية والأدبية.

نعم قد يكتب لك الـ GPT مقالاً متكاملًا في موضوع علمي بحت، ولكن من الغباء الطبيعي الاتكاء عليه في علوم الهوية، وأقصد بذلك علوم الدين واللغة والتاريخ! وقد سبق وأن حاولت جاهداً تعليمه نظم وكتابة أبيات

من الشعر العربي، وعلمته الأوزان والعروض، ولكنه عجز على أن يأتيني بأربعة أبيات مترابطة من دون أن يكون فيها كسر في الأوزان!

والتخوف الذي تشير إليه هو تخوف في محله وخلاصته هو أن يأتي زمان غير بعيد يكون فيه للذكاء الصناعي من التمجيد والتفخيم والشرعية ما يتيح له سلطة التقييم والتصويب، ويكسبه هالة من القدسية في ادعاء الحياد، في حين أنه بالنهاية خاضع للمعايير التي يقدمها له الإنسان بطبيعة الحال.

* كثرت في الآونة الأخيرة مسألة التسريبات الصوتية المعمولة بالذكاء الصناعي، فضلاً على انتشار الصور والمقاطع



الفيديوية المركبة والمفتركة، والسؤال هو كيف يتسنى لعامة الناس التفريق بين ما هو مفبرك، وما هو حقيقي؟ -الأمر يزداد صعوبة يوماً بعد يوم، وحتى مهارات الذكاء الاصطناعي في الرسوم والأصوات بات من الصعب التفريق بين الحقيقي منها والمزيف.

على المستوى التقني، هناك إمكانية للتمييز وكشف المقاطع الأصلية عن المقاطع المزيفة، ولكن ليس بمقدور الجميع امتلاك مثل هذه التقنية، وبالتالي فإن عموم الناس، ومستهلكي وسائل التواصل الاجتماعي قد تجدهم يتداولون هذه الملفات أو التسريبات ثقة بها!

أما ما هي سبل التعامل مع هذه المشكلة، فهي ذات الوسائل التي طرحت في مسألة التعامل مع الأخبار الزائفة Fake News وهي أن يكون هناك لدى الشخص عقلية نقدية متقدمة، وأن لا يجعل سعة الانتشار معياراً على صحة المقطع أو التسريب أو المعلومة، وأن يعتمد على مصادر موثوقة في التحقق من هذه المقاطع أو التسريبات قبل اعتمادها.

بين يدي الفوضى الرقمية

في هذه الفقرة أضيف وعبر ديالوج داخلي لأسأل نفسي وأجيبها في ذات الوقت، بشأن الفوضى الرقمية المحتملة وأبرز المشاكل الناجمة عنها والحلول لأجيب على تساؤل مشروع حول تحذيرات جدية من مخاطر فوضى رقمية قادمة ستخطئ كل الثوابت والضوابط والحدود، وإذا ما كان من حدوث ذلك بالفعل أم أنها مجرد استشرافات مستقبلية خاطئة أو متوهمة؟

والحقيقة أن الفوضى موجودة ومعاشة واقعا، إلا أن الخشية باتت تدور كقطب رحي حول تفاقمها من دون قوانين رادعة، ولا ضوابط تكبح جماحها، ولا اتفاقات دولية تنظم عملها، فهذه البيتكوين والعملات الرقمية الافتراضية قد أصبحت وسيلة للتهريب، وهدفا مغريا لغسيل الأموال القذرة، وهذه تقنيات الجيل الخامس "G5" الذي سيليه الجيل السادس "G6" بحلول عام 2030، وكذلك تقنيات الهولوغرام أو التصوير التجسيمي، زيادة على مشروع شرائح إيلون ماسك، الدماغية التي تنتجها شركة "نيورالينك" بذريعة علاج حالات الشلل والعنى، ومساعدة ذوي الإعاقة بحسب الظاهر المعلن، وللسيطرة على أدمغة البشر بحسب الباطن المستتر، والتي ستنتقل عمليات زراعتها بقوة وبالأخص بعد تولي "ماسك" مناصب مهمة مستقبلا وربما ضمن الحكومات القادمة.



كل ذلك يتماهى بالتزامن مع سباق الوصول المحموم الى المريخ للبحث عن إمكانية إقامة تجمعات سكانية على سطحه فضلا على البحث الدؤوب عن حياة سابقة أو مماثلة في الكواكب والمجرات الأخرى، ولا يختلف الحال مع حتى السباق النووي وتطوير ترسانات أسلحة الدمار الشامل، ومشروع الشرق الاوسط الكبير، واطلاق مشروع "الديانة الوهمية" المسماة زورا وبهتانا بالديانة الإبراهيمية وغيرها الكثير في عالم فرדاني ومادي بحث يميل الى التوحش والأنانية والى العزلة المفرطة الانطوائية وبما سيعزز الذكاء الاصطناعي من ترسيخها أكثر فأكثر فهناك وعلى سبيل المثال برامج ومواقع لا تحصى لممارسة الجنس الافتراضي مع الانيميشن والدمى الذكية، ولك أن تتخيل حجم التفكك الأسري، والانحطاط الأخلاقي علاوة على شكل الانغلاق والانعقاد البشري المخيف مستقبلا والذي سيصيبهم بمقتل!

وأما بشأن السؤال حول توقع اكتساح المشاريع والبرامج والتي كانت تعد محض خيال علمي لا تغادر بنات أفكار وأوهام صناعها لحياتنا البشرية على سطح الكوكب

الأزرق، فلا ريب في ذلك فهذا مشروع الهارب، ومشروع بوابة سيرن، وألعاب شركة "مونسانتو" وهي أكبر منتج للبذور المعاملة جينيا والمعدلة وراثيا، وعمليات زراعة الوجه، وغاز الكيمتريل القاتل، وتجارب استنساخ الحيوانات والبشر، كلها تنذر وفي حال غياب الضوابط والقوانين والاتفاقات الدولية المنظمة لفوضى أخلاقية واجتماعية وثقافية عارمة لا تبقي ولا تذر تجتاح الكوكب من أقصاه الى أقصاه.

الأدهى من ذلك والأمر هو ما كشف عنه اقتصاديون دوليون حول توقع استحواذ أجهزة الروبوت الآلي على (20) مليون وظيفة في أنحاء العالم بحلول عام 2030 وفقا لمؤسسة (أكسفورد إيكونوميكس) بينما سيعاني العمال من ذوي المهارات المحدودة من (النزوح الوظيفي) الناجم عن إقحام الروبوتات في مجال الإنتاج الصناعي وفقا لبي بي سي، والمطلوب حاليا و بالبحاح هو تطوير التشريعات العمالية، وتفعيل القوانين النقابية، والتعجيل بدوران عجلة الإنتاج، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإرساء دعائم التنمية المستدامة، بحسب منظمة العمل العربية.

وأما عن الذكاء الاصطناعي في المجال العسكري وهل بات يهدد حياة البشر فعليا أم لا؟ فحسبي هاهنا أن أشير الى دخول الروبوتات الآلية الحربية متعددة المهام ضمن ترسانات معظم الجيوش المتقدمة حول العالم، إضافة الى تزاخم الغلاف الجوي بآلاف المناطيد العسكرية والتي بات بالإمكان توجيهها وتغيير ارتفاعها والتحكم بها بالذكاء الاصطناعي عن بعد بحسب مركز (ماراثون إنيشيأيف) الأمريكي، أما عن الأقمار الاصطناعية لأغراض البث والإرسال والتجسس والمراقبة وغيرها، والتي تغص سماؤنا بها حاليا حتى أن حجم المخلفات الفضائية الناجمة عنها بلغ نحو 500 ألف كتلة، بعضها بحجم حافلة وفقا لـ (BBC Future) وبما يستدعي - وهنا الطامة - ومع تزايد هذه الأقمار، تكليف الذكاء الصناعي لتجنب وقوع حوادث الاصطدام بين الأقمار الصناعية، وبين المركبات الفضائية وفقا لوكالة ناسا، وبمعنى "عصفور كفل زرزور.. وإثنين طيارة!!" كما ألقت الى تحذير موقع "تكنولوجيا القوات الجوية" من مخاطر التطور السريع لأنظمة الطيران التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي المدمجة بالأنظمة القتالية والتي تتصف برخص ثمنها، وقلة خسائرها، وتأثيرها في العمليات الجوية، وبحسب "جان تالين" المهندس المشارك بتصميم برنامج (سكايب) فإن "سباق الأسلحة ولاسيما الميسيرات العسكرية الذكية القاتلة ينطوي على مخاطر وجودية كبيرة تهدد مستقبل الحياة، فيما حذر معهد مستقبل الحياة، وموقع "بيزنس إنسايدر" من قيادة الذكاء الاصطناعي لطائرات مسيرة باستخدام الكمبيوتر زيادة على معالجة صور الكاميرات، والتصوير الحراري، وبما سيؤدي الى ظهور أسراب طائرة من طراز "Slaughter Bots" ستجعل الناس يلتزمون منازلهم خوفا من القتل على حد وصفه.

مقالان مهمان ومحاضرة وافية وكتب قيمة

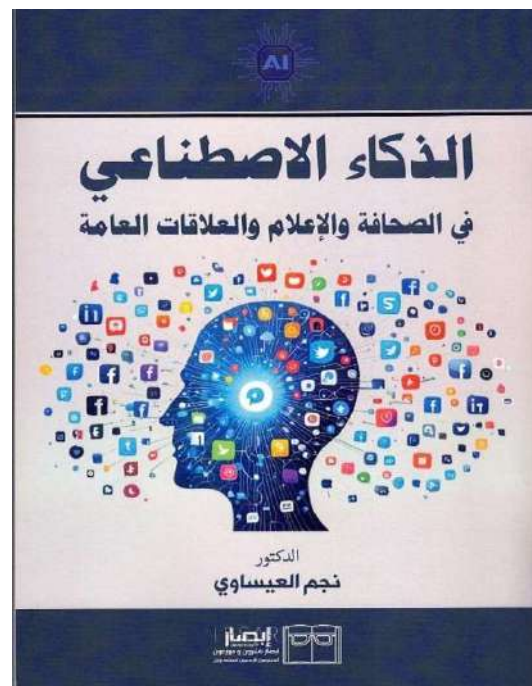
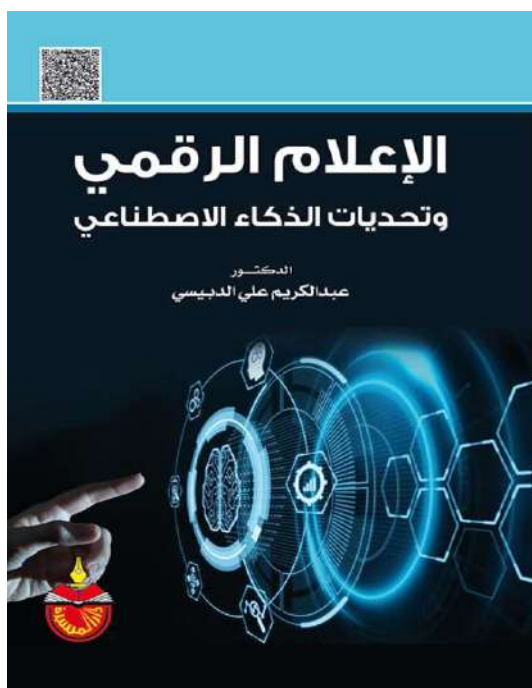
كنت بصدد كتابة السطور الأخيرة وختم التحقيق الصحفي الأنف، عندما لفت انتباهي مقالان مهمان، الأول بعنوان "أصداف: إيقاف الطمأنينة" بقلم الاستاذ وليد الزبيدي، وقد نشره في صحيفة "الوطن العمانية"، والحق يقال فلقد أبدع الزبيدي في استعراض جملة من الأمور المهمة، متناولا العديد من القضايا المفصلية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي، وما لهذا الذكاء من فوائد وما عليه من مأخذ، ولعل أشد ما لفت انتباهي قوله: "بِدُونِ شَكِّ عاشِ العاملون في مختلف الوظائف طمأنينة اسطوريةً سابقاً وعلى مدى عقودٍ؛ لأنَّهم يدركون ببقناعةٍ تامَّة أنَّ المؤسسات والشركات التي يعملون فيها لن تستغني عنهم. هذه الطمأنينة يَجِبُ إيقافها في كثيرٍ من المهن خشية الاستغناء المفاجئ!!".

وأما المقال الثاني فقد كتبه أحدهم "أتحفظ على ذكر اسمه" على صفحته بمنصة فيسبوك وذلك في معرض تقييمه لصديقه الأديب والقص والمسرحي، مؤكدا بأنه قد ترك مهمة هذا التقييم كاملة الى الذكاء الاصطناعي ليكتب وفي غضون دقيقة واحدة فحسب مقالا من 600 كلمة خالية من الأخطاء النحوية والإملائية واللغوية استعرض خلالها سيرة ومسيرة الأديب وبما أثار ذهول الرجل وفضوله ودهشته في آن واحد، ولاسيما وأن المقال الذي كتبه الذكاء الاصطناعي قد شرَّقَ وغرَّبَ، فصَّلَ وأصَّلَ، عَنَوَنَ وتفننَ، ومن عناوينه اللافتة "التمرد ضد

الواقع..العبث واليأس الساخر.. فلسفة الهروب إلى السخرية" ليطلق المعلقون العنان لأفكارهم وأفكارهم بين مؤيد ومعارض وناقد والكل يكاد يجمع على أن الذكاء الاصطناعي بإمكانه أن يرتب المواضيع ويركبها بشكل جميل ومنمق وخال من الأخطاء اللغوية، إلا أنه يفتقر في الوقت نفسه إلى المقدرة على الاستنباط الدقيق، والاستنتاج المنطقي، والتحليل المعمق.

وأما المحاضرة القيمة التي أقيمت برعاية مؤسسة البصيرة، فهي وبلا شك تلك المحاضرة الافتراضية المعنونة " دور الذكاء الاصطناعي في تطوير الخطاب الديني "للاستاذ الدكتور عماد محمد فرحان، وذلك ضمن سلسلة الدورات التدريبية المهارية الموسومة بـ "منبر الجمعة في العصر الرقمي" والتي أطلقتها مؤسسة البصيرة المعنية بالدراسات الشرعية والوسطية والاعتدال.

وحول الكتب المهمة فهي على التوالي كتاب "الذكاء الاصطناعي في الصحافة والإعلام والعلاقات العامة" بـ 614 صفحة، لمؤلفه الدكتور نجم العيساوي، وقد عالج معظم علوم الإعلام والاتصال والفنون وانعكاسات توظيف الذكاء الاصطناعي فيها مراعيًا مختلف تخصصات الإعلام ليكون مرجعًا شاملاً للباحثين والمهتمين. لنختم بالكتاب الثاني وهو بعنوان (الإعلام الرقمي وتحديات الذكاء الاصطناعي) للدكتور عبد الكريم علي الديبسي، وقد أجاب عن عدة تساؤلات مهمة حول الإعلام الرقمي وتحديات الذكاء الاصطناعي.



(*) تحقيقي الصحفي المنشور في مجلة الكاردينيا العربية الصادرة في زيورخ / سويسرا بتاريخ الأربعاء، 13 تشرين 2/نوفمبر 2024، والمنشور في صحيفة " الجزائرية للأخبار بتاريخ 14/ ديسمبر / 2024، والمنشور في " صحيفة صوت العراق " بتاريخ 14-11-2024، والمنشور في موقع " منبر العراق الحر " بتاريخ 14/11/2024.

حوار من الذاكرة... مع شيخ المذيعين العراقيين نهاد نجيب (*)



*تتلمذت على يد سنان والهرمزي والصوت الجميل هبة الله للبشر.

*أواظب على قراءة القرآن الكريم ومنه أستمد ثقافتي ومعرفتي.

*ظهوري ممثلاً لم يكن مصادفة بل لي تجربة سابقة عندما كنت طالباً في الإعدادية ومثلت الكثير من المسرحيات من بطولتي وإخراجي.

*الشَّعْرُ هو جزء لا ينفصل من مسيرتي الإعلامية، وكان يرافقني في أعمالي الإذاعية والتلفزيونية.

تقول عنه موسوعة الويكيبيديا أنه إعلامي عراقي متألق، أصبح مذيعاً للأخبار عام 1964م في إذاعة بغداد، قبل أن يعمل عام 1969م في تلفزيون بغداد، ليتفرغ له كلية عام 1977م، وفي عام 1993م قام بمعية مجموعة من زملائه بتأسيس: "جمعية المذيعين العراقيين" وتم انتخابه رئيساً لها ولدورتين متتاليتين. شارك في قراءة نشرات أخبارية رئيسية من تلفزيون وإذاعة الكويت ضمن اتفاقية تبادل المذيعين عام 1989م، كما عمل مراسلاً لحساب وكالة اسوشيتدبريس ما بين عامي 1999-2000م، وقدم المئات من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، الدينية والثقافية والتراثية والفنية، وللوقوف على أبرز محطات هذه القامة المتميزة الشامخة خلال مسيرتها الإبداعية الطويلة حاورناه وبادرناه بالسؤال الأول:

*ماذا تقرأ ببطاقتك الشخصية؟

— اسمي، نهاد نجيب محمد علي أوجي، إعلامي شامل، مذيع، كاتب، صحفي متزوج من الدكتورة كولر البياتي، أولادي ثلاثة، بنتان وولد، أما عن العمر فإنه لا يقاس بالسنين بل بالعافية، والإنجازات المتميزة، والأعمال الصالحة والنافعة.

*دخولك الى الإذاعة كان بمثابة نقطة تحول في حياتك، ماذا تسجل في ذاكرتك عن تلك الأيام التي قضيتها بين أروقتها؟

- دخولي الى عالم الإذاعة والتلفزيون هو من معالم حياتي الأساسية، كنت عاشقاً لهذه المهنة وما زلت ولم تغرن أية مهنة أخرى.

*الجيل الذي رافقته وزامنته في العمل الإذاعي والتلفزيوني، يعد جيلاً ذهبياً، من وجهة نظركم، لماذا لم يتكرر هؤلاء برغم تعدد الإذاعات ووفرة الفضائيات، ووجود التقنيات الحديثة؟

– الجيل الذي أنتهي إليه هو جيل الكفاءات والمواهب الخلاقة حيث تم اختيارهم بدقة متناهية من قبل لجان من الإعلاميين الرواد بعيدا عن الوساطات، لأن الشعار كان آنذاك هو المذيع شأنه شأن الطبيب الذي أوْتمن على أرواح البشر والمذيع يؤتمن على سلامة تذوق البشر فالتقنيات الحديثة لا علاقة لها بالمهارة الشخصية للمذيع إن لم يتمتع بالصوت وهذا من أقل الأمور، إذ ماذا تفعل له التقنيات الحديثة؟ ففاقد الشيء لا يعطيه، والصوت لا يكتسب فهو نعمة من نعم الله تعالى، وكذلك الحضور القوي المتميز، أما الشروط الأخرى فربما تكتسب، ولذلك نفتقر اليوم الى مذيعين متميزين بسبب غياب الاختيار الصائب.

* ماهي مؤخذاتكم على مذيي الجيل الحالي، وما السبيل لإعادة الصورة الهية للمذيع العراقي؟
– معظم الجيل الحالي من المذيعين لا ذنب لهم بسبب غياب اللجان المختصة، أو تم اختيارهم حسب مزاج المهيمين وغير المختصين على بعض وسائل الإعلام المختلفة وفي مقدمتها الفضائيات، وأما السبيل الى إعادة الصورة الهية للمذيع العراقي فيتمثل باعتماد اللجان المختصة التي تضم أساتذة المهنة ممن تم ابعادهم ظلما بحجج واهية سياسية الأبعاد وبما أدى الى تخلف الإعلام ووسائله المختلفة والعودة الى الوراء بألف عام، فهل يجوز أن ننتقص من قيمة ابن سينا العالم، والفارابي الموسيقي، وزرياب المغني، بدعوى أنهم عاشوا في ظل أنظمة سابقة، وبناء على ذلك فإن الإعلام العراقي سيظل متراجعا مادامت الرموز الكبيرة من خبراء الإعلام على مسافة بعيدة عن الساحة.

* من صاحب الفضل عليك في اكتشاف موهبتك، وكيف استطعت الدخول الى عالم الشاشة الصغيرة؟
– الذين اكتشفوا مواهبي هم أهلي وعائلي منذ الطفولة لتنمو تلك المواهب بالتشجيع والتوجيه المستمرين وتأثري بالإعلامي الأكاديمي الكبير الدكتور سنان سعيد، الذي تتلمذت على يديه في المتوسطة الغربية في كركوك عندما كان مدرسا للرسم، وجعلني أشارك بصوتي ضمن مجموعة من التلاميذ في برنامج إذاعي يعنى بأنشطة المدارس من خلال إذاعة بغداد، بمعنى أن صوتي انطلق عبرها وأنا في الرابعة عشرة من عمري، ثم تتلمذت على يد الدكتور سنان مرة أخرى وأنا طالب في كلية الصحافة والإعلام وهو أستاذ فيها، وأما بعد دخولي الإذاعة فكان أستاذا فيها والذي تأثرت بأدائه وإلقائه هو الإذاعي الكبير سعاد الهرمزي، الذي تعلمت منه الكثير.

* ماهي الشروط الواجب توفرها في المذيع سواء في الاذاعة أو في التلفزيون؟
– الشروط التي يجب توفرها في صناعة المذيع هي: الصوت الجميل، وهو هبة من الله تعالى، كذلك صقل هذا الصوت وتهذيبه، والتمكن من قواعد اللغة العربية، وقوة الشخصية وجاذبيتها، وعشق المهنة.

* كيف يتمكن المذيع من تنمية قدراته، وصقل مهاراته الصوتية، وتطوير موهبة الإلقاء لديه؟
-التواضع الذي ينمي صعود المذيع الى القمة، والغرور يسقطه في الهاوية وتطوره يتم بمتابعة أداء الإذاعيين الرواد والتدريب المتواصل، وقد كان سبب دخولي الى الشاشة الصغيرة، هو صوتي المتميز وحضور ثقافتى اللغوية والشكر لله سبحانه وتعالى ومنه التوفيق.

* حدثنا عن أجمل الأصوات الإذاعية التي سجلت حضورا فاعلا في الوسط الإعلامي برأيكم؟

- هناك الكثير من الأصوات المتميزة النادرة من المذيعين والمذيعات منذ تأسيس الإذاعة والتلفزيون ومن الصعب تكرارها في أيامنا هذه.

* ما هو الانطباع الذي تركته عند الآخرين عند ظهورك ولأول مرة عبر شاشة التلفاز؟
- الانطباع الذي تركته عند المتلقي لأول مرة هو تواضعي المستمر الذي هو جزء من شخصيتي، إضافة الى صوتي وإلقائي، وهما بصمتي التي تركتها في ذاكرة وتأريخ الإذاعة والتلفزيون..والحمد لله تعالى.

* جنابك الكريم سبق وأن خضت تجربة التمثيل، فهل كانت مصادفة، أم أنها حب مستتر وقد جاء في الوقت المناسب؟ ((لقد شارك الاستاذ نهاد نجيب، في العديد من الأعمال الدرامية المهمة عبر الشاشة الفضائية، وأبرزها مسلسل- الزمن والغبار- عام 2000م، ومسلسل -الأصمعي- عام 2003م، ومسلسل- سور الضباب- 1999م، ومسلسل- حكايات المدن الثلاث – 1997م))

- ظهوري ممثلاً لم يكن مصادفة بل لي تجربة سابقة عندما كنت طالبا في الإعدادية ومثلت الكثير من المسرحيات من بطولتي وإخراجي، وكنت رئيسا للجنة الخطابة والتمثيل، وشاركت في مسابقة للخطابة على مستوى محافظة كركوك وكان ترتيبني الأول.

* الشعر شكّل محطة مضيئة في حياتك كما علمنا، اتحفنا بما حملته جعبتك من أبيات؟
- الشعر هو جزء لا ينفصل من مسيرتي الإعلامية، وكان الشعر يرافقني في أعمالي الإذاعية والتلفزيونية وتميزني فيه هو إلقائي، ولو كانت هذه مقابلة إذاعية أو تلفزيونية لقرأت لكم نماذج من القصائد الشعرية.

* مواقف طريفة صادفتك أثناء العمل الإذاعي والتلفزيوني، تود أن تسلط الضوء عليها؟
- المواقف الطريفة والمحرجة كثيرة ولا أريد أن أكون نمطيا والخوض في الاسئلة التقليدية.

* لو لم تكن ما عليه الآن، ماذا كنت تتمنى أن تكون؟
- لو لم أكن إعلاميا لتمنيت أن أكون إعلاميا أيضا لا بديل لي، وقد خلقت أن أكون إعلاميا والفضل لله سبحانه وتعالى وفي خلقه شؤون.



* كتاب لا تمل من قراءته؟
- الكتاب الذي لا أمل قراءته هو "القرآن الكريم"، ومنه أستمد ثقافتي ومعرفتي.

* لمن تقرأ؟ وما هو آخر كتاب قرأته؟
- مطالعاتي للكتب المختارة يوميا هي جزء مهم من يومياتي.

* كيف تقسم يومك، وما الذي يشغل بالك؟

– الذي يشغل بالي هو وطني العراق المفدى وشعبي الكريم بحاضرهما ومستقبلهما أولاً، ومن ثم يشغل بالي الحاصل في وسائل الإعلام المختلفة بسبب هيمنة بعض الأميين على الساحة الثقافية باستثناء القلة القليلة من الكفاءات المبدعة التي أتابعهم شخصياً وأتمنى لهم كل الخير.

* حكمة تؤمن بها؟

-الحكمة التي أوّمن بها هي.. اللهم اجعلني مظلوماً ولا ظالماً.

* ماذا تشكل المرأة لديك؟

– المرأة هي عصب الحياة وزهرها العطر الفواح هي الام والاخت والزوجة والصديقة والحبيبة وباختصار هي كل شيء هي السيمفونية الرائعة التي تنساب الى قلوبنا بكل عذوبة.

* هل تهوى الرياضة، وأي الفرق الأحب الى قلبك على المستويات المحلية والعربية والدولية؟

- لست من المتمعنين في الرياضة ولكني أتابعها عندما تتعلق انتصاراتها بسمعة بلدي.

* هل أنصفتك الحياة؟

- نعم أنصفتني الحياة في كثير من الجوانب واهمها محبة الناس من عامة الشعب العراقي الحبيب.

* جائزة تتمنى الحصول عليها؟ وهل حصلت على شيء تعز به؟

- أما بالنسبة الى الجوائز فلقد حصلت عليها من خارج بلدي العراق ولم أحصل عليها في وطني إلا على النزر القليل وجوائز معظمها من مهرجانات ومؤتمرات ومناسبات خارج العراق وشهادات دولية.

* كلمة أخيرة لجمهورك الحبيب؟

- تحياتي لك احمد الحاج، والي جمهوري الحبيب في كل مكان ورغم إقامتي خارج العراق فقلبي متعلق بوطني العراق وأبناء شعبي الأصلاء.

*** توفي شيخ المذيعين العراقيين نهاد نجيب أوجي، رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته، في شهر تشرين أول من عام 2020م في تركيا، فنعته الأوساط الإعلامية والثقافية في أرجاء العالم العربي كافة، مستذكّرين تاريخه الإذاعي والتلفزيوني والإعلامي الحافل بالعطاء، وبالمحطات النبيلة والمضيئة.

(*) حوار المنشور في صحيفة "الحوار المتمدن" محور أدب وفن / العدد: 6499، بتاريخ 25 / 2 / 2020، والمنشور نقلاً عن وكالة -عراق برس - في "مجلة الكاردينيا" بتاريخ 13 تشرين 2 / نوفمبر 2015، والمنشور في "صحيفة المثقف" العربية الصادرة في أستراليا بتاريخ 13 تشرين 2 / نوفمبر 2015.

وقفة مع الخطاطة جنة عدنان..(*)

موهبة فذة أذهلت العالم بلوحاتها الخطية المزوجة بين المعالم والخرائط والآيات القرآنية الكريمة

* لولا أستاذي الكبير يوسف ذنون في بداية مشواري لما وصلت الى ما وصلت إليه الآن.

* أجد نفسي في أصعب أنواع الخطوط وهو (جلي الثلث) و(الطغراء).

* خط الخرائط والآيات مدرسة خاصة بي ولم يسبقن أحد الى فكرتها وأعدّها أيقونتي وهويتي.



الخطاطة الموصليّة جنة عدنان بعمر الخامسة والعشرون.
أم شهيد المحراب البطل حسين العمري

خطاطة موصلية شقت طريقها بإرادة لا تلين وواصلت الليل بالنهار لتخرج من بين أناملها الذهبية لوحات مذهلة ليست كبقية اللوحات أدهشت المختصين وعشاق الخط العربي في أرجاء المعمورة، تصدر وسمها عن مدينتها، أم الربيعين، بمنارتها الحدياء وخارطتها المطرزة بدعاء النبي يونس عليه السلام: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، مواقع التواصل الاجتماعي، خطاطة كبيرة حظيت أعمالها بإعجاب المختصين وكبار الخطاطين والتشكيليين فضلا عن المتابعين، لقد تميزت خطاطة الموصلة الحدياء ومبدعتها "جنة عدنان احمد عزت" التي أذهلت العالم بأسره، بلوحاتها المزوجة بين المعالم والخرائط والآيات القرآنية، ما شكل علامة فارقة في مسيرتها الخطية الواثقة فمن عساها تكون؟ وانطلاقا من هذا السؤال الكبير، حاورناها لتجيب مشكورة على أسئلتنا المتتالية تباعا وبما ستكتشفونه وتقرأونه آتيا:

* حصلت الشقيقتان الموهوبتان (فرح عزت، وجنة عزت) على شهادة في الخط العربي من الخطاط التركي الكبير، حامد الأمدي، في إسطنبول أعقبه حصولهما على شهادة مماثلة من عميد الخط العربي، سيد إبراهيم المصري، ولما يتجاوز عمر فرح 13 عاما، وجنة 10 أعوام، متى بدأت هذه الموهبة لديك، وكيف تم صقلها لتنال إعجاب ورعاية عمالقة الخط في الوطن العربي؟

– والذي رحمه الله كان مولعا بالخط العربي وكان بيتنا يضم لوحات لعمالقة الخط أمثال حامد الامدي ، كنت صغيرة لا أجيد الكتابة والقراءة الا انني ملت اليها وأحببتها الى درجة أنني كنت أمسك الورقة والقلم وأقلدها كأني لوحة رسم، لاحظ والدي عشقنا للخط فقرر أن يوجهنا للتوجيه السليم وأخذنا الطريق الى الأستاذ الموصلي "يوسف ذنون"، فكانت الانطلاقة من هناك، إضافة الى سفريات سنوية الى تركيا نتدرب خلالها على يد الخطاط حامد الأمدي، وعندما بلغت العاشرة من العمر تأهلنا لنيل الإجازة من الأمدي في تركيا، وسيد ابراهيم في مصر.

*أنت القائلة "لولا أستاذي الكبير الموصلي، يوسف ذنون عبد الله، في بداية مشواري لما وصلت الى ما وصلت إليه الآن، لأن التعليم الصحيح منذ البداية هو الأساس"، حدثينا قليلا عن تلكم المحطة المضيئة والتقدير العالي الذي منحه إياك كبير الخطاطين العراقيين وبما لم يحظ به أحد سواك.

– فعلا كانت محطة مضيئة فلولا اضاءتها تلك الفترة لما ازداد بريق اعمال اليوم، أعتبر نفسي محظوظة لأنني عاصرت حقبة العم يوسف ذنون الموصلي. وكل من تتلمذ على يديه أعده محظوظا، لأن العم يوسف عندما يُعلم الخط فإنه يُعلمه بكل أمانة وحرص وتفان، وبعد مرور سنوات وفراق طويل معه بسبب الغربة ، عاود ذلك الضوء لينير من جديد بحصولي على أعلى تقدير في تأريخ الخط العربي من العم يوسف ، حيث لم يحظ بهذا التقدير العالي سوى العم يوسف والمرحوم هاشم الخطاط البغدادي، من أمير الخط العربي حامد الأمدي، ومن ثم أنا، والحمد لله وهذا اكون قد حصلت على ثلاث شهادات في الخط من عمالقة، وبعد ان منحني العم يوسف هذا التقدير العالي وأنا في الخمسين الآن ، وشاع الخبر ، قال لي أن بعض الخطاطين طلبوا منه أن ينالوا هذه المرتبة، وأن يمنحهم ما منحني إياه ، فقال لهم لن أمنحها لأي أحد والذي يرغب بالحصول عليها فليأخذها من جنة!



* جنة الموصلية وفي سابقة من نوعها اتخذت من إحدى الجوائز التي حصلت عليها قلادة لا تفارق جيدها أينما حلت وحيثما ارتحلت، فما السر في ذلك؟
 - هي ميدالية وليست قلادة ومن شدة تعلقي بها وبالخط الذي يحتويها بخط ذنون الموصلي والتي حصلت عليها منذ طفولتي أحببتها جدا وعز علي رؤيتها وهي محفوظة في صندوقها الى جانب ميداليات أخرى ، فقامت بثقبها و حولتها الى قلادة ترافقي على الدوام.



* الأبعاد اللونية تشكل قاعدة أساس في لوحاتك المبتكرة، برأيك هل في المزج بين اللون والتشكيل والتعبير يكمن السر في حجم الإبهار الذي يشع من لوحاتك فيغلب الأبواب أينما عرضت؟
 - بصورة عامة أنا أركز على الحرف وقوته أكثر مما أركز على مازجة الألوان ، فتعبيري الوحيد هو قوة الحرف وكيفية صياغته لكي أعبر عنه كما فعلت في معظم لوحات الخرائط، ونظرتي الى أعماله لا تكمن في بهرجة الألوان، بل بهرجة قوة الحرف وقوة تركيبه داخل الشكل المطلوب.



*أكثر ما يشد الانتباه الى أعمالك تلك الممازجة الرائعة بين الآيات القرآنية والخرائط الجغرافية حتى أصبحت مدرسة بحق، ولعل من أشهر لوحاتك في هذا المجال، خارطة الوطن العربي التي خطت داخلها الآية القرآنية الكريمة " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"، إضافة الى خارطة العراق التي يتوسطها دعاء أيوب عليه السلام، فهل هذه مدرسة خطية جديدة قد تفردت بها، أم أنها حلقة وصل في سلسلة إبداعية سبقك إليها آخرون ليواصل تقليدها واقتباسها لاحقون؟

— هذه مدرسة خاصة لجنة عدنان، لم يسبقن أحد الى فكرتها وأعدّها أيقونتي وهويتي عبرت عنها بهذا الأسلوب لكي أطرح فكرا فنيا وأسلوبا متجددا له بعد آخر غير تقليدي ليكون انطلاقة يتعلمذ عليها الخطاطون، فالخرائط بحد ذاتها عبارة عن كراسة لخط (جلي الثلث) حيث تتوفر فيها كل انواع ربط الحروف وانواع التراكيب والجرأة في تركيبية الحرف ليقعد في محله داخل أشكال غير هندسية.

*أهم الجوائز التي حصلت عليها الخطاطة، جنة عدنان، في المحافل العراقية والعربية والدولية وأقربها بعد القلادة الى قلبها النابض؟

— أهمها كردانة من الذهب الخالص قدمت لي قبل عام 2003 عن طريق السفارة العراقية خلال إقامتي تلك الفترة في دولة الامارات العربية المتحدة، وهي معي حتى الآن وأعتز بها جدا (إذا ردي فيه تحسس بسبب الأوضاع السياسية الحالية فهذا ليس ذنبي) أنتم سألتُموني، وأنا أرد بكل مصداقية.



* الخطوط العربية أنواع فهناك الخط الكوفي، خط النسخ، الخط الديواني، خط الرُّقعة، خط الثلث، الخط الأندلسي، الخط الفارسي، ترى في أي من هذه المدارس أو الخطوط تجد جنة الموصلية نفسها؟
 – أجد نفسي في أصعب أنواع الخطوط وهو (جلي الثلث) و(الطغراء) فمنذ صغري تأقلمت أنا ملي وعيني على هذا النوع الصعب والجميل جدا جدا، في ذات الوقت الذي أرى فيه خط (جلي الثلث) واحداً من أجمل الخطوط العربية.

* ماذا عن الخطوط السبعة الأخرى التي تندرج ضمن مدارس الخط العربي كخط الإجازة، المغربي؟
 – اخترت منها خط (الطغراء) كونه خطأ تربطه علاقة وطيدة بخط جلي الثلث فكل مخطوطاتي بالطغراء حروفها جلي ثلث أصلية.

* أي الأحبار والأوراق تفضلين في أعمالك؟ وأي الأقلام تستخدمين، البلاستيكية، أم أقلام البوص المصري، أو الصيني؟
 – الورق الأبيض الصقيل هو المفضل عندي وفي بعض الأحيان أضيف إليه بعض المواد أو الألوان من باب التجميل والتغيير، فأما أن أطلية بالقهوة أو بالألوان بلاستيكية خفيفة أو بالحبر المخفف، وأما القصب فأنا عادة ما أستخدم القصب البني والأصفر، ولا أستخدم الأقلام.

* ماذا يمثل لك هؤلاء ببضع كلمات: "ابن مقلة، ابن البواب، هاشم البغدادي، محمد صالح الموصلي، صادق الدوري، رمضان مهيبة، عبد الكريم الرمضان، جاسم النجفي"؟
 – نجوم ساطعة في سماء فن الخط العربي. رحم الله من رحل، وحفظ الباقيين.

* مشاريعك المستقبلية؟

– قيد التفكير.

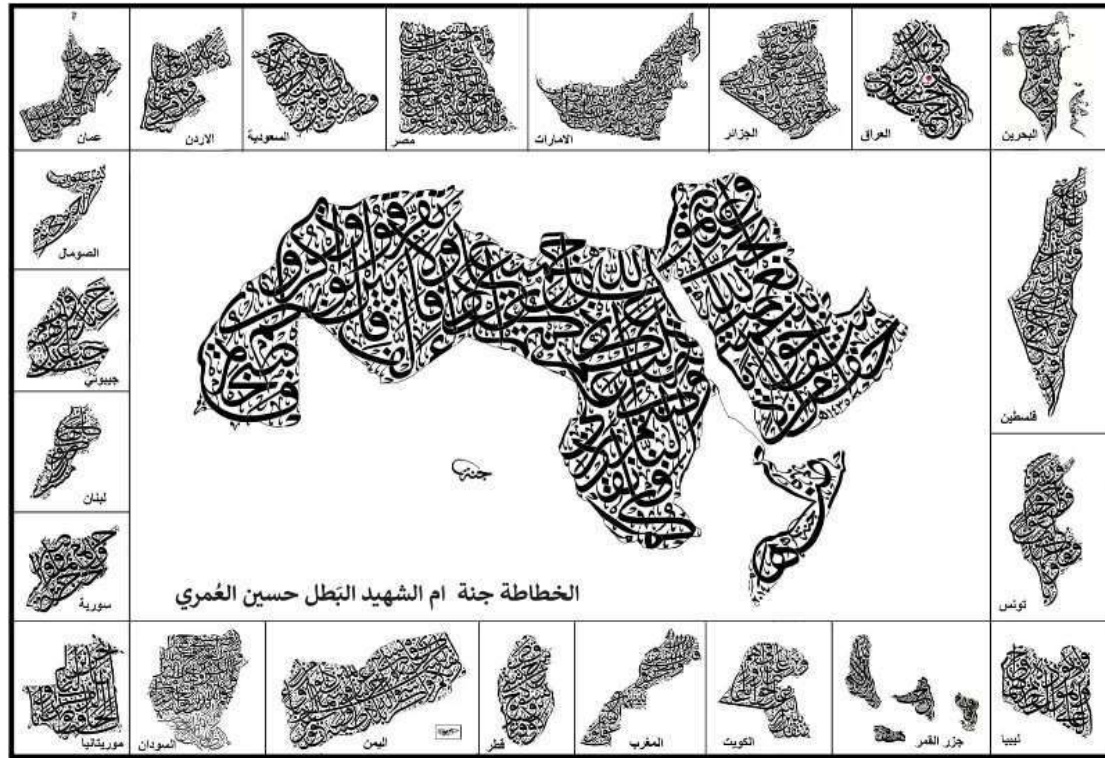
* كلمة أخيرة إلى جمهورك في العراق والعالم العربي.

-كلماتي لجمهوري في العراق والوطن العربي جسدتها في الخرائط وهي رسالة لهم جميعا أكثر مما هي كلمة، أما كلمتي، أو نصيحتي للخطاطين فأقول لهم ، الخط العربي أمانة في أعناقكم وليس لعبة في أيديكم.

مدرسة جنة عدنان الخطية

لقد خصت الخطاطة المبدعة جنة عدنان، كل بلد عربي بخارطته التي تتوسطها آية كريمة تحاكي واقعه، بدأتها في نيسان 2014م وانتهت منها في نيسان 2016م، خارطة العراق (رب إني مسني الضر و أنت أرحم الراحمين)، لبنان (كأنها كوكب دري)، فلسطين (ربنا أفرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين)، عمان (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا)، السودان (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله..)، جزر القمر (الله لا إله إلا هو)، الكويت (و نزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)، جيبوتي (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن)، موريتانيا (إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون)، اليمن (لقد كان لكم في سبأ آية..)، الجزائر (و أشرق الأرض بنور ربها..)، الصومال، (يسقون من رحيق مختوم)، البحرين (يخرج منها اللؤلؤ و المرجان)، تونس (و زيتونا و نخلا..)، الأردن (ربنا آتانا من لدنك رحمة و هيء لنا من أمرنا رشدا)، المغرب (رب المشرق و المغرب و ما بينهما...)، مصر (و أوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا)، الإمارات العربية (سورة الفاتحة)، ليبيا (و لا يؤوده حفظهما)، سوريا (و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا)، المملكة العربية السعودية (وطهر بيتي للطائفين و العاكفين و الركع السجود).

***تجدر الإشارة الى أن الخطاطة الموصلية المبدعة جنة عدنان، كانت قد فقدت ابنها الوحيد الشهيد حسين حازم العمري، في مجزرة "مسجد النور" بمدينة كرايست جرج النيوزيلندية حيث تقيم مع زوجها هناك وذلك برصاص أحد النازيين الجدد بعد مهاجمته المسجد وقتله أكثر من 50 شخصا داخله وكان من بينهم ابنها حسين العمري، والذي كان قد توضحاً وتطبيب وذهب الى المسجد لأداء صلاة الجمعة هناك، نسأل الباري عز وجل أن يتقبله في أعلى عليين، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، حيث وقعت المجزرة الدامية في آذار من عام 1919م بفعل ثقافة الكراهية والاسلاموفوبيا وقد لبست الخطاطة جنة الموصلية ثوبها الأبيض ساعة إقرار مرتكب الجريمة - برنتون ترانت- بأنه مذنب.



(*) حوار المنصور في (مجلة الكاردينيا) العربية الصادرة في زيورخ / سويسرا بتاريخ الجمعة، 3 نيسان/أبريل 2020، والمنصور في "صحيفة المثقف" الصادرة في أستراليا بتاريخ 26 تشرين1/أكتوبر 2016، والمنصور في صحيفة "الحوار المتمدن" محور الأدب والفن، العدد: 6499 بتاريخ 26 / 2 / 2020. والمنصور في "صوت الأمة العراقية" في آب/ 2025.

ذوو الاحتياجات الخاصة والمبادرات الإنسانية الخالصة

* لقد كان لوالدتي الدور الأكبر في تشجيعي على الاستمرار بهذا العمل الإنساني.

* نقترح على الجهات الحكومية والمعاهد الأهلية توفير البرامج التعليمية المتخصصة واستخدام التكنولوجيا المتقدمة وخدمات الدعم النفسي.

* شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة بحاجة إلى الأجهزة المساعدة على الحركة والتنقل وأهمها الكراسي الكهربائية والعادية كذلك العكازات المرفقية والأبطية.

عندما يعلن عن وجود 1.5 مليون معاق من ذوي الاحتياجات الخاصة يشكلون ما نسبته 5 % من مجموع السكان تتراوح معاناتهم بين الإعاقات الحركية (شلل نصفي، أو رباعي، أو شلل الأطفال، أو ضمور العضلات الشوكي، أو الصرع، أو تصلب الأعصاب اللويحي المتعدد) وبين الإعاقات العقلية، والإعاقات الذهنية، والإعاقات الحسية (السمعية، البصرية، النطقية) إضافة إلى الإعاقات المزدوجة وبما يعرف بـ "شديدي العوق" فلا بد من الالتفات إلى هذه الشريحة الكبيرة وحض الناس على احترامهم ورعايتهم وتوقيهم وعدم التنمر عليهم ولا التعرض لهم بسوء، صغر ذلكم التعرض، أم كبر، لا همسا ولا غمزا ولا لمزا ولا همزا، والتحذير من مغبة جرح مشاعرهم ولو بشق كلمة في كل زمان ومكان، والأهم من كل ما تقدم هو مد يد العون لهم وبما تيسر وأمكن، وللإطلاع على واحدة من التجارب العراقية التطوعية الواعدة والفاعلة والرائدة حاورنا الزميل سليمان الكبسي، للإطلاع على ملخص نشاطه الإنساني في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة ورفدهم بكل ما هو مفيد ونافع، وبإدراة بسؤاله عن بطاقته الشخصية والمهنية فأجابنا مشكورا:

- اسعي سليمان عبد الستار الكبسي، وأنا من مواليد 1988 بمحافظة الأنبار، أعمل صحفيا وناشطا مدنيا، وأنا مهتم منذ عام 2017 بمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى والفقراء في عموم محافظات العراق وكانت نقطة البداية وخط الشروع من مدينتي الفلوجة، حيث نشرنا حالة إنسانية عبر صفحتي بمواقع التواصل الاجتماعي وكانت استجابة أهل الخير والإحسان سريعة وخلال فترة وجيزة، وهكذا بدأنا بنشر المزيد من الحالات لفقراء ومرضى وكلها من الفلوجة والرمادي والكرمة وباقي قرى ومدن الأنبار، وعلى منوال الحالة الأولى كانت استجابة الناس سريعة ليقدموا الدعم المالي والإغاثي إليها، ومنذ ذلك الحين وأنا أعمل على نشر الحالات الإنسانية لتحظى بالتفاعل والمساعدة المطلوبة.

وفي عام 2020م وخلال زيارة عائلية إلى مدينة الرطبة، غربي الأنبار، طلب مني أحد أبناء العمومة القيام بزيارة شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة واسمه حيدر وكان يعاني من الشلل النصفي وبعد الإطلاع على حالته قمت بنشرها مرفقة بمناشدة وصور الحالة عبر صفحتي على منصة الفيسبوك ولم يمض سوى وقت قليل جدا حتى بدأ الخبراء بالاتصال والتفاعل مع الحالة لغرض التبرع لها بكرسي متحرك سرعان ما أوصلناه إلى الموما إليه لتكون البداية الحقيقية انطلاقا من مساعدة هذه العينة المنكوبة.



*خلال عملك الإغاثي الطويل ترى ما هي أبرز الأمور التي شخصتها؟
- لقد شخصت ومن خلال عملي بمجال الإغاثة والمساعدات الإنسانية ولسنوات وتلمست واقعا حجم المعاناة والإهمال التي تعاني منها هذه الشريحة التي تعيش ظروفًا قاهرة وقاسية للغاية ليس بسبب الفقر والعوز فحسب، وإنما لفقدانها أجزاء من أعضائها لو كانت موجودة فلربما تيسر لها طلب الرزق، ولاتسعت أمامها فرص العمل الشريف الذي يعينهم ويغنيهم عن المساعدة وذل السؤال.

والحق يقال فلقد كان لوالدي الدور الأكبر في تشجيعي على الاستمرار بهذا العمل الإنساني حين قالت لي ذات يوم وبعد أن اتصل أحدهم طالبا مساعدتي بتوفير كرسي متحرك له، فقالت أُمي بعد أن سمعت المكالمة وكانت تجلس إلى جوارِي "ابني توكل على الله وانقل حالته إلى الرأي العام فهذا إنسان محتاج وعليك أن تقف معه"، وبالفعل فلقد سمعت كلامها واستجبت لنصيحها وشرعت بنقل الحالة إلى الرأي العام لتتوالى المواقف بعد ذلك خدمة لهذه الشرائح ومن جميع المحافظات حتى تم تجهيز نحو 200 كرسي كهربائي وعادي تم توزيعها في مختلف المحافظات العراقية، والعمل ما يزال مستمرا بفضل الله تعالى، وبدعم من الخيرين ممن يطمعون ومن خلال مساعدة المعاق بالأجر والثواب العظيم.

وعلى نحو ما سبق فقد واصلت مشواري بمساعدة شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة في عموم مدن ونواحي وقرى الأنبار، وقد وزعت بفضل الله تعالى وحده نحو 400 كرسي كهربائي، وكرسي عادي خلال سنتين ((تنويه: هذا الرقم المذكور يعود الى تاريخ إجراء المقابلة الصحفية، أما اليوم فلقد تخطى عدد الكراسي حاجز الـ 700 كرسي إن لم يكن أكثر)) وكنت أعطي الرجال والشباب والطلبة والطالبات الكراسي الكهربائية، أما



الكراسي العادية فكنت أعطيها للنساء من ربات البيوت المريضات المتعفيات لكونهن لا يخرجن من المنزل بخلاف الرجل الذي يستخدمه لزيارة الأقرباء أو للقاء الأصدقاء والطلبة والطالبات والذهاب إلى المدرسة.

* غني عن البيان بأن تفعيل قانون رعاية ذوي الإعاقة والاحتياجات الخاصة رقم (38) لسنة 2013 يعد مطلباً وطنياً وإنسانياً ملحاً، فهذا القانون الذي يعرف ذوي الإعاقة بأنهم "كل من فقد القدرة كلياً أو جزئياً على المشاركة في حياة المجتمع أسوة بالآخرين نتيجة إصابته بعاهة بدنية أو ذهنية أو حسية أدى إلى قصور في أدائه الوظيفي" يحتم على المسؤولين فضلاً على المواطنين دعم هذا القانون من جهة، ورفده بالأعمال التطوعية الشعبية، والمبادرات الإنسانية المحلية من جهة أخرى.. والسؤال هنا ما هي أبرز الحالات الإنسانية المؤثرة، وأشدّها وقعا على النفس من تلك التي واجهتك خلال عملك المشكور في هذا المضمار؟

- لاشك أن من أبرز الحالات الإنسانية المؤثرة وأشدّها وقعا على النفس التي صادفتني في هذا المشروع الخيري كانت لمريض اسمه مصطفى باسم العبيدي (21 عاماً) وهو من أهالي الموصل، حيث اتصل بي والده حينئذ طلباً لمساعدة ابنه وكان قد أصيب خلال عمليات تحرير مدينة الموصل عام 2016م، وقد أخبرني والده بأن عائلته كلها قد تعرضت لقصف بقذائف الهاون آنذاك، ما أسفر عن استشهاد أربعة من أفراد عائلته بينهم أم مصطفى، بينما أصيب مصطفى بشظية في عموده الفقري ما أدى إلى حدوث شلل في الأطراف الأربعة، فما كان منا إلا أن سارعنا لنقل الحالة الإنسانية إلى الرأي العام ليستجيب أهل الخير بسرعتهم المعهودة وليقدموا له الدعم اللازم، وقد أجرينا له عملية جراحية كما خصصنا له راتباً شهرياً تكفل به أهل الخير والإحسان جزاهم الباري خير الجزاء.

كما أن هناك العديد من البرامج والمشاريع الخيرية لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة وعلاج مرضى السرطان المتعفين، وكفالة الأيتام، وإيواء كبار السن والمشردين، إلا أنها بمجموعها لا تشكل سوى نسبة ضئيلة.

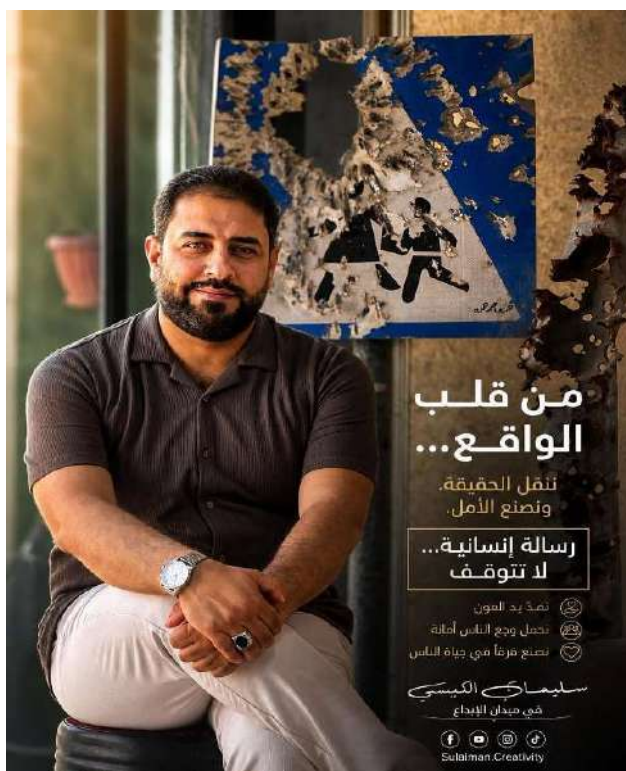
* صحيح أن هناك العديد من المعاهد والمراكز المتخصصة برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة كمعاهد الرجاء المتخصصة برعاية المعاقين ذهنياً، ومعاهد الأمل لرعاية الصم والبكم، ومعاهد النور لرعاية المكفوفين، إضافة إلى معهدي السعادة والمنار لرعاية الأطفال المعاقين حركياً، ومعهد الحنان لرعاية الأطفال شديدي العوق، ولكن وكما يعلم القاصي والداني فإن ذلك لا يكفي البتة بوجود أعداد كبيرة من ذوي الهمم، ولا بد من تضافر

الجهود وعلى المستويات كافة، فماذا تقترح على المؤسسات الأهلية والحكومية، زيادة إلى المبادرات الشبابية التطوعية، وأهل الخير والإحسان لتقديم ما هو أفضل لهذه الشرائح التي تعاني الأمرين؟

- نقترح على الجهات الحكومية والمعاهد الأهلية توفير البرامج التعليمية المتخصصة والتي تشمل استخدام التكنولوجيا المتقدمة وخدمات الدعم النفسي لتأهيلهم وهدف زيادة الثقة بالنفس، كذلك توفير الأجهزة الطبية اللازمة والتي من شأنها مساعدة هذه الشريحة ومتابعة حالتهم الصحية، فضلا عن استخدام تمارين اللياقة البدنية والعلاج الطبيعي والبرامج الترفيهية من خلال تنظيم رحلات وأنشطة خاصة بهم.

* من خلال خبرتك في هذا المجال ترى ما الذي يحتاجه أصحاب الإعاقات البدنية اليوم أكثر، العكازات الأبطية أم المرفقية، الكراسي الكهربائية أم الكراسي المتحركة التقليدية، وما أسعار كل منها، وهل هي متوفرة في الأسواق المحلية؟

- تحتاج شريحة ذوي الاحتياجات الخاصة إلى الأجهزة المساعدة على الحركة والتنقل وأهمها الكراسي الكهربائية والعكازات وهذه متوفرة بالأسواق المحلية وأسعارها بحسب جودة المنتج والنوعية المتميزة، فالكورية منها تصل إلى ما يعادل 1500 دولار، وهناك نوعيات أخرى تركية تصل إلى ما يعادل 1000 دولار، أما النوعية الأقل جودة كالصينية فتتراوح بين 400 و700 دولار، أما العكازات وأسعارها متفاوتة ما بين 25 ألف دينار عراقي إلى 150 ألف دينار وهذه أيضا بحسب المواصفات والاستخدامات.



* وماذا عن الأطراف الصناعية، والفرش المضغوطة، والأسرة المتحركة كذلك الأدوية والمراهم المخصصة لعلاج التقرحات، علاوة على دور المعين المتفرغ لتلبية احتياجات هذه الشرائح الطبية ومساعدتها أولا بأول؟

- بالنسبة إلى الأطراف الصناعية هناك مصانع تابعة لوزارة الصحة العراقية في كل محافظات البلاد يتم من خلالها تجهيز ذوي الاحتياجات الخاصة ولاسيما أصحاب السيقان والأيدي المبتورة بنسب معينة وهذه ربما لا تخدم إلا فئة محددة من تلك الشريحة لمساعدتهم في حياتهم اليومية، وهناك منظمات دولية تأتي بين الحين والآخر لتعمل أطرافا صناعية مخصصة لتلك الشريحة ومنها خلال فعاليات معرض بغداد الدولي 2023.

أما ما يتعلق بالفرش الخاصة بالمعاقين والأسرة المتحركة والأدوية والمراهم فهذه غالبا ما يتم شراؤها من الصيدليات وأصحاب المكاتب المتخصصة، وأما يخص راتب المعين المتفرغ المخصص من قبل الدولة لإعانة تلك

الشريحة فغالبا ما يسهم ولو بنسبة ضئيلة بالتخفيف عن معاناة ذوي الاحتياجات الخاصة لكون تلك الشريحة المتضررة بحاجة ماسة إلى 500 ألف دينار على الأقل شهريا لتسد حاجاتها الملحة من الأدوية والغذاء بمساعدة المعين المتفرغ لرعايتهم وغالبا ما يكون أحد أفراد العائلة أو من أقرب المقربين.

(*) جزء من حوارى الثلاثى المعنون: " تجارب ومقترحات إنسانية تطوعية لافتة جدرة بالتقدير والاعتباس"
المنشور فى موقع "ميدل إيست أون لاين " بتاريخ - الثلاثاء 3 /12/2024

من بغداد المُستنصرية إلى رحاب الأندلس (*)

حدث ذات ربيع وقبل 48 ساعة من موعد انطلاق رحلتنا السياحية على متن خطوط طيران أيبيريا إلى إسبانيا، كنا قد ذهبنا سوية أنا وثلة من الأصدقاء في جولة إلى شاري الرشيد والمتنبي وسط العاصمة بغداد مررنا خلالها ببيت الحكمة الذي يمثل أول مكتبة مخصصة للفهرسة وترجمة الكتب في العالم، ومن ثم ثنينا بالقصر العباسي، فالمدرسة المستنصرية وتعدّ أول جامعة في التاريخ، عرّجنا قبلها على سوق السراجين والوراقين والكتب وساعة القشلة، التقطنا صوراً تذكارية عند تمثال الشاعر المتنبي، ونصب الشاعرة نازك الملائكة، ولعلّ أبرز ما لفت إنتباهنا خلال جولتنا هو أن كل معلّم من هذه المعالم الأثرية والتراثية والفلكلورية كان يدّكرنا عرضاً بالأندلس وحضارتها الشامخة التي يشهد لها القاصي والداني، العدو قبل الصديق.

على أرصفة شارع الثقافة اطلعنا على رواية "حي بن يقظان" للفيلسوف ابن طفيل الأندلسي، وقد ناقشت موضوعه الإنسان الحيّ النشط دائم البحث عن الحقيقة محتفظاً بعقله المتوقّد اليقظ، وهذه الرواية الفلسفية العميقة هي التي ألهمت فيما بعد الروائي الانجليزي دانيال ديفو، لكتابة روايته الشهيرة "روبنسون كروزو" التي نشرت عام 1719م، كما أن رواية ابن يقظان هي التي ألهمت الروائي الأمريكي إدغار رايس بوروس، لتأليف روايته المعروفة "طرزان القردة" عام 1912م، وقبله الروائي الإنجليزي روديارد كبلينغ، لكتابة روايته "كتاب الأدغال" وقصة الطفل ماوكلي التي نشرت أول مرة عام 1894م.

وكما أن شخصية "حي بن يقظان" المنسوجة من وحي خيال، ومن بنات أفكار ونتاج تراكم الأندلس المعرفي والفلسفي الهائل قد ترعرعت وترتبت بحضن غزال في جزيرة نائية، فلقد نشأ "طرزان" المقتبس عنها مع الغوريلا في الأدغال، و"ماوكلي" مع الذئب في الغابة، وهكذا ألهمت فلسفة الأندلس وآدابها وفنونها المختلفة الأصبلة وغير المنتحلة التي لا تحصى، خيال الأوروبيين، وأشعلت جذوة حماسهم الروائية، وصقلت مواهبهم الأدبية على مر قرون!

اقتنينا خلال رحلتنا البغدادية المانعة تلك والمرتبطة بحضارة الأندلس تاريخياً ووجدانياً ومعرفياً، كتاب "طوق الحمامة" وكتاب "المحلى في الفقه الظاهري" وكلاهما لعلامة الأندلس وفقمها الكبير ابن حزم الأندلسي، أتبعناهما بكتاب "تهافت التهافت" الذي رد فيلسوف الأندلس ابن رشد، بين دفتيه ومن خلال سطره على كتاب عالم بغداد وفقه المدرسة المستنصرية وزاهدها الأشهر الإمام الغزالي، المعنون بـ"تهافت الفلاسفة"، ذاك أن ارتباط حضارة الأندلس بعمق جذورها وألق أغصانها وطيب ثمارها مع حضارة العراق برونقها وبريقها وأصالتها، كان وما يزال وسيظل متجذراً وعميقاً تكاد تتلمسه بين أروقة المعالم والمتاحف والمكتبات، تتذوق لحنه الشجي بين إيقاع الموشحات والمقامات والابتهالات، تتنسم عبقه مع صياح الديكة، وأذان الفجر، مع زقزقة العصافير وإطلال الصباحات، ولا جديد تحت شمس كتابة التاريخ يُروى، ولا قديم فوق أديم فلسفة التاريخ وصناعته يُعاد، إنما هي خواطر رحالة عاشق لا يريد أن يُنسَى لحضارتيه العريقتين الأصليتين ذِكْرٌ، ولا أن يندرس لمعشوقتيه على مر العصور عمداً أو سهواً أثر!



تجاذبنا أطراف الحديث ونحن نشرب استكانات الشاي، ونرتشف فناجين القهوة جلوساً على مقاعد مقهى الشابندر الفلكلوري بمعية عدد من الباحثين حول سيرة العلامة أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، المولود بالقرب من قرطبة سنة 936م، وكيف كان الرجل جراحاً ماهراً اخترع العديد من الأدوات الجراحية المهمة، فضلاً على اكتشافه الطبيعة الوراثية لمرض (الهييموفيليا)، وهو أول من وصف عملية القسطرة، وأول من توصّل الى وقف النزيف بربط الشرايين بخيوط الحرير، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي ظلّ مرجعاً في الطب لخمسة قرون متتالية في عامة أوروبا!

تناولنا مسيرة رائد العلاج الضوئي والكيميائي وأحد أشهر علماء النبات والصيدلة في التاريخ، ضياء الدين أبو محمد عبد الله المعروف بـ"ابن البيطار" المولود في مالقا عام 1197م، ومن أشهر مؤلفاته (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) الذي تضمن 1400 عقار، إضافة الى كتبه المهمة الأخرى "المغني في الأدوية المفردة" و"رسالة في تداوي السموم" و"ميزان الطبيب" وقد تأثر به المستشرق الألماني فون زونتهايمر، والطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك.



أكملنا سمرنا وأحاديثنا بعد وجبة الغداء عن علماء وحضارة شبه جزيرة أيبيريا على مقاعد مقهى الزهاوي التراثي القريب، لنخوض هذه المرة و بمعية المؤرخين، في مؤلفات الطبيب والمؤرخ الأندلسي المولود في قرطبة، عريب بن سعيد القرطبي، وهو مؤلف كتاب "خلق الجنين وتدير الحبالى والمولودين"، وكتاب "عيون الأدوية"، وقد جعلنا من القرطبي رائداً لطب الاطفال، وعلم التوليد ومبتكرهما بحق، قبل أن نختم جلستنا بالطبيب الفلكي الرياضي والفيلسوف الأندلسي "ابن باجة"، وغريمه الطبيب والأديب "ابن زهر" الذي عدّه الفيلسوف الاندلسي ابن رشد، أبرع من جالينوس في علوم الطب، ومن مؤلفاته في ذلك كتاب "التيسير في المداواة والتدير" و"رسالة في علي البرص والبهق" و"مقالة في علل الكلى" و"التذكرة".

وأتى لنا أن لا نناقش من بغداد العلم التليد والتاريخ المجيد، شعاع حضارة الأندلس المديد، وكلاهما على ارتباط وثيق بالآخر، فهذا المستشرق بروفنسال، يؤكد بأن رائد الطيران الأول في التاريخ، عباس بن فرناس القرطبي، كان قد رحل إلى العراق ثم عاد منها إلى الأندلس حاملاً كتاب "السند هند" في الرياضيات فأجاد الرسم الهندسي، وصار من كبار المهندسين ليبتكر الزجاج الشفاف، وأول قلم للحبر السائل، وأول آلة لقياس الوقت كانت قد ألهمت معظم مبتكري وصنّاع الساعات من بعده، كذلك ابتكاره أول آلة لرصد الكواكب السيارة والنجوم.



لم يختلف الحال مع مبتكر الوتر الخامس للعود، الموسيقي العباسي الشهير، والشاعر الفذ "أبو الحسن علي بن نافع" المعروف بـ "زرياب"، المولود ببغداد في القرن الثامن الميلادي، المتلمذ على يد إسحاق الموصلي، حيث كانت رحلته الى بلاد الأندلس وتحديدًا الى قرطبة، بداية لعهد أندلسي ومن ثم أوروبي جديد على مختلف الصعد في مجالات العزف والفنون والأزياء والاستحمام والطبخ والاتيكييت والعطور، وزرياب هذا هو مبتكر توقيعات وجبات الطعام الثلاثة على ذمة الموسوعات الأدبية (فطور، غداء، عشاء)، وهو مبتكر فنون الشواء وأطباق المائدة الثلاثة التي تبدأ بالحساء مرورًا بطبق الوجبة الرئيسة لتنتهي بالحلويات، كما أنه مبتكر الزي الصيفي والشتوي، وأول مدرسة لتعليم العزف والموسيقى في أوروبا، زيادة على تطويره لفن الموشحات الأندلسية المميز الذي يشنف الأسماع، ويخلب الألباب!!

سرديات بين الإنصاف والإجحاف



لا شك أن إشكالية سرد التاريخ الأندلسي على طريقة الإخباريين والحشويين والحكواتية من دون محاولة فهمه، أو تفسيره، أو نقده، أو تحليله، أو حتى نفي جلّ أو كلّ ما يتعارض منه مع العقل الصريح والنقل الصحيح، ومن غير استدعاء ما قبله، واستجلاء ما تزامن معه، واستشراف ما بعده، كلها صارت عبئًا على التاريخ الأندلسي برمته خاصة، وعلى التاريخ البشري عامة، فهناك من المؤرخين من يكتب ويهمش ويذيل ويخوض في ثلث تاريخ الأندلس فحسب، فيما يهمل سهواً أو عمداً ثلثيه الآخرين، ومن

المؤرخين من يُسهبُ في المقدمات، إلا أنه يَخْتَزِلُ في النتائج، ومنهم وعلى النقيض ممن سبقه تراه يُطِنِبُ ويُفَصِّلُ ويُؤَصِّلُ في المخرجات، إلا أنه يمرّ سريعاً مرور المُنْبَت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى عند تناوله للمدخلات ليأتي السرد التاريخي الأندلسي لكل واحد من هؤلاء مبتسراً أو متحاملاً أو متحيزاً عادة ما يفتقر إلى الدقة والموضوعية في كثير من الأحيان، ولعل الدكتور عبد الرحمن الحجي، يُعدُّ استثناءً من تلكم المعادلة، لأن الحجي وعلى مدار 40 عاماً كان قد بحث في "صناعة وفلسفة التاريخ الأندلسي" بالتزامن مع البحث في سردياته ومجريات أحداثه ووقائعه متناولاً في جهده المبذول الجاد والدؤوب، التاريخ الذي كتبه عشاق الأندلس وخصومها على حد سواء، بعيداً عن متلازمة التاريخ الذي يكتبه المنتصرون المتحاملون، وعن التاريخ الذي كتبه ويكتبه الراحلون المنهزمون، أو العاشقون النوستاليجيون، ليترك لنا الحجي إرثاً ثقافياً تهل من صفحاته الأجيال كابراً عن كابر، وليورثنا نحن معاشر الكتاب والمثقفين والصحفيين والباحثين معيناً ثراً دافقاً نغترف من مائه العذب الزلال ما شاء لنا ذلك لُتْرُضي فضولنا العلمي المتواصل، ولنطفئ نيران عطشنا البحثي الدائم ونرتوي!

ولذلك لقب البروفيسور عبد الرحمن الحجي بـ "شيخ مؤرخي الأندلس" وكان قد بدأ دراساته العليا في الساميات بين 1960-1961م بجامعة مدريد، قبل حصوله على الدكتوراه في التاريخ الأندلسي عام 1966م في جامعة كيمبردج البريطانية بأطروحته الموسومة "العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية خلال المدة الأموية" ومن مؤلفاته وتحقيقاته الشهيرة (أندلسيات)، (مع الأندلس لقاء ودعاء)، (ابن زيدون السفير الوسيط)، (تاريخ الموسيقى الأندلسية)، (شعر العلماء في الأندلس)، (الحضارة الإسلامية في الأندلس)، (هجرة علماء الأندلس)، (جغرافية الأندلس وأوروبا) وغيرها كثير، وهكذا ظل الحجي يؤلف ويكتب ويحقق في تاريخ الأندلس حتى وفاته في العاصمة الإسبانية مدريد، في 18/كانون الثاني/ 2021م، عن عمر ناهز الـ 86 عاماً.

رحلة استكشافية ومراثيات على الأطلال

انطلقت رحلتنا السياحية إلى العاصمة الإسبانية مدريد لنشرق ونغرب إنطلاقاً منها وإليها إلى كل ربوع ومدن ومعالم الأندلس العريقة التي تتميز بالهندسة المعمارية والأقواس والأسقف والأعمدة الرخامية والمقرنصات والنقوش المذهلة، والتي تتفرد بالزخارف النباتية والخطوط العربية المكتوبة بالخط الكوفي والنسخ الرائعة بالحدائق والبساتين الغناء ونافورات المياه الهندسية المبهرة، بالحصون والقلاع والجوامع والأسواق والحمامات وأنظمة الري البديعة التي تجسد أمام ناظريك بقايا حضارة ملهمة دامت لقرون طويلة، وهكذا في كل من غرناطة، إشبيلية، قرطبة، ملقا، طليطلة، وسرقسطة حيث سور المدينة العربية بالقرب من العاصمة مدريد، وقصبة مالقا ويعود تاريخ بنائها إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وعلى منوالها برج الذهب وكان قد شيد في إشبيلية عام 1221م، مسجد قرطبة الكبير وقد بني على مراحل منذ عام 785 م، قصور بني نصر، وقصر الحمراء وقد بني وتمت توسعته بأمر من مؤسس سلالة بني نصر، محمد بن الأحمر، بين عامي 1238 – 1273 م، كذلك قصر شنيل ويعود تاريخ بنائه إلى عام 1218 م، وقلعة بوجلنص، وكلا المعلمين الأثريين المبهرين يقعان في مدينة غرناطة، مسجد باب المردوم في مدينة طليطلة، مدينة الزهراء وتعد إحدى أهم المدن الأندلسية بالقرب من قرطبة كان قد استخدم الذهب والرخام ببنائها في عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله.

إنها حضارة عريقة سادت ثم بادت ولم يبق منها إلا أطلالها ورسمها بعد أن تسلل إليها داء الأمم من قبل وأنها صراع أمراء وملوك الطوائف الذي احتدم بينهم على حطام الدنيا الفاني فأطمع فيها كل صاحب غرض، وجراً عليها كل من كان يحسدها أو يعاديه، حتى رثاها القاضي الفقيه المحدث أبو البقاء الرندي الأندلسي، وكان شاعراً

مفوها لودعيا، وأديبا أريبا ألمعيا عقب سقوط مملكة غرناطة عام 1492م وكانت الأخيرة بين الممالك الأندلسية التي تساقطت كأوراق الخريف تباعا، قبل أن يقف أبو عبد الله الصغير، آخر ملوك الأندلس ليذرف دمعته الأخيرة حزنا على فراق غرناطة وإلى الأبد أثناء تسليمها سنة 1493م إلى ملك قشتالة فرناندو، وزوجته الملكة إيزابيلا، وقبل أن توبخه أمه عائشة الحرة، بعبارتها الماثورة التي ذهبت مثلا وحكمة بين الناس: "ابك كالنساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال"، ويقول الرندي في مطلع قصيدته النونية المعنونة بـ "رثاء الأندلس":

لـكـل شـيـء إذا ما تم نقصان فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسان
هـيَ الأُمُورُ كما شاهدها دُولُ مَنْ سَرَّه زَمَنُ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وهذه الدارُ لا تُبقي على أحـدٍ ولا يدومُ على حالٍ لها شأْنُ

(*) مقال المنشور في مجلة "همس الحوار" اللندنية الفصلية المحكمة بعددها الـ 33 الصادر بتاريخ 15/تموز

2026/

الورد والآس... في رحاب "فلسطين بعيون عراقية" دفعا للالتباس

اعتدت طوال مسيرتي المهنية في أروقة السلطة الرابعة، وخلال عملي في مؤسسات الصحافة أو مهنة المتاعب كما يطلقون عليها طيلة 26 عاما، أن أبعث بمقالاتي وأعمدي وحواراتي وتحقيقاتي الصحفية ومثلها سكريبت التقارير والبرامج المتلفزة والبطاقات الرقمية التي أعدها إلى رئاسات، أو إدارات تحرير الصحف والمجلات ووكالات الأنباء والقنوات مباشرة من دون وساطات، وغالبا ما كنت أسلمها باليد حضوريا، أو عبر الماسنجر الكترونيا، وقلما كلفت أحدا بهذه المهمة لبيعها إلى من يهمهم الأمر بالنيابة عني ولأسباب عديدة لا مجال للخوض فيها بهذه العجالة، ولكل مقام مقال، وحدث ذات يوم والأمة كلها مشغولة بأخبار ما يجري في القطاع المحاصر والضفة الغربية، أن طلب مني أحد زملاء المهنة الأعزاء إرسال مقال على وجه السرعة لنشره في منصة إعلامية عربية وبالفعل فقد كتبت المقال خلال يومين وأرسلته عبر البريد الإلكتروني بانتظار الإذن بالنشر، أو نشره مباشرة، مرت أيام عدة ومن ثم فوجئت بنشر المقال كاملا كما هو حرفيا ومن غير إضافة ولا نقصان باستثناء صورة لكاتب آخر وهو بدوره زميل عزيز بدلا من إرفاق صورتي مع المقال مع نبذة تعريفية بنصف سطر للزميل بناء على صورته المرفقة وليس لكاتب المقال.

ثمّة أمر آخر لا بد من التطرق إليه بعجالة لأهميته وبما له علاقة بما ذكرت سالفًا، ألا وهو ظاهرة تشابه أسماء الصحفيين والكتاب وبما أوقع الكثير منهم وعلى منوالهم إدارات ورئاسات وهيئات التحرير في ضيق تارة، وفي حرج أخرى وبما هم في غنى عن صداع رأسه كليا، فعلى المستوى الشخصي لم يكن هذا المقال هو الأول الذي أضيف له - توهما - صورة كاتب آخر لتشابه الأسماء حرفيا، لقد حدث ذلك الأمر معي مرارا وتكرارا وبما دفعني أخيرا لإضافة اسم غير مطروق إعلاميا، وإن كان مبذول تجاريا "جود الخير" إلى الاسم الأول دفعا للالتباس، بل وإضافة مهنتي القديمة في تجارة الكتب إبان حقبة التسعينات إليه أيضا "مكتبي" فصار بذلك اسمي "الصحفي = المهني" أطول من مسلسل باب الحارة، وأطول من الاسم الذي أطلقه "القذافي" على بلاده في وقت مضى: "الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى"!!!

وقتئذ ومن باب "التمس لأخيك سبعين عذرا"، كنت قد تفهمت الوضع تماما في ظل تشابه الأسماء، مضافا لها ضغط العمل الهائل، وعلى خلفية الارتباك الكبير الحاصل تحت وطأة الظروف الطارئة والأخبار المروعة العاجلة التي لا تتوقف ولو لالتقاط الأنفاس للحظة واحدة، وحسبي أن رسالة المقال الإنسانية وفي خضم تلك الظروف المتسارعة والقاسية قد وصلت أيا كان الاسم الموضوع أعلاها، وأيا كانت الصورة المرفقة معها، وبالتالي فلم أشأ يومها وما زلت، بتوجيه اللوم إلى زميلي الأول وأكن له فائق الاحترام والتقدير ولا معاتبته، ولا إلى الثاني كذلك، ولعله لا يعلم بتاتا بنشر هذا المقال أساسا باسمه مرفقا بصورته، كما أنني لم طلب وقتئذ باستبدال الصورة وتغيير النبذة التعريفية المرفقة أيضا دفعا للإحراج الذي قد يعتري الزميلين العزيزين خاصة، ومحوري المنصة عامة، ولا سيما وأنني متفهم يقينا ومستوعب تماما لحجم الضغط الكبير الذي من شأنه أن يُسقط سهاوا مثل هذه الأخطاء والهفوات غير المقصودة ولا المتعمدة البتة، بيد أنني اليوم وبعد مرور ثلاث سنين تقريبا على نشر المقال أرى أنه قد آن الأوان لنشره باسم كاتبه ومرسله على صفحات هذا الكتاب وتحت عنوان: "الورد والآس في رحاب -فلسطين بعيون عراقية- دفعا للالتباس"، وأقول فيه:

لن تمر بمدينة عراقية قط إلا وسيقع بصرك لا محالة على أسماء المدن الفلسطينية وهي تزين واجهات المدارس والمساجد والأسواق والشوارع والمؤسسات، لعل من أشهرها شارع حيفا، وشارع فلسطين في بغداد، وفلسطين حاضرة في الذاكرة والوجدان العراقي كبرا عن كابر، بصرف النظر عن تغير الأنظمة من عدمها، ولم تغب

فلسطين من النهر إلى البحر عن الواقع الاجتماعي ولا عن الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح. كذلك الشعر والرسم والرواية العراقية، وكان مركز الدراسات الفلسطينية قد أصدر بيليوغرافيا تفصيلية للدكتور حسام الساموك، عن "فلسطين في المؤلفات العراقية"، مازال يحظى بكثير من المتابعة والاهتمام.

أبو خليل وفلسطين

الجندي العراقي ولعقود خلت كان يكنى بـ "أبو خليل" نسبة إلى مدينة الخليل التي دافع عنها أسلافه أسوة ببقية المدن الفلسطينية الأخرى، وما تزال "مقبرة شهداء العراق" في جنين شاخصة إلى يومنا لتذكر الأجيال بالرباط التاريخي الذي لم تنفصم عراه بين العراق وفلسطين على مر التاريخ، مقبرة تضم تحت ثراها رفات (44) شهيدا شاركوا في الدفاع عن المدينة عام 1948، كذلك مقبرة العراقيين في نابلس التي تحتضن كأم ثكلى (194) جثماناً، ولو أنك تأملت ملياً في أسماء ومحافظات الشهداء المكتوبة على شواهد قبورهم فسرعان ما تكتشف بأن فلسطين حية في قلوب العراقيين بصرف النظر عن أنظمتهم وقومياتهم وطوائفهم المختلفة، فقائمة الأسماء في المقبرتين تمتد مناطقياً من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب العراقي، أما قومياً فتتضمن أسماء عرب وكرد وتركمان، لضباط ومراتب استشهدوا دفاعاً عن كفر قاسم، وطولكرم، وجنين، ونابلس، وقلقيلية، ورأس العين، والمجدل، وكوكب الهوا وغيرها من القرى والقصبات والمدن الفلسطينية.

ولو استرجعنا من خلال شريط الذاكرة الحبلية أسماء قيادات "جيش الإنقاذ الفلسطيني" الذي تشكل في كانون الثاني من عام 1948 لتجلى لنا حجم المشاركة العراقية الواسعة في حرب فلسطين، فقيادة الجيش كانت قد عهدت إلى اللواء الركن العراقي "إسماعيل صفوت باشا" كذلك الحال مع فوج اليرموك الثالث في "رام الله"، وفوج القادسية في "باب الواد"، وفوج حطين في طولكرم، و"فوج الحسين" في "يافا"، وكلها كانت تحت إمرة قيادات عسكرية عراقية. أما عن أسباب الهزيمة برغم بسالة الجنود، وجسامة التضحيات فقد أرجع محمد حسين هيكل جانباً منها في كتابه "العروش والجيوش" إلى غياب مفهوم القيادة آنذاك على وصفه.

ومعلوم بأن القائد الفلسطيني عبد القادر الحسيني، الذي استشهد في معركة القسطل في نيسان 1948، كان قد نقل بجواز سفر عراقي بعد إصابته للعلاج في العراق خريف 1938م، وقد أذاع الدبلوماسي العراقي طالب مشتاق، سرا عن لقائه الأول بالحسيني، حيث كان مشتاق يومئذ قنصل المملكة العراقية في بيروت، مبيناً تفاصيل إصدار جواز سفر عراقي للحسيني خارج حدود صلاحياته لتسهيل سفره إلى بلده الثاني العراق.

وربما لا يعلم كثيرون بأن العراق قد شارك فعلياً في حرب 1967 على الجبهة الأردنية، وذلك بعد النتائج الكارثية للأيام الأولى، وفقاً لكتاب (دور العراق في حرب عام 1967) لمؤلفه اللواء الركن علاء الدين حسين، مؤكداً مشاركة المقاتلات العراقية في اشتباكات مباشرة مع الطائرات الإسرائيلية، إضافة إلى تموضع الفوج الأول من لواء المشاة الأول، في مواقع دفاعية على الجبهة المصرية لحماية القاهرة والإسماعيلية.

أما عن دور العراق في حرب أكتوبر/ 1973، فقد شارك لدعم الجبهتين المصرية والسورية، وذلك بسلحين أولهما عسكري تمثل بمشاركة 18 ألف جندي، و400 دبابة إضافة إلى القوة الجوية، وثانيهما اقتصادي تجسد بتأمين حصّة شركتي ستاندرد أويل نيوجرسي الأمريكيتين في شركة نفط البصرة، وما تزال الذاكرة الجمعية تحتفظ بصفحات مشرقة من سفر اللواء المدرع الثاني عشر، والسادس، ولواء المشاة الآلي الثامن، وأسراب طائرات "هوكر هنتر" و"ميغ 21" و"سوخوي 7" العراقية، وقد قدم العراق (323) شهيداً آنذاك دفنوا قرب دمشق.

فلسطين في الأدب العراقي

لم تغب فلسطين كما أسلفنا عن المشهد الثقافي والأدبي العراقي برمته، إذ لم يذهل العراقيون على اختلاف مكوناتهم وانتماءاتهم عن فلسطين حيث كانت ومازالت حتى كتابة السطور جزءاً لا يتجزأ من الاهتمام والهيم المشترك الذي توافقوا عليه جميعاً لينتجوا إرثاً أدبياً ثرا كُرسَ لنصرة فلسطين ما زال صدها وسيظل يتردد في الآفاق، فهذا رائد الشعر الحر بدر شاكر السياب، المعروف بنزعته القومية يقول بقصيدته "في يوم فلسطين":

تلك المواطن أين عنها أهلها فتروح تعرضها على الغرباء
والقدس ما للقدس يمشي فوقها صهيون بين الدمع والأشلاء

وهذا الشاعر وليد الأعظمي، المعروف بإسلاميته، يتغنى بفلسطين ولاسيما في ديوانه "الزوابع" وكان كثير من شباب فلسطين يحفظون قصائده وفقاً للدكتور بهجت الحديثي، في كتابه "القصيدة الإسلامية الحديثة وشعراؤها في العراق" ومن أبيات الأعظمي التي حضت الجموع على نصرة فلسطين:

مهلاً فلسطين في بغداد كوكبة من الشبيبة أبطال أشداء
ركب الأخوة عين الله تكلوها ركب الجهاد له الإيمان حداء

بدوره الشاعر محمد مهدي الجواهري، المعروف ببسارته، يقول في قصيدته "يوم فلسطين":

هبت الشام على عاداتها تملأ الأرض شباباً حنقاً
نادباً بيتاً أباحوا قدسُهُ في فلسطين، وشملاً مرقاً

وعُي بدلاً من نعي

من اللافت أن الصحافة المحلية والأوساط الأدبية العراقية لم تنزع إلى الرثاء المجرد لفلسطين، ولم تحبس نفسها داخل قفص النعي المحبط لتدور في فلكه من دون إرفاقه بما يعلي القيم ويستثير الهمم، موظفة كل الفنون والآداب مجتمعة لتخطي حالة الجمود والعجز والانكسار، والوقاية من متلازمي الكبت والإحباط التي قد تعتري النفوس بعد كل عاصفة هوجاء تعصف بفلسطين ما ولد ردود أفعال اتفقت في تفاعلاتها رغم تباينها في تعبيراتها وانفعالاتها، إذ لم يقصر مثقفو العراق نتاجاتهم على رثاء فلسطين و البكاء على أطلالها فحسب بعد كل مجزرة صهيونية تعصف بساحتها، وذلك على النقيض مما فعله الخريفي في رثاء بغداد سنة 197 هـ، وابن الرومي في رثاء البصرة سنة 255 هـ، و أبو البقاء الرندي عقب سقوط غرناطة عام 1492 م، حيث تخطى العراقيون لنصرة فلسطين حاجز البكائيات و جنحوا بدلاً من ذلك للدعوة إلى الفخر والعزة والكبرياء برغم الألم الذي يعتصر قلوبهم، والدموع التي تنهمر من أعينهم.

وكانت الدكتورة رباب هاشم حسين، قد أسهبت في بحثها الرائع الموسوم: "فلسطين في الشعر العراقي"، بالحديث عن مرحلتين تميزت أولاهما بالخطابية الزاعقة والثورية وإبداء الحزن، بينما اتسمت الثانية بالدرامية والغنائية والميل نحو التشكيل الفني بعيداً عن المباشرة" على حد وصفها.

من وأد عذراء العراق؟! (*)

رقيقة كالهمس.. وضاعة كالشمس.. خصلات من شعرها الأسود الفاحم كانت تتدلى كعنقود عنب على عينيها الناعستين، تلك هي مريم ابنة الثلاث عشر ربيعاً التي تسكن في رصافة بغداد.. ما أعذبها.. ما أجملها.. ما أروعها لولا أن شحوباً مقيتاً تسلل خلسة إلى بشرتها البيضاء البضة فأفقدتها نضارتها.. ولولا أن سكونا رهيباً زحف إلى أطرافها السفلى والعليا من دون إرادتها فأحالتها إلى مومياء فرعونية لا تقوى على شيء، لسانها كان لا يفتأ يتمتم بكلمات غير مفهومة.. عيناها الجميلتان كانتا ترقبان شيئاً ما من بعيد لا أدري حقيقة ما هو!!

لوهلة خلتها تتصنع حياء العذارى بتكلف واضح لا يخفى على من عركته الحياة، فعلمت ممن حولها بأن وحشا لا يعرف الرحمة هو الذي فعل بها كل هذا، وحش جعلها حبيسة البيت، بل وقعيدة الفراش أيضاً فلم يعد من حقها أن تحلم كما تحلم زميلاتها في المدرسة، ولا أن تلعب كما تلعب شقيقاتها في باحة الدار، ولا أن تجلس خلف قضبان الشناشيل البغدادية التي تزين شرفة دارها كما تفعل بنات محلتها لترقب بائع (الشعر بنات) وهو ينادي بصوته العذب: "شعر بنات، شعر بنات.. حار وطيب شعر بنات، للحلوين وللحلوات"، فتناديه على استحياء وبصوت متهدج -عمو يبش الشعر بنات؟! - أريد إثنين!!

انتفخت أوداجي، احمر وجهي، إشرأبت عنقي، تطاير الشر من عيني، فصرخت بأعلى صوتي وبملاء في وبركان يفور في دمي: "ويحككم ما اسم هذا الوحش..؟ ما عنوانه..؟ دعوني أثار لحسناء محلتنا.. افسحوا لي الطريق لأنتقم من هذا الشيطان المرید.. أجيبوني، ماذا دهاكم، أليس منكم رجل رشيد؟!".

ربت أحدهم كتفي قائلاً، لا تتعب نفسك يا صديقي، فما وحش محلتنا بإنسان.. وليس لشبح عراقنا مستقر ولا علاج ولا عنوان.. إنه مرض عضال بات يفتك بآلاف من أطفالنا وسيظل يفعل ذلك حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً..!

-ماذا تعني بمرض عضال لعلاج له، وماذا تقصد بشبح لا مستقر له ولا عنوان ليفتك بأطفالنا وبفلذات أكبادنا بين أظهرنا ونحن نرى ما يفعله بهم بأم أعيننا وبأذاننا لصرخاتهم المكتومة والمكثومة ولأنهم نسمع؟! وحش يسميه الأطباء ضمور العضلات الشوكي الحاد. ليس له في عراق الحضارات علاج!! وجل الذي تمنناه عليك كونك تعمل في المجال التطوعي والإنساني أن تأتي لنا بكروسي متحرك مخصص لمرضى الشلل الرباعي لتقضي مريم ما تبقى من حياتها عليه!!

هرولت مسرعا إلى أصحابي، إلى جيراني، إلى أحبابي، أستنجد بهم، أستعطفهم، فلم نكن نملك ثمن الكرسي (= 200 دولار وغبار غزو العراق (2003) لم ينجلي بعد، وكلنا عاطلون عن العمل آنذاك، فأطلقنا حملة محلية لجمع التبرعات استمرت شهراً كاملاً تحت شعار أنقذوا عذراء العراق مريم، وبعد جمع المبلغ المطلوب يممّت وجهي شطر شارع (المشجر) واشتريت واحداً حملته على ظهري من شدة الزحام، وانطلقت به أشق أزقة ومحلات بغداد الشعبية المكتظة واحدة تلو الأخرى، حتى وصلت إلى محلتي القديمة وأنا في غاية السعادة والسرور، وكان الزقاق مكتظاً بالناس، فوقفت أمام خيمة منصوبة وصحت بأعلى صوتي "يا أم مريم زغردني.. هاهو عرش ابنتك مريم قد وصل!!"

قالت والحزن يعلو محياها، إرجع به من حيث أتيت فلا شأن لنا به ولا حاجة له!!" فعقدت الدهشة لساني، وتسمرت مكاني، ولسان حالي يقول "كيف أرجع بالعرش ومريم بأمس الحاجة إليه؟".

همس أحدهم في أذني قائلاً: لقد ماتت مريم، وهذه خيمة عزائها!!

سقط قلبي في جوفي ولم تعد ساقاي تحملاني، جلست على الأرض القرفصاء، وداعب سمعي ليشق أجواء السكون التي أطبقت على أذني برهة رغم الضجيج والصخب، صوت القارئ عبدالباسط عبد الصمد، وهو يرتل قوله تعالى: (وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت).

نعم لقد كانت مريم مؤودة بحق وقد اشتركنا جميعاً في وأدها، فكل من شارك في اغتيال الأطباء الاختصاص لحملهم على الرحيل خارج البلاد بغية إفراغ البلاد من عقولها وكفاءتها وخبراتها فقد أسهم بوأد عذراء العراق مريم!



كل من نهب المستشفيات، وسلب المستوصفات، وسرق المراكز الصحية في عصر الحواسم وما بعدها فقد أسهم في قتل مريم.. كل من استورد الأدوية المغشوشة والمستلزمات الطبية نافذة الصلاحية ومن مناشئ عالمية مجهولة فقد أسهم في قتل مريم.. كل من أهمل رعاية الأطفال، أو انتهك حقوقهم وأوقعهم فريسة الفقر والجهل والجوع والتشرد والمرض، فقد أسهم في قتل مريم.. كل من لم يلتزم ببنود اتفاقية حقوق الطفل التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة في 20-11-1989، وكل من لم يلتزم ببنود اتفاقية جنيف لحقوق الإنسان، واتفاقية التنمية البشرية التي وقعت على بنودها (189) دولة سنة 2000م في أروقة الأمم المتحدة وتضمنت ثمانية أهداف عامة، و18 هدفا ذات صلة، و48 مؤشرا، اتفقت معظم شعوب الأرض على تحقيقها بحلول العالم 2015م، فقد أسهم في قتل مريم.. كل من أنعم الله تعالى عليه بالمال الوفير وبالثراء الفاحش وهو يعيش في بحبوحة من الحياة، وبرغد من العيش وسمع بمريم وأمثالها ثم لم يسهم بعلاجها داخل العراق أو خارجه فقد شارك وإن خطأ، وإن بخلاً، وإن سهواً، وإن استعلاءً في وأد مريم، علماً بأن مريم ليست واحدة... مريم عدة ملايين!!

سرت خلف النعش رافعا العرش لأهديه الى مريم أخرى جديدة وما أكثرهن في بلد أضاع الخيط والعصفور لعلها تجد متسعا من الوقت للجلوس عليه قبل أن تطاولها كما فعلت بأقربائها من قبل ومن بعد يد القدر.

مرت سنوات عجاف تلو أخرى ولم تجلس مريم واحدة على عرشها قط، مصداقا لقول إحدى جداتنا رَجَمَهُنَّ الله تعالى، إذ لطالما رددت على مسامعنا وكلمنا مات إنسان متواضع، مهيب الجناح، طيب القلب، نقي السريرة عبارة: "الموت ما ياخذ حطب لم... الموت ياخذ ورد جوري وَيَشْتَم!!"، أودعناكم أغاتي.

فنتازيا سيطرة وهمية!

تسلل الخوف والإحباط الى قلب الشاعر والمدون-ضائع بن تايه بن تواصل السبراني - هكذا أطلق على نفسه عبر صفحته الشخصية على فيسبوك في أعقاب النهايات المأساوية لزملائه السابقين "عطية تليغرام" و"سوادي أنستغرام" و"حازم إكس" و"أبو ثرب التيك توكري" و"جاسم كلاودي" و"بلاسم يوتيوب" ولا عزاء. ملم شعته، جمع بعض كتبه، تخير نزرا يسيرا من دواوينه الشعرية ومجموعاته القصصية فرارا بجلده من ملاحقة – الما أدري إيشيين، والما أدري إيشيات – وهربا من- المعثرات والفابنات والطايرات- خشية أن يصيبه بعض ما أصاب رفاقه الناشطين الفقراء من قبله.

وهناك على الطريق الخارجي الموحش القاحل وبعد منتصف الليل:

*Stop، قف أمامك سيطرة (= وهمية وليست حقيقية)..احترم تحترم..قف وارجع "لي وره!!".

-قال: شكرا للعيون الساهرة..شكرا لهذه الأخلاق الشريفة النادرة، ما هو المطلوب مني، وأرجو المَعذرة؟!

*من أنت وكفاك خداعا وقشمرة؟!

-عراقي أنا، أو بالأحرى..مواطن نكرة، أسكن منذ فجر التاريخ في بيوت صفيح مستأجرة، لا أملك في عراق الخيرات والثروات حيث طوفان النفط والغاز والكبريت والفوسفات غير دواة ومحبرة، وبضع وريقات A4، وثلاثة أرباع المسطرة، ودزينة أقلام رصاص، حبر، جاف مكسرة، أنظم بها قصائد في حب العراق من زاخو وحتى صحراء الفاو المقفرة، سيارتي فولكسفاغن(عكركة) مزنجرة، منطقتي عشوائية تقطنها خمسة آلاف عائلة بائسة يائسة مُكَدَّرَة، مشردة ضائعة تائهة ومخدرة، بيوت مدمرة، أحياء قذرة، أمزجة عكرة، تزداد سوداوية في الأيام الممطرة، بعد طفح المجاري وسقوط القنطرة، يتبعها سب وشتم وقذف وثرثرة، لا لجوقات التنك..قراطيين المعتبرة، ولا لغريمها ثلة الدم..قراطيين الموقرة - حاشاهم - بل للأنظمة الإبستين قراطية والتيوقراطية والأرستقراطية والبيروقراطية والإيلون ماسك قراطية الحاضرة والمستقبلية والغابرة، الخفية المستهترة، والعميقة المستترة، والقره قوزية الظاهرة!!

-وماذا عن كتبك ومكتبتك ودواوينك العامرة؟!

* نصفها دواوين حب ضائع أو نزوات عاطفية وقتية افتراضية عابرة، روايات بوليسية وخيال علمي وزومبي ورعب وأشباح وفلسفة وثرثرة، ونصفها الآخر يمجّد الولاة الزاهدين، الورعين أمثالكم من أديباء الصلاح، أو مدعي الإنسانية، أو منتحلي صفة الإصلاح البررة ممن قال فيهم أجدادي قديما في أمثالهم الشعبية – وأبو المثل ما خله شي ما كاله - "يقطع 1000 راس وسبحته ألفية!!"، فيما يوجب ندماًؤهم وأبواقهم ووعاظهم وطبالوهم طاعتهم ولو ظهروا على رؤوس الأشهاد يدخلون الماريجوناً تحيط بهم الجوارى والقينات وقناني الخمر المعتقة المبعثرة، أو فوق جثث الضحايا الأبرياء وهم يتميلون ويتراقصون ويهتفون باسم بلدانهم وأوطانهم المدمرة، أو بمقدرات الشعوب وبقوت الفقراء والكادحين والعاطلين والنازحين والمهجّرين قسريا في صالات القمار وعلى الموائد الخضراء والروليت داخل فنادق وكازينوهات البلاد وخارجها يقامرون وهم بأوضاع مخلة سافرة، وبهينات سوربالية مخجلة..مقززة ومنفرة!!



عفوا ولكن من..أنتم؟! وما تلکم الوجوه العبوسة المكفهرة الكالحة، ما تلکم الأحزمة والثامات والعصي والبرايات والفؤوس والخناجر والسكاكين الجارحة؟! ألم يتناه الى أسماعکم عبارة: "يدا بيد لا سلاح باليد؟ أم تراکم لا تتابعون الأخبار عبر الفضائيات الحیادية والموضوعية والعقلانية الوطنية، وليس المنحازة والعنصرية والطائفية التحريضية المتهورة؟!

*نحن العصابات الإجرامية القذرة...نحن الکفرة الفجرة...نحن الذین ارتکبنا مائة ألف مجزرة ومجزرة..نحن الذین نسوق الشباب بناء على الأسماء، بناء على الکنى والألقاب تباعا الى المجهول والى الجماعي من کل خندق مجهول وواد مقفر ومقبرة..نحن عشاق الأحکام الجائرة، والاثامات التعسفية الکيدية السافرة، نحن أصحاب الکواتم والعبوات والمفخخات الغادرة...نحن تجار کریستال والکبتاغون والحبوب المفترة والمهلوسة والمخدرة، نحن مهريو آثار الحضارات الغابرة...نحن أحفاد التتار، هاهها(ضحک وککرة)...أعقها ههههه (تهکم وسخرية وقشمرة)، نحن سارقو برامیل النفط الخام منها والمکررة..وعاش العوووو...رااااق کما یحلو لنا نطقه تهکما بکنف أصحاب الشهادات والجوازات والعملات والأنساب والکنى واللقاب والأحساب والجنسيات المزدوجة، الحقیقية منها و المزورة!!

—ستدور بإذن الله تعالى یوما على قطعان ذئابکم المنفردة الدائرة، وستزلزل الأرض من تحت ضباکم السائبة جموع المثقفین والکادحین والمتعلمین والوطنیین الواعین الثائرة!

*صه، أصمت، أسکت، إخرس، -إنجب- وإلا...ترره؟! لا تنبس ببنت شفة، وإلا رضخنا رأسک بحجر کبیر، وألقمناک آخر بحجم کرة، وألقیناک فی البركة القریبة کما ألقینا العشرات من أمثالک، ولا من شاف، ولا من دره!!

طرطر طرة.. فوضى وصراخ وزمجرة..تمزیق ثياب..تهشیم عظام..سحل وجرجرة والتهمة المسلفنة، هی محاولة مواطن نكرة، لا یمتلك غیر دواة ومحبرة، وبضعة أقلام رصاص وحبر وجاف مکسرة، ومسودة قصيدة تتغنى بحب العراق من زاخو الى صحراء الفاو المقفرة، وإصراره على تجاوز حدود منطقة وصلاحيات "سیطرة وهمية"

نصبها الخارجون على القانون من الزعار، وسقط المتاع، وشذاذ الأفاق، وقطاع الطرق على عجل خارج نطاق المراقبة بعيدا عن تغطية الكاميرات، وعن الأسماع والأنظار وحدود السيطرة بمنطقة خاوية مقفرة! أقفل المعتصمون محالهم، أعلنوا إضرابهم، احتشدوا وجأهروا بعصيانهم، طالبوا بالتحقيق الشفاف العاجل الفوري لمعرفة الجناة وادانتهم ومحاكمتهم على الفور وإعلان نتائج التحقيق بكل شفافية وحيادية وموضوعية، فاليوم لا بيع ولا شراء، ليشتيعوا جنازة المدون المغدور ويواروا جثمانه الطاهر كزملائه من قبل الثرى، ولكن لا جواب شاف غير رجع الصدى..وعلى ما يبدو بأن قدر أمثالهم من بقية المثقفين والكتاب والأدباء والصحفيين المكوث طويلا داخل الحظيرة، والوقوف في طابور العبيد الطويل، وباللهجة العامية: "أن ينتظر كل واحد منهم دوره القادم، وأن يلزم بانتظار مصيره المجهول الغائم القاتم العائم...سره!!". أودعناكم أغاتي

كوميديا سوداوية في عصر الديستوبيا والكلبتوقراطية!

سقط صديقي في تمام الساعة الثامنة والنصف ليلا ومن دون مقدمات مغشيا عليه، حملته وبمساعدة صديق آخر بسيارة تاكسي صفراء اللون نوع سايبا ساخت إيران، لأن سيارة جاري عن اليمين من طراز رينو Made in France بحاجة الى تبديل محرك، ولأن سيارة جاري الثاني عن اليسار من طراز فولغا Made in Russia بحاجة الى بطارية جديدة، ولأننا مقاطعون للبضائع الأمريكية ولكون سيارة جاري المقابل من طراز كاديلاك Made in America، وكنا قد شاركنا في حملة المقاطعة عبر هواتف الآيفون الأمريكية التي بحوزتنا، وعبر برامج الواتس آب والانستغرام والفيس بوك وإكس واليوتيوب ومن خلال أجهزة الآيباد واللابتوب والحواسيب الأمريكية ماركة ديل واتش بي وأبل خاصتنا، ولأننا عملنا كاروسيلات وبطاقات مقاطعة رقمية بواسطة برامج الذكاء الاصطناعي الأمريكية تحديدا، غروك، وتشات جي بي تي، وجيمناي غوغل، وميتا آيه آي، ولما 3 آيه أي، وغيرها كثير وكلها برامج أمريكية وما زلنا نستخدمها وسنظل ولا نخضعها للمقاطعة أسوة بغيرها - ليش ما أدري؟! - ربما لأن عقول بعضنا محصورة ومقيدة بمعدتهم فحسب فترى واحدهم وهو يقاطع الكوكا كولا والبيبي كولا والماكدونالد والكنتاي فرايد تشيكن والستاريكس وشركة نستله وجبس ليز وشوكولاته مارس وغيرها من الأطعمة والمشروبات والحلويات، إلا أنه لم ولن يقاطع كل ما هو خارج نطاق المعدة والأمعاء الغليظة والدقيقة إطلاقا حتى أن النظارات الذكية والعادية والشمسية والهواتف النقالة وأجهزة الكمبيوتر وبرامج المونتاج والكاميرات والسيارات الفارهة ودرونات التصوير وأجهزة الإتصال ومواكب المسؤولين الطويلة وأسلحة الحمايا والساعات اليدوية لأشد المقاطعين جعجعة، وأكثرهم صخبا، كلها أمريكية الصنع غير مقلدة عالميا، ولا مجمعة صينيا، ومن المنشأ الأمريكي الأصلي مباشرة 100%!!

ساعتها لم نفكر بالإستعانة بكاديلاك جارنا الثمانية - المجرقة - منذ أيام أغنية يا سايق السيارة لي ووحيد، وأغنية سكة سفر لنبل شعيل، ولسان حالنا يردد كلمات أغنية "زحمة يا دنيا زحمة.. زحمة وتاهوا الحبايب.. مولد وصاحبه غايب" لأحمد عدوية، وذلك حفاظا على المبدأ الذي دعونا الناس إليه ذات يوم لطروف موضوعية ضمن حملات شعبية عاطفية ووقتية لم نحافظ عليها ولم نشرح للناس أبعاد وأهداف ومقدمات ونتائج معظمها ليكونوا على بينة من أمرهم على الأقل، مع أن جارنا كان قد حصل على سيارته تلك منذ أن كان يعمل معلما في إحدى المدارس الكويتية قبل الغزو العراقي للكويت 1990-1991 والذي لم يفهم العالم كله أسبابه ولا دوافعه الحقيقية غير المعلنة حتى اللحظة، وقبل تحريرها بعملية عاصفة الصحراء ليجد نفسه مطرودا خارج الكويت التي أحبها يوما وأحبته والتي ظل يمتدحها ويتغنى بها ويثني عليها وإلى الأبد!!



ولأن ستوتة "أبو علوان" Made in Taiwan والتي تعمل طوال ساعات النهار في نقل المواد الغذائية والفواكه والخضار بين العلوات والأسواق الشعبية، قبل أن تتحول بعد الساعة التاسعة ليلا إلى حاوية مخصصة لنقل النفايات والأزبال وبقايا البناء والأحجار وإلقائها تحت جناح الظلام في ساحة كرة القدم الشعبية الترابية القريبة على بعد أمتار، والكل في صباح اليوم التالي يشتم ويزيد ويرعد ويطالب بالكشف عن هوية الجناة والمتورطين برمي القمامة وسط الساحة بلا حياء ولا خجل، بما فيهم "أبو علوان" شخصيا وهو الأشد صخباً بين الجموع الغاضبة، الأعلى صوتاً، الأكثر سباً وطعناً ولعناً، تماماً كبعض "دعاة مكافحة الفساد وارساء مفاهيم الشفافية والنزاهة" وإذا بهم لصوص خزائن وموازينات تريليونية في هزيع الليل، ودعاة إصلاح وبناء وإعمار في رابعة النهار" لدفع المهمة عن شخصه قدر الإمكان، ولأن نقل صاحبي بهذه الستوتة الملوثة أخلاقياً وجراثيميا سيكلفه حياته قبل وصولنا إلى المستشفى بنصف ساعة، إن لم يكن أكثر!!

وبما أن دراجتي الهوائية التجميعية Made in India لن تصمد ولن تتمكن من حمل راكبين إثنين أحدهما في حالة فقدان كامل للوعي وزن 120 كيلو غراماً برغم كتب الحمية ومحاضرات التنمية البشرية وبرامج الرشاقة واليوغا وتمارين الجيم والتاي تشي اليومية التي أطلقت علينا فجأة عبر غزو فكري طفيلي، واجتياح ثقافي مكثف وغير مقنن بفعل العولمة المتخطية للحدود والفضاء السيبراني" وبما يشبه إلى حد ما مجسراتنا وأنفاقنا التي تزيد من حدة الزحامات المرورية بدلاً من تخفيفها"، إذ ما فائدة تمارين رياضية تنقص من وزنك الزائد خمسة كيلوغرامات شهرياً لتتناول بعدها مباشرة "رأس باجة" كامل الدسم مع الكوارع والكرشة والممبار المحشو متبوعاً بنصف كيلو زنود الست، وربع كيلو مشكل كرزات، وعلبة آيس كريم بالحليب والكاكاو لتزيد من وزنك 10 كيلوغرامات إضافية أسبوعياً!

ولأن "توك توك" أبو سلوان Made in Thailand عادة ما يتحول بعد غروب الشمس إلى ماخور مخصص لمعاقرة الخمر والتحرش وتبادل النكات السمجة والمقاطع الفاضحة، وأحياناً تعاطي الأقراص والكبسولة، برغم الأنشيد والموشحات والتعزيات التي يبثها توك توكه نهراً بصوت عال، وكل من يعترض على صخب هذا التوك توك وضجيجيه فإنه مدان مناطقياً حتى تثبت براءته، ولأن سيارة الاسعاف البيضاء Made in China لن تصل قبل ساعة على أقل تقدير من شدة الزحام وعلى خلفية الاختناقات المرورية مع دفع 25 ألف دينار حمراء اللون المعروفة عراقياً بالمعجونية عند الوصول، وإلا فإنك لن تتسلم مريضك ولن تعالجه، تماماً كما يحدث بعيد

وفاته وتشريحه فإنك لن تتسلم جثمانه قبل أن تدفع 50 ألف دينار بدل أتعاب ثلاثة الموتى والقائمين عليها، وبعضهم وهم قلة ولا شك - هكذا أعتقد وقد أكون مخطئا - يعقد معك صفقة في موقع الثلجة وأثناء توقيع شهادة الوفاة ليفاتحك ويتفاهم معك حول تكاليف ومواعيد حفر القبر وتجهيزه، وقبلها تغسيل الميت وتكفينه، وبعدها خط اللافطة وتجهيز الطعام الخاص بوليمة مجلس العزاء وتكاليف نصب الجادر أو حجز قاعة الفواتح كذلك، وأقطع جازما بأن الصلاة على الجنازة ومثلها حمل النعش الى المقبرة لو كانت بمقابل مادي أيضا، لكننا قد أبرموا معك صفقة لتحديد أسعار مصلي الجنازة ومشيعها كذلك، كما هو ديدنهم في توفير الملاية = النائحة المستأجرة التي تناقض النائحة الثكلى، وإن كان الوقت خارج توقيات الصلاة المعتادة، ولم تحظ بمصلين ولا بمشييعين لميتك، فإنهم سيتأجرونهم لك وإن كانوا من غير المصلين ولا المتدينين ومن مدمني حليب السباع و"عرق أبو كلبجة" أساسا مقابل المال، وذلك ضمن منظومة ديستوبية تنته أطلاق عليها "منظومة الرحيل الأبدي والوداع الأخير" بل وسيرسلون إليك متسولهم ومكديهم تباعا ليحصلوا منك على الاكراميات المادية والإعانات المالية مقابل غسل القبر وتنظيفه بالماء أمام ناظريك وبحضورك فقط لا غير قبل أن يرسلونهم ليسرقوا الشواهد الرخامية خلسة في حال وجودها، بل وعمل السحر الأسود من رفات الموتى، ومعاقرة الخمر، وربما ممارسة الجنس بين القبور أيضا كغريزة بهيمية، أو كنوع من أنواع الطقوس السحرية، وفي حال افتضاح بعض هذه الحوادث المروعة فإن المتهم المسلفن المفترض والمزعوم في معظمها هو "غريز العسل" وبعض المخلوقات الليلية المسماة محليا بـ البعيوة أو الكرطة أو السعلوة أو أبو رجل مسلوخة، واتهامها بنبش القبور والعبث بشواهدا وعظامها ورفاتها التي يعبث بأغلبها الشاذون والمنحرفون والمشعوذون و"أمهات السحرة" ومن لف لفهم بالتواطؤ مع بعض حراس المقابر من بني البشر ولابد من وضع كاميرات حرارية ليلية لمراقبة ما يجري داخل المقابر الكبيرة تحت جنح الظلام من خوارم للمروءة، ومن كوارث مجتمعية وأخلاقية وعقدية خطيرة!

وبما أن أحدا من المارة لن يستجيب لنداءات الاستغاثة المتكررة المطالبة بحمل وإسعاف شخص غريب عنهم ملقى على قارعة الطريق بعدما ذاقوا الأمرين من تجارب مماثلة سابقة تعرضوا خلالها برغم مواقفهم الإنسانية المشكورة الى دكات وفصول عشائرية، أو الى دعاوى قضائية، والى أن يتم تفريغ تسجيلات كاميرات المراقبة القريبة من مكان الواقعة والمنصوبة في أعلى المنازل والمحال التجارية بعد موافقة أصحابها على تفريغها، لأن بعضهم ودرءا للمشاكل وصداق الرأس لن يفعل، والى أن يتم استحصال إفادات شهود العيان في حال موافقتهم على الحضور والإدلاء بشهاداتهم لأن معظمهم لن يأتي، والى أن تنجح بإقناع وتفهم حيي أحمد أغا، يكون مصيرك كمصير ثعلب الفنك، إلا أن يثبت نفسه بأنه - حصيني - يروح جلده للدباغ، على قول أمثالنا الشعبية الجميلة وذات المغزى والشاهد العميق الدارجة، فأقسم معظمهم وبأغلظ الأيمان على أنه لن يفعلها مستقبلا ولو كان المستغيث أحد معارفه أو أقاربه حتى صار حال المستغيث بالمارة محليا، كحال المستجير بعمره عند كربته، وكالمستجير من الرمضاء بالنار!!

وبالتالي فإن نقل صاحبي في ظل هذه الدوامة الفوضوية القمئة بسيارة تاكسي إضطرارا، هو الحل الأسرع والأمثل والأنجع في مثل هذه الحالة، ومن باب مجبر أخوك لا بطل!!

دخلنا صالة الطوارئ ففوجئت بعشرات المرضى والمصابين، مغص كلوي حاد، كهل يعاني من ذبحة صدرية، امرأة طاعنة في السن تعاني من سكتة دماغية، انهيار عصبي حاد لفتاة في سن المراهقة، ارتجاج في المخ لشاب إثر انقلاب دراجته الدليفرى النارية، صاحب مولدة يعاني من صعقة مفاجئة أثناء محاولته مد توصيلة كهربائية، أب مصاب برصاصة طائشة في الكتف من مسدسه الشخصي المرخص الموضوع على الطاولة بعد

عبث ابنه بزناده دون قصد، ضحيا حريق مفاجيء داخل فرن للصمون، زوجة حاولت الانتحار باشعال النفط الأبيض في جسدها بعد أن تنامى الى علمها سعي زوجها -الأجلح - للاقتران بامرأة-جلحاء- ثانية، إصابات عيون مختلفة وتمزق في الشبكية بسبب بنادق ومسدسات الأطفال البلاستيكية، تحطم أضلاع وتهشم عظام وكسور بحوادث مرورية، اختناقات بالجملة وضيق في التنفس من جراء عاصفة ترابية، لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى أن طلب مني أحد الممرضين ونتيجة لكثرة المرضى وزحام المراجعين، بأن أضع حبة تحت اللسان لصاحبي فقلت: "لا أعرف كيف أضعها، ثم أن يدي ملوثة بأنواع الأتربة بفعل التصعيد والتنزيل والتنقل بين المركبات للاسراع بالوصول الى المستشفى واختصارا للمسافات!" قهقهه بمعية زملائه عاليا، وقال: "معقولة ما تعرف تحط حبة تحت اللسان.. لعد شت تعرف تسوي!!!"، قلت: "تره أصابع إيدك مو سوه، ومو كل مدعبل جوز!" قال "فعلا ولكثرة التمنطق والتأنق والتأنسن والتثيقف والتفلسف في زمان الفاشينيسات ولاسيما مع فوبيا الميكروبات ورهاب النظافة والفايروسات، بعضهم أحيانا يصبح..زوج!!".

نصحتني بعضهم هامسا في أذني بنقله الى الطابق العلوي عبر المصعد المكتظ..خمس دقائق..عشر دقائق..نصف ساعة ولم يفرغ المصعد..صاعد ونازل، حابل ونابل، وكل الذي نسمعه هو صوت توقف المصعد في الطوابق الأخرى، إلا أنه لم يفرغ ليتنسى لنا الصعود إلا بعد اللتي واللتيا..

أحلنا الى جهاز التخطيط وهناك وبصوت دافئ وبعبارات أنثوية كيوت مطمئنة تدل على أن صاحبها ما تزال طالبة في الصفوف المنتهية ولم تتخرج بعد من الكلية:

*سلامات..تعب خفيف وبس!!

-ولكن صاحبي مغى عليه؟

*صاحبك ديدلح، خيبيخ..ويجوز سهران وتعبان من شدة الحر مع إنقطاع الكهرباء الوطنية وعاجبه ينام هنا على البخيخ!!

-وماذا عن التعب والألم الصدري والإرهاق والصريخ؟!

*قابل نكذب الجهاز، ونصدق صاحبك، شبك ما تفهم، شنو جاي من المريخ؟!!

- طيب والغثيان وارتفاع درجة الحرارة والعرق والنضح؟!

*التخطيط سليم، ولا تلح بالملح، وكفاك شكوى وولولة وردح!!

-حسننا بارك الله بك، وبارك عليك، وكثر من أمثالك يا أنسة، يامدام، يا بنية!

*لا تنسى الواهلية بمناسبة الشفاء والنهوض بالسلامة، وأنصح بسماع أغنية راغب علامة..إي..مو عبالك تفلت من الأكرامية أو من الهدية!!

مضت ساعتان فحضر أحدهم وبعد فحوصات عاجلة قال: "صاحبك متوفى منذ ثلاث ساعات..أين كنتم كل هذا الوقت؟!"

-متوفى؟!! وجهاز التخطيط، والحبة تحت اللسان، والإكرامية، والواهلية، والمعجونية، وأغنية حمد الله عالسلامة للراغب اللبناني بن علامة؟!!

*قال: "جهاز التخطيط عاطل منذ أيام وهو في طريقه الآن للفحص والاختبار!!".

-وماذا عن الممرضة المتدربة التي طمأنتي على صحة صديقي وبإصرار؟!

-كانت مجازة وقبل سويغات فقط التحقت بالعمل، وهي لا تعلم شيئا عن العطل المفاجيء الذي ألمَّ بالجهاز المذكور أثناء فترة غيابها، وكان من المفترض أن تذهب بصاحبك الى غرفة الإنعاش وتدفع المزيد من البقاشيش النقدية - طلعهن لمن ضامهن، بخت النايمين للضحى؟! - إما عبر الماستر كارد، أو نقديا وفوريا وكاش!!

- طيب وصاحبي الذي فارق الحياة على الخالي بطلال، وبمعنى أدق على بلاش؟!

*احمد الله تعالى أنه مات ليلة الجمعة ميتة طبيعية ولم يفقد شيئا من أعضائه البشرية، إنها ميتة يحسده عليها الملايين من ضحايا الحرائق والزلازل والبراكين والأعاصير والانهيارات الأرضية والفيضانات والسيول والحروب الأهلية..ميتة تتمناها نصف البشرية ضمنت له دفن جثمانه تحت ثرى الوطن الغالي وليس بأرض الغربة أو في بلد الهجرة والمهجر، ولا حرقا بأفران رومانيا وألمانيا وبريطانيا والسويد والمجر ليذر بقايا رماده داخل القارورة في عرض البحر، بعد سنين من قدومه هاربا عبر قارب مطاطي مثقوب قبل أن تلقي عليهم القبض دوريات السواحل وعلى منوالها الشرطة الخفر، لقد مات بجسد كامل واحد موحد لم يتمزق إربا، ولم ينفصل عن بعضه بعضا فيدراليا ولا كونفدراليا، ولا أن يواصل بقية حياته بأعضاء طبيعية معطوبة، أو بأعضاء اصطناعية مستوردة مضروبة..هذا إن عاش بعد كل هذا الكم الهائل والمتواصل من الأدوية والعقاقير الكيماوية والمنشطات والاجهزة والصوندات- وأطنان القطن والشاش، وعاش المواطن والوطن..عاش!!

-هل تحسدون الفقير المعدم العاطل الذي قضى حياته كلها ما إن يخرج من حرب عبثية، إلا ويدخل في أخرى أشد منها عبثية، وإن فر من معركة واحدة خوفا على حياته البوهيمية، أو تخلف عن الالتحاق بالخدمة الالزامية، اتهم بالخيانة العظمى وبعدم الولاء وباللاوطنية، لتكتب بحقه عشرات التقارير الكيدية بأقلام وبتأييد من بعض الشهود -الأعداء- وبعض الجيران -الطك عطية- ليحال الى مواقف التحريات السرية حيث الشوارب الكثة النازلة وصولا الى فتحات البدلات السفاري الهدل يومية، قبل نقله الى سجون الانضباطية، لتغبطونه وبعد كل هذه العذابات الإنسانية طيلة عقود مشوشة ضبابية على ميتة الجمعة..أيا سر- طووووط -ية؟!

- ألف مبروووك وتهانينا!!

"بل قل- مبارك- فهي الأفصح لغويا، بحسب القواميس اللغوية، والمعاجم النحوية، وفهارس المصطلحات البلاغية"، هكذا أطلقها متزهده متفيقه بخواتمه العشرة عن يمين وشمال كان يقف جانبا منصتا إلينا ونحن نتجاذب أطراف الحديث كفأر في جحره ينتظر اللحظة المناسبة للوثوب على لقمته السائغة المقلية أو المسلوقة أو المشوية بعد أن يهدأ الجميع ليثبت أمامهم بأنه أبو المنطق والفصاحة والبلاغة والنباهة والمفهومية، وما درى بأنه الأقل إدراكا ووعيا ومفهومية بإهماله المتعمد وغير المسوغ للأساسيات والضروريات والنوازل والحادثات والأولويات والمستجدات والعقائد والفروض والأخلاق وفقه الواقع والكليات، ولغضه الطرف كليا عن الكم الهائل للأساطير والخرافات والبدع والضلالات التي تساق من حوله كزخات المطر، وتركيزه بدلا من ذلك كله فقط على الكماليات والقضايا الخلافية والعرضية والهامشية، على المسائل السطحية أو الفرعية أو الجزئية لأغراض الجدل والمراء، أو لركوب أمواج الترنده، أو لتحقيق شهرة رقمية وقتية، أو لإثارة النعرات والحزازيات الطائفية!

فلت متمثلا بيت الشاعر قديما:

على إبل حداها غير حادي

وما أسفي على الدنيا ولكن

أودعناكم أغاتي

أنصار الشوارب واللحى.. خصومات ليلية افتراضية ومجاملات واقعية وقت الضحى

لا شك أن كاريزما الشوارب واللحى قد تلاشت بفعل أحداث جسام ألصقت بهما سوية، فلم يعد الشارب أو- الشنبات - تضيفي على صاحبها، مفتولة كانت على طريقة - أبو صياح -، أو مسبلة على طريقة - أبو عنتر -، أو كثة على طريقة - غوار الطوشي - أقول لم تعد تضيفي على صاحبها ذلكم الوقار وتلكم الهيبة التي كانت تمنحها لأصحابها على مر التاريخ ولعل أشهر من حملها، الأديب الروسي، مكسيم غوركي، والفيلسوف الألماني فردريك نيتشة، هتلر، تشارلي شابلن، ستالين، أينشتاين، المهاتما



غاندي، الثائر المكسيكي زاباتا، الأديب المصري، صاحب النظرات والعبرات والفضيلة، مصطفى لطفي المنفلوطي، أحمد عرابي وغيرهم كثير، وفي الأمثال البغدادية وعلى لسان النساء قولهن: "شفت شواربه وتغلزت بيه، لوما شواربه ماجنت ألفيه!"، ولطالما كانت الشوارب علامة فارقة على الشجاعة والقوة والأنفة والرجولة، يُقطع بها العهد، ويُنجز بمسكها الوعد في الحارات الشعبية بقولهم: "أخذها من هالشارب"، إلا أنها لم تعد كذلك بمعناها المعنوي والتراثي الأصيل ماضيا، حيث أصبح قطع الوعد بمسك طرف الشارب، أشبه ما يكون بمواعيد عرقوب وخلاصتها "مت ياوديع حتى يأتيك الربيع!!".

بدورها لم تعد اللحى كما كانت ولا سيما بعد أن تحولت الى موضحة للشباب، بعد أن كانت علامة على الزهد والتقوى والورع والإيمان، ومشاهير الملتحين حاليا أكبر من العد والحصر، وكان اليونانيون يقولون: "هناك نوعان من الناس في هذا العالم بلا لحية: الطفل والمرأة"، وإن كنت أعجب فعجبي من قراء قرآن مشاهير في المحافل العامة والخاصة، ومن معتمدين يظهرون على شاشات التلفزة بالجبة والعمامة والقفطان، إلا أنهم لا يطلقون لحاهم، جل احترامي للجميع من السابقين واللاحقين، مع أن اللحية وهذا الهندام الديني الأنيق، وذلك الزي التراثي المحترم، تعد جزءا مكملًا لا يتجزأ من فقه الظاهر وصنوه فقه الهوية، وإذا كان بعضهم - وقد يكون محقا - سبق له وأن تذرع بالخشية من التضييق والإقصاء والإخفاء والتمهيش والتنمر في حقبة الثلاثينات والاربعينات والخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي يوم طغت الشوارب الماركسية الرثة، والشوارب الاشتراكية الكثة، النازلة الى الذقن بشدة، أو الزاحفة كشجرة اللبلاب تجاه الخدين عن يمين وشمال بحدة، على اللحى وتحكمت برقاب البلاد والعباد، فما هي ذريعتهم اليوم وقد أطلقها الرجال عامة حول العالم، بعضهم

عادة، وبعضهم عبادة، والسؤال الملح لهؤلاء الوعاظ والقراء والمعممين من حليقي اللحى والشوارب وأمثالهم حصريا، ولست معنيا بسواهم من الدعاة الشباب المودرن فئة ViP، أسأل: "متى ستطلقون لحاكم إذن في حال لم تطلقونها الآن وقد شاعت بين عامة الناس ولم يعد أحد يُحاسب أو يُحاسب عليها إلا فيما ندر، ولاسيما وأنكم تظهرون على الملأ بزيكم الديني التقليدي، وهيئاتكم الدعوية والوعظية كاملة من دون نقصان ما خلا اللحية وهي الجزء المكمل والأهم، وباستثناء البوذيين والكاثوليك والبروتستانت، فإن كل كهان ورهبان ومراجع الديانات الأخرى، وضعية كانت أم سماوية، عادة ما يعتدون بلحاهم ويطلقونها، هكذا يفعل الحاخامات اليهود والصابئة المندائيون والاقباط الأرثوذكس وشيوخ الطائفة الدروز والأيزيديون والسيخ والهندوس والمهاثيون وغيرهم، فما بالكم أنتم وقد حلقتم لحاكم التي سن الشارع الحكيم إطلاقها – بمعية الزي الديني الذي تحرصون على ارتدائه والتجمل به بين الناس على الأقل- فيما أطلقها وتباهى وسرحها واعتنى بها سواكم كجزء من الاعتداد بالهيئات والتقاليد الدينية البصرية المنظورة، إبرازا لسمت الظاهر، واعتزازا بالهوية، أم تراها وقد أصبحت عندكم عرفا موروثا من بقايا التقاليد الفرعونية، أو الثقافة النابوليونية، أو البروباغندا الطورانية والأثناوركية العشرينية التي استبدلت عام 1921م عصير الزبيب والرمان وقصب السكر ونقيع التمر النافع الحلال بمشروب الراكي المسكر، كما استبدلت العمامة العربية والطربوش التركي بالقبعة الافرنجية، وشجعت على حلق اللحية والشارب الرجالي بشفرات (كينغ كامب جيليت) وكانت لازمة الجيوش المتحاربة في الحربين العظميين الأولى والثانية بالإستعانة بصابون(أركو) متبوعا ببخة كولونيا (ريفدور) ما بعد الحلاقة بزعم التغيير والتمدن والإصلاح الشكلي؟!".

وفيما كانت جميع الطرق المؤدية الى وسط العاصمة بغداد مزدحمة مروريا فقد وجدت نفسي أغير مساري اضطرارا لأجدني قبالة أشهر محل حلاقة رجالي في منطقة باب الشيخ، حلاقة "شنب شيك" وقد لفت انتباهي اسم المحل الأنيق والجميل فيما تناهى الى سمعي أحد زبائنه القدامى وهو يترنم بأبيات مغناة على مقام سيكاه: "واگف على العشار ويقره جريده، وأمشط تواليت حسباله أريده".

"صحيح ولا عاب حلكك" هكذا أطلقتها مسموعة أتبعها بمثل بغدادى بعدما رمقني بنظرة يتطاير منها الشرر " الفار لو سكر يمشي على شوارب البزون " وهل رأى الفقر سكارى مثلنا؟ قطعاً لن ولم ير ولذلك ينتفض الجائعون أحيانا برغم جبنهم، لأنهم سكارى وماهم بسكارى ولكن وطأة الفقر والظلم الاجتماعي والتمايز الطبقي المسلط على رقابهم في هذا العالم الذي تجاذبته أكاذيب الرأسمالية والاشراكية، شديدا!!

لا أقول ذلك اعتراضا على امتعاض الجائعين، حاشا وكلا، ولكن على طريقة تعبيرهم عن مأسيتهم وعلى شعاراتهم التي تحولت تدريجيا الى ما يشبه الكدية التي تحاول دغدغة مشاعر فئات وشرائح معينة، وإغفال أخرى تفوقها أهمية وإنسانية، عمدا او سهوا أو نفاقا، ربما!

فرد عليّ وأخاله يساري حتى النخاع كان يشذب شاربه الطويل أمام المرأة استعدادا للقاءات تلفزيونية – خطافية - محتملة يكرر خلالها – القوانة – المشروخة ذاتها وعلى طريقة المتسولين وترنيمتهم البائسة المعهودة " شغل



ماكو.. تعيينات ماكو.. كهرباء ماكو.. خدمات ماكو" ليظهر صديقه من خلفه أمام العدسات مبتسما ابتسامة بلهاء، فيما يظهر صديقه الثاني رافعا علامات النصر - هههه - ولم يجد أفضل من أبيات للملا عبود الكرخي ليرد عليّ بها حانقا بعدما لاحظ لحيتي التي لم تحلق منذ اسبوعين انشغالا، وليس زهدا أو ورعا:

قيّم الركاغ من هاي اللحي
تشوفه هيبه وعنده لحيه مسرّحه
يشتم بلا خجل وبلا مستحه
من يحس المقعد شويه اندحج
قيم الركاغ من ديرة عفج

قلت له وأن أقرأ بوستا سبق وأن أرسله أحد الاصدقاء على الماسنجر، " يرى الدكتور ريدوك، أنه يجب السماح بنمو اللحية والشارب كونهما يؤمنان حماية جيدة لدى أولئك الذين لا يمرنون حناجرهم بانتظام وينصح بترك شعر اللحية والشارب ليس للوقاية من التهاب الحلق وبعثة الصوت فقط بل ولتجنّب التهاب الشعب الرئوية المزمن والحاد أيضا " هكذا يزعم ريدوك أفندي وأنا مصدقه فيما ذهب إليه، ألم تسمع بقول قائلهم:
يا جاهلا أمر اللحي متجاهلا لجمالها
متناسيا أمر النبي معظما من شأنها

قال: وهل سمعت بما كان قد وعد به الرئيس الفوزيلي اليساري السابق نيكولاس مادورو، بحلق شاربيه في حال لم يوفر مليون مسكن شعبي بحلول نهاية العام 2015، لكي يعلم الجميع بأنه لم يف بوعده، وألم تسمع للمتنبّي حين هجا كافور الإخشيدي:

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُخَفُّوا شَوَارِبَكُمْ
يَا أُمَّةً ضَحَكْتُ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ

قلت ألم تقرأ وأنت المثقف الذي يقضي نهاره في شارع الكتب – المتنبي – كتاب "اعتماد الراغب في حلق الشارب" لابن طولون، و"أحكام المذاهب في طول اللحي والشوارب" للنازلي، و"بلوغ المآرب في قص الشارب" للسيوطي، و"مسألة قص الشارب" للعراقي، .. ألم تسمع بقول القائل:

إن القساوس قلدوا
فيها المسيح لحسها

قال: المصريون القدماء اختاروا الذقن المستعارة المصنوعة من شعر الماعز خلال الاحتفالات والمناسبات كبديل عن اللحي حرصا على نظافتهم الشخصية على حد وصفهم، حيث عدوها والحواجب الكثيفة دليلا على عدم النظافة، فيما حافظوا على ارتداء اللحية المستعارة الرفيعة التي ظهرت في جميع رسوماتهم تشبها بالإله أوزوريس، وكانت اللحي المستعارة توضع على توابيت الفراعنة.. الم تسمع بقول قائلهم " لا يغرنكم اللحي فإن التيس له لحية أيضا "، وقول الجاحظ " ما طالت لحية رجل إلا تكوسج عقله " بمعنى تبلى، وقول ابن الرومي في رائيته:

إن تَطُلْ لحيةً عليك وتعرض
فالمخالي معروفة للحمير

وقوله في قصيدته البائية:

أرى بمن عظمت في الناس لحيته
من خدعة الدين ان يُدعى أبا الكذب

قلت: أشهر من حلقوا اللحي والشوارب بالأمس باتوا اليوم يطلقونهما فقد صارت سمة من سمات الأناقة والرجولة والوجاهة، ألم تر فيصل القاسم، ألم تنظر الى كاظم الساهر، الى الممثل المصري أحمد حلمي وذقنه الطويل في آخر صور له، ألم تشاهد صور سيرغو راموس، جيرارد بيكيه، بيب غوارديولا، والقائمة طويلة حيث بات الشغف باللحية الكاملة واضحا بين الرجال بعد ظهور نجوم هوليوود في حفلات توزيع جوائز الأوسكار ومعظمهم قد أطلق لحيته، وهل تعلم بأن في ألمانيا هناك أكثر من 600 ألف نادٍ وجمعية للحي والشوارب يتبارى أعضاؤها للحصول على جائزة بطل العالم لأحسن شارب ولحية.. صحيح أنهم لا يطلقونها تدينا، ولكنهم كانوا من أشد المعارضين لها، ومن أكثر الساخرين منها قبل أشهر ولا أقول سنين، وهامهم اليوم يعفونها صاغرين أو مقلدين أو متجميلين أو... متفيكين!!

فاللحي التي استهجنها ابن الرومي والمعري والجاحظ، وهم من أصحاب اللحي - بالمناسبة - إنما قصدوا بها أولئك الذين يسرقون بلحاهم، يقتلون بلحاهم، يهربون الآثار بلحاهم، يطففون المكياج ويغشون في الميزان بلحاهم، يضحكون على العوام بالسحر والعرافة والتنجيم والخرافات والأساطير بلحاهم، يأكلون أموال الناس بالباطل بلحاهم، يختلسون ويرتشون وينهبون ويظلمون ويرابون ويقامرون بلحاهم، يخونون كأبي رغال وكالعلمي أقرانهم وبلدانهم ويتجسسسون على الخلق لحساب الدخيل الأجنبي بلحاهم، أما أصحاب اللحي ممن عرفوا بالزهد والورع والعلم والصلاح وحسن الخلق، وممن اشتهروا بين الناس بالكرم والجود والعطاء والسيرة الحسنة فليسوا ممن عنوهم إطلاقا، ولو أنك أكملت كل قصيدة مما ذكرت أنفا قد استللت أبياتا منها لا على التعيين لتدعم بها حجتك المنطقية، ولتناسب غايتك - الشنينة - فيما أهملت أخرى أكثر أهمية، لأدركت ذلك مليا!

فارقني الموما إليه الى لا وجهة ومن غير وداع، ولكن وقبل أن تودعني أنت لنعمل سوية وبجد واخلص لحث أصحاب اللحي للعودة الى سابق عهدهم النقي الطاهر الإيماني المتزن، ولنطالب أصحاب الشوارب بالعودة الى شموخهم ونخوتهم وشجاعتهم يوم كانت النساء ينتخين بهم قائلات: "الجرة بشوارب الأخيار"، لأن كاريزما شعر الذقن العليا والسفلى قد حفت أو نتفت، وكبرياءهما نمره صفر قد حلقت، وإلا فإننا سنذهب إضطرارا ذات خريف الى الذقن النابليوني الحليق حيث لا لحية ولا شارب، وحيث استدمار واستبداد يتبادلان فيما بينهما لسحقنا واضطهادنا الأدوار من كل الملل والنحل، ومن جميع المذاهب والمشارب وبما تحمله من أمراض وأسقام وعلل، انتظرونا أغاتي، ولا تذهبوا بعيدا، حلاقة تواليت مع بخة عطر ريفدور وراجعين يا هوى راجعين!!

أودعناكم أغاتي



القول المصون .. في آداب استخدام هواتف الهواوي والسامسونغ والآيفون (*)

مع ظهور وانتشار "الهواتف النقالة" واستخدامها على نطاق واسع، وعلى نحو غير مسبوق تاريخيا وبشريا وبما يعادل 68 % من إجمالي سكان العالم، حيث يستخدم 5.44 مليار إنسان الهواتف المحمولة في أرجاء المعمورة بحسب التقرير الإحصائي "نظرة عامة على العالم الرقمي"، فلقد برزت العديد من الظواهر والمساوئ والسلبيات كنتيجة حتمية وكتحصيل حاصل لهذا الاستخدام الهائل وعلى مدار الساعة، وتأسيسا على ما تقدم فلا بد من وضع بعض الضوابط والمحددات الأخلاقية، والتنبيه على جانب من السلبيات والآفات-التليفونية- والتي يجب الانتباه لها، ومواصلة التنبيه عليها، وبما يُحتمُّ على الجميع مراعاتها والتحذير منها باستمرار وعلى النحو الآتي:



- عندما تجري مكالمات هاتفية فلا تتحدث بصوت عال لتسمع كل من حولك، فهذا دليل على ضعف شخصيتك وعلى عدم ثقتك بنفسك والآخرين.

- اذا دخلت الى جامع أو الى محاضرة أو اجتماع أو ندوة فأغلق هاتفك ولا داعي لتذكيرك في كل مرة بكتم الصوت لأنها من البدعييات الأخلاقية.

- إذا كنت في مأتم، أو لأداء واجب عيادة مريض، أو بضيافة أحدهم، أو كان لديك ضيوف، فلا تقضي وقتك كله وأنت منصرف عنهم ومشغول بهاتفك النقال - عيب - وكأنك تقول لهم "لا داعي لاحترامكم...ولا لزيارتكم...عندي شغل!!".

- ليس من حقك ارسال عشرات الصباحات والمساءات والمباركات والملصقات والمقاطع والبطاقات لتغرق بها ماسنجرات أصدقائك وحساباتهم يوميا!

- ليس من حقك فتح خاصية التسجيل الصوتي وتسجيل ما يدور في المجالس خلسة من دون إخبار الجالسين بمعيته عن ذلك، لأن المجالس وما يدور فيها من أحداث، أمانات، وأعلم بأن هتك سر الآخرين هو في حقيقة الأمر هتك لسرك أنت شخصياً، لأنك وحين تسجل للآخرين خلسة لتمارس معهم دور المخبر السري، والرقيب العتيد، فأنت تبيح بذلك للآخرين تسجيل كل ما تتلفظ به ويصدر على لسانك، وكما تدين تدان، وما أكثره، وما أبشعه، وما أفحشه، وما أخسه وكأنك بهذا الصنيع تقول للجميع هيا لنسجل مسامراتنا وأسرارنا ومجالسنا وأحاديثنا خلسة في كل زمان ومكان من دون مراعاة لعشرة ولا لإخوة ولا لزمالة ولا لقرابة ولا لصداقة قط.. ليس هذا فحسب.. بل ولننشر غسيلنا وأسرارنا وتسجيلاتنا خلسة لبعضنا على الفيس والتيك توك وانستغرام وتليغرام وتويتر كذلك!!!

- ليس من حقك فتح خاصية مكبر الصوت - السماع - إلا إذا كنت ضعيف السمع، أو في هاتفك خلل ما، وأنت تتحدث مع صديق على الجانب الآخر من دون إعلامه بذلك ولا سيما حين تكون جالسا وسط مجموعة من الناس ممن يستمعون إلى حديث صديقك كاملاً ولكن من دون علمه وما أدراك بأنه لن يقول ما يزعج بعضهم أو جلمهم ويوغر صدورهم عليك وعليه ولا سيما حين يتحدث بأمور طائفية أو سياسية أو عشائرية أو مناطقية أو شخصية؟! إن الوعي وتوسيع المدارك مطلوب!

- ليس من حقك التقاط - سكرين شوت - لتعليق أو رسالة ما من دون إعلام صاحبها بذلك فلعله مسح التعليق أو الرسالة بعد دقائق من نشرها ندماً أو خجلاً أو اعتذاراً إلا أنك وبهذا الصنيع تصر على محاسبته وفضحه على الملأ لأمر كان قد تنصل وتراجع عنه وندم عليه.. وتذكر بأنك وبهذا الصنيع إنما تريد أن تقول وبلسان الحال " يارب لا تمنح عني ذنوبي ولا تسترها عليّ أبداً وإن تبت، وإن إستغفرت، وأن تراجع، وإن ندمت، والدليل هو أنني أحاسب الناس على ما ندموا عليه واحتفظ بكل ما كتبوه ونشروه حتى حين وتحت الطلب!

- عندما يصلك مقطع مخجل أو مخل بالآداب العامة من باب التفكه والتندر والسخرية الشائعة حالياً كجزء من التفاهة والفراغ والسطحية والانحطاط فاحرص على أن يقف المقطع الخادش عندك، وإياك أن تشاركه على العام، أو أن تعيد إرساله إلى أصدقائك على الخاص بهدف الإضحاك.. فأما أن تحذفه، أو أن تسفهه، أو أن ترد عليه، أو أن تكتفي بالضحك عليه وحدك فقط لاغير.. لأنك إن نشرته فستشارك إثمه ووزره وتروج للرديلة والفحشاء بين الناس من حيث تدري ولا تدري "

- الاحتفاظ بالصور العائلية والشخصية على الهواتف النقالة - خطأ فادح - يقع فيه كثير من الناس وعلى الجميع أن يضعوا في الحسبان احتمالات سرقة الهاتف بما فيه من صور شخصية أو فقدانه في أية لحظة!

- أن تجلس في مكان عام " مطعم، كافيه، متنزه " لتعيب بهاتفك وتشاهد تباعاً كم المقاطع القصيرة المرسلة إليك وبصوت عال من دون وضع السماعات الخاصة في أذنيك ينتهك حقوق الآخرين وخصوصياتهم.

- أن تلتقط صورة لشخص ما خلسة وعن عمد " وهو نائم.. وهو يتناول الطعام.. وهو يتشاجر مع زوجته.. وهو يعمل.. وهو يشخر.. الخ " من دون إخباره بذلك، إلا في حالات إستثنائية خاصة يراد منها تقويم الأخطاء، ومعالجة

الهفوات، وتنبيه الغافلين، ونصرة المظلومين، إظهار الحق، إزهاق الباطل ونحوها وبما يقاس على المواقف الاستثنائية التي تجاز فيها الغيبة المحرمة، وفي ذلك قال أعلامنا العلماء قديما:

القدحُ ليس بغيبةٍ في ستةٍ متظلمٍ ومعرفةٍ ومُحذرٍ ومجاهرٍ فسقًا ومستفتٍ ومَنْ طلبَ الإعانةَ في إزالةِ مُنكرٍ

- ليس من حقك الاتصال بالآخرين في كل الأوقات إلا لأمر مهم أو طارئ وللضرورة القصوى.
- إذا اتصلت بأحدهم فأقصر واختصر قدر الإمكان ولا تكثر من الكلام والثرثرة فيما لا نفع فيه البتة نحو: "شكو ماكو.. خضير شلونه.. سعيد شنو اخباره...كلي مرتضى رجع من السفر لو بعد...سعدية اتزوجت لو لا..حامد صار عنده ولد لو بس بنات؟!".

- نعمة الهاتف الرئيسة إنما تعكس شخصيتك وذوقك فاختر النعمة المناسبة.

- ليس من حقك التلصص على شاشات هواتف الآخرين أثناء جلوسهم بقربك ولأي سبب كان، ولا تحت أية ذريعة كانت.

- استخدام الهواتف لغرض الغش في الامتحانات...عيب.

- مطالبتك الآخرين بإرسال رصيد إضافي لحسابك بين الحين والآخر تصرف غير لائق.

- الاكتفاء بالمس كول لتنبيه الآخرين على ضرورة الاتصال بك للمحافظة على رصيدك في كل مرة...عيب (طبعاً هاي آني مسوئها كلش هواية!) ولكن وبعد التحذير منها فلا بد لي من الكف عنها بإستثناء اليوم طبعاً، لأن ما عندي رصيد حالياً...!!

- حين يتصل بك أحدهم - على الرصيد- فلا تحاول إطالة أمد المكالمة معه وسؤاله عن كل ما يجول بخاطرك مستغلاً حياؤه لحظتها ما دام الرصيد هو رصيد - المكروود - وليس رصيدك الذي ينفذ سريعاً وبإلحاح..واعلم بأن ما تفعله مخجل ومزعج جداً فانتبه.

- ليس من حق الزوجة العبث بهاتف زوجها وتفحصه أثناء انشغاله عنه ومن دون علمه، وليس من حق الزوج فعل ذلك أيضاً إلا فيما يتعلق بهواتف الأطفال للاطمئنان عليهم ومراقبة ما يفعلون ولحمايتهم من التورط بمواقع غير محترمة عادة ما تتصيد الأطفال مستغلة براءتهم.

- الخطيبان، العاقدان، الطليقان وفي حال فسخهما العقد أو انفصالهما عليهما مسح كل الصور التي كانا قد التقطاهما سوية داخل البيت أو خارجه.

- عادة التصوير الشائعة بين النساء في الأعراس ومجالس عقد القران والفواتح والخطبة وأعياد الميلاد وحفلات التخرج ونحوها ومن ثم تناقل هذه الصور مع أشقائهن وأزواجهن وأقاربهن من الرجال..كارثة الكوارث..فالنساء فيما بينهن يتحررن من بعض القيود العامة، ومن المعيب والمخجل نشر هذه الصور وهن في هذه الحالة..أيها الناس إن المطلوب حاليا هو كثير من الحياء مشفوعا ولو بقليل من الوعي!

- أيتها الفتاة لا ترسلي صورك الخاصة الى خطيبك، أو في فترة المهر وعقد القران، فهل تضمنين بأنك ستعيشين معه الى الأبد وبأن فراقا وانفصالا لن يحدث بينكما ولو بعد حين؟

- ليس من حقلك أن تلتقط سيلفيا لك ولثلة من أصحابك في مكان عام لتُظهر فيه عائلة أو مجموعة عوائل تجلس خلفك، ولا سيما وأنك ستنشر هذا السيلفي سريعا على صفحتك ومنصتك فتظهر فيه الأسرة الكريمة الغافلة بمعية نساءها وبناتها على رؤوس الأشهاد ومن دون علمهم...تخيل لو أن أختك أو زوجتك أو ابنتك هي التي تظهر في الصور ولا شأن لهما بها، ولا بأصحابها لتجدها منشورة على المنصات؟!

- اياك أن ترسل مقاطع مصورة أو روابط قبل أن تشاهدها بنفسك فلعل فيها" ما سيء للفضائل والمجتمع"أو يروج للأفكار الشاذة والعقائد المنحرفة، بعضهم يرسل كل ما يصل إليه فورا حتى من دون أن يكلف نفسه بتفحصها أو مشاهدتها قبل الإرسال، أما إذا كان هذا الأخ يخشى على نفسه من القرصنة ومن احتمال أن تكون الروابط المرسلة عبارة عن فيروسات إلكترونية فتاكة وبالتالي فهو لايفتحها خشية التهكير، فهذا أشنع من سابقه " يعني تخاف من الفيروسات الإلكترونية وتوزعها على البشرية!!".

-وأخيرا وليس آخرا إذا كان هاتفك ماركة هواوي أو سامسونغ أو آيفون موديل 2025 وهو في حالة ممتازة من دون أن تستخدم أو تجيد استخدام عشر معشار تطبيقاتها العديدة، ترى ما الداعي إذن لشراء نسخة جديدة من ماركة الهاتف ذاتها في عام 2026م وهلم جرا كل عام وبمئات الدولارات مع أنك لن تستخدم تطبيقاتها الجديدة أسوة بتطبيقات ما سبقه والتي ظلت على حالها ساكنة وراكدة وخامدة؟!

إنه مجرد سؤال عفوي لا أود سماع إجابته منك ولا من غيرك، وإنما من باب "إياك أعني واسمعي يا جارة" ومن باب تحريك برك الوعي والتفكير الجمعي الراكدة بإلقاء أكوام من التساؤلات المستفزة على شكل وابل من الحجارة وسطها، فالكلمة نور وبعض الكلمات قبور، على قول عبد الرحمن الشرقاوي، فاصدعوا بكلمة النور ليشع العالم ولينتبه الغافلون ويغادروا ظلمات ودعايات وغشاوات وأباطيل كل أوليغارشي وكليبتوقراطي وكومبرادوري وشايلوكي منافق بليغ اللسان يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها كما جاء في الأثر، ولن أقول "أيها الأحياء تحت الأرض عودوا، فإن الناس فوق الأرض قد ماتوا" كما قالها المبدع محمود درويش يوما، لأنه هو ذاته الذي وصف "كل الذين ماتوا، بأنهم قد نجوا من الحياة بأعجوبة" وأنى لمن نجا من الطحن، أن يعود الى رحي المطحنة ثانية، وإنما أقول "اترك أثرا طيبا ومثمرا من بعدك وكأنك لم تمت ولم تدفن تحت الأرض ليستظل بظله، وينعم بعقبه، ويستنير بنوره، ويأكل من ثمره، أحياء ولكنهم بفعل الديستوبيا المضللة القائمة فوق الأرض أموات، وعلى قول السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام: "مَا أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلْمَةِ، قُولُوهُ فِي النُّورِ"، واحرص على أن ترتقي بمستوى حديثك، لا بمستوى صوتك، فالمطر هو الذي ينمي الأزهار وليس الرعد" على قول جلال الدين الرومي، فكن في عمل الخير تطوعا ما كانه غيرك، ولسان حالك ومقالك يرددان ما رددوا من قبلك:" رب عمر

اتسعت أماده وقلت أماده، ورب عمر قليلة أماده كثيرة إمداده، فكيف تطلب العوض عن عمل هو متصدق به عليك، أم كيف تطلب الجزاء عن صدق هو مهديه إليك، إلهي، كلما أخرجني لؤمي أنطقني كرمك، وكلما آيستني أوصافي أطمعني منتك، إلهي، هذا ذلي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك " كما جاء في الحكم العطائية.

(*) المقال منشور في "مجلة الكاردينيا" الثقافية الصادرة باللغة العربية في زيورخ / سويسرا يوم الخميس الموافق 22 / حزيران / 2023.

الى ولدي الحبيب في الجامعة..مع التحية! (*)

قال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) لقمان:

17

ها آنذا أقر عينا بك يا ولدي الحبيب وأنت تدخل الجامعة لأول مرة في حياتك لتخطو خطواتك الأولى نحو مستقبل الواعد يحدوني الأمل بأن يكون هذا المستقبل زاهراً أمامك، وأن يكون مُشرقاً بك وبأقرانك فأنتم جيل الشباب عماد المستقبل، أنتم عموده الصلب الذي لا يلين، بكم تعمر الديار وتبنى الأوطان، وآمل أن تنجح وتتفوق لتشق طريقك نحو المستقبل ببصيرة ثاقبة، وبمبادئ ثابتة، وبخطى واثقة، وبهمة راسخة، وبعزيمة صلبة لا تلين لها قناة ولا تضعف ولا تتعثّر!

-ولدي الحبيب لا أخفيك سرّاً فأنا وبرغم فرحي الغامر بتخرجك ونجاحك من المرحلة الإعدادية وانتقالك الى المرحلة الجامعية، يساورني بعض القلق بشأنك، وأنصحك وأنت على عتبة الجامعة ولما تخطو خطواتها الأولى بعد لأسوق لك خلاصة ما تعلمته أنا في حياتي، من محيطي، من كتي، من أصحابي، من خيرة أساتذتنا ومعلمينا، من آبائنا وأجدادنا، من علمائنا ومشايخنا، وأبدأ بالحكمة التي أحفظها عن ظهر قلب:

من	لم	يذق	مرّ	التعلم	ساعة	تجرع	ذل	الجهل	طول	حياته
ومن	فاته	التعليم	وقت	شبابه	فكبر	عليه	أربعاً	لوفاته		

-ولدي الحبيب إن أستاذك في الجامعة هو بمثابة أب ثان لك، وأستاذك هي بمثابة أم ثانية لك، فإياك أن تعصي أوامرهما، أو أن تخالف توجيهاتهما، أو أن تسخر منهما، أو أن تقلل من شأنهما، واحرص كل الحرص على احترامهما وتوقيرهما والانتفاع من خبرتهما والنهل من علومهما، لا تكثر جدالهما، لا تطل خصامهما، لا تتباهي بالنزير اليسير من المعلومات التي تعرفها أمامهما وذلك في محاولة منك لمنازتهما ومضايقتهما في كل شاردة وواردة...إنك إن فعلت ذلك فستكون أنت الخاسر الأوحده والوحيد، وضع نصب عينيك ما قاله الحكماء قديماً:

أخي	لن	تنال	البر	إلا	بسته	سأنبئك	عن	تفصيلها	ببيان
ذكاء	وحرص	وإجتهد	وبلغة	وصحية	أستاذ	وطول	زمان		

-ولدي الحبيب إن صاحب صاحب، فتخير أصحابك جيداً، وحذار من أصدقاء ورفاق السوء فهؤلاء لا هم لهم سوى الجري المحموم خلف الشهوات البهيمية والهرولة خلف كل ناعق، واعلم بأن كل إنسان على دين خليله فلينظر كل منا من يخالل، واعلم بأن صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن يصحب صاحب سوء لا يسلم، ومن يدخل مدخل سوء يُتهم، ومن لا يمسك لسانه عن كل ما يعيب يندم، كما جاء في الأثر، فكن نبها ومتنبها الى ذلك، والله در القائل:

صاحب	أخا	ثقة	تحظى	بصحبتة	فالتطيع	مكتسب	من	كل	مصحوب
كالريح	أخذه	مما	تمر	به	نتنا	من	النن	أو	طيبا
									من الطيب

-ولدي الحبيب إن المخدرات والخمور والرشوة والقمار والابتزاز الإلكتروني تعد من أشد آفات المجتمعات وقعا وتأثيرا، فهذه عصابات الجريمة المنظمة والمنظمات الشيطانية تحاول جاهدة بكل ما تملك ترويجها بين الشباب لتعطيل أيادهم المنتجة، سلب عقولهم المفكرة، هدم طاقاتهم الخلاقة، بهدف تدميرها كليا وتحبيدها عن ما هو مرسوم ومخطط لها من بناء وإنتاج وإعمار للأمم والأوطان، فإياك إياك أن تتعاطاها أو أن تعاقرها أو أن تتورط بأي منها محابة لأصدقائك ومجاراة لهم ولو على ما سبيل التجربة، ولو على سبيل المزاح، إنك أن فعلتها أدمتها ولات حين مندم، وكن بدلا من ذلك خير محذر منهما ومبيناً لأفاتها القاتلة طوال سني الدراسة، ودع عنك عادة التدخين السيئة بكل أشكالها (سيجارة تبغ، نارجيلة، سيجارة فيب إلكترونية والأخيرة ضررها أكبر مما تتصور بشهادة مراكز البحوث الصحية والعلمية) وابتعد عن المدخنين وانصحهم بما ينفعهم ما أمكن لك ذلك ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، فلقد أبتلوا بما عافاك الله تعالى منه فكن عوناً لهم للتخلص منها ولا تكن عوناً عليهم للإصرار عليها.

- يا ولدي تجنب التجمعات الحزبية والجماعات السياسية داخل الجامعة كليا ونهايا، يسارية كانت أم يمينية، فأنت هنا للدراسة فحسب وليس لقلب أي نظام الحكم ولا لإرساء دعائمه، واعلم بأن كثيرا ممن ينتسبون الى هذه التجمعات والجماعات المسييسة إنما هدفهم هو لضمان النجاح ليس بالقراءة والمطالعة والتحضير والانكباب على العلم والمعرفة، وإنما بطرق ملتوية ليس إلا، واعلم بأن أيا من أعضائها لا يدخلون الى الصفوف ولا يؤدون الامتحانات إلا لما وأكثرتهم يقضي جل دوامه في الكافيتريا، علما بأن من يقودونهم هم أفضل منهم ومعظمهم إنما يمارسون دور الصياد الماهر أو المخبر السري مع الطلبة فكن حذرا منهم أشد الحذر.

-يا ولدي إياك والحركات الفكرية المنحرفة، والجماعات الجنسانية الضالة نحو "الايمو، الويكا، عبدة الشيطان، الساينتولوجي، الرائيلية، الالحاد" ومن لف لفهم فهؤلاء يعدون الجامعات ساحتهم المثلى التي يسيل لها لعابهم لتمرير قضيتهم وقضيتهم وغنائهم بتضليل الجموع وحرفهم عن جادة الصواب!

-ولدي الحبيب إن زميلاتك ومدرساتك في الجامعة هن شقيقات لك وإن لم تلدهن أمك فلا تتعرض لهن بسوء البتة، ولا تنسى بأن لك شقيقات في الجامعة أيضا لا يسرك أن يتحرش أو أن يغرر بهن أحد قط، فإياك أن تهتك لهن عرضا، أو أن تنتهك لهن حرمة، أو أن تعدهن بما ليس لك نية للوفاء به، واعلم بأن البر لا يبلى والذنب لا ينسى والدَيان لا يموت، افعل ما شئت، كما تدين تُدان، وتذكر قول قائلهم بأن "من يَزني يُزنى به ولو بجداره، فإذا كنت ياهذا لبيبا فافهم!".

-غض بصرك عن المحرمات، أمسك عليك لسانك عن الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور، وإياك وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات في الأقوال والأفعال فهي من أشد المنكرات ومن أكبر الكبائر.

-لا تتنمر على الضعفاء، لا تتكبر على الفقراء، تحل بحسن الخلق، احذر القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، تجنب نشر الأراجيف والشائعات، لا تضيع وقتك في المراء والجدال والخصام، تفرغ بدلا من ذلك كله للدراسة وأداء الواجبات وانهل من بحر العلوم الوافر، واغترف من ينبوع المعارف الزاخر كل ما ينفعك ولا يضر.

- أحب لزميلاتك وزميلاتك ما تحبه لنفسك وأكره لهم ما تكرهه لنفسك، ولا تتعلم العلم لتماري به السفهاء، ولا لتباهي به العلماء، ولا لتتخير به المجالس، واعلم بأن من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، فنعم الطريق المعبد إلى الجنان، إن أحسنت سلوكه ولتكن نعم السالك إن فعلت ذلك حماك الرحمن من نفسك الأمانة بالسوء، ومن هوالك، ومن أقران السوء، ومن الشيطان الرجيم.

-ولدي الحبيب... صلاتك نجاتك فحافظ عليها، وصيام رمضان جنتك فلا تفرط فيه، وذكر الله حياة والاستغفار نجاة فواظب على الذكر والدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن الكريم يا ولدي، وتحلّ بحسن الخلق، وإياك وسوء الخلق.

-ولدي الحبيب... إياك والفسوق والفجور والمجون فهذا الثالوث المهلك لا يليق بذِي مروءة ولا بذِي عقل أو دين، وصن نفسك عن الحرام وتجنب الاختلاط المذموم واصبر نفسك مع الصادقين الصالحين وكن عفيفاً طاهراً فما هي إلا سنوات قلائل تمر مر السحاب تبحث لك بعدها عن وظيفة ومصدر رزق حلال، وعن عروس صالحة ذات دين وخلق وجمال لتكون شريكة حياتك، إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في دينها ومالها وعرضها.

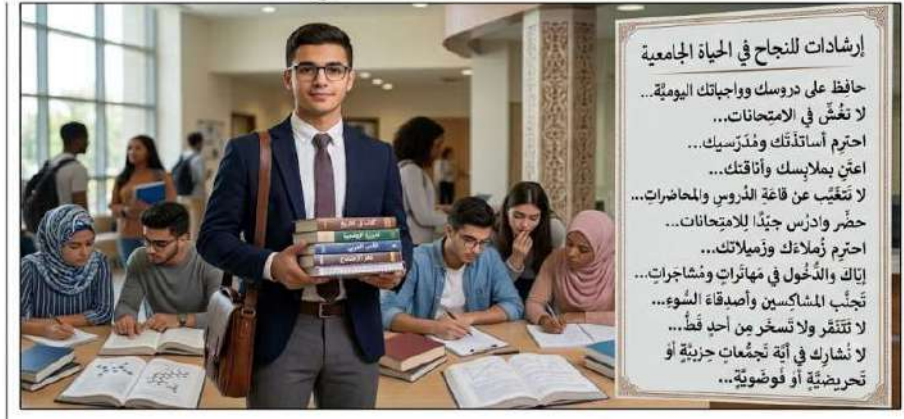
- ولدي الحبيب إن الوقت ثمين فلا تضيعه سدى فيما لا ينفع هباء منثوراً، وعلى قول الشاعر:
الوقتُ أغلى من الياقوتِ والذهبِ ونحن نخسره في اللهو واللعبِ

- ولدي الحبيب إياك إياك ان تلتقط بموبايلك الشخصي صوراً لزميلاتك، مدرساتك، أو أن تسجل لهم يعلمهن أو من دون علمهن، لتعتمد بعد ذلك إلى نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي وبين الأصدقاء، لا تفعل ذلك بتاتا لأنه هذا هو تشهير لا يليق بأصحاب الضمائر والمروءات البتة..!

- ولدي الحبيب لسانك حصانك إن صنته صانك، وإن هنته هانك، فإياك وزلات اللسان وبذاءته، وحذار من فحش الكلام، ومن فضول القول، والحذر كل الحذر من كثرة الثثرة والتجديف، وتذكر قول قائلهم:
لسانك لا تعب به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

- ولدي الحبيب لا تختتم سني دراستك في الجامعة وبعد أربع سنين من الجهد والتعب والمثابرة وطلب العلم بـ"حفل تخرج أقرب للتخريج منه للتخريج" وبما يعطي انطبعا للجميع بأن الجامعة قد استنزفتك تربويا وأخلاقيا وليس العكس، فحفلات التخرج يجب أن تكون بمنتهى الأناقة والكياسة واللباقة والاحترام المتبادل ولأن صور هذا الحفل الذي لن تشارك به سوى لمرة واحدة في حياتك كلها ستعلق مؤطرة ببرواز أنيق مع شهادة التخرج على الجدران، وبما سيعلق في الذاكرة، فيما ستحتفظ بالبقية في ألبومات صور العائلة الكريمة وسيراتها أبناءك وأحفادك بعد عمر طويل فلا ترهم منك ما قد يزعجهم أو يسوءهم، واعلم بأن صور تخرجك سيرها كل الأصدقاء والأقرباء والزملاء فاطهر أمام الجميع بكامل رجولتك وأناقتك وكبريائك وشموذك وأخلاقك الرفيعة العالية.

إِلَى وَلَدِي الْحَبِيبِ فِي الْجَامِعَةِ ..مَعَ التَّحِيَّةِ



(*) -مقالي المنشور في "صحيفة كتابات" بتاريخ 2019/10/13، والمنشور في صحيفة "عروس الأهوار" الصادرة في أستراليا بتاريخ 12/ أكتوبر/ 2019، والمنشور في شبكة الألوكة بنسخته الأولى ما قبل التنقيح والإضافة بتاريخ كانون الثاني / 2018، والمنشور بمجلة الكاردينيا بتاريخ الخميس، 11 شباط/فبراير 2021.

لماذا نُخفق في أنواع الرياضة وينجح غيرنا؟! (*)

قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ) الأنفال: 60

كنت رياضيا هاويا-نص ردن-كما يقال، وبما يصدق في المثل الشعبي القائل: "سبع صنايع والبخت ضايع!!" أو وعلى ما يحلو لي وصفه في ذات السياق: "سبع ألعاب رياضية، وتعب وخمول وإجهاد ونشلة يومية!!" حيث كنت أمارس على سبيل الهواية وليس الاحتراف أيام المراهقة والدراسة وخلال الخدمة العسكرية الإلزامية بعض الرياضات كحراسة المرمى، وكرة المنضدة، والسلة، والطائرة، والريشة، والكيك بوكسينغ، وركوب الدراجات، وفي فترة ما الكاراتيه مدرسة شوتوكان أيضا" وقد شجعت من الدفترات والكالات والبوكسات خلالها"، إلا أنني لم أواظب على ممارسة أي منها، ولم أستمع بمعظمها، بيد أنني بقيت نظير ذلك أتابع المشهد الرياضي العربي والإقليمي والقاري باهتمام كبير، ويحز في قلبي خروج معظم المنتخبات العربية والإسلامية من جميع البطولات الدولية والأولمبية منذ الأدوار الأولى وفي كل الرياضات على الدوام، كما حدث في مونديال 2026م بكرة القدم في كل من كندا وأمريكا والمكسيك بالاشتراك حيث خرجت منتخبات السعودية وتركيا وأوزبكستان والعراق وقطر وإيران والأردن وتونس من الدور الأول بعد تكبدها هزائم ثقيلة، ولم يصعد منها سوى منتخبات المغرب ومصر والبوسنة والهرسك إلى الأدوار التي تليها، ليخرجوا منها تباعا كذلك، وعلى هذا الحال معظم مشاركات المنتخبات العربية والإسلامية في البطولات الدولية والأولمبية ومختلف الألعاب الرياضية، ولطالما تساءلت عن الأسباب الكامنة وراء ذلك وهي عديدة ولا شك يتصدرها إهمال درس الرياضة والنشاط الرياضي المدرسي من المرحلة الابتدائية وصولا إلى نهاية المرحلة الثانوية، خمول الرياضة الجامعية، قلة الأكاديميات والكليات والمعاهد والنوادي الرياضية، ندرة المراكز الرياضية الشبابية، غياب البطولات والمنافسات الرياضية المحلية، قلة التخصيصات المالية للمنشآت والملاعب الرياضية، مع التركيز فقط على كرة القدم، ورياضة بناء الأجسام – وياليتنا قد أفلحنا فيهما أيضا- مقابل إهمال بقية أنواع الرياضة الأخرى وما أكثرها وعددها يصل إلى أكثر من (48) نوعا لم نفلح في أي منها باستثناء رياضة الجودو والملاكمة والمواي تاي وكمال الأجسام أحيانا، وفنون القتال المختلط التي يبرع بها رياضيو جمهوريات آسيا الوسطى وشمال القفقاس، ولم نرجع بالكؤوس والميداليات الملونة إلى بلداننا إلا لما حتى أن الميدالية البرونزية الأولمبية الوحيدة للعراق ما تزال مسجلة باسم الربيع عبد الواحد عزيز، برياضة رفع الاثقال والتي كان قد حصل عليها في أولمبياد روما عام 1960م ولم يحظ العراق بعدها بميدالية أولمبية ثانية قط حتى عام 2026م، وربما يكون ذلك مستقبلا، وإن كنت أشك في ذلك!



الحقيقة لقد أعجبني جدا تحليل الدكتور عامر ممدوح، في مقال جميل له أرفقه بملصق كرافيتي أنيق وبعنوان مثير ومبهر (لماذا لا يفوز العرب بكأس العالم؟!) سبق وأن نشره بالتزامن مع انطلاق منافسات بطولة كأس العالم في الدوحة عام 2022م ليعيد نشره مجددا بالتزامن مع انطلاق مونديال 2026م لخص خلاله جملة الأسباب التي تقف وراء عدم حصول العرب على كأس العالم لكرة القدم، ورغم عشقهم الكبير لهذه البطولة، وهيامهم شبه التام بتلك الرياضة، وشغفهم المبالغ فيه بنجومها وأندية الكروية، وبرغم ممارستهم الشعبية اليومية لها في طول دولهم وفي عرضها، مع عدم وصولهم الى نهائياتها مطلقا، برغم احتضانهم لبطولتها عام 2022م، اضافة الى حصولهم على شرف احتضانها مستقبلا في عام 2034م، ومن الأسباب التي أجعلها ممدوح في مقاله هو "عدم اتخاذ التدابير العلمية والمسارات المنهجية لكل فن أو علم، والاكتفاء بقشور العمل والركون إلى التقليد والاستهلاك، لا العمل والبذل والانتاج، مما يكاد يقتلنا ويخرجنا بعيداً عن دائرة التأثير والفاعلية، بل نحن كذلك فعلاً!".

ولعل في حصول البارالمبيين العرب والعراقيين على عشرات الكؤوس والميداليات الملونة في مختلف البطولات القارية والدولية وأمام خيرة الرياضيين العالميين وبمختلف الألعاب الرياضية المخصصة لهم، وبما سيأتي تفصيله في مقال لاحق، إجابة دقيقة وضمنية على كل تساؤلاتنا الحائرة، فهؤلاء الخارقون ممن يواصلون الليل بالنهار في صالات التدريب، وبعضها يفتقر الى أبسط الأدوات والمعدات والتجهيزات الرياضية، وبعضهم يسافر للمشاركة في البطولات الآسيوية والأوروبية على نفقته الخاصة أو بالاقتراض، ويبدلون جهدهم وكل ما في وسعهم لتحقيق الفوز الكاسح، وإثبات الوجود، وإرضاء الأنا، وادهاش الهو، وتعزيز الثقة بالذات، ولتسجيل أسمائهم في قوائم التاريخ، ولرفع أعلام بلدانهم خفاقة عالية في المحافل الدولية، إنما تكمن الإجابات المهمة والحاسمة، ولن نحصد الميداليات الملونة رياضيا إلا بروح تحد وصبر وجلد ومثابرة وصمود لا تلين لها قناة كتلك التي يمتلكها، ويتحلى بها البارالمبيون الكرام الأحبة، فلنتعلم منهم كيفية حصول من لا تتوفر له معظم السبل والوسائل المادية والمعنوية ونجاحه في الوصول الى ما يصبو إليه رغم ذلك كله، وكفى بالبارالمبيين الشجعان لنا أساتيد في هذا المضمار، وحسبهم من ملهمين ومدرّبين وقدوات أكفاء لنا ومعلمين!

لقد دعا الإسلام الى المحافظة على صحة العقول والقلوب والأبدان، والى المحافظة على اللياقة البدنية والقوة الجسمانية، وفي ذلك يقول النبي محمد ﷺ: "المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلِّ خيرٍ". ومن الرياضات التي كانت شائعة لدى المسلمين ثماني رياضات تماثل نظيراتها العالمية والأولمبية الذائعة دوليا في الوقت الراهن ك مسابقة الركض؛ الفروسية وركوب الخيل، السباحة، المبارزة، المشي، الرماية، المصارعة، الصيد.

وما أكثر الرياضيين العالميين والأبطال الأولمبيين ممن اعتنقوا الإسلام تباعاً، وفي مختلف الرياضات نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر، نجم نادي برشلونة الاسباني، اللاعب الفرنسي إريك أبيدال، الذي أسلم عام 2007 وغير اسمه الى بلال، ونظيره بول بوغبا، نجم نادي مانشستر يونايتد الانجليزي، ويوفنتوس الايطالي، وهو الذي أسهم بتتويج منتخبه فرنسا بكأس العالم 2018 التي أقيمت في روسيا الاتحادية، وكان قد أسلم عام 2010 ليقول عن إسلامه "كانت هناك العديد من الأسئلة التي تدور في ذهني، ولا أجد لها إجابات، ولكن بعد اعتناقي الإسلام أصبحت أكثر هدوءاً وسلاماً على الجانب النفسي".

وعلى خطاهم سار بطل العالم في رياضة الماي تاي، أو الملاكمة التايلندية البرازيلي تاج رويدا، الذي اعتنق الإسلام عام 2022، قائلاً " نعم لقد خسرت لقب البطولة، إلا أنني ربحت الإسلام!".

وعلى غرار الرياضي الألماني داني بلوم، لاعب نادي نورنبرغ، الذي أعلن إسلامه عام 2014 ويقول عن اسلامه "شعرت بأن الإسلام يعطيني القوة ويمنحني الأمل، والصلاة تهدئ روحي، قمت مؤخراً بزيارة أحد المساجد وشعرت بخفقا قلبي، وأردت أن أعرف المزيد عن هذا الدين...لقد كنت شخصا سيئا وسريع الغضب وبلا هدف أما الآن فقد اختلف الأمر تماما حيث أشعر بأن لحياتي معنى وقيمة حقيقية.



الخبير الأول في رياضة الكاراتيه اليابانية، ورابع معلم على مستوى العالم في العُشر الأول من الالفية الثالثة، البوذي هديكو أوكاموتو، وكان يعد أحد أبرز معلمي الكاراتيه في الشرق الأوسط حيث اعتنق الإسلام وغير اسمه

إلى أحمد كمال أوكاموتو، ويقول عن ذلك في واحد من الحوارات العديدة التي أجريت معه قبل وفاته عام 2009 "أنا معجب بروح الجماعة التي تسود كل سلوكيات المسلمين في صلاتهم وفي حجهم وفي صيامهم"، مضيفاً "لقد وجدت في الإسلام ضالتي حيث الدعوة إلى الرحمة والتسامح ونبذ الكراهية والتباغض والعنصرية وكلها من شيم المسلمين التي غرسها فيهم دينهم، وكنت في الماضي لا أجد إلا الفردانية أمامي في كل سلوكيات الحياة".

ولنمر أثناء تجوالنا بمحطة مفعمة بالإيمان، إنها محطة الملاكم الألماني المحترف "بيير فوجل" الذي خاض 66 مباراة لحساب نادي "ساورلاند ويلفريد"، والذي أشهر إسلامه عام 2001 وغير اسمه إلى أبو حمزة صلاح الدين، قبل أن يشرع بدراسة الشريعة الإسلامية، وقد أسلم على يديه الآلاف في ألمانيا حتى لقب بـ "داعية ألمانيا"، لما يتميز به من أسلوب عصري مرح يستهوي الشباب على اختلاف مكوناتهم وبالأخص من جيل زد وألفا.

لاعب الجيوجيتسو، والفنون القتالية المختلطة، الروسي - الأمريكي، جيف مونسون، الذي أعلن إسلامه في موسكو عام 2024، فيما أعلنت قناة "ماتش تي في" الروسية عام 2025، إعتناق لاعب خط وسط "نادي بالتيكا كالينينغراد" اللاعب دانييل أوتكين، الدين الإسلامي، لتداول وسائل الإعلام كافة في ذات العام خبر اعتناق اللاعب الهولندي كوينسي بروميس، الإسلام أيضاً، معقبا على إسلامه بـ "إنها محاولة لتغيير مسار حياتي بعد سلسلة من المشاكل القانونية!".

المدرب الفرنسي الذي قاد منتخب السنغال إلى الدور ربع النهائي في مونديال 2002 الذي نظمته كل من كوريا الجنوبية واليابان بالاشتراك، وقد أعلن ميتسو إسلامه عام 2006 وغير اسمه إلى كريم ميتسو، فيما درب ميتسو نوادي العين الإماراتي، والرافعة القطري، واتحاد جدة السعودي، إضافة إلى منتخبي الإمارات وكوريا الجنوبية لكرة القدم.

ومثلهم نجم المنتخب الفرنسي لكرة القدم، وفريق نادي بايرن ميونيخ الألماني، فرانك هنري بيير ريبيري، الذي اعتنق الإسلام عام 2006 وغير اسمه إلى بلال يوسف محمد، وكان معروفا لدى عشاق المدورة والمستطيل الأخضر بقراءة سورة الفاتحة قبل بدء أية مباراة يخوضها.

وعلى منوالهم أسطورة كرة القدم الهولندي كلارنس سيدورف، الحاصل على لقب دوري أبطال أوروبا مع أندية أياكس أمستردام عام 1995، وريال مدريد الإسباني عام 1998، وإيه سي ميلان الإيطالي عامي 2003 و 2007، وقد اعتنق سيدورف الإسلام عام 2022.

كذلك فعل نجم كرة السلة فرديناند لويس ألسندور جونيور، المحترف في الاتحاد الأمريكي لكرة السلة (NBA) ولاسيما مع فريقي ميلووكي باكس، ولوس أنجلوس ليكرز، والذي اعتنق الإسلام عام 1971، وغير اسمه إلى كريم عبد الجبار، وقد حصل على العديد من الجوائز العالمية الرفيعة، ويقول عن إسلامه "تعرفت على الإسلام حين كنت طالبا في جامعة كاليفورنيا وقد تأثرت بقصص معاناة السود في أميركا، وقرأت السيرة الذاتية لمالكوم اكس وكيف كافح ضد أسهام المجتمع الغربي في استبعاد السود ودعم العنصرية".

لم يختلف الحال مع نجم كرة القدم الفرنسي فريدريك كانوتيه، نجم نادي اشبيلية ضمن الليغا الاسبانية، وقد اعتنق الإسلام وغير اسمه الى عمر كانوتيه عام 1999 وقد كانت له اسهامات كبيرة في المجالات الخيرية والإنسانية امثالاً للتعاليم الإسلامية التي تحض على أعمال البر والخير والصدقة.

ولا شك أن قائمة الرياضيين الأبطال ممن أسلموا طويلة جدا يتصدرهم بطل العالم في الملاكمة للوزن الثقيل ثلاث مرات مايك تايسون، وكان قد أشهر إسلامه عام 1992، وغير اسمه الى مالك عبد العزيز، ليقف خلال إحدى رحلتيه الى الديار المقدسة الأولى عام 2010، والثانية عام 2022 أمام قبر الرسول الكريم ﷺ، وهو يذرف الدموع على الخدين مدرارا، قائلاً عن الوقفة المباركة "لن أنسى ما حُيت تلك اللحظة التي شعرت فيها بحالة من الهدوء النفسي التي لم أشعر بها من قبل، وما زلت أذكر لحظة وقوفي في حضرة النبي الكريم ﷺ وصلاتي في الروضة الشريفة".

سبقه في ذلك بطل الملاكمة العالمي الأمريكي "كاسيوس مارسيلوس كلاي"، الفائز ببطولة العالم للوزن الثقيل ثلاث مرات للأعوام 1964 و1974 و1978، وكان قد اعتنق الإسلام عام 1964، وغير اسمه إلى محمد علي كلاي، وحصل على لقب "رياضي القرن" مرتين، ومنح وسام الحرية الرئاسي عام 2005. يقول كلاي عن اسلامه "في عام 1964 عرفت وللمرة الأولى بأن النبي محمد هو خاتم الأنبياء، وأن عيسى عليه السلام هو نبي من أنبياء الله، وأن القرآن هو الوحي الكامل الذي حافظ على ذاته، فتعلمت الصلاة والصوم وصرت أدعو إلى الاسلام حتى أسلم على يدي أكثر من مليوني أمريكي".

ومن مقولاته: لن يطوي النسر جناحيه طالما أن هناك قمما لم يصل إليها بعد..أنا أطيّر كالفراشة، وألسع كالنحلة..الأقوياء ليسوا من ينتصرون دائماً، إنهم الذين لا يستسلمون عند خسارتهم أبداً.

وعلى الجميع أن يعي بأن ممارسة الرياضة وازدادة الى فوائدها في رفع أعلام بلدانها خفاقة عالية في البطولات الدولية، ورغد سجلاتها الرياضية بالألقاب والميداليات والكؤوس، فإنها تقي من أخطر الأمراض العضوية والنفسية، فممارسة الرياضة خلال فترة المراهقة يقلل من احتمالية الإصابة بالأورام السرطانية عند البلوغ، بحسب الرابطة الأميركية لأبحاث السرطان، أما ممارسة النشاط البدني لمدة 15 ساعة أسبوعياً، فيخفض من خطر الإصابة بسبعة أنواع من السرطان إذ من المهم أن يُجهد المرء نفسه اسبوعياً بحسب البروفيسور الألماني ميشائيل شونبيرغ، فيما كشفت دراسة جديدة نُشرت في المجلة البريطانية للطب الرياضي أنّ "ممارسة التمارين الهوائية لمدة 11 دقيقة يوميًا يُقلّل من خطر الإصابة بالسرطان، وأمراض القلب والأوعية الدموية".

لتكشف دراسات أخرى بأن ممارسة قدر كاف من النشاط البدني يقلل من مخاطر أمراض القلب والسكتة الدماغية بنسبة 17 %، والسرطان بنسبة 7 %، بحسب بي بي سي.

ومؤكد بأن الغذاء الصحي وممارسة الرياضة بانتظام تقي من السرطان وفقاً للدكتورة (ليندا بولد) الأستاذة بجامعة إدنبرة البريطانية، بينما تشير النتائج المذهلة الى أن الإصابة بـ 7 أنواع من السرطان قد تراجع بنسبة 20%

لدى 10% ممن يمارسون الرياضة، وفقاً لدراسة طبية عالمية تابعت بيانات (1.44) مليون شخص بحسب مجلة (جاما) للطب الباطني، وأما عن خطر الإصابة بسرطان القولون فقد تراجع بنسبة 25 % لدى الاشخاص الذين يمشون

لنصف ساعة يوميا، ومثلهم من يقودون الدراجات الهوائية لمدة 45 دقيقة وفقاً لدويتشه فيله الألمانية.

وفي الختام لنكن أمة الرياضة بأنواعها ولنترفع على صدارتها بين دول وأمم وشعوب الكوكب، ولابد من إحياء الرياضة المدرسية والجامعية والمناطقية، واستحداث ما لا يعد ولا يحصى من مراكز الشباب والفرق الشعبية والأندية والمدارس والكليات والمعاهد والأكاديميات الرياضية، وهذا ولاشك هو أفضل بكثير من تخنث الشباب وتزلفهم وكسلهم وتميعهم، ومن تضييع أوقاتهم الثمينة في المقاهي والكافيهات والأسواق والسينمات والألعاب الالكترونية والمولات، ومن التورط بالموبقات وبعض-الفاينات- فمن المعيب جدا أن أمة "اقرأ" لا تقرأ، وأن أمة "وأعدوا لهم" ليس بوسعها الحصول على ميدالية واحدة ولا على كأس واحد بمختلف المحافل الرياضية الدولية والاقليمية والقارية إلا فيما ندر وعلى فترات متباعدة، لأن عدم حصولها ولو على النزر اليسير من الكؤوس والميداليات إنما يؤشر الى أنها في واد، وإعداد العدة الحقة = "العقل السليم في الجسم السليم" وعلى الصعد كافة، ومن بينها المصارعة والسباحة والمبارزة والرماية والفروسية وألعاب القوى في واد آخر تماما!!

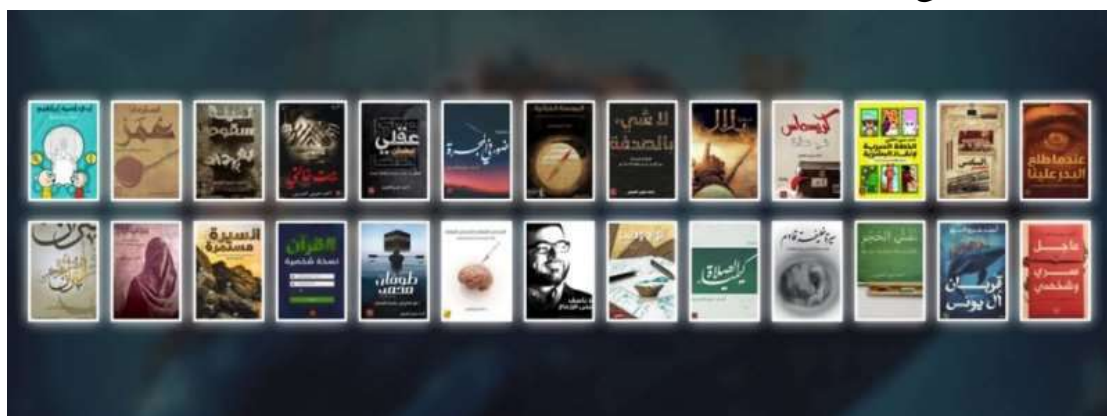
(*) مقال المنشور في موقع " صوت الأمة العراقية " بتاريخ 2026/8/1

حوار هانس .. مع مؤلف البوصلة القرآنية وليلة سقوط بغداد (*)



الدكتور أحمد خيرى العمري، كاتبٌ وطبيب عراقيٌّ من مواليد بغداد عام 1970م، والده مؤرِّخٌ وقاضٍ عراقي معروف، تخرج أحمد العمري في كلية طب الأسنان جامعة بغداد عام 1993م، إلا أنه عُرف كاتباً إسلامياً تجديدياً أكثر منه طبيباً. لَمَعَ نجمه بسرعة وعدّه بعض النقاد امتداداً للمفكر الجزائري "مالك بن نبي". شهرته وُلدت من رَحمِ مؤلفاتٍ رصينة تميّزت بأسلوبٍ أدبيٍّ شائق ومضمون رفيع يستهوي القراء ويستميلهم ليصل معهم في نهاية المطاف وعبر صفحات كتبه المتخمة بالعصف الذهني في عصر التصحر المعرفي، والجذب

الأخلاقي، والجفاف الوجداني إلى الفكرة الرئيسية مناهج البحث التي يود العمري إيصال القراء إليها بعد رحلة مفعمة بجرأة الطرح، ورسالة الكلمة، وكثافة الفكرة، ومتانة المضمون.



* ترى من أين أتيت بهذه الملكة في الكتابة والتصنيف مع القدرة منقطعة النظير على الإقناع، من الطب؟ من مكتبة والدك العامرة؟ من مطالعاتك الشخصية؟ من صحبة المشايخ؟ من مجالس العلماء؟ أم من أين تحديداً؟

– الرد على هذا السؤال دون التعليق على مقدمته صعب. أنا إذ أشكرك على ما تفضلت به فإني أنوّه إلى أن وصف ما أسميته بملكة الكتابة عندي ليس أمراً متفقاً عليه، فهناك في الجانب الآخر من يرى عكس ذلك تماماً. الأمر لا يقلقني ولا يزعجني، بل أراه طبيعياً تماماً.

بعد هذا التوضيح وبالإشارة لما قلت، الملكة بالتعريف هي شيءٌ جبليٌّ فطريٌ نولد بها ولا نكتسبها، لكن الملكة أو الموهبة لا تكفي أبداً للإنجاز، كما أن المواد الخام في باطن الأرض لا يمكن أن تكون ذات فائدة دون استخراج وتكرير.

صقل الموهبة وتزويدها بالوعي، بوجود قضية وهدف، هو ما يجعل هذه الملكة تُنتج.

بالنسبة لي، الجو الثقافي العام في البيت، مكتبة والدي الضخمة وكونه كاتباً أنتج خمسة مؤلفات -قبل مرضه الذي أقعده وهو في أوج عطائه- كل هذا كان له أثر حتي في شحن الموهبة وتحفيزها. مطالعاتي الشخصية أسهمت في ذلك أيضاً بالتأكيد.

الطب منحني حداً معيناً من المنهجية العلمية، منحني الواقعية والارتباط بالأرض.

لم تكن هناك صحة مشايخ أو مجالس علماء على النحو التقليدي. كان والدي أقرب إلى العلمنة، ولكنها كانت علمنة معتدلة جداً لم تعاد الدين على الإطلاق، ولا أذكر أي موقف اتخذته والدي ضد ميولي الدينية رغم أنها كانت مبكرة جداً وكان يمكن قمعها بسهولة لو أنه أراد ذلك.

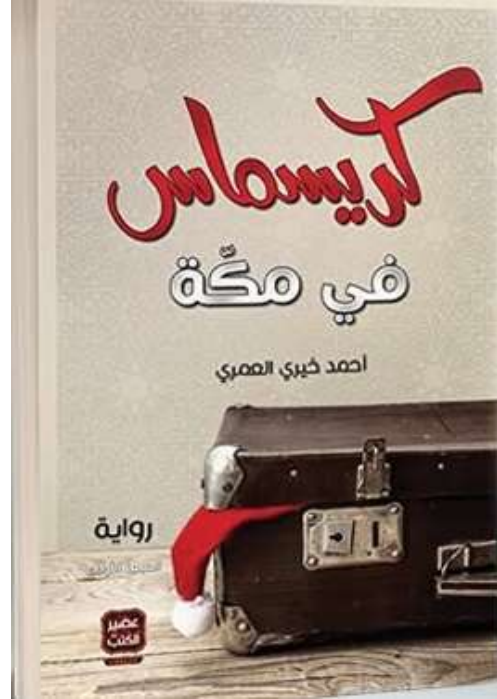
كان لوالدي رحمه الله مجلس أدبي وثقافي كل يوم جمعة تكون على نحو تلقائي بعد مرضه، حيث بدأ أصدقاء والدي ومعارفه يأتون للاطمئنان عليه، ولأنه كان نشطاً جداً على أكثر من صعيد (قضائي-فكري-اجتماعي) فقد كان معارفه يمثلون طيفاً متنوعاً داخل الطبقة الوسطى العراقية في آخر مراحلها المزدهرة في الثمانينيات. مع الوقت انتقل الأمر من مجرد الاطمئنان على صحة والدي إلى مجلس ثقافي عام

شكل متنفساً طبيعياً لهذه النخبة بعيداً عن (شعارات الحزب والثورة) التي كانت مهيمنة في تلك الفترة. في بعض الأحيان كان شارعنا يغلق تماماً بالسيارات بسبب عدد الوافدين للمجلس.

ضم ذلك المجلس أعلاماً في مجالات شتى بين القضاء والتاريخ والأدب، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر حسين جميل، ضياء شيت، د. مؤيد العمري، صلاح بيات، نور الدين الواعظ، صاحب خميس، عدنان العلوي، حازم يونس، هديب الحاج حمود، خالص عزمي، د. إبراهيم الوهب، نجدة فتحي صفوت، بلند الحيدري، عبيد الحاج خلف، أحمد فوزي، مدحت الجادر، أكرم الوتري، فايق روفائيل بطي، فاروق العمري، غسان رؤوف، حارث يوسف غنيمه، د. علاء جاسم، مع حفظ الألقاب للجميع. ولعل من أشهر الحاضرين وأهمهم المفكر العراقي الأكثر تأثيراً بين المفكرين العراقيين الدكتور علي الوردي. رحم الله من توفي منهم وأمد في عمر الأحياء.

لن أدعي هنا أن الطفل -ومن ثم المراهق- الذي كنته كان حريصاً على الحضور في المجلس، لكنني كنت دوماً هناك حول المجلس، أقوم بواجب الضيافة على الأقل وأستمع لما يقال وأمتصه بصمت. ولا يمكن أن يكون هذا قد مر دون تأثير.

كذلك لا يمكن لي أن أتحدث عن تأثير والدي من دون أن أتحدث عن تأثيري بيوميته التي كان يكتبها منذ أوائل الخمسينيات وحتى يوم مرضه. كانت هذه اليوميات وسيلي للتعرف على والدي لاحقاً بعد أن عطل المرض دوره كأب، وفي اليوميات يكون المرء صريحاً عادة، ربما صريحاً أكثر مما يجب، ولا يابه لأي إزعاج يمكن أن يحدث، لأنه لا يفترض أن أحداً سيقراً ما يكتب.. بعبارة أخرى [لا أسف على الإزعاج]. هل يدرك هذا بشيء؟



لا يمكن أن يكون هناك حديث عن تأثير والدي دون الحديث أيضاً عن تأثير والدتي المحامية "لميس محمود صبحي الدفترى" التي نشأت في جو مماثل، حيث كان لوالدها (الوزير في العهد الملكي) مجلس أدبي أكبر استمر لعقود، وهو المجلس المعروف باسم (صالون الجمعة). كان يستضيف فيه أهم الشخصيات الأدبية والسياسية في عراق ما قبل انقلاب 1958، وهو المجلس الذي عقد فيه الصلح (المزعوم) بين شاعري العراق الكبيرين دائي الخصام الرصافي والزهاوي.

والدتي اكتشفت وجود الموهبة عندي في الصف الثاني الابتدائي عندما كتبت رسالة لابن خالتي الذي كان يعيش مع أهله في الإمارات آنذاك (وقد قتل لاحقاً في فلتان العنف الطائفي عام 2006). من يومها ووالدتي لا تشجعي فحسب، بل تدفعني (على الأقل لوقت ما) في درب الكتابة. بعد سنوات سافرنا الى مصر حيث تلقى والدي العلاج. يوم عدنا، كانت الحقايب تضم (201) عنواناً من الكتب والكتيبات التي جئت بها من مصر. كان يمكن لوالدتي أن تفصل في شراء أي شيء لي إلا الكتب.

كما كانت لوالدتي اهتمامات أخرى لم تكن لوالدي، مثل اهتمامها بالتاريخ القديم والمتاحف والفن عموماً. كل هذا وسع من مداركي ومجالات اهتمامي، ولا بد أن يكون قد أثر أيضاً في صقل موهبتي. لهذا عندما أقول لك بأنني لم أعرف (مجالس العلم) التقليدية أو صحبة العلماء فإني أقول أيضاً أنني قد ولدت تقريباً في مجلس علم.

* تم اختيارك عام 2010 لتكون الشخصية الفكرية التي تكرمها دار الفكر في تقليدها السنوي، والذي سبق أن كرم مفكرين لهم باعٌ طويلٌ في التأليف والتصنيف أمثال: عبد الوهاب المسيري مؤلف "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين، والدكتور وهبة الزحيلي صاحب كتاب "آثار الحرب في الفقه الإسلامي، مقارنة



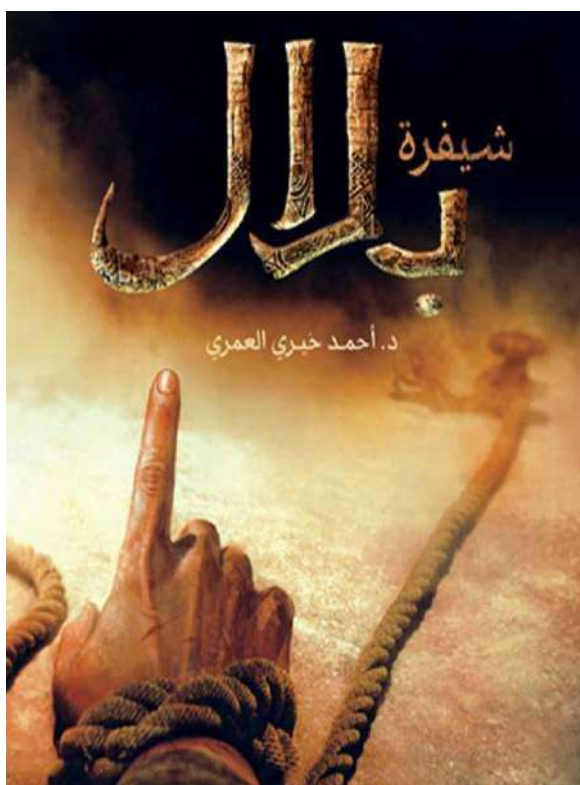
بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي"، وجودت سعيد وكتابه "كن كابن آدم"، وهاني رزق مؤلف كتاب "موجز تاريخ الكون من الانفجار العظيم إلى الاستنساخ البشري"، وبهذا (يكون العمري هو الأصغر سناً من بين جميع المكرمين، وهي مسؤولية وتكليف تحمله إياها دار الفكر)، كما جاء في نص الرسالة التي دعتك لحضور حفل التكريم. حدثنا عن هذا التكريم قليلاً، لو سمحت.

— دار الفكر، ممثلة في الأستاذ عدنان سالم، كانت أول من دعمني وأكثرهم سنداً في مسيرتي منذ أن قدّمت للدار كتابي الأول، وعلاقتي بالأستاذ عدنان تتجاوز علاقة الناشر بالكاتب إلى علاقة الأب بالابن.

لا يمكن لي أن أتخيل كيف كان لمسيرتي أن تكون لولا دعم الأستاذ عدنان، لكنني متأكد أن طريقي كان سيكون أصعب بكثير.

موضوع التكريم يجب أن يوضع في سياقه. تلك السنة كانت مخصصة لدعم جهود الشباب، لذلك كان اختياري ككاتب شاب لم يكن قد تجاوز الأربعين وقتها، ولا شك فإن الأمر كان يمثل دعماً ومسؤولية كبيرة، إذ وضع اسمي بجانب أسماء كبيرة كالتي تفضلت بذكرها وغيرها، كما صدر لي في تلك السنة كتاب (صانع الأنفاق) الذي ضم مقالات وبحوثاً عن نتاجي.

تكريم دار الفكر كان مهماً جداً بالتأكيد، لكن التكريم الأهم الذي يحصل عليه الكاتب يأتي غالباً من قارئ مجهول لم يرّ وجهه إطلاقاً، يرسل ليقول له من دون مجاملة أو مصلحة أن كتبه غيرت حياته. هذا هو التكريم، الجائزة، الأهم. هذه هي نوبل الحقيقية تتسلمها دون مراسم أو احتفالات.



* أنت القائل: الفرق بين القرآن من أجل النهضة، والقرآن من أجل الختمة كالفرق بين الصحابة وبيننا. لطفا حدثنا عن البون الشاسع بين المطلبين: الختمة والنهضة.

– تعودنا أن نقرأ القرآن للبركة، للحصول على الأجر، لزيادة الحسنات. لكننا لا نحاول قراءته كما لو كان كتيب الاستعمال المرفق بجهاز جديد نريد أن نتعلم تشغيله. هذا هو ببساطة شديدة الفرق بين تعاملنا مع القرآن وتعامل الصحابة معه.

* فيلم الرسوم المتحركة "بلال" هو أول فيلم من هذا النوع عن شخصية أول مؤذن في الإسلام الصحابي الجليل بلال بن رباح، والذي استغرق إنتاجه عدة سنوات، يسرد قصة حياة الصحابي الجليل بلال منذ طفولته الأولى وصولاً إلى تحوله إلى أحد أبرز صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سبق أن أعلنت الشركة المنتجة "بارجون

انترتينمنت" أنّ كتابا عن سيدنا بلال بن رباح سيصاحب عرض الفيلم، كتبه الدكتور أحمد خيرى العمري. حدثنا عن الكتاب رجاءً فالجمهور متشوق لذلك.

– فيلم (بلال) الذي أنتجته شركة براجون أول محاولة عربية لدخول السينما العالمية من هذا الباب، وقد بذل فيه المنتج والمخرج وداينمو العمل الأستاذ "أيمن جمال" جهوداً استثنائية. أنا لم أنل شرف المشاركة في كتابة السيناريو، ولكني رشحت لكتابة الكتاب وكان ترشيحي مع كاتبين آخرين مهمين جداً شرفاً كبيراً لي.

الكتاب هو رواية عن سيدنا بلال بعنوان "شيفرة بلال" وهو مختلف عن كل ما سبق أن كتبت من قبل وعن كل ما هو متوقع مني ومن رواية عن سيدنا بلال!

على الصعيد الشخصي تجربة كتابة "شيفرة بلال" كانت من أكثر تجاربي اندماجاً وتماهياً مع العمل، وهو أمر مرهق جداً أثناء الكتابة، لكن ذكره لاحقاً أصبح حلوة جداً.



* أنت كاتب غزير ومتنوع النتاج، صدرت لك بين 2003- 2015 عشرة كتب تباينت بين البحث العلمي والروائي والأدبي، فضلاً عن عشرات المقالات في صحيفتي "العرب القطرية" و"القدس العربي" اللندنية. أين تجد نفسك، في تأليف الكتب أم في كتابة المقال؟ وهل أن بعض مؤلفاتك هي جمع لعدد من مقالاتك المتناثرة في باب ما بين دفتي كتاب لاحقاً؟

— أجد نفسي في الكتب. لا أزال أعتقد أن الكتب هي التي تملك وسيلة البقاء أكثر من أي شيء آخر. في الحقيقة، الكتب هي عشقي الكبير الثابت منذ أن وعيت الدنيا. أحب الكتب وأغلفتها ورائحة الورق فيها. أظنّ أني كنت في الخامس الابتدائي يوم حلمت أن أكتب كتباً تملأ مكتبة كاملة.

كتبت المقالات لكي أوصل أفكار لي لقرأ آخرين ولكي أجذبهم إلى الكتب، وهذا هو أيضاً سبب وجودي في السوشيال ميديا لاحقاً وفي الميديا مؤخراً.

لم أقم بجمع المقالات في كتب، يتطلب الأمر وقتاً للإعداد لذلك وحياة الكاتب تكون دوماً كما لو أنه كتب (يتبع) في آخر كتاب له وعليه أن يذهب بسرعة للكتاب القادم. لا فرصة للنظر إلى الوراء. أكثر المقالات التي أتوقع أني سأتمكن من جمعها في كتاب قريباً هي مجموعة المقالات التي كتبتها في أمريكا إذ يجمع بينها موضوع واحد وهذا يجعلها أقرب لروح الكتاب.

* أحدث كتابك "البوصلة القرآنية: إبحار مختلف بحثاً عن الخارطة المفقودة" الصادر عام 2003 ردود أفعال تراوحت بين الرفض والقبول واهمك بعضهم بأن هناك من كتبه لك لحداثة سنك، إلا أن استمرارك في التأليف قد هدم تلك الفرضية لاحقاً. ما الذي تعنيه بالبوصلة القرآنية؟ وما هي طبيعة الخارطة المفقودة التي تشير إليها هذه البوصلة؟

— البوصلة القرآنية كتابي الأول، عندما بدأت بالكتاب لم أكن متأكداً من أني سأكمّله ولم أكن متأكداً أنه سينشر ولم أكن أعلم إن كان سيتبع بكتاب آخر أو لا.

كان الأمر أشبه بفرصة قد لا تأتي مرة ثانية لذا كتبت فيه كل ما أود كتابته كما لو أني لن أكتب مرة أخرى، لا خوف على مكانة اجتماعية أو رضى وقبول الناس أو أي شيء آخر. لا شيء لدي لأخسره ككتاب، يمكنني أن أفشل من دون خوف لأنه لا نجاح سابق لدي لأضيعه، يمكن لي أن أتوقع النقد الشديد أو حتى الصمت اللامبالي فلا أحد يعرفني، ويمكن أن أقول ببساطة أنّ ثمة تشابه أسماء لو شئت!

لا أذكر أني كنت أفكر بالنتائج وأن مسار حياتي سيتغير بعد الكتاب. كنت أكتب بشغف فحسب وأعلم يقيناً أن لا فرصة لدي للنشر في العراق في تلك الفترة (أنهي الكتاب في 2001)، لكنني كنت أكتب دون أن أفكر بالخطوة التالية وصعوباتها.

عندما قيل إنني لست مؤلف الكتاب وإن هناك شخصاً كبيراً في السن يختفي خلفي فكَرْتُ بذلك كمزحة، ثم عرفت أن الأمر لم يكن كذلك وأنه منتشر. غضبت وحزنت يومها، لكن الصديق العزيز الأستاذ صهيب الشريف (مسؤول لجنة النشر في دار الفكر آنذاك) قال لي ما جعلني أعد ذلك أفضل ثناء قيل في الكتاب. قال لي: ما داموا استكثروا الكتاب عليك فهم يقرّون أن الكتاب جيد جداً!

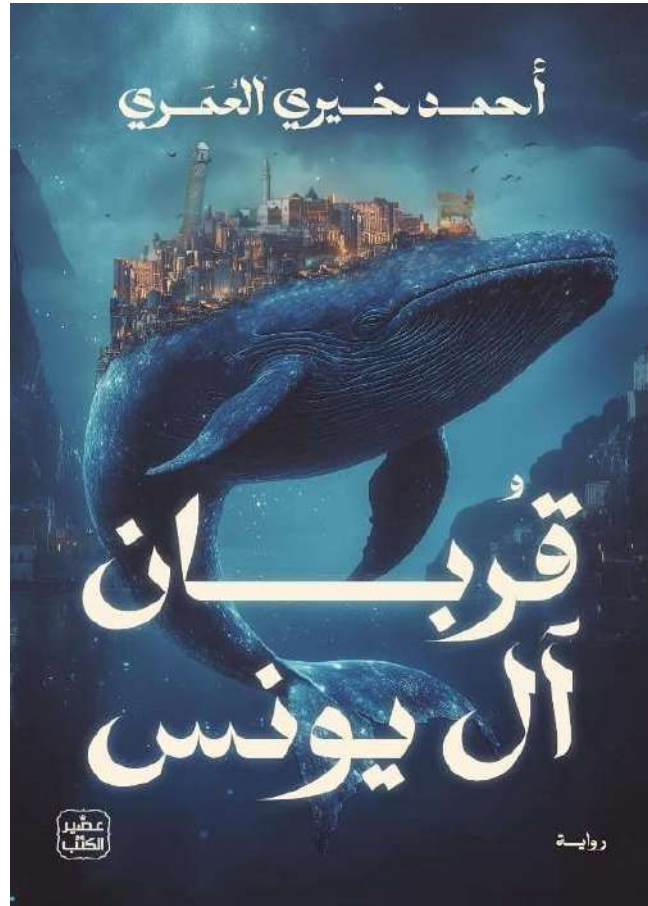
بقيت هذه المقولة متداولة، ولو بشكل متناقص، إلى ما قبل سنوات قليلة، وأذكر أنني دخلت مرة في نقاش طويل مع رجل دين مقتنع تماماً بأنني لست مؤلف البوصلة ولا الكتب التالية. شعرت كما لو أنني "أنستاسيا رومانوف" ابنة القيصر المزعومة وهي تحاول إثبات نسبها.

بمعزل عن هذه الحثثيات: يمكن وصف البوصلة أنّها مشروع أكبر ومنه تفرعت عدة كتب: (الفردوس وكيمايا الصلاة وإلى حد ما سيرة خليفة قادم). البوصلة تشير إلى أن أول العلاج هو التشخيص، والتشخيص يقول أن المشكلة قديمة وعلينا أن نكون شجعاناً بما فيه الكفاية لكي نواجهها لأن الخريطة تمر في حقل ألغام تاريخية لكن لا بدّ من المواجهة.

* هناك من يأخذ عليك بأنك لم تدرس العلم الشرعي أكاديمياً، وترد عليهم بأن مفكرين وكتاباً كباراً أمثال مالك بن نبي في سلسلته "مشكلات الحضارة"، ومصطفى العقاد في "عبقرياته" لم يدرسوا بدورهم العلم الشرعي أكاديمياً. هل ترى أنّ ابداعك وابداع من ذكرت ممن تسير على خطاهم نابع مما أطلقت عليه في كتابك "سيرة خليفة قادم" (حتى الهوس بالقضية... من أعراض الإيمان) هوس يدفع المرء لاستغلال الوقت وبذل الجهد والمال والقلم من أجل القضية على نحو أمثل يصل به إلى (النيرفانا) المعرفية إذا صح التعبير والتي تجعل من صاحبها (سوبرمان) يتفوق على أقرانه في الفهم والإدراك وما يترتب عليهما من رصانة في الطرح على مستوى الأسلوب والمضمون؟

— الهوس، إن شئت، مهم لأي إنجاز لكنه لا يكفي وحده. وهو بالتأكيد ليس سبب نجاح

مالك بن نبي والعقاد. سأحدث عنهما لا عن نفسي وسأقول إنّ الدراسة الأكاديمية في المجال الذي أنتجا فيه كانت ستقضي على إمكاناتهما الكامنة، كانت ستضعهما في قالب محدود يقتل إبداعهما وحرية الفكرية. الدراسة الأكاديمية تدخل بعض القيود والنظم في طريقة التفكير، وهذا أمر قد يكون جيداً ومفيداً للكثيرين، ويتمكنون من خلاله من الإنتاج وتقديم ما هو نافع فعلاً.



لكن الأمر يحتاج دوماً إلى تحليل مختلف بطريقة تفكير مختلفة دون تلك القيود، ولا ينجح فيه إلا قلائل لكن نتاجهم يكون مختلفاً عن المؤلف ولحقاً يقوم الأكاديميون بدراسة هذا الناتج. هذا بشكل عام.

فيما يخص القرآن تحديداً ومأخذ عدم دراسة العلم الشرعي أكاديمياً، أرغب في القول بوضوح أن القرآن كتاب رب العالمين أنزل للناس أجمعين وهو ليس كتاب غايتون في (علم الأمراض) لا يفهمه إلا المختصون، لذا عندما أقدم فكرة مستمدة من القرآن تخالف فكرتك لا تقل لي: أين درست؟ فهذا كتاب الله وهو ليس حكراً على أحد، لكن أثبت لي تناقض ما قدمته مع نص آخر أو مع فكرة أخرى طرحتها سابقاً. ما أسهل شراء الشهادات في هذا العصر! وما أصعب تقديم الجديد الذي لا تناقض فيه مع نصوص أخرى، سواء أكانت لديك شهادة شرعية أم لا!



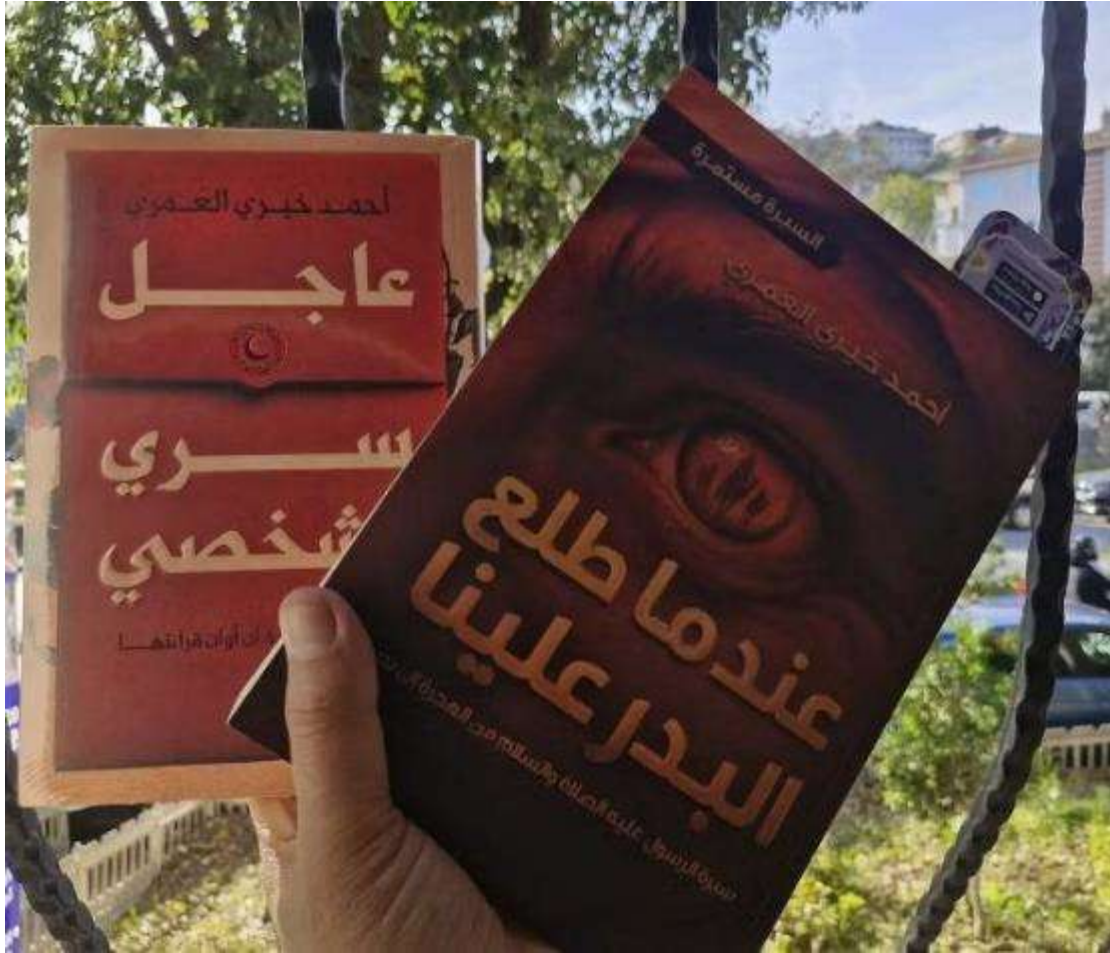
* برنامجك التلفزيوني "لا نأسف على الإزعاج" والذي بُثَّ يومياً في رمضان عبر قناتي الشارقة وقرأ كان نقلة نوعية في مواجهة الفكر التقليدي وحظي باهتمام واسع عربياً تماماً كمؤلفاتك، لكنك كتبت يوماً تعقيباً على اختيارك للسنة الثانية على التوالي في قائمة العراقيين العشرة الأكثر تأثيراً مع زها حديد ويونس محمود وكاظم الساهر قائلاً:

"للأسف ليس لدي تأثير يذكر في العراق، وتأثيري في بقية البلدان أكبر بكثير. أقول هذا بمنتهى الأسى، ولكن كلي ثقة أن في العراقيين طاقات أكبر وأهم، لكن (ماكو بخت)".

((تنويه مهم من مؤلف الكتاب = لا غرو أن المقصود بضعف التأثير في العراق الذي عناه العمري في معرض إجابته على السؤال، إنما كان وقت إجراء هذا الحوار، ولكن اليوم وللدكتور أحمد خيرى العمري، جمهور عريض داخل العراق كما هو شأنه في أرجاء الوطن العربي، وكتبه تسجل الأكثر مبيعا بين نظيراتها من الكتب الأخرى

ولاسيما بين جيل الشباب، وبالأخص بعد عرض كتبه ورواياته القيمة على الدوام في العديد من المعارض الدولية للكتاب والتي تقام دورياً في بغداد وبقيّة المحافظات العراقية، زيادة على عرضها في المكتبات العامة..لذا اقتضى التنويه)).

فلماذا برأيكم أنتم أكبر تأثيراً خارج العراق، وأكثر غياباً داخله برغم بيع مؤلفاتكم فيه ووصول برامجكم إليه سواء عبر النت أو الفضائيات العابرة للحواجز والأسلاك والجدران؟
– العراقيون بشكل عام معاييرهم عالية وهم شديداً النقدي، وخاصة على العراقيين أمثالهم. العراقي الذي يلاقى تقديرًا من عراقي آخر هو واحد من اثنين: عراقي ميت، أو عراقي حقق نجاحاً في الخارج.



كنت من المحظوظين الذين انتموا إلى الخانة الثانية، وبالتدريج بدا الأمر ينسحب على نظرة العراقيين لي، وبخاصة بعد البرنامج، أصبح هناك تفاعل أكبر في صفحات التواصل الاجتماعي من العراق ومن العراقيين داخل العراق وخارجه. أصبح هناك طلب أكبر على الكتب من داخل العراق أيضاً.
أعتقد أيضاً أن ثمة إحباطاً داخل العراق (وبخاصة عند الشباب) من كل ما له علاقة بالفكر الديني لأسباب لا تخفى على أحد، لذا لا يتوقع أحد وجود شيء مختلف أو جديد في كتاب ديني. فضلاً عن أن التخندق الطائفي طال الجميع بما فهمه المثقفون. لذا فكل ما أكتب أو أقول يمكن أن يفسر طائفيًا حتى لو لم تكن للأمر علاقة بأي من موضوعات الخلاف الطائفية المفضلة. هذا كله أسهم في تعطيل تفاعل العراقيين مع كتيبي. الأمر بدأ بالتغير كما قلت، فبعد البرنامج تسلمت رسائل من متابعين من كثير من الطوائف. هناك من يرسلني وهم من غير المسلمين أصلاً! وأنا سعيد جداً بهذا. أما قصة (ماكو بخت) فأنا لا أرغب في النواح ولا في إلقاء اللوم كله على

186

البعض من أعمال الأدبية والروائية يؤكد أيضاً أنه يمكنك أن تنتج فناً وأدباً يحمل قضية وهدفاً دون أن تسقط في الأيديولوجيات والشعارات والوعظ المباشر. على نحو شخصي وخاص جداً: أريد أن أترك أثراً إيجابياً يبقى بعدي.

* تقف بالضد من الفكر (المنامي) الذي يعتمد على الأحلام والرؤى في توجيه الأمة كونه عائقاً من عوائق النهضة، وفي ذات الوقت أنت ضد دعاة التجديد المادي أمثال "محمد شحرور" و "جمال البنا" وجماعة القرآنيين. يعني هذا أنك تقف بالضد من تخديرين فكريين للأمة، الأول بمثابة "هيرويين" فكري مثبط للهمم والعزائم يحلق بها في عالم الفنتازيا بعيداً عن الواقع المعاش، بينما الثاني بمثابة "كوكايين" فلسفي مادي محفز للضياع ومُجرد للعواطف مُنسلخ عن التراث، إلا أن الإثنين معا وفي نهاية المطاف يمثلان مخدراً فتاكاً ينتهي بالعقل الجمعي إلى مصحة عقلية بلا دفع ولا نفع، فماذا تقول لهؤلاء وهؤلاء وباختصار؟

— لا أقول شيئاً لأي من الفريقين. كلامي دوماً للمتريدين بين الفريقين، لأولئك الذين بين. هؤلاء هم منطقة عملي. نادراً ما يغير شخص مؤمن بشيء ما بشدة إيمانه عبر نقاش أو قراءة كتب مخالفة. التغيير يكون دوماً في أشخاص لم يحسموا أمرهم لكنهم يشعرون بالحاجة إلى التغيير.

بالنسبة لي الأمر واضح، هناك تجديد حتي يجب أن يحدث لأن الفهم التقليدي منتهي الصلاحية، في الوقت ذاته ثمة ثوابت لا بد من المحافظة عليها كي لا يتحول الأمر إلى -فلتنة- باسم التجديد (وهو ما حدث عند البعض). أرى -مثلاً- أن ثمة مشكلة كبيرة في التعامل مع الحديث الشريف، ولكن حل المشكلة بنسف الحديث كله (كما يفعل من يسمون أنفسهم بالقرآنيين) يزيد المشكلة تعقيداً ويسيء لفكرة التجديد وسمعتها. التجديد حتي، وهناك ما يجب أن يهدم فعلاً في فهمنا للدين، ولكن التجديد ليس مقالة هدم فحسب كما يقدمه البعض. الهدم حتي، لكنه هدم برسم البناء.

* هل غيرت سفرتك الى أميركا شيئاً من أفكارك؟

— أفكاري تتغير دوماً، ولكن في اتجاه واحد. أي تجربة يمر بها الإنسان تسهم حتماً في تغيير أفكاره، ما دام حياً. يقال إن السماع بشيء لا يغني عن مشاهدته، وهذا صحيح. لكن يبدو أن القراءة يمكن أن تغني ولو نسبياً. كنت قد قرأت عن أميركا كثيراً قبل الذهاب إليها وساعدني ذلك في فهمها أكثر. لم تكن هناك صدمة حضارية على الإطلاق و كنت أعرف وأتوقع أغلب ما شاهدت.

إيجابية الفرد الأمريكي هي أكثر ما لفت نظري، وخاصة بالمقارنة مع تدمرنا عموماً كشعوب شرقية. وقد كتبت مقالاً عن الموضوع تحدثت فيه عن سيدة عراقية كانت في الباص من نيويورك إلى العاصمة واشنطن ولم تكن تتوقع وجود من يفهم كلامها وهي تتدمر طيلة الوقت من كل شيء من السائق إلى الفندق الذي كانت فيه وبكل ما في نيويورك (التي وصفتها بأنها تشبه ساحة التحرير) وصولاً إلى حين عطست واحدة من راكبات الباص معنا، فقالت لها السيدة العراقية بكل عفوية: وجع!!

* كلمة أخيرة لمحبيك وهم كثر، ولمبغضيك أيضاً أينما وجدوا!

— للمحبين: جعل الله ما بيننا عامراً دوماً... للمبغضين: لا بأس، لا شيء شخصي. والشعور غير متبادل! وفي الختام أعمنت النظر بمكتبتَي الإلكترونيّة وقلبت طرفي فيما فوجدت كتباً رائعة للدكتور أحمد خيرى العمري، طبعت ونشرت، ومازالت تطبع وتندشر مرات ومرات، تشارك دور النشر بمعظمها في أغلب المعارض الكبرى للكتاب داخل الوطن العربي وخارجه، وتلقى رواجاً منقطع النظير. ومنها فضلاً عما تضمنه الحوار، كتاب السيرة

مستمرة، كتاب ليطمئن عقلي: الإيمان من جديد بمواجهة إلحاد جديد، رواية كريسماس في مكة، وكتاب القرآن نسخة شخصية.

***خارج النص:

من مؤلفات الدكتور أحمد خيرى العمري، التي لم نتطرق لها ضمن الحوار لأن بعضها قد تم تأليفه وصداره بعده، ومنها ما صدر بالتزامن مع الحوار أو قبله بفترة وجيزة، وربما بفترة ليست بالقصيرة مع عدم علمنا بها تقصيرا أو سهوا، وجلّ من لا يقصر ولا يسهو، وبما لم يتسن لنا تضمينها في أسئلة الحوار الأنف، وقد يكون ذلك، أو لا يكون في حوار لاحق، والأمر كله متروك للأقدار، وبينها روايات وكتب فكرية مهمة حظيت باهتمام القراء وتفاعلهم ومتابعاتهم بشغف كبير، أذكر منها رواية "بيت خالتي" و"السادس أحمر" و"عندما طلع البدر علينا" و"قربان آل يونس" و"الخطوة السرية لإنقاذ البشرية" المخصص للأطفال، كذلك كتاب "مفاتيح الحاج" و"يوم، شهر، سنة" و"حجاب أروى" و"عاجل سري وشخصي" وغيرها.

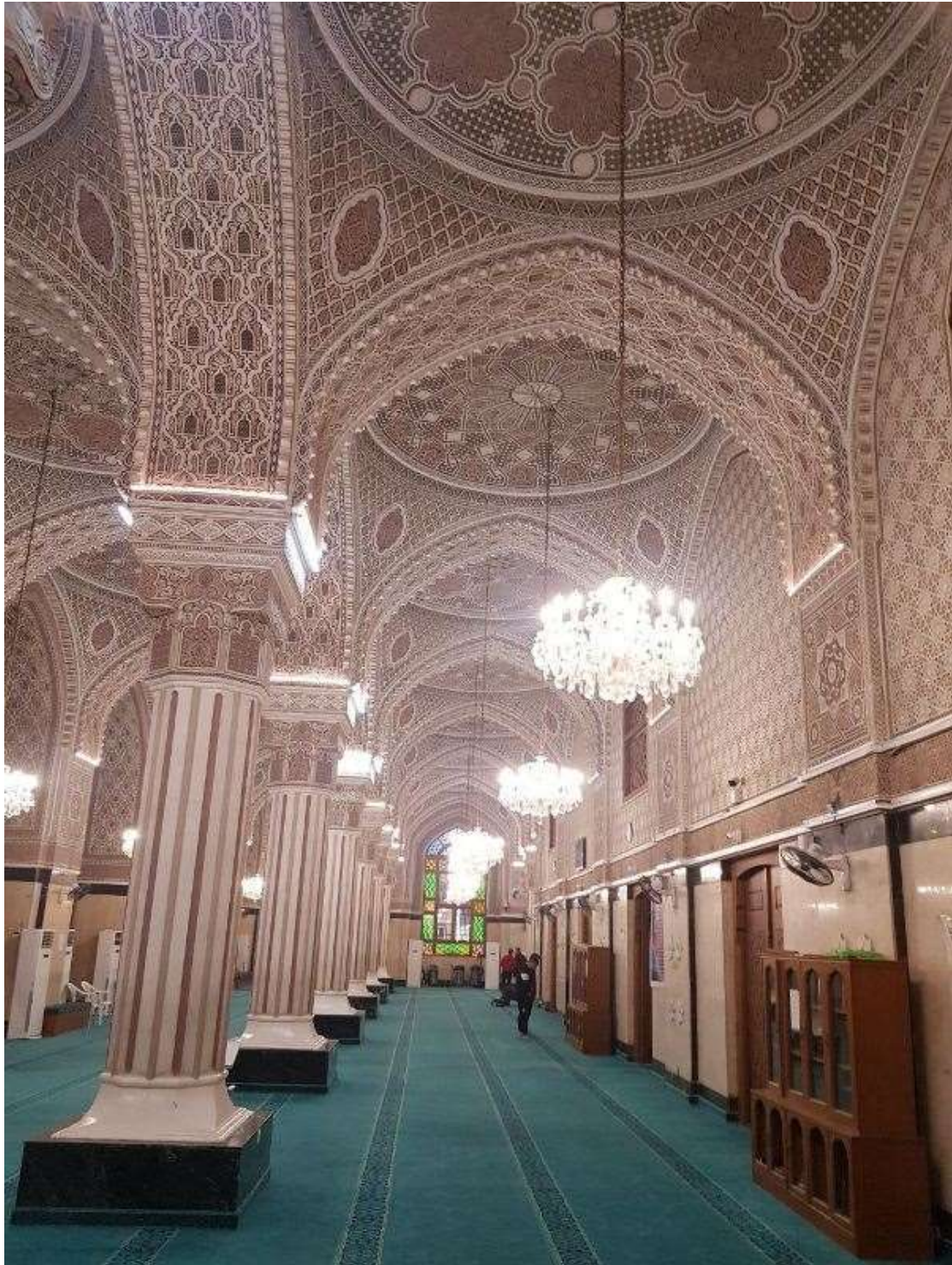


(*) حوار المنشور في مجلة "همس الحوار" اللندنية بتاريخ 15/ تموز / 2020

سلسلة "حكاية مسجد وبانٍ وإمام"... (1) .. جامع أبي حنيفة النعمان



كنت في طريقي الى جامع عريق لا بد لي من أن أطل عليه بين الفينة والأخرى لأشتم بين أروقته عبق التاريخ، وأنسجم بين جنباته عبير العلم، وأنشئ شذى العلماء، جامع سمي باسم علم من أعلام الأمة الإسلامية، وفقهه من أجل فقهاءها، قال فيه الامام مالك بن أنس " لقد رأيت رجلاً لو نظر إلى هذه السارية وهي من حجارة، فقال إنها من ذهب لقام بحجته"، وقال فيه الإمام الشافعي "من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة"، وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل "إن أبا حنيفة من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد".



هو النعمان بن ثابت ويكنى بأبي حنيفة نسبة إلى الدواة - المحبرة - كناية عن سعة العلم، وغزارة المعرفة، ولد سنة (80هـ) بالكوفة ونشأ وترعرع فيها وقد اختلف المؤرخون في نسبه، أفارسي هو أم عربي؟ فيما يؤكد العلامة المحقق الدكتور ناجي معروف، الذي شغل مناصب عميد كلية الإمام الأعظم، وعميد كلية الشريعة، فضلاً على كونه أحد المؤسسين لـ (جمعية منتدى الإمام أبي حنيفة) ورئيسها حتى وفاته خلال مناسك العمرة في شهر رمضان من عام 1977م، بين جلادي كتابيه ذائعي الصيت "عروبة الإمام أبي حنيفة النعمان" و"عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية" أن أبا حنيفة كان عربي الأرومة وترجع أصوله إلى عرب الأزد الذين هاجروا من اليمن وسكنوا العراق بعد إنهيار سد مأرب ويؤيده في ما ذهب إليه كثيرون.



أخذ النعمان العلم عن شيوخه ومنهم سبعة من الصحابة، وثلاثة وتسعون من التابعين كما ورد في كتاب (أبو حنيفة)، اعتمد مذهبه الفقهي على القياس والرأي المستمد من أحكام القرآن والسنة، اشتهر المذهب الحنفي وشاع في العراق والشام واليمن وشمال إفريقيا وأواسط آسيا و شمال القفقاس إضافة الى بلاد فارس والهند والصين.

من جميل أقواله " كلامنا هذا رأي فمن جاءنا بخيرٍ منه تركنا ما عندنا إلى ما عنده " و" لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به، ما استفيد من قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) " كما جاء في الدر المختار من حاشية المختار .

أما جامع الإمام الأعظم، أو جامع أبي حنيفة النعمان في منطقة الأعظمية فقد بني سنة 375 هـ، لتشييد الى جانبه مدرسة كبيرة سنة 459 هـ كانت تعد واحدة من أقدم ثلاث جامعات في العالم، والجامع الكبير حاليا بقبابه

ومناثره وزخارفه وباحاته عبارة عن تحفة معمارية وهندسية بحق تأسر النفوس، وتبهج القلوب، وتخلب الألباب، يتناوب على إمامة صلواته، وأداء ابتهالاته، والشدو بتلاواته، قراء مجيدون يتمتعون بأجمل الأصوات، وأرق الحناجر، وأكثرها عذوبة، وعلى الطريقة النغمية والمقامية العراقية الأصيلة.

ولعل من اللطائف أن صنبور الماء سمي بـ "الحنفية" نسبة إلى الإمام "أبوحنيفة" حيث كان الإمام رحمه الله تعالى لا يُجَوِّزُ استخدام الماء من وضوء سابق وعندما بنى "مسجد محمد علي" في القاهرة وزود بـ "الصنابير بدلا من طريقة الوضوء بالأكواز السائدة آنذاك، اعترض بعض العلماء إلا أن علماء الحنفية، جوزوا الوضوء من الصنابير لرفع المشقة، ومنذ ذلك الحين سمي صنبور الماء بـ "الحنفية".

ولاشك أن من معالم جامع أبي حنيفة "ساعة الجامع الشهيرة" وهي إحدى الساعات التراثية التي تم نصبها على برج عال عام 1958م فيما يرجع تاريخ صناعتها إلى عام 1930م، وقد حرص الأميركان ساعة دخولهم بغداد على استهدافها بقذيفة دبابة مباشرة عام 2003م إمعانا منهم في الأذى، وإيدانا منهم بوقف عجلة الحياة وحركة الزمن في العراق عامة، وفي بغداد الحضارة خاصة، وما دروا بأن الأمة التي تقرأ صباح مساء في قرآن ربها آيات يقسم فيها الباري عز وجل بـ "العصر" بـ "الفجر" بـ "الضحى" بـ "الليل والنهار" ليعلمنا احترام الوقت وأهميته والحرص على عدم تضيقه فيما لانفع فيه البتة لن تركع أبدا..تفتري حيننا نعم، تنام لفترة ممكن، تغط في سبات مؤقت وارد، تضيق وقتها برهة محتمل، أما أن تنام أبدا وتركع وتخضع فهيهات إنما هي وكما جاء في الحكم "لكل صارم نبوة، ولكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة" وأضيف وهذه من بنات أفكاره ومن جعبيتي "ولكل أمة حية يقظة..غفوة!!"

توفي أبو حنيفة الذي قال فيه القاضي أبو زكريا السلماسي، في كتابه (منازل الأئمة الاربعة) "أما أبو حنيفة فسيد الفقهاء في عصره، ورأس العلماء في مصره، فضله وافر، ودينه ثابت، وعلمه في مراده للمجد ثابت، اسمه النعمان وأبوه ثابت"، وكانت وفاته رحمه الله تعالى في بغداد سنة 150هـ، ليُدفن في مقبرة الخيزران وهي مقبرة كبيرة تحيط بجامع الإمام أبي حنيفة، وتضم رفات أشهر قامات وعلماء وأدباء وأعلام العراق من مختلف العصور، وقد أفاض في ذكر أسماء المدفونين فيها الشاعر والمؤرخ والخطاط الكبير وليد الأعظمي، في كتابه "أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران"، وقد دفن رحمه الله تعالى فيها أيضا عقب وفاته عام 2004م.

على مقربة من الجامع كان هناك جسر عائم وبما يصدق فيه بيت علي بن الجهم الشهير:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أزيل الجسر العائم عام 1957م وكان يربط الأعظمية بشقيقتها الكاظمية ليتم بناء جسر متين بدلا منه شبيه بجسر الأحرار من حيث التصميم، وبعد الانتهاء من بنائه سمي بجسر الأئمة، تيمنا بالإمامين الجليلين أبو حنيفة النعمان في مدينة الأعظمية المسماة باسمه، والإمام موسى الكاظم في مدينة الكاظمية المسماة باسمه، وكلا الإمامين الجليلين كان قد تعرض إلى محنة السجن والإبتلاء مرارا، وتوفيا رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته، خلف قضبانته...الإمام النعمان لرفضه تولي رئاسة القضاء في زمن أبي جعفر المنصور، ولتأييده ثورة محمد النفس الزكية، وقبلها ثورة الإمام زيد بن علي...وأما الإمام الكاظم فعلى خلفية الوشايات المتكررة من قبل

المغرضين والتي كانت تشيع وتروج الى سعيه للاستئثار بالمكانة الدنيوية والمكانة الروحية والدينية معا، فعهد أمره الى رئيس الشرطة آنذاك السندي بن شاهك وكان معروفا بالقسوة والغلظة والجبروت، وقد غدر بالإمام الكاظم غيلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد أسرني أحد الباحثين والمحققين ذات صباح بأنه يروم تحقيق أو نشر مخطوط قبيل وفاته بعنوان وعلى ما أذكر، ولست متأكدا من العنوان: "سجناء بغداد"، وفيه ذكر العلمين والإمامين الجليلين رحمهما الله تعالى، إضافة الى الإمام أحمد بن حنبل، الذي عانى بدوره وقاسى وذاق الأمرين أيام المعتزلة من فتنة سميت وقتها بفتنة "خلق القرآن" السياسية بامتياز بهدف تصفية المعارضين والخصوم، واجتثاث شأفتهم ولكن تحت شعار ديني فضفاض، وفقا للعلامة المحقق، بشار عواد معروف، في لقاء متلفز معه، وقد تعرض الإمام أحمد للسجن أكثر من مرة على خلفية رفضه لهذه الفتنة – السياسية – المؤطرة دينيا، والنأي بنفسه عن تأييدها جملة وتفصيلا خشية أن يقلدها ويتبناها طلابه وأتباعه ومحبيه، وغيرهم.

تعاقب على إمامة الجامع والخطابة والتدريس فيه علماء أجلاء أبرزهم الشيخ عبد القادر الخطيب، وكان إماما وخطيبا في جامع الإمام أبي حنيفة لأربعين سنة متتالية، إضافة الى كونه رئيسا لرابطة علماء العراق، وقد رثاه الدكتور رشيد العبيدي، بعد وفاته بقصيدة عصماء قال في بعض أبياتها:

شيخ الشيوخ وما عيني بغالية إذا بكتك فأدمى جفنها الرمد
ولا الفؤاد بغال إن ألم به سقم لفقدك أو أودى به الكمد

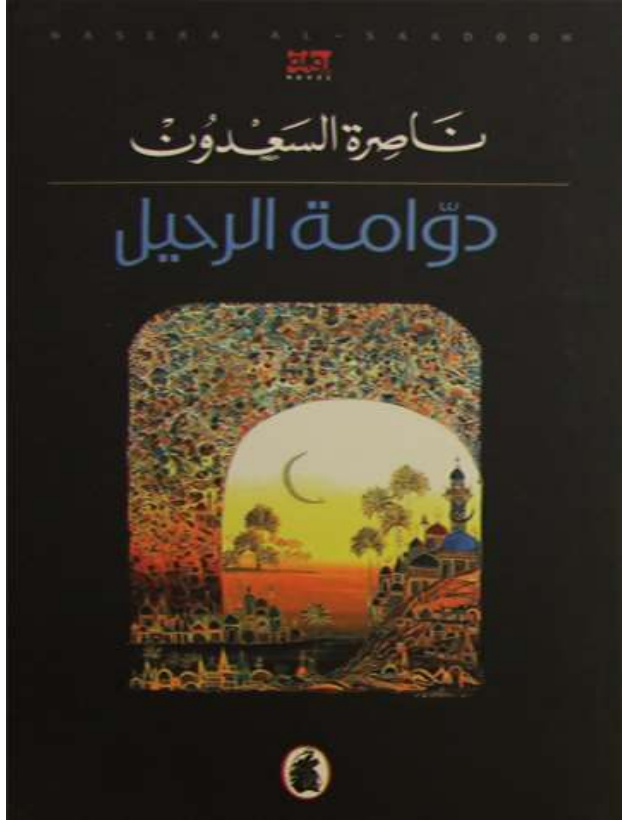
كذلك العلامة الكبير نعمان الأعظمي، الذي تمكن ومن خلال مجلته (تنوير الأفكار) من الحصول على موافقة السلطان أيام زمان في حقبة الدولة العثمانية لإنشاء كلية الإمام الأعظم، لتدريس العلوم الشرعية وما تزال قائمة الى يومنا هذا، ومن مؤلفاته "شقائق النعمان في مواعظ رمضان" و "إرشاد الناشئين".



بدوره الشيخ مولود الحنفي، وأصله من مدينة قونيا التركية، وقد لقبه لفيف من علماء الازهر أثناء دراسته هناك بـ "الرجل الصالح" وبعد هجرته الى بغداد درس على يد مفتي الديار العراقية الشيخ عبد الكريم بيارة، والشيخ محمد طه البيلساني، وكان الشيخ مولود الحنفي يدرس طلبته في جامعي أبي حنيفة وبشر الحافي القريب، بينما يخطب الجمعة في جامع الدهان وضمن الرقعة الجغرافية الواحدة، استشهد الشيخ الفاضل برصاصتين أمريكيتين لثيمتين وغادرتين، وكان في طريقه للعلاج بالعاصمة الأردنية عمان عام 2005م، فشيعت جنازته تشييعاً مهيباً في بغداد التي أحبها وأحبته، وصلى عليه جمع غفير بحضور عينة القوم وعوامهم وخواصهم في جامع أبي حنيفة الذي لازمه وأحبه وعشقه وأمّ ودرّس فيه ردحا طويلا من الزمن ليُدفن الى جواره في مقبرة الشهداء الملاصقة، ومن أئمة وخطباء الجامع الأعلام الشيخ العلامة الدكتور أحمد حسن الطه، أطل الله تعالى في عمره، ومتعته بموفور الصحة والعافية، ونفعنا ببركات علومه، ويرأس الشيخ الفاضل حالياً المجمع الفقهي العراقي لكبار العلماء للدعوة والافتاء الذي يشغل جانبا من باحات جامع أبي حنيفة النعمان.

(*) مقال المنشور بمناسبة "اختيار بغداد عاصمة للسياحة العربية" في صحيفة "الجزائرية للأخبار الصادرة باللغات العربية والفرنسية والأمازيغية بتاريخ 15/ كانون الأول/ 2024

رحال... مفردة غناها الساهرو صاغت ناصرة السعدون دوامتها في حب تجدد طيفاً من بغداد إلى كتارا (*)



* أشعر أن الرواية هي ما يجعلني قادرة على التعبير عن ذاتي أكثر من الشعر أو حتى القصة.

* أتواصل مع شخوص رواياتي لا بل وأتماهى معهم..أضحك وأبكي وأبتسم لأفكارهم وأحداثهم.

* أتمنى على دور النشر العربية أن تخطو الخطوة العملاقة الأولى في مجال النشر الإلكتروني ولا تتخلف عن ركب التقدم الذي شهده العالم.

نجمة متألثة في سماء الإبداع العراقي أبت ومنذ انطلاقتها الأولى أن تقف على سفح التألق من دون قمته، نجمة من مواليد العراق عام 1946م، تخرجت في جامعة

بغداد سنة 1966م، نشرت خلال مسيرتها الإبداعية الحافلة خمسة أعمال روائية أبرزها "لو دامت الأفياء" عام 1986، و"ذاكرة المدارات" عام 1989، و"أحببتك طيفاً" عام 2003، من بين 26 إصداراً أغلبها من الأعمال المترجمة في الرواية والأدب والسياسة والاقتصاد، كما شاركت في كتابة العديد من الدراسات والبحوث وفي مختلف المجالات المعرفية فضلاً عن عشرات المقالات في الصحف والمجلات المتخصصة والعامة، تلك هي الروائية والأديبة العراقية المبدعة ناصرة السعدون.

ولأهمية ما كتبت وترجمت من مؤلفات أثرت المكتبة والثقافة العراقية والعربية ورفدتها بروائع الأدب العالمي فضلاً عن فوزها بأرفع جائزة أدبية عربية، فقد كان لنا وقفة لتتجاوز مع الفائزة العراقية الأولى بجائزة (كتارا) الدولية للرواية العربية في قطر بنسختها لعام 2015م/ فئة روايات منشورة عن روايتها الأخيرة (دوامة الرحيل):



* لا شك أن المتتبع للحركة الثقافية في العراق يؤشر أفولاً أحياناً وارتقاءً أحياناً أخرى فمن وجهة نظرك لماذا هذا التذبذب؟

– ربما يعود الأمر إلى المتغيرات العميقة والجذرية في المجتمع العراقي مما يؤثر سلباً وإيجاباً على الأعمال الإبداعية كافة حيث يعاني المشهد الثقافي في العراق من انكفاء واضح بعد 2003م ومع ذلك نرى اتساعاً كبيراً لمساحة الإبداع العراقي في المهجر إذ نشهد نشر العديد من الأعمال الأدبية والفنية والعلمية لعراقيين اضطروا لمغادرة العراق بعدها.

*لو استعرضنا ما قدمه العراق من كفاءات إبداعية نسوية في مجالات الأدب والمعرفة كافة لشعرنا بالزهو فلماذا لا يكون هناك خيمة أو لنقل محفلاً أو تجمعاً يضم المبدعات العراقيات

على اختلاف توجهاتهن يدعم نتائجهن مادياً ومعنوياً؟

– لا يمكن فصل الإبداعات النسوية في العراق عن الإبداع عموماً وهو ما يثير الزهو حتماً أما الخيمة كما تسميها فلا أظن أن من مصلحة الإبداع عموماً التمييز بين الرجل والمرأة بخاصة في هذا المجال فضلاً عن ذلك علينا أن لا ننسى الشتات الجغرافي للمبدعين العراقيين فهم يتوزعون بين قارات الكرة الأرضية ولولا الإنترنت لما عرفنا ما أنجزوا!

* أين تضعين رواياتك في خانة الأدب الواقعي، أم الرمزي، أم الرومانسي، أم التسجيلي؟

– يجدر توجيه هذا السؤال إلى النقاد وليس للكاتب فحين أكتب عملاً روائياً لا أستطيع حصره في زاوية تصنيف معين أياً كان وأتمنى على نقاد الأدب أن يلتفتوا إلى نقد الأعمال الأدبية العراقية بدلاً من نشر الدراسات عن مشاهير الكتاب في العالم والانغمار في تنظيرات بعيدة عن واقع حياتهم.

* لقد كان لك دور خلاق في مجال البحوث والدراسات كجزء من نشاطات وزارة الثقافة والإعلام سابقاً فهل أنت مستمرة في هذا النهج؟

– تحتاج البحوث والدراسات إلى استقرار نفسي وبيئة مناسبة، وبعد 2003م لم تعد هذه البيئة متوفرة وهذا من بين الأسباب التي جعلتني أبتعد عن هذا المجال فكرست جهدي الثقافي في أعمال الترجمة والرواية.

* ما هو تقييمكم للرواية العراقية الحديثة وهل تبوأَت موقعها الحقيقي، أم أنها تعاني الإقصاء والتهميش، أو لنقل الانحدار؟

– الرواية العراقية الحديثة تمتد بامتداد القرن العشرين وحتى اليوم لكنها ولظروف كثيرة ظل توزيعها ضمن جغرافيا العراق ولم تنتشر إلى الوطن العربي باستثناء ما نُشر في بيروت أو القاهرة وهذا من بين الأسباب التي يمكن ذكرها لعدم شهرة الكاتب العراقي في الوطن العربي، أما (الإقصاء والتهميش) فلا أظنه متعمداً لأن هذا الوطن باتت تمزقه الحدود والرقابة مما حدا بالإبداع أن ينحصر في الحدود التي وضعت.

*نأسف لمحلية الإبداع العراقي سواء على صعيد القصة، أو الرواية، أو الشعر الحر والعمودي، فهل أن مرد هذا القصور الى الكاتب، أم الى القاص، أم الى الناشر، أم الى الشاعر، أم ماذا؟! وهل تُرجمت نتاجاتنا الأدبية إلى لغات العالم المختلفة؟

– محلية الإبداع العراقي في المجالات كافة لا يعود إلى الكاتب بالتأكيد فالكاتب أصلاً يعاني من صعوبة النشر ولا أقول الانتشار، فهذا طموح كان من الصعب تحقيق هو ما يزال لهذا أعتقد أنه يعود إلى قصور عملية توزيع الكتب بين أرجاء الوطن العربي وارتفاع تكاليفها وعدم استخدام الوسائل الحديثة في النشر مثل النشر المشترك أو



النشر الإلكتروني، فكم من النتاج العراقي الرائع ظل محصوراً في حدود القارئ المحلي ولم يصل إلى لبنان وتونس ومصر مثلاً، ولا أقول إلى العرب المنتشرين في المنافي، أما بالنسبة للترجمة فقد صدرت ترجمات قليلة جداً لبعض كتابنا العراقيين وبجهود ذاتية لا غير.

* قيل قديماً الكتاب أو الرواية تُؤلف في مصر وتُطبع في لبنان وتُقرأ في العراق ترى هل ما يزال الوضع على ما هو عليه؟ وهل أثّرت الثورة التكنولوجية على ذائقة القارئ العربي عمومًا، والعراقي على وجه الخصوص فضلاً عن ثقافته؟

-هذا القول صحيح حتى نهاية القرن العشرين أما بعدها فيصعب قياس الأمور لأسباب شتى من أهمها الثورة التكنولوجية، واضطراب الوضع السياسي والاجتماعي والثقافي في الوطن العربي ككل بخاصة بعد 2003، أما بالنسبة للثورة التكنولوجية فقد أثّرت بالتأكيد على ذائقة القارئ العربي والعراقي فقد فتحت أمامه أبواباً واسعة لينهل منها خصوصاً بين شريحة قراء الكتب الإلكترونية التي جعلت المثقف يتخلص من عبء الكتاب الورقي ويقلص الحيز الذي تشغله المكتبة إلى حجم طابع البريد على شاشة الحاسوب ولا ننسى في هذا المجال اغتراب الكثير من المثقفين عن بلدانهم مما جعلهم يتخلون عن نقل كتبهم ومكتباتهم لصعوبة نقلها وبالتالي حل محلها الكتاب الإلكتروني هذا مجال جديد يستحق المتابعة والتوسع باستخدامه سواء في قراءة الكتب أو في نشرها وتوزيعها إن وجدنا من يهتم بهذا الجانب ويكون الرائد فيه.

*الشعر غذاء الروح ودواء القلوب العليقة فهل لك سهم في هذا الفن أسوة بالرواية.. وهل هناك ديوان مطبوع أو مخطوط في شتى فنون الشعر العمودي والحر والشعبي؟

— تُمتعني قراءة الشعر كثيرًا لكنني لم أجرب يومًا كتابته، كتبت المقالة والرواية وترجمت العديد من الكتب لكنني لم أكتب الشعر فهذا ليس مجال اهتمامي. أشعر أن الرواية هي ما يجعلني قادرة على التعبير عن ذاتي أكثر من الشعر أو حتى القصة.

*يقول هنريك أبسن، عندما أستحضر شخصياتي وأعيش معهم أغلق باب غرفتي.. فهل البيئة التي تصنعنيها وتكتبني عنها فضلًا عن شخوص رواياتك مستلهمة من الواقع المُعاش ومستوحاة من الذاكرة الحبلية بالهموم، وأعني بها هموم الوطن، وهل لك طقوس خاصة في الكتابة؟

— قد يغلق هنريك أبسن باب غرفته لكن أجد هذا مستحيلًا بالنسبة لي كما لا أشعر بضرورته. ما أكتبه أغلق عليه باب عقلي وبالتالي أظل أفكر بالرواية وأحداثها وأتماهى مع شخصياتها. وحين أفتح ملف (الفصل الأول) من روايتي على الحاسوب أبدأ بكتابة ما قمت بصياغته في الليالي السابقة وأتواصل مع شخوص الرواية لا بل أتماهى معهم. أضحك وأبكي وأبتسم لأفكارهم وأحداثهم. الذاكرة حبلية بالأحداث والأشخاص فأستحضر ما أحججه من خزين الذاكرة لأوثق روايتي. هموم الوطن حاضرة دومًا في أعمالي الروائية ليس من باب الوعظ أو التوثيق بل لأن حياتي هي جزء من هموم هذا الوطن التي عاصرتها وشاركت في الكثير منها لهذا فما يمكن أن توصف به أعمالي



الروائية هي كونها تمزج بين العام والخاص. من البيئة وتفاعل الشخوص معها. أما فيما يتعلق بالشرط الأخير من السؤال حول الطقوس الخاصة بالكتابة فلا أسميها طقوسًا فأنا أواجه الحاسوب ليلاً ونهارًا أضخ في ذاكرته ما يجول في ذهني وحين يبدأ مشروع الرواية بالتكامل في ذهني أبدأ بالكتابة والطقس الوحيد الذي لا يفارقي قط هو سماع الموسيقى في جميع الأوقات خصوصًا أثناء كتابة الرواية وأظن هذا واضحًا في أعمالي التي لا يخلو أي منها من ذكر للموسيقى أو بعض الأغنيات.

* من تعتقدين جازمة هو الصنف الذي يقرأ رواياتك ويتأثر بها، وما هي الرواية الأحب إلى قلبك؟
— لا أستطيع الجزم بكينونة من يقرأ أعمالي الروائية لكنني أعرف أن الكثير من الشباب يقرأني والكثير من الشيوخ من أمثالي أيضًا تروق لهم قراءتها. وعرفت مؤخرًا أن أطفالًا بعمر العاشرة قرأ بعضهم أعمالي الروائية. لا أدري..

ما أحب أعمالي؟ هذا سؤال تقليدي وصعب في آن واحد لكني أظن أن روايتي الأخيرة (دوامة الرحيل) هي أهم ما كتبت سواء بأحداثها أو شخصياتها.

* معلوم أن شكل النتاج الأدبي مهم جدا في انجذاب القارئ كيف تختارين مصممي أغلفة الروايات؟ ولماذا اخترت التشكيلية وداد الأورفلي، لتصميم غلاف روايتك الأخيرة؟
– لكل رواية حكايتها.. وغلافها يهمني لأنه بطاقة الدعوة للقارئ لكي يفتح الغلاف الذي يروقه وفي الوقت نفسه يعبر عن ماهية الرواية عادة ما أختار لوحة الغلاف ليقوم المصمم بإضافة العنوان واسم الكاتب عليه أما سبب اختيار لوحة الصديقة وداد الأورفلي غلافًا لرواية (دوامة الرحيل) فأتذكر لك أن تقرأ الرواية لتجد الجواب على سؤالك، فإن وداد الأورفلي، حاضرة فيها ولهذا طلبت الإذن منها لوضع واحدة من أحب لوحاتها إلى قلبي لتزين روايتي.

* حدثينا قليلا عن هذه الرواية؟

– لا أجد التحدث عن أعمالي الروائية وأفضل أن أترك للقارئ الاستمتاع بقراءتها والسير مع أحداثها بكل ما فيها من أحزان وأفراح من حيرة وقلق. لكن يكفي القول أن (دوامة الرحيل) هي حكاية الرحيل عن العراق، وهذا الرحيل هو الدوامة التي يجابهها العراقي من حيوات جديدة في بلدان الاغتراب والقرارات الصعبة التي يجب عليه اتخاذها في كل موقف. فيها بعض الاستشراف لما يمكن أن يكون عليه العراقي في حياته الجديدة بعيدًا عن بيئته التي تم اقتلعه منها وزرعه في بيئة جديدة غريبة عليه وكيف يمكن أن يكون الحب لدى هؤلاء الشباب الذين اقتلعوا من أرضهم في عمر الحب، أظن أن البقية يمكن معرفتها بعد قراءة الرواية.



* لماذا برأيك لم يفز أحد من روائيينا بجائزة البوكر العربية باستثناء رواية "فرانكشتاين في بغداد"؟ ولماذا لم تتحول رواية واحدة من رواياتنا إلى فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني عربي أسوة بروايات إحسان عبد القدوس، ونجيب محفوظ، وأسامة أنور عكاشة، وغيرهم؟

– نيل الجوائز يحتاج إلى انتشار وترويج وهذا ما نفتقده لما نشر من رواياتنا والبوكر العربية لم يمض على قيامها سوى بضعة أعوام أما بالنسبة لتحويل أعمالنا الروائية إلى أفلام أو مسلسلات فعلياً أن لا ننسى أن مصر هي أم السينما العربية لذلك من الطبيعي تحويل أعمال كتابها إلى أفلام ومسلسلات وما يجدر ذكره في هذا المجال أن القناة الفضائية العراقية تعاقدت معي في عام 2002 على إنتاج (أحلام مهشمة) لعمل

تلفزيوني ولكن ما حدث عام 2003 وما تلاه وأد الفكرة قبل ولادتها وما يزال سيناريو (أحلام مهشمة) بصيغة كتاب ورقي أمل يوماً إصدار طبعة ثانية منه كما فعلت مع روايتي (أحببتك طيفاً). أما تحويله إلى مسلسل فهذا قرار يرجع للمنتجين والقنوات الفضائية العربية العديدة، فهو سيناريو مسلسل متكامل يتحدث عن الحب في زمن الحصار، وليس هذا تشبيهاً لرائعة ماركيز (الحب في زمن الكوليرا)، بل لأن هذا السيناريو يطرح بالفعل حكاية

حب شايبين طموحين يقف الحصار في وجه تحقيق طموحاتهما هو سيناريو أتمنى إنتاجه ليعرف العالم معاناة شعب العراق وشبابه في تلك الفترة التي امتدت على مدى ثلاثة عشر عاما.

*كيف تنظرين إلى واقع الرواية العربية والعراقية في الوقت الراهن، وما هو انطباعك عما تكتبه أحلام مستغانمي؟

– الرواية العربية هي انعكاس للواقع العربي حاضراً وماضياً ومستقبلاً الرواية العربية بخير ما دام الروائيون ينتجون أعمالاً جديدة، ولا شك أحلام مستغانمي وغادة السمان ولطفية الدليمي وغيرهن قامات بارزة في المشهد الثقافي العربي وثمة أسماء أخرى تستحق الذكر في هذا المجال.

*كلمة أخيرة تودين إضافتها؟

– أتمنى على دور النشر العربية أن تخطو الخطوة العملاقة الأولى في مجال النشر الإلكتروني ولا تتخلف عن ركب التقدم الذي شهده العالم منذ سنوات فهذا المجال الحيوي يضمن نشر الثقافة العربية في جميع أرجاء الأرض ويوسع نطاق الاطلاع عليه وربما ترجمة ما يستحق الترجمة منه إلى اللغات الأخرى الاقتصار على النشر الورقي قد انحسر في العالم وما نزال نصر على الاكتفاء به برغم ما يشوبه من صعوبات وتكاليف باهظة. تجدر الإشارة إلى أن السعدون كانت قد فازت ضمن المرتبة الأولى لجائزة كتارا للرواية العربية لعام 2015 في قطر عن روايتها (دوامة الرحيل) فئة الروايات المنشورة، فيما فازت الروائية العراقية ميسلون هادي، عن رواية (العرش والجدول) في فئة الروايات غير المنشورة في ذات المسابقة الدولية.

(*) حوار المنثور في صحيفة الزمان / طبعة العراق، بتاريخ 9/ تشرين الثاني/ 2015

***خارج النص

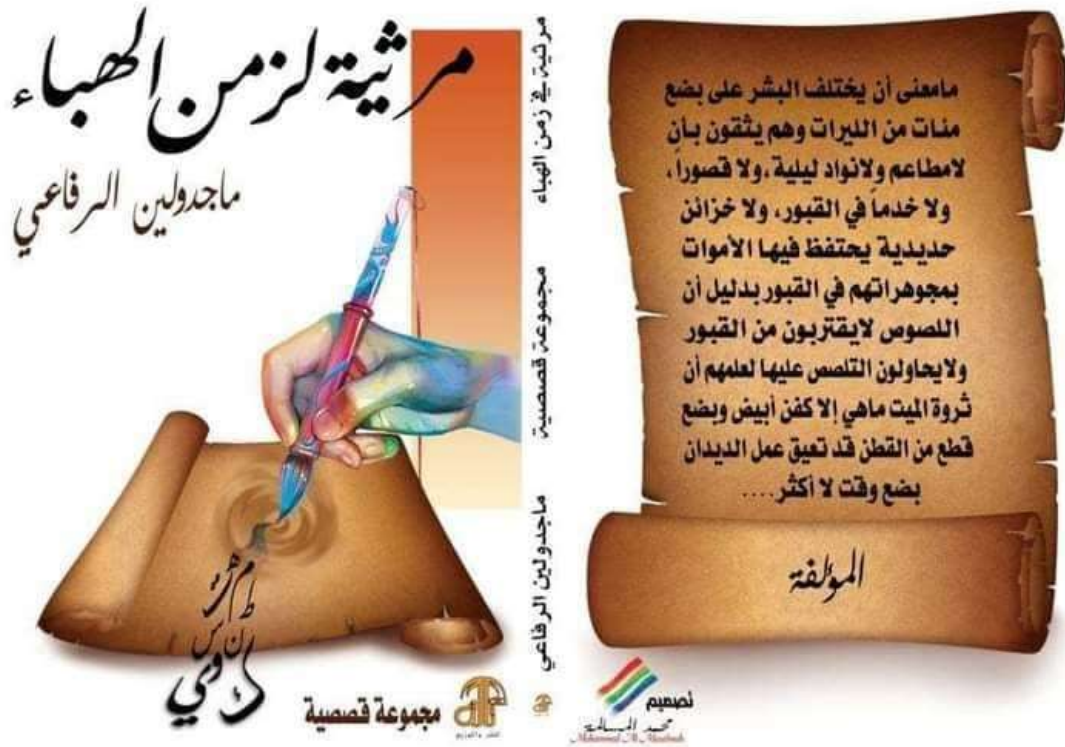
وداعا يا من أحببت العراق طيفا وعشت دوامة الرحيل!

كان المثقفون والأدباء في أرجاء الوطن العربي قد أبنوا ونعوا وبمزيد من الرضى بقضاء الله وقدره، رحيل الروائية والأديبة والمترجمة العراقية الكبيرة، ناصرة السعدون، التي وافاها الأجل المحتوم بعد معاناة مع المرض في يوم الجمعة، الأول من رمضان من عام 1441هـ، الموافق 2020/4/24 عن عمر ناهز الـ 74 عاما في العاصمة الأردنية عمان.

وبرحيلها ترجلت قامة عراقية أخرى من قامات الأدب والثقافة في أرض الغربة، وهكذا تموت نخلة عراقية باسقة بصمت في أرض المهجر، وهكذا تودعنا شجرة مثمرة سامقة بعيدا عن صخب الواقع وضجيج الحياة، بعيدة عن موطنها ومسقط رأسها العراق منهل المبدعين ورحمهم الولادة على مر الأزمنة والعصور، إنه قدر المثقفين والكتاب والأدباء والإعلاميين العرب أن يموت الكثير منهم فرادا، غرباء بعيدا عن أوطانهم، وقدرنا نحن تلامذتهم أن ننعاهم ونؤبئهم ونعزي أنفسنا بفقدهم ودموعنا التي جفت حبسة المآقي والمقل وعزاؤنا ما تركوه لنا من معين ثقافي ثر دافق يدفعنا لأن نهمل منه في كل وقت وحين..وداعا يا من "أحببت العراق طيفا" وعشت وحيدة"دوامة الرحيل" رحمك الله تعالى، وأسكنك فسيح جناته

طائر حلق بجناحي ماجدولين الرفاعي في سماء الحرية الملبدة بالدخان والصواريخ الباليستية والأرواح البريئة! (*)

أديبة سورية مغتربة في هولندا كانت قد ولدت وترعرت وشبت عن الطوق بين أحضان الطبيعة في حمص – هكذا تتحدث عن نفسها – لكنها حورانية ونشأت بين جنابات درعا الموغلة في الجمال وفي حاراتها الدافئة بالمحبة فتشبت بمكتباتها العامرة بأساطير الأولين وبرييعها الخلاب الذي منحها حب البحث عن سر الوجود وكنه الحياة وبما انتهى بها الى محطة روائية ماهرة بعنوان (وكان اسمها سوريا) تدور أحداثها في زمن البراميل المتفجرة مستعرضة مجريات الأحداث في بلادها الجريحة، سورية، مع التعرّيج قليلا إلى شقيقها في الجرح، المعذب الأزلي العراق أو " بلاد ما بين النارين " كما يحلو لبعضهم تسميته لكثرة أحداثه ووقائعها المؤلمة التي تحز في النفس على الدوام منذ سقوط بغداد على يد المغول بقيادة هولاكو سنة 656 هـ وحتى كتابة السطور، وأخال بعدها أيضا!!



* ماجدولين الرفاعي حديثنا عن (وكان اسمها سوريا) التي وصفتها بأنها رواية تهبُّ من بين سطورها رائحة النعناع والزعر البري وياسمين الشّام وعطر ماض كان يرقص ذات أمان على موسيقا الفرح ويتمايل طرباً مع مواويل السّمّار في ليال صيفية تغازلها النّسمات وضحكات العاشقات وهنَّ يعبرنَ نهر اللّهفة إلى ضفة العشاق. -كم بكيت وأنا أوثق عنوان الرواية وكان بودي لو تحدث معجزة قبل نهايتها فأقوم بتغيير العنوان ربما الى عناوين أكثر تفاؤلاً وربما كان العنوان أغنية أو قصيدة أو راية نصر مرفرفة كسارية سفينة ولكن وللأسف الشديد انتهت الرواية وانتهت معها سوريا من دون أن تتغير معالم الأحداث والنتائج!!

"كان اسمها سوريا " عصارة وجع عايشته إذ ماتزال سوريا على مدى خمس سنوات تحت نيران النظام وبراميله المدمرة وسجون العفنة التي يدخل إليها المعتقل ولا يخرج منها إلا الى مقبرة في الغالب تكون مقبرة جماعية في مكان مجهول فقد وثقت في روايتي وبقالب سردي سلس الوضع المزري التي وصلت إليها البلاد وكيفية تعامل النظام)

= نظام بشار الأسد) مع المعتقلين والمعتقلات من تعذيب واغتصاب وقتل...تسرد الرواية طرق اللجوء والتشرد والوجع والخيبة التي احتلت القلوب، وباختصار شديد فأن روايتي الجديدة تجسد معاناة وطن كان اسمه سوريا!

* "نصوص خارجة عن القانون" و"مرثية لزمن الهباء" و"زوريا مرة أخرى" و"ضجيج منتصف الصمت" وغيرها، مجموعات قصصية ونثرية وروائية أتحت بها جمهورك العربي من المحيط الى الخليج على مدار سنين، فيما ترجم بعضها الى الإيطالية والإنكليزية، ترى أين تجد ماجدولين الرفاعي نفسها أكثر، في النثر، أم في القصة القصيرة، أم في الرواية الطويلة؟
-أحيانا تجرني الفكرة من يدي وتدعوني لتناول فنجان قهوة معها ودون شعور منها أوثق تلك اللحظات المبدعة فألبسها ثوب القصة أو ثوب الرواية.



* أنت القائلة: "مشاعري بعد دمشق هشة كمنديل عتيق يصعب عليها كفكفة دموع قهرك"، فما هي رؤيتك يا عاشقة دمشق الى مستقبل الأزمة السورية، هل هنالك من بصيص أمل في نهاية النفق المظلم، أم لا؟!

-لست ضليعة في السياسية لكن عندما يتعلق الأمر بسوريا فإن جميع حواسي تتكاتف لإستنباط رؤية تشير ولو بأصبع واحد الى جديلة الشمس التي قد يتناثر شعورها ذات هدنة، أو حلّ سحري، أو ربما معجزة فمجريات الأحداث لا تبشر مطلقا بصباح الديك الذي أقلقت نومه المدافع فالدول المتحالفة مع النظام أرادت لنا أن نعيش ألف ليلة وليلة من الظلم طالما شهريار الأسد يتوعد بقتل دمشق وجزّ أمنها وأمانها وبرغم طبيعتي المتفائلة إلا أنني لا ألمح أي بصيص أمل في نهاية نفق الخيبة أو شمعة يتراقص ليهيها على جدران ليل حالك طويل.

* من بديع كلماتك قولك "لأن الكلمة الحرة رصاصة، ازدهرت أسواق الدروع الواقية" فهل الصحافة الحرة اليوم بحاجة الى اختراع كلمات وأساليب مضادة للرصاص للنفاذ الى عقل وقلب وضمير المتلقي رغما عن أنف العوائق والخنادق والجدر والأسلاك والحواجز وشعارها ماقاله المتنبي يوما: وأسمعت كلماتي من به صمم؟
-وأين هي الصحافة الحرة في هذا الزمن الرديء؟ هذا زمن شراء الذمم وتلميع التماثيل لم تعد الصحافة حرة كما كانت قديما ولاحظ الآن في العراق وسوريا وليبيا ومعظم الدول العربية مئات الفضائيات والاذاعات وكل واحدة منها تتبع لسياسي أو حزب معين أو جهة سياسية خاصة تنطق باسمها وتلمع ممولها مهما كانت وضاعة ذلك الممول، أنا لا أعول إلا على الكلمة الحرة التي لا يمكن لأية جهة تسييسها أو تحجيمها...

الكلمة الحرة هي الرصاصة التي تصيب قلب الزيف في مقتل لذلك تبتعد عنها جميع وسائل الإعلام الصفراء ودعني أندد من خلال هذا الحوار بالشللية الإعلامية التي تجمع حولها من يطبل لساستها وتبعد الأكفاء وأصحاب الكلمة الحرة الصادقة النقية ولذلك ورغم انتشار الصحف والمجلات وجميع وسائل الإعلام، ورغم وجود وزارات وحكومات جديدة لم ألاحظَ باهتمام أية وسيلة من تلك الوسائل رغم مراسلتي لأكثر من صحيفة وخاصة بعد

صدر روائي الجديدة التي تتحدث عن سوريا بينما وجدت الاهتمام من الصحف ووسائل الإعلام العربية ومدراء المهرجانات في الأردن والمغرب العربي (تونس، والجزائر، والمغرب) وسوف أشارك في مهرجان شعري في المغرب، وبعدها في ملتقى أدبي في اسبانيا وتونس وكلها دعوات صديقة لا علاقة للسياسة بها“.

* يرى شيخ المستشرقين الألمان كما يطلق عليه، تيودور نولدكه، الذي أتقن العربية، العبرية، والسريانية بأن اسم سوريا أو سورية مشتق من الإمبراطورية الآشورية التي أسست حضارة وثقافة واسعة في الهلال الخصيب، مع إبدال حرف الشين سينا، وهو أمر مألوف في اللغات السامية، كيف تنظرين إلى أخوة العراق وسوريا مستقبلا حتى أن بعضهم يحلو له ومنذ أمد نحت الكلمتين بـ”سوراقيا“!

-المشكلة ليست في الشعوب فكما تعلم ونعلم جميعنا فقد تعايشنا الشعوب مع بعضها منذ آلاف السنين من دون أن تؤثر الأماكن أو الخرائط على محبتهم لبعضهم بعضا وقد أكدت الحروب وما تبعها من هجرات هذه الحقيقة حيث استقبلت سوريا إبان الغزو الأميركي للعراق ما يقرب من مليون ونصف المليون عراقي عاشوا بيننا واستقبلناهم بكامل محبتنا واحترامنا وتعاطفنا مع غربتهم لبلادهم فكنا لهم خير إخوة وأهل، وعندما دارت الأيام استقبل الشعب العراقي الآف السوريين بذات الحفاوة والترحيب ولذلك أصر على أن المشكلة دائما وأبدا هي تلك الحدود والأسلاك الشائكة التي يفرضها السياسة ويرعاها الاستعمار رغبة منهم في شرح علاقات الشعوب الطيبة والحيلولة من دون اندماجهم مع بعضهم، فأكثر ما يخيف السياسة توحد الشعوب على كلمة واحدة وقلب واحد.



* ماجدولين الرفاعي تشعر بانجذاب إلى أبي تمام والبحري وابن زيدون والجاحظ، وتستجيب لنداءات توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، ويوسف إدريس..ماذا عن المتنبي والجواهري والسياب، وهل لهؤلاء في حب الرفاعي نصيب؟

-ليست تلك القامات التي ذكرتها وحدها التي شكلت حصيلي الثقافية ولكن هنالك الكثير من الكتاب منهم شعراء وبينهم مبدعون قرأت لهم وشدني كنوزهم وثراء مفرداتهم فالشاعر "نزار قباني" أسس لياسمين مفرداتي، و"ماركيز" شدني بقوة للرواية، وأما الشاعر الكبير "عبد الرزاق عبد الواحد" الذي كنت أجلس في أمسياته وقد حبست أنفاسي كي لا تشوش دقات قلبي على انسيابية تراتيله القدسية رحمه الله، كان قامة شعرية شامخة تشبه شموخ العراق ونخيله.

* كنت رئيسة تحرير تنفيذية لجريدة "الصوت"، ورئيسة تحرير لمجلة "ثقافة بلا حدود" الإلكترونية ومن ثم صاحبة "دار تالة" للنشر، حديثنا قليلا عن تالة ومنشوراتها وبالأخص أن روايتك الأخيرة "كان أسمها سورية" تمثل إحدى إصداراتها الحديثة؟



-لقد أعطيتني جريدة الصوت فرصة لإثبات جداتي الصحفية فقد توليت الإشراف على أكثر من قسم فيها وكنت مسؤولة الصفحات الثقافية والفنية والأخيرة إضافة الى عمودي الثابت على الغلاف الأخير وأيضا كنت المسؤولة المالية للجريدة التي واجهت الكثير من العقبات والتحديات فاستطعت برفقة الزملاء النهوض بها لدرجة التألق، وأما دار تالة فقد أسستها لتكون رديفا لجريدة الصوت فاستقطبت كثيرا من الكتاب ومن مختلف الدول العربية، وطبعت بسعر التكلفة مئات الكتب الفاخرة كي أحرر زملائي الكتاب من جشع وطمع بعض دور النشر وقد نجحنا أيضا في إقامة معارض الكتب وحفلات توقيع الإصدارات، نظمنا العديد من المهرجانات والمسابقات الأدبية، وأفتخر جدا بما قمت به، ولكن بسبب تركي لسوريا خوفا على حياتنا فقد أغلقت "دار تالة" وطبعت روايتي التي لا يمكن طباعتها في سوريا كونها تتناول النظام وتعرية وقمت بطباعتها في "دار فضاءات" في الأردن، وهي دار مهمة جدا يديرها الزميل الشاعر "جهاد أبوحشيش" وهو شاعر فذ.

* عشقك لفيروز ولصباحاتها العالقة في ذاكرتك جعلك تقفين بالضد حيال ما نشرته مجلة الشراع اللبنانية عنها والتي زعمت على صفحاتها بأنها مؤيد للأسد، عاشقة للمال، كارهة للناس، وقد رددت عليها حينئذ بالقول "فلتفعل فيروز ما تشاء، فكفوا ألسنتكم وأكملوا وصلات مدحكم لسارية السواس، وهيفاء وهبي"، بماذا تعقبين على ذلك؟

-أظن أن ما كتبتة المجلة فبركة إعلامية من باب لفت الأنظار في زمن عزوف القراء عن الصحف الورقية فوضع الشارع التي نشرت فضيحة (ايران كونترا) عام 1986م غير وضعها اليوم، والزمن يغير كما الإدارة والجمهور، لذلك لم ولن نصدق ما جاء فيها عن فيروز التي أسس صوتها لصباحاتنا الندية، فمذ كنت طفلة وصباحاتي لا تحلو إلا بصوت فيروز، وعندما كبرت صار لفنجان قهوتي طقوسه الخاصة معها ومع ياسمين دمشق، كيف أصدق بأن فيروز التي رفضت كل البهرجة الإعلامية ولم توافق على إجراء أي حوار معها سواء أكان فنيا أو سياسيا وفي أية وسيلة إعلامية، بأنها تكره الشعوب، وتقف الى جانب الظلمة؟ أيعقل أن ينحني الهرم؟ فيروز التي غنت للشام وبيروت والقدس وبغداد ولكل العواصم العربية من دون أن تقرن تلك العواصم بحكامها قط، لن تكون إلا مع الشعوب التي عشقتها ومازالت تفتتح نهاراتها بصوتها الذي ينساب كجدول رقرق بين حقول محبتها.

* فزت بجوائز أدبية عديدة وشاركت في عشرات المؤتمرات الصحفية والأمسيات الثقافية والندوات الأدبية واللقاءات التلفزيونية، كما كرمت بأربعة دروع وقلادة إبداع، فهل هناك جائزة تطمحين بالحصول عليها وتحلمين بها مستقبلا؟

-الطموح لا حدود له كما النجاح تماما لذلك أسعى دائما إلى تطوير مهاراتي الكتابية للحصول على أرفع الجوائز، أما الجائزة التي أحلم بها هي تكريمي من أبناء بلدي في دمشق وعلى منابرهما بعد أن ينتصر الشعب وتعود لغة الحب والورد إلى قلوبهم ويعم السلام.



*مؤكد عند أدبية النرجس والياسمين والقداح، سنجد الجواب والمفتاح حول مصاعب وعقبات الطباعة والنشر والتوزيع التي تواجه الكتاب والمبدعين العرب، فشاعرة الياسمين وأديبة سورية وكاتبتها المعروفة ماجدولين الرفاعي، كان لها مؤاخذات على عملية نشر وتوزيع مطبوعها "وكان اسمها سوريا"، كذلك مجموعتها السردية الأخرى "مرايا امرأة من برج الحب"، علاوة على مجموعاتها القصصية والسردية السابقة "قبلات على الجانب الآخر" و"تداعيات شجيرة الزيزفون" و"تالة ومشاكسات أخرى"، فماهي مؤاخذاتك وانطباعاتك حول الموضوع، وماهو رأيك بهذا الصدد؟

- عندما طبعت كتابي الأول في دمشق كنت مأخوذة بفكرة صدور أول عمل لي ولم أهتم بالتفاصيل بداية لكنني وبعد استلام المجموعة لاحظت أن الطباعة سيئة ولم أعلق على الموضوع إطلاقاً، ومع أن لي وبموجب العقد المبرم نسبة ٤٠ % من المبيعات، إلا أن دار النشر لم تدفع لي فلساً واحداً برغم أنها باعت الكتاب حتى على المواقع الإلكترونية، وهكذا ضاع حقي في الكتاب تماماً. بعد ذلك أسست دار تالة للنشر والتوزيع في دمشق وطبعت جميع الكتب التي أصدرتها قبل خروجي من سوريا. ولكن وبعد وصولي إلى هولندا طبعت روايتي (وكان اسمها سوريا) في دار أخرى، لأنني كنت حديثة عهد بأوروبا وظروفي كلها متداخلة مع بعضها فلم أنتبه إلى بنود العقد المجحف ومدته خمس سنوات ولا إلى نسبي من المبيعات، وخلال مدة العقد باعت الدار الرواية في المعارض وعلى المواقع الإلكترونية (جملون) وغيرها من دون أن أحصل من كتابي على فلس واحد أيضاً، علماً أن كلفة الطباعة (١٠٠٠) يورو، وكلفة شحن 100 نسخة لي (هي حصتي) وبما كلف أكثر من (٢٢٠) يورو. أما كتابي الأخير وهو مجموعة سردية فقد طبعتها في دار ثانية لأن صاحبها صديق لي وللأسرة وتمت طباعتها باتفاق ينص على أن يكون لي نسبة ٥٠ % من المبيعات إضافة إلى عشر نسخ لي مازلت انتظر وصولها منذ شهر تقريباً وتكلفة شحنها يقارب (١٢٠) دولاراً، وربما يزيد المبلغ بنفس القيمة إذا ما طلبت الجمارك ترسيمها. وبالمجمل فإن الكاتب هو أضعف الأطراف في موضوع الطباعة والنشر!



*وما هو الحل برأيك لتجاوز عقبات ومعضلات النشر الورقي الذي يعاني من جرائه كتاب وأدباء الوطن العربي عموماً وبما أسفر في نهاية المطاف عن إحجام الكثير منهم عن طباعة نتاجاتهم الأدبية، أو التريث في ذلك طويلاً قبل دفعها إلى المطبعة؟

- أولاً: على الحكومات إحترام الكاتب ومساعدته مادياً في موضوع الطباعة والنشر المرهقة جداً للكاتب. ثانياً: إلا تتم العقود مباشرة بين الكاتب والدار، بل في مكتب أحد المحامين، أو عن طريق جهة قانونية مختصة بحقوق المؤلف لحماية من أي تلاعب في كتابة العقد وفي تحصيل الحقوق المدونة في العقد.

* كلمة أخيرة تودين اضافتها قبل أن أتأبط أوراق لي مضي كل واحد منا الى غايته وسط عالم ديستوبي كالج، صار دستور شريعة الغاب، و قانونه المخلب والظفر والنا ب؟
-دعني أولاً أتقدم منك بجزيل الشكر لإهتمامك بخبر صدور روايتي (وكان اسمها سوريا)، وأما ثانياً فأنا جد فخورة بهذا الحوار لأن من أجراه معي هو صحفي طالما أبدت اعجابي بمقالاته التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على حرفية عالية في فن الصحافة والإعلام.

(*) حوار المنشور بجزئه الأول في صحيفة "الحوار المتمدن" في زاوية الأدب والفن، العدد: 6504 – الصادر بتاريخ 2 / 3 / 2020
-وبجزئه الثاني المنشور بذات الصحيفة والزاوية، ضمن العدد: 6691 – الصادر بتاريخ 29 / 9 / 2020.

كُتَابٌ ومبدعون عرب.. في مهبط ربح "دكاكين" الطباعة والنشر والتوزيع التجارية! (*)

* الدكتور أمجد الجنابي: على المؤلف أن يلتزم بمعايير الجودة في التأليف وعلى دور النشر مراعاة الإنصاف والعدل وعدم بخس المؤلف حقه المعنوي والمادي.

* الدكتور خالد فائق العبيدي: المؤلف العربي صار أمام خيارين.. أما أن يكتب وينشر على حسابه الخاص وأما أن يقبل بشروط دور النشر وبما لا يوازي جهوده وتأليفه ووقته.

* الشاعر سامي طه: الناشر يفرض نسبة تبلغ النصف أو أكثر مقابل خدمة التوزيع وحدها مع تحمل المؤلف كلفة إنجاز المطبوع وإيصاله إلى مخازن الناشر.

* الإعلامي عماد عبود: انتشار الكتاب الإلكتروني على حساب نظيره الورقي والظروف العامة أثرت على سوق الكتاب مع تلكؤ بعض دور النشر وعدم الوفاء بالتزاماتها.

يوم يمم الكاتب عدي عادل (45 سنة) وجهه شطر إحدى دور النشر والتي تحوّل العديد منها إلى أشبه ما يكون بـ "دكاكين تجارية" يحدوه الأمل بطباعة باكورة أعماله الأدبية، لم يخطر بباله أن مفاوضات طبع الكتاب ستكون صعبة وصادمة إلى الحد الذي أصابه بالإحباط وجعله يعيد النظر ويتريث بفكرة طباعة بقية كتبه المخطوطة والتي ما يزال يحتفظ بها في درج مكتبته المنزلية، المفاوضات بدأت بتخيره بين التنازل عن حقوق الطبع كاملة لصالح دار النشر مقابل 40 نسخة من كتابه فقط، وبين طباعة الكتاب بأسعار باهظة على أن يتولى بنفسه عملية النشر والتوزيع، ولم تنته المفاوضات بمساومته على إدراج اسم أحد السماسرة-الحثلك- ككاتب بالإشتراك معه في التأليف وليس في الترجمة أو التصميم أو التنضيد أو الطباعة أو الترتيب كما جرت عليها العادة، مقابل تحمل نصف تكاليف الطبع، كل ذلك من دون عقد مبرم لضمان حقوق الطرفين يتضمن شرطاً بعدم طبع الكتاب مستقبلاً من دون علم المؤلف، مع التعهد بإعلامه بكميات النسخ المباعة وحجم الواردات، في فوضى عارمة ناجمة عن عدم وجود قوانين فاعلة وراذعة للحفاظ على حقوق الملكية الفكرية وتنظيم قواعد وضوابط الطباعة والنشر والتوزيع!

وبينما يحتفل العالم بأسره سنوياً في الـ 23 من نيسان / أبريل باليوم العالمي للكتاب وحقوق المؤلف التي أطلقتها منظمة "اليونسكو" في وقت سابق للترويج للكتب والقراءة وحقوق النشر، وإبراز قيمة الأدب في المجتمع، فإن المؤلف والكاتب العربي عامة ما زال يعاني من طباعة ونشر وتوزيع مؤلفاته، ناهيك عن الصعوبات التي يواجهها في المحافظة على حقوق الملكية الفكرية، وللوقوف على أبرز المصاعب التي تواجههم، وأشد العقبات التي تعترض سبيلهم نضع تحقيقنا الصحفي " كُتَابٌ ومبدعون عرب في مهبط ربح -دكاكين- الطباعة والنشر والتوزيع التجارية" على الطاولة النقاش للاستئناس بطروحات وآراء ومقترحات نخبة من المفكرين والأدباء والأكاديميين العراقيين...

العقود الرصينة جزء من الحل

يرى الدكتور أمجد الجنابي، وهو روائي وأكاديمي ومقدم برامج تلفزيونية، ومن مؤلفاته رواية "توأم وعواصم" ورواية "الكأس الشاهدة" و"الرئيس الخادم" وغيرها، أن "طبيعة العقد الذي يتم إبرامه بين المؤلف والناشر هو الأصل في تحصيل حقوق الطرفين، ولا يخفى على الجميع أن كل طرف يبحث عن مصلحته في هذا العقد، وهذه المصلحة في الغالب مادية لدار النشر ومعنوية للمؤلف قد يجتمعان معا في ظروف استثنائية لدى الطرفين"، مضيفا "وأقترح أن تسعى دار النشر إلى عمل عدة نماذج من العقود تتناسب وحاجة القارئ والمؤلف وتترك الخيار للمؤلف مع مراعاة الإنصاف والعدل وعدم بخس المؤلف حقه المعنوي والمادي وأن تسعى دار النشر بعد ذلك إلى الوفاء بكل بنود العقد بعد إبرامه وهذا للأسف ما تتنصل عنه أغلب دور النشر إلا ما رحم الله".

ويسترسل الجنابي بالقول: "بالمقابل على المؤلف أن يلتزم بمعايير الجودة في التأليف من حيث الفكرة والأسلوب واللغة والهدف فيبذل قصارى جهده لإضافة نوعية إبداعية للمكتبة العربية والإسلامية سواء كان الكتاب تجميعيا أو منهجيا أو إبداعيا كالروايات والقصص القصيرة ودواوين الشعر.. ولو لخصنا الأمر لخرجنا بعبارة جامعة: العقد والوفاء به من الطرفين".

أما بشأن أبرز ما يواجهه الكاتب المحلي من مصاعب جمة مع دور النشر الأمر الذي ألجأ الكثير منهم إلى اعتماد آلية النشر الإلكتروني بدلا من الورقي لتجاوز اشكالات الطبع والتوزيع فيقول الدكتور المهندس خالد فائق صديق العبيدي، وله أكثر من 69 مؤلفا، منها ما تم نشره عربيا ومحليا، ومنها ما يزال تحت الطبع "بالنسبة للتأليف والنشر، الأمر ينقسم إلى قسمين (الناشر والجمهور) باعتبار أن القسم الثالث - المؤلف - هو الجهة الرابطة بين الناشر والقارئ.

أما عن الجمهور (العربي خصوصا) فهو جمهور لم يعد كما كان في السابق شغوفاً بالقراءة والثقافة بسبب ما جرى عليه من مظالم أجبرته للتخلي عن بعض (الكماليات) مثل المطالعة، وليس كما هو حال الجمهور الغربي الشغوف بالقراءة حتى في زمن النشر والطباعة الإلكترونية، ولا يفوتنا التذكير بأن النشر الإلكتروني قد أثر فعلاً بشكل عام وفي كل أنحاء العالم على النشر الورقي الثقيل والمكلف، فبدلاً من أن تحمل معك حقيبة فيها 10 كتب تزن 15 كغم مثلاً فأنت تحمل في هاتفك المحمول مكتبة شاملة من آلاف الكتب، وربما حصلت على تلك الكتب الإلكترونية مجاناً ومن دون مقابل".

ويستطرد العبيدي "بالنسبة للناشر فإن العوامل آفة الذكر قد غيرت من طرق تعاملاته مع المؤلف، فهو في نهاية المطاف صاحب مشروع تجاري يبتغي الربح، أو على الأقل تقليل الخسائر، وبناء على ذلك تجد أن دور النشر صارت تقلل من حصة المؤلف سواء على مستوى شراء الحقوق كاملة أو على مستوى نسبة الأرباح التي تعطى له عن كل كتاب يباع. وبالتالي صار المؤلف (في بلداننا العربية حصراً) أمام خيارين، أما أن يكتب وينشر على حسابه الخاص، وهذا مكلف جداً ولا يخلو من مجازفة ومخاطرة قد تكون غير مأمونة العواقب، وأما أن يقبل بشروط تلك الدور في أن يكون له حصة لا توازي عمله ودأبه وجهوده وتأليفه ووقته، وهو أمر يكاد يكون قد اندثر لأن دور النشر اليوم لا تقبل حتى بهذا العرض البخس خوفاً من الخسارة، بل وتطالب المؤلف بأن يتحمل بين 80-100 % من التكاليف فيما تقوم بالمقابل بعمل التصميم والإخراج والتغليف والطباعة والتسويق والمتابعات القانونية المرتبطة بحقوق النشر وما إلى ذلك".

وفي معرض حديثه عن تجاربه في هذا المضمار يوضح العبيدي "عن تجربتي الشخصية، فقد تعاملت مع جميع تلك الأساليب، من: بيع الحقوق الكاملة مقابل مبلغ مقطوع، وأخذ نسبة على المبيع، وتحمل التكاليف كاملة، ولقد كانت تلكم الأساليب بمجموعها مجحفة بحقي لأنها تبخس الناس أشياءهم، ما عدا والحق يقال، تجربتي

مع جائزة دبي للقرآن الكريم، لأنها ووفق شروطها وعقودها تمنح مبالغ جيدة مقارنة ببقية الخيارات إلا أنها تبقى دون مستوى الحقوق المعطاة للمؤلف في الغرب ولعل هذا أحد أسباب تخلف البحوث العلمية والتأليف لدينا". أما فيما يتعلق بالنشر الإلكتروني فتابع العبيدي قائلاً: "أظن أن تجربة النشر الإلكتروني حالياً هي الأنسب ولاسيما بالنسبة لنا معاشر المؤلفين والباحثين فهي قليلة التكلفة وسريعة التسويق والنشر تدعمها تقنيات الفضاء الإلكتروني، ونقترح تفعيل دور النقابات المهنية المرتبطة بالنشر، ومؤسسات المجتمع المدني ذات العلاقة، كذلك ترشيح ممثلين إلى المجالس التشريعية والقانونية في البلدان العربية، وإيصال صوت المؤلفين والمفكرين والباحثين إلى الجهات المسؤولة لغرض إنصافهم، كما يمكن تشجيع طرق الاستثمار في النشر والتوزيع وتطوير عملها وتقنياتها، ويبقى ذلك كله مرهوناً بنظام البلد وحقيقة الرغبة لدى المسؤولين لتوسيع وتشجيع الثقافة والقراءة والبحث والتطوير والتأليف، إذ أن إرادة المسؤولين في بلداننا بيدهم المفتاح الذي يبدو أنهم أضاعوه!! والله المستعان.

حين يدخل الشعراء على الخط!

في مداخلة قيمة للشاعر والاديب العراقي المعروف سامي طه، وهو أحد عشاق شارع الأدب والثقافة العراقية "شارع المتنبي" ولكونه قريباً وبحكم عمله من دور النشر وهو على دراية بهوم المؤلف العراقي وما يواجهه من مصاعب جمّة في هذا الإطار قال:

"إن مشكلة الكتاب والشعراء مع الناشرين ودور الطباعة والنشر لها جذور تمتد لعشرات السنين، إلى عصر النشر الذهبي في منتصف القرن الماضي وما بعده من سنوات شهدت تحسن الأحوال المعيشية تمكن خلالها القارئ العربي من إنفاق مال أكثر لتلبية حاجاته الثقافية ورغبته في الاطلاع المتزايد على النتاج الأدبي القديم والحديث، وهنا بدأت الاشكالية بمحاولة بعض الناشرين استغلال هذا الاقبال وتحقيق أقصى ما يمكن من مكاسب بشراء حقوق النشر من الكتاب الكبار الذين حققوا شهرة كبيرة وشيوعاً واسعاً بين القراء.

وعلى مستوى عام فإن الناشر يفرض نسبة تبلغ النصف أو أكثر مقابل خدمة التوزيع وحدها مع تحمل المؤلف كلفة انجاز المطبوع وإيصاله إلى مخازن الناشر مع تأجيل دفع حقوق المؤلف إلى ما بعد نفاذ المطبوع، أما عن المطبوعات المرتجعة فهذه لا يتقاضى مقابلها أية مبالغ.

وأطرق طه رأسه ملياً قبل أن يواصل بوجه بحسرة قائلاً: "الحقيقة التي يجب ذكرها أن بعض الأنظمة قدمت خدمة لمئات من الكتاب والشعراء بنشر نتاجهم مقابل مكافآت مرضية رغم أنها قد لا تلي الطموح، لكنها كانت توفر مشقة تفاصيل الطباعة والتجليد أو التغليف وما يتعلق بذلك من تصميم ومتابعة ونحوها، ولكن لا يخفى على أحد ما يتطلبه ذلك من المبدع من ملاينة ومداهنة وبيع المواقف، ما مثل الوجه الثاني لأزمة النشر!"، مبيناً، أنه "وفي العراق وكذلك الحال في مصر وبقية الدول قد أسفرت الحروب أو تراجع الدخل القومي إلى تراجع الخدمات والميزانيات المخصصة لنشر الكتب، فيما تمخضت الأزمات الاجتماعية الناجمة عن الضغوط الاقتصادية عن انصراف القارئ وتجنبه الانفاق لشراء الكتب، الأمر الذي فاقم المشكلة أمام المؤلف وأدى إلى تقليص كميات الطبع التي قد يغامر المؤلف بطبعها وذلك لتجنب خسارة كبيرة قد تلحق به بسبب كساد المطبوع، وصار المؤلف بهذه الطريقة يتحمل كلفة كبيرة لطباعة كميات محدودة يذهب جزء كبير منها على شكل هدايا للأصدقاء والمهتمين ومن يأمل المؤلف أن يجد لديهم دافع الكتابة النقدية التي تسهم في تعريف الجمهور بجهد المؤلف حتى لا يضطر إلى دفع مبالغ إضافية للنقاد، وقد يكون الاستثناء المهم من بين كل ما ذكرناه هي مؤلفات المبدعين الأكاديميين ممن يحققون نتائج أفضل مع الناشرين والقراء".

وزاد طه بالقول "بالنسبة لي فقد نشرت على نفقتي الخاصة مجموعتي الشعرية الأولى في الثمانينات وكانت بعنوان (رجل النرجس) وتمكنت من سداد نفقاتها أو لنقل معظمها من المبيع لكنني عانيت متاعب جمّة في التوزيع. ثم نشرت روايتي الأولى مطلع التسعينات، وأذكر أن بعض أصحاب المكتبات قد تسلموا مني نسخ الرواية والمجموعة الشعرية إلا أنني لم احتفظ بالوصلات. وقد تبرع شقيقي الشاعر سعد الحجي بطبع مجموعة شعرية ثانية على نفقته ولكن في مدينة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية لدى "دار ليليت" للنشر التي قدمت أفضل عروض النشر متمثلة بما يسمى بالنشر مقابل الشراء حيث يدفع المؤلف ثمن المطبوع ويشتريه مقدماً من الدار إلا أنه يتعرض كما حصل معي الى مشكلة حرص الدار على تقليل كلفة الطبع من خلال تقليص حجم الحرف وحجم المطبوع، ومما يجدر ذكره أن اتحاد الأدباء في العراق قدم عروضاً جيدة للنشر بنصف الكلفة بين أن المؤلف سيبقى يعاني من المحسوبيات والعلاقات بهذا الشأن، ومع ذلك أفكر بتقديم مجموعة شعرية الى الاتحاد للإفادة من موثوقية المؤسسة الأدبية".

المشكلة المركبة بحاجة الى حل

الكاتب والاستاذ العراقي عبد الرحمن كاظم زيارة، وسبق له كتابة مقال مهم أوجز فيه أعقد ما يواجهه الكاتب العراقي مع دور النشر المحلية وقد حظي المقال بإهتمام واسع، فقد عقب على ذات الموضوع بالقول "بعد الإحتلال الأمريكي للعراق تراجع دور مؤسسات الطباعة والنشر الحكومية بشكل ملحوظ بما يمكننا القول معه بأن أداء الكثير منها وصل الى درجة الصفر، بالمقابل ظهرت أعداد كبيرة من دور الطباعة والنشر والتوزيع الخاصة التي لا تمتلك الإمكانيات الطباعية اللازمة ولا تتمتع بحرفية وثقافة صناعة الكتاب وتسويقه، لتظهر معها أساليب في التعاقد بينها وبين المؤلف أدت إلى موت الكتاب العراقي ذاك ان معظم هذه الدور لا تعدو ان تكون مجرد وسيط بين المؤلف والمطبعة وكل ما تفعله يتلخص بوضع اسمها على المطبوع، أما توزيع الكتاب ونشره فإنه معلق على اجتهاد المؤلف نفسه "مضيفاً" وبناء على ذلك قلت واقول ليس لدينا دور طباعة ونشر، بل مقابر للابداع العلمي والثقافي، ولك أن تحيط بحجم الفقر الثقافي ومقدار الجهل الذي يسوس معظم هذه الدور عندما تعلم بأن المطبوع العربي يصل إلى مكتبات بغداد بكل سلاسة إلا أن المطبوع العراقي لا يصل منه شيء إلى مكتبات بغداد نفسها!!".

وأردف زيارة "اللافت أن جميع الدور لا تتولى طباعة المخطوط على نفقتها وتوزيعه من قبلها وتقاسم العوائد بينها وبين المؤلف وهذا النوع من التعاقد هو الوحيد الذي يضمن توزيع ونشر وبيع الكتاب في نظام معمول به دولياً، إلا ان من أغرب التعاقدات ما يسمى بـ (عقد الشراكة) وهو غاية في السوء من حيث التعاطي مع المطبوع ولا يخلو من استهانة بالغة بالنتائج الفكرية إذ تستوفي -الدار- كلفة طبع عدد من النسخ التي يطلبها المؤلف مع هامشها الربحي ثم تقوم بطبع عدد آخر من النسخ لحسابها وتقوم بتوزيعها والتريح منها كما لو انها ملكت الكتاب، وهذا ولاشك أسوأ أشكال السرقة!".

أما عن رأيه حول كيفية التخلص من دوامة الاستغلال التي يتعرض لها المؤلفون من قبل أصحاب دور النشر، بين الاستاذ عبد الرحمن، أن "على الجهات الرسمية التدقيق في الاجازات الممنوحة لهذه الدور والتأكد من امتلاكها لمطبعة مع تقيدها بالمحافظة على الحقوق الفكرية والمادية للمؤلف، وأن يصار الى تشريع قانون مستقل يحافظ على الحقوق الفكرية للمؤلف ويحدد واجبات دور النشر وكل ما يتصل بعملية انتاج الكتاب"، لافتاً الى، أنه "وفي العراق ليس لدينا دور نشر، ومعالجة هذا النقص الحاد يجب ان يكون من أولويات المؤسسات المعنية

ونقترح أن تتولى إحدى المؤسسات التابعة لوزارة الثقافة المشاركة بالمطبوعات العراقية داخل وخارج العراق. كما نقترح أن تبدي دائرة الجمارك بعض التسهيلات في خفض أو إعفاء المطبوع العراقي من مبالغ التحميل والنقل."

فقدان وحسرة

الى ذلك أوضح الكاتب والإعلامي العراقي المعروف عماد عبود، وكان بصدد تأليف باكورة أعماله الأدبية والروائية بعد أن فقد مجموعته الأدبية المحفوظة داخل الحاسوب بحادث عرضي في وقت سابق، حيث أبدى تحفظات ومؤاخذات جمة على آلية عمل دور الطباعة علاوة على ارتفاع تكاليفها وتأخير مواعيدها، وتنصلها عن وعودها وعدم التزامها بتعهداتها قائلاً: " برأبي أن المشكلة مركبة إذ أنها تواجه الأطراف الثلاثة المعنية: الكاتب والقارئ ودار النشر وهذه المشكلة تتلخص بعدة عوامل أهمها، انتشار الكتاب الإلكتروني على حساب نظيره الورقي والظروف العامة في بعض الدول العربية والمتمثلة بالفوضى السياسية والأمنية والتي أدت الى حركة نزوح جماعي أثرت على سوق الكتاب، وهذه الحركة بدورها تمخضت عن نقص الكوادر العاملة في دور النشر التي باتت تعتمد على غير ذوي الاختصاص ونتيجة لذلك تتلكأ دور النشر ولا تفي بالتزاماتها."

واستدرك عبود بالقول: "إلا أننا لا نبرئ بعض دور النشر التي تستغل الكاتب خارج إطار العقد المبرم معه فتعيد طبع المؤلف من دون الرجوع إلى الكاتب زيادة على إرتفاع تكاليف الطبع، وبالتالي خسر الكاتب فرصة الإنتشار وخسر القارئ بدوره كذلك".

(*) مقال المنشور في "صحيفة كتابات" بتاريخ 2020/9/29

أساليب وبرامج التربية والتعليم العربية الحديثة مع التربية المصرية هبة عبد الجواد (*)

* أسست برنامج إيديكويست للخدمات التعليمية بمصر، ولها اهتمام بتصميم البرامج التعليمية للبيئات ذات الموارد الفقيرة.

* البرامج التي أعمل عليها تعتمد على استراتيجيات تحفيز ملكة التساؤل الفكري والفضول المعرفي وأؤمن بالتعليم التحويلي.

* ماذا تقرأ بطاقتك الشخصية والمهنية؟

— اسمي هبة عبد الجواد، تخرجت في كلية الهندسة بتقدير ومرتبة شرف إلا أن ظروف السفر نقلتني للتدريس بعد التخرج مباشرة، اكتشفت حيي له فغيّرت مجال دراستي وعملي، وتنقلت بين الوظائف في مجال التعليم معلمة في مدرسة ومن ثم محاضرة في معهد للفنون والتصميم الإعلامي ثم رئيسة للقسم، درست خلالها تقييم وتصميم مناهج ونظم تعليمية، وأعمل حالياً مديرة التعليم بمعهد المقاصد العالمي، كما أسست برنامج إيديكويست للخدمات التعليمية بمصر الذي يقدم مناهج وبرامج للمؤسسات التعليمية. وخلال عشر السنوات الأخيرة قمت بتصميم أطر تربوية وبرامج تعليمية ومناهج لمؤسسات في مصر والسعودية وقطر وأوغندا. لدي اهتمام خاص بتصميم البرامج التعليمية للبيئات ذات الموارد الفقيرة، والبرامج التي أعمل عليها تعتمد على استراتيجيات تحفيز ملكة التساؤل ليكون لدى المتعلمين دوافع ذاتية للتعلم، ولينقل من خلالها المعلم من التفكير بأساليب التدريس التقليدية إلى التفكير في تصميم الخبرة التعليمية. وخلال الأعوام الأربعة الماضية قدمت مع فريقين الكثير من المشروعات التعليمية للأطفال والبرامج التدريبية للمعلمين والمدارس وخدمات تصميم المناهج للمؤسسات والهيئات التعليمية، فضلاً عن تنفيذ مبادرة مجتمعية سنوية غير ربحية.

* هناك برامج ونظم تربوية تركز إلى الأساليب التقليدية التي لا تهتم باحتياجات الطالب والمجتمع. ما هي الأسس والمبادئ التربوية التي تعتمد عليها؟

— أؤمن بالتعليم من أجل التغيير أو بما يسمى بالتعليم التحويلي transformative learning، أي أن يحدث التعليم تغييراً إيجابياً عميقاً في الفرد على مستوى فهمه وتفسيره للعالم، فضلاً عن مجمل تصوراتهِ وتصرفاته ممّا يمنحه القدرة على اكتشاف قدراته وتنمية مهاراته وصقل مواهبه والعمل على استثمارها وتطويرها ذاتياً وبشكل أفضل. وتأسيساً على ذلك فأنا أعتمد على مبادئ وأسس تربوية تعزّز ملكات التعلم الذاتي في الطالب وتكسبه المعارف بالطرق التي تمكنه من استدعائها خارج نطاق (الخبرة) لاسيما في البيئات ذات الموارد المحدودة، زيادة على علاج مشاكل عدم الشعور بالأمان الاجتماعي والمعاونة من الفقر الثقافي والجذب المعرفي والتصحر الفكري، والعمل على تعزيز سيناريوهات التعلم بناء على إرشادات تربوية تساعد المعلم وتكسب المتعلمين خبرات ومهارات تتيح لهم العمل بما هو متيسّر وفي الوقت المناسب (تطبيقاً لمفهوم منطقة النمو القريبة المركزية لفيجوتسكي، والتعلم بالملاحظة لباندورا) وغيرها من المفاهيم والمبادئ التي تتمحور حول المتعلم وليس على المحتوى أو على المعلم، كذلك العمل على توظيف استراتيجيات تتسم بمرونة التطبيق بخاصة في البيئات ذات

الموارد الفقيرة. ولتحقيق كل أو بعض ما تقدّم أنفأ فنحن نستخدم مبادئ علوم التنفيذ implementation science لضمان الوصول إلى فهم صحيح للمشكلات والاحتياجات التربوية وتطبيق لمنهجيات التحسين Improvement approaches بغية التغلب على عوائق التنفيذ ومن داخل المنظومة التعليمية ذاتها، ومنها استخدام طريقة plan/ do/ review method



* وضعت الدراسات والبحوث الأخيرة السبّابة والإيهام على جملة أسباب تقف وراء تراجع التعليم لاسيّما الابتدائي منه في عموم الوطن العربي، منها التركيز على الدراسة النظرية وإهمال الجانب العملي والتطبيقي، وعدم استخدام التكنولوجيا والوسائل الإيضاحية الحديثة، والاعتماد على أسلوب التلقين والحفظ واعتماد المناهج الدراسية التقليدية، وسوء التخطيط، وسوء الإدارة أحياناً، ما تزيّن في ذلك كله؟

— في مجتمعاتنا العربية كثيرٌ من المشاكل الناجمة عن ضغوط اجتماعية واقتصادية نقلت بمجموعها التعليم من منظومة تربوية لبناء الإنسان بشكل متكامل ومتوازن إلى منظومة وظيفية جامدة ينتقل فيها الطالب من مرحلة إلى أخرى دون أن يستفيد شيئاً ودون أن يُحدث لديه كلُّ أو جُلُّ ما تعلمه التغيير الإيجابي المنشود، فضلاً عن عدم القدرة على توظيف كل ما تعلمه بعد انخراطه في سوق العمل. وبالفعل فإن الكثير من التقارير والدراسات قد رصدت هذه الإشكالية، لكن —والحقُّ يقال— هناك توجهات لتبني طرق وأساليب التعليم الحديثة في دول عربية عدة مع وجود بشائر على المستوى النظري والتطبيقي لتطوير السياسات التربوية وإعداد المناهج، تقابل ذلك منظومات تعليمية في دول عربية أخرى مازالت تعاني ضعف الأداء وقلة الخبرة واعتماد مناهج تركّز على التلقين والحفظ، والذهول عن الاهتمام بالفوارق الفردية، وعدم التركيز على بناء متكامل لشخصية المتعلم. وهناك جملة من التحديات والعقبات التي تسببت في هذا التراجع، يأتي في مقدمتها ضعف الإمكانيات وضعف القدرات لضعف مستوى خريجي كليات التربية وغياب التعليم الجامعي المناسب لإعدادهم معلمين وتربويين مستقبليين، فضلاً عن عوامل تتعلق بمنظومة التعليم ذاتها فهي لا تعتمد على مناهج متطورة تستند إلى اتجاهات التعليم التي ترتكز على الطالب، ولا توفر طرائق التدريس المناسبة لتنفيذ هذه المناهج التي تم تطويرها، كما أنّها لا تضع في اعتبارها بناء البيئة التعليمية اللازمة، بالتزامن مع قصور نظرة المجتمع العربي العامة إلى التعليم ممّا ينعكس سلباً على المعلم وولي الأمر والطالب على حد سواء. فأحياناً يقاوم المعلم تغيير أساليب التدريس التقليدية، وبعضهم ينحصر تفكيره وتقتصر نظرته للتعليم على أنّها مهمة وظيفية، مع غياب التواصل

بينه وبين الطالب لتحفيزه على التعليم. وبعضهم لا يمتلك المهارة أو الخبرة الكافية التي تمكنه من استخدام وسائل متعددة فيلجأ الى الأساليب التقليدية، مع ضعف الإمكانيات، والكثافة العددية للصفوف الدراسية. وهناك من لديه قناعة شبه تامة بأن الأساليب المختلفة والمتجددة ليست ذات قيمة وقد تبعد الطلبة عن مضمون الدرس وحفظ المعلومات بالطريق التقليدية وهناك عوامل أخرى تتعلق ببعض أولياء الامور ممن لديهم فهم خاطئ عن التعليم ودوره في بناء الحياة والمجتمع، فتراه يضغط على الطفل ليحفظ ويحصل على أعلى الدرجات ولا يعير اهتماماً للقيم والمهارات المكتسبة، فهذه كلها تحديات ومعوقات تتطلب تغييراً جذرياً في مفاهيم التربية والتعليم وأساليبها قبل الذهاب الى تطوير المناهج، فكثير من المناهج المطورة والدورات المهنية المكثفة تضع وسط هذا الكم الهائل من التحديات والعقبات، لاسيما أنها لا تغير من قنوات القائمين على العملية التعليمية.

*من التوجهات الحديثة الاهتمام بملكات التفكير النقدي والبحث والاستكشاف. كيف يمكن أن يُدرَّب الطلاب على هذه الملكات، وإلى أي مدى يمكن تطبيق هذه الاستراتيجيات في مجتمعاتنا العربية مع ضعف الإمكانيات؟ – يعد تدريب الطفل منذ الصغر على مهارة الاستقصاء من أهم الاستراتيجيات التي تنمي التفكير النقدي، وبخاصة الاستقصاء التعاوني الذي يعني قيام الطلاب بالبحث والتقصي من مصادر مختلفة عن موضوع معين في صورة عمل جماعي، وتعتمد هذه الاستراتيجية على فلسفة (جون ديوي) الذي يرى أن الصف المدرسي صورة مصغرة للمجتمع، وأن تفاعل الطالب مع زملائه كمجموعة للتعليم التعاوني يماثل تفاعله في المجتمع، ويتم ذلك من خلال عرض مصادر معرفية متنوعة حول المشكلة قيد الدراسة، و يقسم الطلاب إلى مجموعات، تقوم كل مجموعة بصياغة الأسئلة ليتولى المعلم مهمة التحفيز عبر صياغة المزيد من الأسئلة ومن ثم العمل على تصنيفها وترتيبها على أن تتضمن أسئلة مفاهيمية وأسئلة مفتوحة وأخرى مغلقة، والقيام ببعض الأنشطة التفاعلية التي تعتمد على استخدام الطفل مفاهيمه السابقة واختبارها في ضوء ما يعرض عليه من معلومات جديدة، كما يمكن ممارستها في المنزل بشكل عفوي وتلقائي من خلال استثمار أوقات فراغ الأسرة، أو خلق لحظة قابلة للتعليم عبر إثارة موقف لتحفيز الطفل على طرح الأسئلة والبحث عن المعلومة أو إيجاد حلول لها، وإشباع فضوله العلمي بشكل تعاوني يتخلله الحوار الهادئ والنقاش البناء، فضلاً عن الزيارات الميدانية والرحلات والجولات اللاصفية وقراءة القصص وما شاكل، وتصبح العملية أكثر جدوى في حال مشاركة الأب أو الأم الطفل فيها، وإشعار الأبناء بأن لدى الأبوين الفضول ذاته للوصول إلى إجابة عن التساؤلات ثم تفنيدها، وهكذا تنمى لدى الطفل ملكة التمييز وإصدار الأحكام السليمة.

* لديك اهتمام خاص بما تسمينه ثقافة التساؤل، وتقديم برامج تدريبية للمعلم ولولي الأمر من شأنها أن تساعد على تحفيز ملكة طرح الأسئلة، فما سبب ذلك؟

– الطفل يسأل بالفطرة، ولديه فضول فطري لاستكشاف العالم من حوله، فإذا ما استقبل هذا الفضول واستثمر تربوياً في المنزل أو المدرسة فإنه سيعزز لديه ملكات البحث والاستكشاف والتقصي، وستتولد لديه الكثير من الأسئلة التي تحفزه على تعلم المزيد على الدوام وطرح الأسئلة دون تردد، وهنا تكمن الفائدة المرجوة، فمن عادة المعلم أن يطرح الأسئلة ليجيب عليها الطلاب، أما في المنزل فيتلقى الطفل الأوامر والتوجيهات والتوصيات الجاهزة، والمحصلة ضمور ملكة السؤال عنده لتصبح أسئلته تقليدية تحاول أن تجاري من حوله وليس من أجل الفهم والاستكشاف.

وقد حدث معي موقف ذات يوم جعلني أركز جل اهتمامي على نشر الوعي لدى الأسرة وتغيير اتجاهات المعلم للاهتمام بتحفيز فضول الطلاب. فقد كنت في زيارة لأحد معارض الكتاب، ولفت نظري طفل يريد أن يشتري دمية على شكل حيوان غير مألوف نوعاً ما لكن والدته رفضت وأجابته بطريقة جعلتني منذ ذلك اليوم أعقد العزم على تركيز جل اهتمامي على تحفيز الفضول الفطري لدى الأطفال والمتعلمين عامةً. يومها قالت الأم: سأشتري لك دمية تعرفها، مثل الدبodob أو القطعة. واشترت له بالفعل الدمية التي تعتقد في قرارة نفسها بأنها الأقرب إليه وسط إلحاح الطفل للحصول على دمية الحيوان الجديد الذي لم يسبق له مشاهدته. إنَّها حلقة مفرغة تضع الطفل وتنشئه في قوالب جاهزة وجامدة تمنعه من استكشاف العالم من حوله، ومنذ ذلك الحين شعرت برغبة قوية للاهتمام بكل ما من شأنه الإسهام في بناء بيئة تعليمية محفزة للفضول وللتعلم سواء في المنزل أو المدرسة من خلال برامج إثرائية تعتمد على التساؤل الذاتي وتنقيف الأسرة بمفاهيم تربوية تساعد على استقبال أسئلة الأطفال واستثمار اللحظات القابلة للتعليم (الطفل يسأل ليستكشف ويفهم، وليس فقط للحصول على إجابات نموذجية).

* ما الذي قتل الفضول المعرفي لدى الأطفال برأيكم، وهل للمدرسة دور في ذلك؟
 - لندع الحكم القطعي على المدرسة بأنها السبب في ذلك كله لأنَّها كمؤسسة قد تكون بيئة تعليمية ممتازة أو بيئة تعليمية مجهزة لفضول الطلاب، ويمكننا القول إنَّ المدرسة التي تعلِّم الفرد الإبداع، وليس الإبداع، مدرسة طاردة للفضول المعرفي لأنَّها تحفزه على التهام أكبر قدر من المعلومات (= إبداع) دون أن تزرع عنده الدافع لاستخدامها ولا معرفة كيفية استخدامها، ومدى حاجته الفعلية للمعلومات كلَّها من عدمها، ممَّا يجعله يعتاد على هذا النهج في التفكير فلا يستوعب المعلومة لكي يمارسها ويتقنها ويستخدمها وإنَّما لمجرد أن يستدعيها من الذاكرة لنقلها إلى مكان آخر، وهكذا تستمر العملية في المراحل الدراسية المختلفة.
 لا شك في أنَّ المؤسسة التعليمية التي تعلم الفرد تلقي المعلومات دون أن يفكر أو يميز أو يختبر صحة ما يتلقاه منها مؤسسة تقتل الفضول والرغبة في البحث والاستكشاف. كذلك المدرسة التي تضغط على طلابها وتشعرهم بالقلق والخوف من الفشل هي مدرسة لا تكبح جماح الفضول المعرفي فحسب بل تمنع التعلم أيضاً. وقد أولى (جون هولت) هذه المسألة في خمسينيات القرن الماضي اهتماماً خاصاً ودوَّن فيها مذكراته (كيف يفشل الأطفال؟) وكان يرى أنَّ الطلاب لم يفشلوا لأنهم أقل ذكاءً بل لأنهم خائفون، ولأنهم يشعرون بالملل، ولأنهم يتعلمون بطرق لا تجعلهم يفكرون فيما يتعلمونه، ولأنهم يتعلمون أشياء لا يشعرون بأنها ذات قيمة أو جدوى. فالطالب انعكاس للتنشئة المدرسية، فإذا كانت هذه البيئة سلبية وغير محفزة للتعلم فسندى في المستقبل أناساً فاقدين للفضول المعرفي الذي يؤهلهم إلى تطوير أنفسهم ذاتياً، ولا يبحثون سوى عن الإجابات النموذجية حتى في حياتهم المهنية والأسرية، لينظروا إلى قيمتهم وشخصيتهم بالمنظور الذي تربوا عليه، فالذي يقوم الطلاب كلهم على مسطرة واحدة مهما تباينت قدراتهم ومهاراتهم وإمكاناتهم يقع في المحذور.

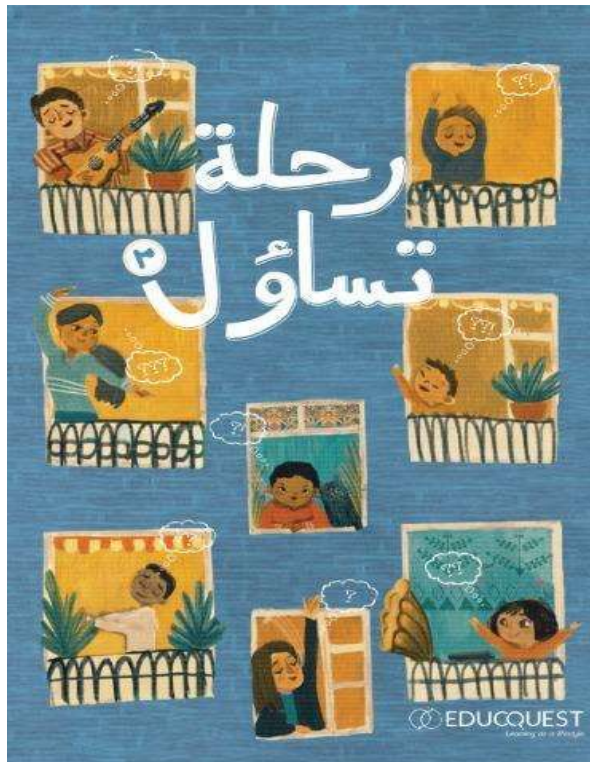
* (مبادرة تساؤل) إحدى المبادرات المهمة التي كان لكم إسهام فيها، حبذا لو توجزين لنا تفاصيلها ورؤيتها وأهدافها ورسالتها؟

- التفكير في المبادرة بدأ مع أزمة جائحة كورونا في العام 2020 حين أصبح فيه التعليم عن بعد. وقتها تبنت بعض الوزارات أسلوب كتابة البحوث الكترونياً بدلاً عن الاختبارات الصفية. في ذلك العام لاحظنا كيف تعامل الطلاب وأولياء الأمور مع تلك التجربة، وعلى الرغم من أنها كانت فرصة لبحث الطفل بنفسه ويستكشف بالغالبية

العظمى كانت تحرص على تسليم ما أنجزت دون التركيز على ما تعلمه الطلاب أو ما إكتسبه من مفاهيم ومهارات وخبرات جديدة، فرأينا نسخاً للمعلومات من الشبكة العنكبوتية دون فهم، فضلاً عن واجبات يقوم بكتابتها الآباء بدلاً عن الأبناء، ولاحظنا ضعفاً واضحاً في مهارات الكتابة والبحث، ومرد ذلك كله إلى غياب الرغبة الذاتية في التعلم.

وبناءً على ما تقدم فقد فُكرت في تأسيس هذه المبادرة التي تهدف إلى تنمية الدافع الذاتي للتعلم وتعزيز الفضول الفطري لدى الأطفال واليافعين، وبدأت في تشكيل فريق من المتخصصين ممن لهم الفضل في نجاحها وتأسيسها منذ البداية. والمبادرة تطوعية بالكامل، وتقدم مجاناً عن بعد لقراءة مائتي طفل سنوياً، وتهدف إلى تنمية القدرات الكتابية والقراءة ومهارات البحث والاستكشاف للطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين 9-17 عاماً، مع التركيز على الأطفال واليافعين في القرى والمناطق النائية، وتدريبهم من خلال وسائل متاحة تضمن تفاعلهم عن بعد وتحفيزهم على التعلم الذاتي. ورسالتها هي الإسهام في تعزيز اتجاه التعلم الحديث لتنمية ملكات البحث والاستكشاف والتساؤل لدى الأطفال من الفئة المستهدفة وتغيير ثقافة الأسرة والأطفال ونظرتهم القاصرة حول التعلم ومصادره، ليصبح طفلاً بإمكانه المنافسة قادر على التساؤل والابتكار والتعامل بفاعلية والتحلي بالمسؤولية فضلاً عن البحث عن مصادر ومهارات الربط بين المعلومات والكتابة، ليتم تقويم قصص المشاركين من قبل لجنة من المحكمين. كما نقوم بتدريب المتطوعين مهنيّاً على مهارات التعليم والتدريب عن بعد.

وقد استطاعت المبادرة ان تحقق أهدافها بنسبة كبيرة، فقد حين لاحظنا تطور أسئلة الأطفال وقدرتهم على تفكيك أسئلتهم والبحث عن الإجابة واستخدام مصادر مختلفة وعدم الاعتماد على النقل من الإنترنت. كما لاحظنا أن الأطفال قبل التحاقهم بالمبادرة كانوا يسألون أسئلة تقليدية، لكن مع تفاعلهم مع المبادرة تطورت أسئلتهم وأصبح لديهم شغف وفضول لمعرفة المزيد، لتتفاجأ بأسئلة غير تقليدية تكشف عن هموم واهتمامات يتعرضون لها مثل:



- لماذا يتنمر الناس على بعضهم؟
- لماذا يخفي أبي وأمي بعض الأسرار؟
- لماذا يمر الوقت سريعاً عندما نلعب، ويمر ببطء عندما نقوم بواجباتنا المدرسية؟
- لماذا الأسعار مرتفعة؟
- وبعضها أسئلة علمية مثل نحو:
- لماذا السُّكَّر مضر بالصحة؟
- هل يمكن أن نفهم لغة الحيوانات؟
- كيف أحترف صناعة الروبوت؟
- كيف تعمل ماكينة الخياطة؟
- لماذا لا يتوقَّف صيد الحيوانات؟
- لماذا لا يتوقَّف قطع الأشجار؟
- لماذا يمتلك الكلب حاسة شم أقوى من غيره؟
- لماذا الفهد أسرع من غيره؟

*كيف يمكن تحفيز هذه الملكة، وتعزيز الفضول المعرفي، وما تأثيرها على شخصيته؟
 – إذا كنا نتحدث عن الأطفال في المنزل فمن المهم استقبال أسئلتهم بترحاب وعدم وصفها بأوصاف نحو (هذا سؤال ساذج)، أو الرد عليهم بـ (ليس مهمًا أن تعرف). وأفضل أسلوب لتحفيز الفضول وإكساب الأطفال مهارات وقيم تربوية استثمارُ اللحظات القابلة للتعليم من خلال تعريض الطفل لموقف يحفز فضوله ليسأل، فيصبح مستعدًا لتلقي أية معلومة أو توجيه.



أمّا في المدرسة، فيتطلب هذا بناء الموقف التعليمي ليبدأ بحدث محفز للتساؤل، سواء بصورة أو بموقف تمثيلي أو بمقطع فيديو أو بمقولة ذات صلة، يكون الغرض أن يطرحوا ما لديهم، وخلال الأنشطة يطرح المعلم أسئلة تدفعهم لطرح المزيد منها، وليس مهمًا في البداية أن يجيبوا عن أسئلة المعلم، المهم أن يسأل الطالب، لأنَّ سؤاله الذاتي دليل على رغبته في أن يتعلم شيئاً جديداً. وإذا استطاع المعلم أن يفعل ذلك فسيكون لكل ما يبذله من جهد بعد ذلك في تدريس مادته معنى وجدوى لدى طلابه. ولا شك في أنَّ تكرار التساؤل والبحث سيغير الكثير من قناعات الإنسان ليكون أكثر مرونة لتقبُّل الأفكار المختلفة وقراءة المعلومات والتاريخ والبيانات بفائدة أكبر.

*كلمة أخيرة

– كلُّنا بنا حاجة للتعليم المستمر ولמיד من المعرفة، ولا بدَّ من البحث الدائم والدائب في هذا المجال الذي يحيلنا إلى اتخاذ خطوات إيجابية في مجمل حياتنا، فالإنسان الشغوف بالتعلم شخص ذكي ونبه ومتفاعل ونشط ولا يقلد غيره تقليدًا أعمى، وإنَّما يطور نفسه ذاتيًا ويعمل على تطوير بلده وبناء مجتمعه كذلك. وختاماً أقول للمعلمين في المراحل كافة: لكم التقدير والعرفان يا من علَّمتم شعوباً وبنيتم أمماً.

***خارج النص

تجدد الإشارة الى أن للأكاديمية والتربوية المصرية هبة عبد الجواد، كتاب صدر عن دار "عصير الكتب" للنشر والتوزيع بعنوان (الرحالة المصري) بالاشتراك مع كل من رفيدة سليمان، وأحمد لبيب.

الكتاب يدخل في إطار أدب الرحلات وعلوم التربية والاجتماع والتراث والتنمية البشرية مجتمعة ليخاطب كل من يقرأ العربية ولاسيما من جيل الشباب واليافعين، حيث تتساءل الكاتبة ورفاقها في الرحلة على صفحات هذا السفر الممتع الشائق، وبأسلوب السهل الممتنع لتجيب على معظم الأسئلة الحائرة التي تشغل بال الكثيرين، وتجهد عقولهم، وتحبط آمالهم، وتؤرق حياتهم.

ويطرح هذا المطبوع المهم تساؤلات مهمة داعبت أذهان كل واحد منا قبل الاجابة عنها نحو:
هل فكرت يومًا أن تسافر بحثًا عن إجابة لأسئلتك؟

هل مللت من النصائح الكثيرة من حولك؟ أو تشعر أنك تائه وسط هذا الزحام؟
هل يمكن أن يجعلني التعلم سعيدًا؟ هل إذا أخطأت يمكن أن يكون لدي فرصة لأصبح شخصًا جيدًا؟ ماذا لو عشت وحيدًا، أليس ذلك أفضل من التعامل مع البشر؟ كيف أميز بين الحقائق والوهم وسط كل هذه المعلومات والصور؟ هل يمكن أن أصل إلى إنجاز كبير بأعمال صغيرة؟ ماذا يحدث إذا فرطت في حقي؟ لماذا لست ناجحًا ومشهورًا مثل فلان؟ متى يصبح الدهاء بصيرة وحكمة، ومتى يصبح نصبًا وحيلة تظلم وتؤدي؟



يضم الكتاب بين دفتيه 8 جولات، و8 حكايات مصرية حدثت في أزمنة ومناطق مختلفة، يستلهم منها القارئ ما يساعده على الوصول إلى إجابة أسئلته، والتعرف على القيم المشتركة التي تجعل الإنسان سويًا سعيدًا ناجحًا مهما تغير الزمان والمكان. على كل أرض قصة، وحكاية سيرى القارئ فيها نفسه، ويرسم ملامحه من جديد.

(*) حوار المنشور في مجلة "همس الحوار" الفصلية المحكمة الصادرة في لندن بتاريخ 15/ تشرين 2022/1

رحلة روحانية بضيافة جمعية القراء والمجودين العراقيين

*الأعظمي: هناك (14) مقاما يستخدمها القراء العراقيون ويتنقلون بينها وهناك بعض المقامات التي كره العلماء استخدامها في التلاوة مثل المقام الحليلاوي لما فيه من ترجيع.

*العبيدي: لكلا الطريقتين العراقية والمصرية في القراءة مميزات وصفات وضوابط ولكل منهما حضوره وإن تباين واتسع بقراءة دون أخرى.

لقد حتم الواجب التراثي والأخلاقي تأسيس جمعية القراء والمجودين العراقيين في تسعينيات القرن الماضي أسوة بالجمعيات العالمية التي تعنى بتحفيظ القرآن الكريم وتعليمه في الدول العربية والإسلامية، وكان مقر الجمعية في مسجد الإمام الأعظم ثم انتقل الى خارج العراق ومنذ ذلك الحين والجمعية تواصل نشاطها كرابطة للقراء والمجودين على الطريقة العراقية البغدادية الشهيرة، ولتسليط الضوء على هذه القراءة التي تعاني برغم محليتها المرموقة من صعوبات جمة تعترض طريق انتشارها في عموم الوطن العربي، حاورنا المقرئ حمدي شهاب الأعظمي، أحد أعضاء الجمعية البارزين وسألناه:

* هل يقتصر دور المقرئ على تلاوة القرآن الكريم؟

-الكثير من المقرئين لم يقتصر دورهم على القراءة بل تعداه الى رفد التربية الدينية وتعليم القرآن وتحفيظه، وأذكر لكم أن الشيخ عبد القادر الخطيب رحمة الله عليه كان علما في القرآن الكريم وفي القراءات العشر، وهو مجاز إجازات عدة من علماء الموصل وعلماء الأزهر وعلماء دمشق وأصبح علما من أعلام الأعظمية وكان خطيبا مفوها على مدى أربعين سنة، وهو من كبار العلماء وأصبح رئيسا لعلماء العراق في زمانه حتى وفاته سنة 1969م، وكان قبله أيضا القارئ الكبير (نعمان العمر) الذي توفي 1949م، وكان يقرأ أيضا في القراءات العشر وكان إذا قرأ في الصلاة أبكى من خلفه خشوعاً.

ولا يقتصر دور المقرئين على تلاوة القرآن، بل وإقامة المناقب النبوية الشريفة والتواشيح الدينية كذلك. وينبغي تعلم القرآن الكريم مشافهة من أفواه العارفين، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا الأمر قائلاً: "خذوا القرآن من ابن أم عبد"، وذلك لفصاحة لسانه وقراءته الصحيحة التي كان يقرأها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

* ما هي الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم؟

- الشيخ الأعظمي: الأساس في الحفظ هي التقوى، فمهما كانت الطريقة المتبعة، وتبقى التقوى هي أساس الحفظ، والله عز وجل قال في كتابه الكريم: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)، والقرآن الكريم نور فإذا كان صاحب الحفظ على بينه من هذا الأمر وكان تقياً ورعاً من الله فالحفظ سيكون سهلاً له، وسمعت من أحد القراء الذي يقرأ على الروايات السبع في سوريا في جامع قاشيش في دوما، أنه قال أتاني رجل عمره يناهز الـ 82 عاماً، وهو مصر على حفظ القرآن، وجلس معي سنتين في المسجد وحفظه كاملاً، فهذا يعطينا صورة بأن حفظ القرآن يأتي للإنسان بصدقه وتقواه.

* ماهي ضوابط استخدام المقامات في القراءة العراقية؟

- الشيخ الاعظمي: هناك 14 مقاما يستخدمها القراء العراقيون، فالمقرئ المتمكن ينتقل في القراءة من مقام الى آخر، وتوجد بعض المقامات التي كره العلماء استخدامها مثل المقام الحليلاوي، حيث كرهوا استخدامها كراهة التحريم، لأنه يستخدم في الغناء فقط، ففيه ترجيع، والترجيع في القرآن غير صحيح. ونشترط على المقرئ أنه إذا قرأ فعليه أن يلتزم بقواعد التجويد وأحكام التلاوة.

* ماهي المعوقات التي تحول دون أن تقوم الجمعية بعملها على أتم وجه؟
- الشيخ الاعظمي: لا شك أن الدعم المادي يشكل العقبة الأساس، فإذا دعمت الجمعية ماديا نستطيع حينئذ أن نتقدم بالجمعية بصورة كبيرة نحو الأفضل، ونستطيع بذلك توظيف المزيد من الأساتذة والمشايع لدى الجمعية فنقوم بواجبنا الذي أمرنا به الله تعالى ويرضى عنه.

تحولنا بعدها بالسؤال الى أستاذ اللغة العربية القارئ محمد واثق العبيدي، وهو شقيق قارئ وأستاذ المقام العراقي المعروف الدكتور حسين الأعظمي، لنسأله عن القراءات والمقامات التي يستخدمها القراء العراقيون:

* نود أن تعطينا فكرة موجزة عن أنواع المقامات العراقية التي يعتمد عليها القراء في قراءاتهم؟
- القارئ محمد العبيدي: كل الأنغام مقربة الى وجدان ومشاعر المقرئ العراقي، بيد أنه ينجذب نحو أحدها بموجب ضوابط موضوعية، وهنا تدخل مسألة أخرى وهي ثقافة القارئ ومدى غرفته من العلوم القرآنية على وجه العموم، فإن كان بصدد آية تتضمن وعيداً فسيختار أنغاماً تتوافق مع هذا المعنى، مثلاً (الصبا، اللامي، المدمي) وإن كان بصدد آية تتضمن ترغيباً فسيختار أنغاماً رقيقة وشجية، مثل (الأورفه، العجم، الهمايون، نهانند)، ومن هذه الضوابط ما يعتمد على الفراسة وقوة الملاحظة، فإن كان القارئ يقرأ على جمهور ينحدر من جنوبي العراق، فإنه سيختار أنغاماً ترتاح لها آذانهم، مثل (الطويرجاوي، العياش، الصبية، والمدمي)، وأما إذا كان يقرأ في جمهور من السليمانية وأربيل فيتوجب عليه التركيز على مقام (الأورفه وخاصة قطعة الزازة)، أما إذا كان الجمهور من كركوك فإنه حينئذ سيجهد نفسه بالتركيز على مقامات (القوريات، تفليس، عمر كله)، وأما الجمهور البغدادي فهو وحده الذي لا يتنازل عن التسلسل النغمي الذي اعتاده. وهناك ضوابط مهمة أوجبتها الأذن السمعية والذائقة المرفهة فحكمت على التراث أن يكون سلطاناً على المجتمع. ففي العيدين يستحب للقارئ أن يقرأ ما يهواه الجمهور فيقرأ على مقام (الجهاركا) ومنه (الخلوتي، والمهوري، والعجم)، كما انه يقرأ من سورة الصافات ذاك أن فيها إشارة الى الأضحية، ومن سورة الحج بمعنى أنه يراعي المناسبات.

* بعد مرور كل تلك السنوات الطويلة على تأسيسها، هل تغير أداء الجمعية، وهل تطور نحو الأفضل، أم أنه تراجع؟

- القارئ العبيدي: بالتأكيد أن سنوات الحصار الظالم من جهة وأحداث 2003م وما بعدها قد أتت على كل شيء إيجابي يجلب الى النفس البهجة والسرور، فتعرضت جمعيتنا شأنها في ذلك شأن الكثير من المؤسسات الأخرى الى مضايقات مستمرة وبقيت فترة طويلة في حالة سبات وتأثر أداؤها بكل تأكيد.



*تميزت الأعظمية بطابعها الإسلامي العريق، فمن هم أعلام العلماء، وأعيان القراء فيها بشكل خاص، وفي العراق بشكل عام؟

-محمد العبيدي: من مشايخ الأعظمية المعروفين الشيخ الجليل أمجد الزهاوي رحمه الله، والحاج حمدي الأعظمي، والحاج نعمان الأعظمي، والحاج شاکر الملا رشيد، والشيخ الفاضل عبدالقادر الخطيب، أما عن القراء المحترفين على وجه الخصوص فكان منهم (الملا حمودي الأعظمي، الحاج بدر الدين الأعظمي، الحاج سامي الأعظمي، الملا نشأت الأعظمي، الملا عبدالجبار النعيمي، الحاج محمود عبدالوهاب)، وجامع هؤلاء هو القارئ الكبير الحافظ خليل اسماعيل رحمه الله تعالى، الذي تسلم الراية من القارئ الكبير الحافظ مهدي، أما بالنسبة الى القراء الموجودين على الساحة الآن فيأتي في مقدمتهم الاستاذ عبد المعز شاکر، وضياء مرعي، وحازم ملا حويش، والملا منذر العبيدي، وغيرهم كثير، نسأل الله تعالى أن يمد في أعمارهم جميعاً خدمة للقرآن العظيم، وأن يرحم من مات منهم ويسكنه فسيح جناته.

*ماهي شروط وصفات قارئ القرآن الكريم؟

- القارئ محمد العبيدي: من يزمع أن يكون قارئاً محترفاً عليه أولاً أن يتأكد من وجود الموهبة لديه، أو ما يدعوها بعضهم بـ(الخامة) فإذا كانت حنجرته قد جبلت على الطاقة والمقدرة من جهة، وعلى اللطف والرخامة من جهة أخرى فعليه عندها العناية بها، والنهل من علوم القرآن الكريم، ليثقف نفسه مستذكراً في كل وقت وحين بأنه يتعامل مع كلام الله العزيز فعليه بالتقوى والورع.

*لو تأملنا القراءات فهل سنجد لها تنطلق من مدرسة ومشكاة واحدة؟

- القارئ العبيدي: الواقع الإقراطي ومنذ بدايات القرن العشرين ونشوء الإذاعة والتلفزيون أفرز لنا أمراً مهماً من خلال ما وصل إلينا من تسجيلات قرآنية، حيث تعرفنا من خلالها على مدرستين فرضتا نفسيهما في مجال القراءة، الأولى هي مدرسة الحافظ مهدي المتوفى سنة 1961م، فهذا الرجل الكفيف المتلفع باللباس الديني كان بديعاً في أدائه للنغم، بديعاً في تجسيده للآيات القرآنية الكريمة، وكان يقرأ القرآن الكريم بنغم الـ"رست" دون أن يعرج الى تشعباته ثم يتحول الى مقام آخر لينهل من رباحينه العيقة من دون مبالغة، أما المدرسة الأخرى فهي مدرسة القارئ المتمكن والفريد من نوعه الحافظ خليل إسماعيل رحمه الله، وطريقته هي التي سادت في الواقع

الإقرائي الحالي مع أن طريقة الحافظ مهدي لا تشوبها شائبة ولا ينقصها شيء ولها أتباعها حتى الآن، ولكن تطور العلوم والتأثر بالقراءة المصرية، التي تلتها القراءة السعودية ربما أدى إلى انحسار محدد في طريقة الملا مهدي.

*أيهما الأفضل، أو لنقل وبعبارة أدق "الأجمل"، الطريقة العراقية، أم الطريقة المصرية ولماذا؟
- القارئ العبيدي: لكلا الطريقتين مميزات وصفات وضوابط، ولكل منهما حضور وإن تباين واتسع بقراءة دون أخرى، فذلك يعزى إلى الظروف الموضوعية التي تساعد هذه الطريقة دون الأخرى في الانتشار، ولا نقص في أحدها على الإطلاق.
ومما ساعد في انتشار الطريقة المصرية هي أن الأزهر قد وظف الإعلام في خدمة القارئ والقراءة، واهتم بتربية وتنشئة القراء على وفق منهج علمي ينهلون منه، في حين أن الطريقة العراقية لم تلق الاهتمام والرعاية المطلوبتين من وسائل الإعلام المختلفة.

- متى عرف الترتيل في العراق؟
- يرى بعضهم أن أول من نقل طريقة الترتيل إلى العراق هو القارئ الشيخ محمود خليل الحصري، رحمه الله تعالى، فهو أفضل قارئ مصري وعربي في مجال الترتيل، كما أحدث مجيء القراء المصريين الأفاضل إلى العراق كعبد الفتاح الشعشاعي، وأبو العينين شعيشع، وعبد الباسط عبد الصمد، وبما يمتلكون من أصوات هادئة وقوية طفرة في انتشار طريقة الترتيل في قراءة القرآن الكريم، في حين يرى بعضهم الآخر بأن قراءة رئيس الرابطة الإسلامية الحاج عبد القادر الخطيب رحمه الله أثناء الخطبة وفي يوم الجمعة هي السبب في انتشار الترتيل في العراق.



***خارج النص

تجدر الإشارة إلى هناك من خبراء المقامات والأنغام من يرى بأن ثمة فرقاً بين أداء التواشيح والابتهاالات والمناقب والمدائح النبوية والإنشاد الديني، فالتواشيح تؤدي ببطانة مصاحبة من غير الآت موسيقية، أما الابتهاالات فهي خاصة بالدعاء ولا سيما قبل صلاة الفجر، وبعد صلاة العصر، وفي ليالي رمضان وبالأخص في العشر الأواخر منه،

كذلك الليالي العشر الأولى من ذي الحجة، بينما الأناشيد فقد تكون بفرقة مصاحبة أو من غيرها، فيما المناقب والمدائح النبوية الخاصة بمدح النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، فقد تستخدم فيها الدفوف وبعض الآلات الإيقاعية وقد لا تستخدم، وهو الأفضل وبما يتسق ويتماهى مع سيرة أكرم الخلق ممن يُمدح ويثنى عليه خلالها. وأما ما يتعلق بنغمات رفع الأذان المختلفة بحسب التوقيعات المعتمدة فهذه تلخصها عبارة (صنع بسحر) وتمثل الحروف الأولى لمجموع مقامات الأذان السبعة الشهيرة:

- فالصباح يعني (مقام الصبا)، والنون (مقام النهاوند)، والعين (مقام عجم)، أما الباء ف (مقام البيات)، والسين (مقام السيكاه)، وأما الحاء فتؤشر الى (مقام الحجاز)، والراء الى (مقام الرست).

وقد اعتاد المؤذنون في المساجد المركزية الكبرى في كل من العراق وتركيا وسوريا ومصر والأردن وفلسطين والمغرب ممن يتمتعون برخامة الصوت، وقوة الأداء، أن يرفعوا الأذان بعدة مقامات كالصبا، والعشاق، والرست، والسيكا، والحجاز، والنهاوند، وغيرها لأن تلوين المقامات في الأذان من وقت لآخر ليس ترفاً ذهنياً، بقدر ما هي ظاهرة اجتماعية ونفسية عميقة في آن واحد تتناسب ومتغيرات التوقيعات، وتبدل الأجواء فضلاً على تغير الأمزجة خلال ساعات الليل والنهار، وبما يحتاج الى تنوع الأصوات، إضافة الى تلوين النغمات لتلاحق المتغيرات من حولها طيلة 24 ساعة وبما يعد جاذباً ومحبباً للمشتاقين إليها.

مؤذنو تركيا على سبيل المثال وهم أشهر من نار على علم في قوة الأداء وجمال الصوت وتعدد الطبقات، ووفقاً لأحد كبار المؤذنين في مسجد "السلطان أحمد"، المؤذن محمد هادي دوران، عادة ما يستهلون يومهم بـ(مقام الصبا) لصلاة الفجر لما فيه من الشجن والخشوع الذي يتناسب وساعات الصباح الأولى، وكان مقام الصبا يسمى في المصادر العثمانية بـ"مقام الصباح"، لما له من علاقة بـ"نسيم الصباح" الذي ترتاح له النفس البشرية.

أما صلاة الظهر فيؤذن لها بمقام "العشاق" كما يؤذن للظهر بـ(مقام البيات) وهو وكما يقول عنه المختصون بأصول المقامات "مقام الشوق والنداء واللهفة" وبما يتناسب وساعات العمل النشطة وقت الزوال.

أما لصلاة العصر فيؤذن لها بمقام "الرست، أو الراس، أو الرصد" ويتميز بالقوة والفخامة التي تناسب وقت العصر، وهو ووفقاً لخبراء المقام الأكثر استخداماً في الأذان، وتلاوة القرآن الكريم، والإنشاد الديني.

كما يؤذن بـ"مقام النهاوند" ولأسيما ليلة الخميس إيدانا بحلول يوم الجمعة، ويتميز هذا المقام بطابعه الشجي الرقراق الذي يصلح للتعبير عن الحزن والفرح في آن واحد، وأما صلاة المغرب فيؤذن لها بمقام السيكاه الذي يتميز بالبهجة وبما يتناسب مع وقت المغرب القصير، وأما عن صلاة العشاء فيؤذن لها بـ "مقام الحجاز" وهو مقام محبب عادة ما يستخدم في تلاوة القرآن الكريم، ورفع الأذان.

(*) حوار المنصور في وكالة "عراق برس" بتاريخ 13 آب / أغسطس 2013

حوار شفاف... مع الأستاذ التربوي علاء ياسين عن تشكيل الوعي والتربية وغرس القيم (*)

* واجب الوقت الآن هو أن نغرس للتثبیت والتحصين والله يتولى النصر والتمكين.

* أحذر من معوقات الحضارة والنهضة المتمثلة بعدم القدرة على إدارة الوقت وبـ الانهزامية وقد أفردت محاضرة لكل منهما.

* استخدام الأنترنت بشكل إيجابي.. مهارة استثمار الوقت.. إضافة الى فقرات ترفهية ورياضية وزيارة الأماكن السياحية.

لا يخفى على ذي لب ما للعمود والمقال فضلا على الحوارات الصحفية والتحقيقات الاستقصائية والأدب زيادة على "التدوين المرئي" والبودكاست من أثر كبير في تشكيل الوعي الجمعي إما سلبا أو إيجابا لعامة الأمم والشعوب في عصر المعلوماتية والمجال الرقمي الذي حول العالم الى قرية صغيرة وما أحوجنا اليوم الى نصوص مكتوبة ومقروءة ومسموعة تقدم بنفس قصصي شائق، وبأسلوب أدبي مائع، تزاج بين الحداثة والأصالة، فأما حداتها فالغاية المرجوة منها هي مخاطبة الأجيال الصاعدة بلغة أقرب الى قلوبهم وإلى عقولهم ليفهموها مليا، وأما الأصالة فهدفها الارتقاء بذائقة الأجيال الى أفق أرحب و"تثوير الوعي" وإحداث العصف الذهني المطلوب لديهم، مقابل تجنب "تنميط العقل الجمعي أو تسطيحه أو تخديره أو تغيبه أو تغريبه" كما تفعل مؤسسات وجهات عديدة تجد نفسها وتحقق مصالحها وغاياتها الخبيثة من خلال الثانية، في ذات الوقت الذي تقف فيه خصما عنيدا أمام الأولى التي تتعارض كليا مع مصالحها وتتقاطع تماما مع أهدافها، ولا غرو بأن تثوير الوعي والتبصير الذي ننشده لا علاقة له بما يسمى تجاوزا وجزافا بـ "التنوير" لما لحق بهذا المصطلح من مثالب ورزايا لا تعد ولا تحصى وبما لا يخفى على باحث ملم ولا سيما لارتباط التنوير بحركات الاستشراق والتغريب العابرة للحدود، بينما هدفنا هو نشر الوعي الهادف بين الشباب وتبصيرهم بما ينفعهم في حاضرهم ومستقبلهم وفي مجمل حياتهم العملية والثقافية والأسرية والإجتماعية والمهنية "بعد أن أفسدت ذائقتهم، وسطحت معارفهم، وغربت قيمهم العوملة الوافدة، والفضاء السيبراني بقضيه وقضيضه حتى أدمنوا استقاء المعلومات منهما حصريا دوننا عن الكتب المعتمدة أسوة بالمراجع والمصادر المعتمدة وبما جعلهم يستغنون عن القراءة الجادة كليا أو جزئيا مكتفين بتلقي معلومات سريعة ومبتسرة أشبه ما تكون بأكلات التيك أو أي وجلها إن لم يكن كلها إما غرائزي أو طائفي أو أيديولوجي أو خيالي وأسطوري أو مزيف، وبما لا يسمن ولا يغني من جوع في عصر التصحر المعرفي، والجذب الثقافي، وحبذا لو كانت النتاجات التوعوية، المقروءة منها والمرئية والمسموعة مقدمة بطرق جذابة ولافتة وغير تقليدية تحاكي الواقع المعاش ولا تهرب منه، تارة "ميثولوجيا أو نوستاليجيا أو ميتافيزيقيا" الى الوراء، وأخرى "طوباويا أو ديستوبيا أو ساينتولوجيا" الى الأمام، فنحن بحاجة الى مناقشة وقراءة حاضرتنا مشفوعا باستلهاام العبر والعظات المهمة من ماضيها المشرق، لصياغة واستشراف مستقبلنا الواعد وبما يعرف بـ "Futures studies أو Futurology" وبأساليب تخلب الأبواب لتزهر بصائر متوقدة، ووعيا ثاقبا يحقق الغاية المرجوة، وليترجم الأهداف النبيلة المنشودة للعباد والبلاد على سواء.



وللغوص أكثر في أعماق منظومة صناعة الوعي المتقدم، ونشر الأفكار المبدعة الخلاقة، وغرس القيم المعتبرة بطرق مبتكرة حاورنا التربوي العراقي وصانع المحتوى التوعوي النبيل الهادف الذي يحظى بمئات المتابعات، والآف المشاهدات الاستاذ علاء ياسين، وبإدارناه بالسؤال الأول:

* ماذا تقرأ بطاقتك التربوية والدعوية؟

-أنا مهتم بمجال نشر القيم وأساليب غرسها في النفس البشرية، كما أنني تدريسي في مدرسة البيارق النموذجية، والحق يقال فلقد

لاحظت ومن خلال المتابعة المجتمعية ورصد بعض الحالات التربوية السلبية بأنها قد أخذت تقنن السلوكيات الخاطئة حتى أصبحت جزءاً من الشخصية العامة بعد أن تأصلت فيها منذ الصغر الأمر الذي قدح في ذهني فكرة تصحيح هذه الآفات المجتمعية، والتنبيه عليها، والتحذير منها وذلك عبر مقاطع تربوية هادفة، كل ذلك على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ولا سيما وأني أتمتع بمهارة كتابة سيناريو الأفلام القصيرة علاوة على منتجتها حيث بدأت بتصوير الفيديو الأول وكان بعنوان (الإهمال في تربية الأولاد)، لتستمر بعد ذلك السلسلة التربوية والتوعوية الهادفة بعناوين مختلفة ومضامين متنوعة اضافة الى الظهور في برنامج تربوي قيبي يحاكي الشباب لنشر الوعي وتصحيح المفاهيم وغرس القيم المجتمعية فيهم، ومن الله التوفيق.

* ما هي الأساليب التي تعتقد بأنها الأكثر تأثيراً والأبعد أثراً في مجال غرس القيم المجتمعية، ونشر الأفكار النافعة، وصناعة الوعي المتقدم، ولاسيما بين شريحة الشباب في ظل الفوضى الرقمية العارمة التي تجتاح العالم من أقصاه الى أقصاه؟

-قال تعالى في محكم التنزيل (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ..

فمشعل النور هنا نقصد به الدعوة إلى الله تعالى وتعريف الناس به سبحانه جل في علاه على بصيرة وتقوم هذه الدعوة على أساسين (معرفة الحق، ورحمة الخلق) ومن هنا جاء هاشتاج #العلم_وسيلة_الرحمة_غاية، فهذه ضرورة لصناعة العالم الرباني وتهيئة الداعية الحضيف كما جاء في قوله تعالى: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)، وتقديم الرحمة في الآية على العلم من باب تقديم الغايات على الوسائل، فالرحمة غاية والعلم وسيلة، وفي الآية إشارة بليغة، وهي: أن الرحمة في الدعوة والعلم في الفتوى من آثار اتصاف العالم بالعبودية ؛ فعلى قدر عبوديته تكون رحمته وتظهر حقائق علمه، ويجب على كل داعية ومرب أن يلتزم بالرحمة كغاية يسعى إليها بكل ما أوتي من وسيلة وإذا كان موسى عليه السلام وهو النبي الرسول قد احتاج في مقام تلقيه العلم من العبد الصالح إلى الرحمة : فحاجة العامي أو طالب العلم إلى الرحمة من معلمه أو استاذه من باب أولى...

المغالة في المهور

وعزوف الشباب عن الزواج!

قال رسول الله ﷺ:

«أعظم النكاح بركة

أيسره مؤونة»

رواه أحمد وصححه الألباني



لقد فتح القرآن الكريم والسنة النبوية باب التطوع للدعوة الى الله وذلك في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)، وقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ومشاعل النور في القرآن الكريم فمؤمن آل فرعون الذي يكتفئ إيمانه يقول: (اتَّقَتُوا رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ)، بينما تحول سحرة فرعون من مشاعل نار الى مشاعل نور بقولهم (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا).

**الرياضة
تصنع بطلاً...
والقيم
تصنع إنساناً**

**يقدمها
أ. علاء ياسين العزاوي**

الزمان:
يوم الأحد الموافق
2026/7/26

المكان:
قاعة المنتدى

الأخلاق
روح رياضية
احترام وتعاون

بناء الشخصية
يُصنع القائد
ويعزز الثقة

الانضباط
ينظم الوقت
ويصنع النجاح

الرياضة
تقوي الجسد
وتجدد الطاقة

معاً نحو شباب واعٍ .. قوِّي الأخلاق .. نشيط العطاء

ومن السيرة النبوية العطرة قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي، وكيف أرسله الحبيب المصطفى ﷺ إلى قومه مشعل نور فما أحسن في بداية أمره ولم يتبعه إلا القليل فأرشدته إلى الرفق بقومه وعلمه بأنه مشعل نور لا نار، ولا سيما وأنه قد سأل النبي ﷺ، بأن يدعو على قومه فلم يفعل عليه الصلاة والسلام ولكن أمره بالرفق ففعل فأسلم على يده ٨٠ بيتاً من قبيلته دوس.

أما عن أجور المتطوعين لهداية الناس فنجدها في الحديث عن علي رضي الله عنه في خير (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) وحديث (من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من دعاهم....).



فمشاعل النار كان يتقدمهم فرعون وهو الرمز الأكبر في هذا المجال لقوله تعالى (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) وقال تعالى عن الذين تزعموا اضلال الناس بدلا من هدايتهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) وفي ذلك قال ﷺ (ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا).

وأنوه الى أن خيرية الإنسان المسلم مشروطة بحسن تعلم القرآن وتعليمه، وقد كان لي محاضرة مهمة عن فضل العمل بالقرآن الكريم ومراتب الخيرية في التعامل معه على هامش دورات القرآن الصيفية المباركة وفي ختامها، فالقرآن شفاء وضيء وهناء وصفاء، وهو حبل الوصل بيننا وبين رب الأرض والسماء، وبه نضبط علاقتنا بالأحباب والأعداء؛ لا حرمننا الله من صحبتته صباح مساء.

والخلاصة هي أن الدعوة الى الله تعالى ليست حكرا على الأنبياء والعلماء وإنما هي إرث نبوي مشاع بين المسلمين رجالا ونساء وكبارا وصغارا فكونوا مشاعل نور فالوقت عصيب والحاجة ملحة.

* ما أوجنا اليوم الى الدعاة والمرشدين الواقعيين الميدانيين العاملين، فهل هناك خطة عمل في هذا الإطار الغائب جزئيا إما تكاسلا أو سهوا عن الساحة؟

الأكل الحرام

يؤدي إلى التعري الجسدي والأخلاقي!!!

من آثار المال الحرام:
يظن صاحبه أنه ينعم،
وهو في الحقيقة
يجلب الخراب إلى قلبه
ودينته ودنياه.

النهاية المحتومة:
ينفد الحياء،
وتذبل القلب،
ويتحول إلى عبد
للشهواته.

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾
[البقرة: 172]

➤ من آثار الأكل الحرام: ➤

 قسوة القلب وحرمان الطمأنينة.	 ذهاب الحياء وقلة المروءة.	 التعلق بالشهوات وضعف الإرادة.	 التعري الجسدي في الدنيا.	 التعري الأخلاقي والفضيحة يوم القيامة
--	---	---	---	--

**اللهم طهر كسبنا، وطهر طعامنا،
وطهر أعمالنا، واغفر لنا وارحمنا.**

- الحقيقة أن قيمة التوازن في الشخصية المسلمة يتمثل بـ (العقيدة - العبادة - المعاملة) وكل حركة دينية أو دنيوية لن تخرج عن إطار هذه الأركان الثلاثة، فأى خلل أو هفوة أو غفلة عن أحد هذه الأركان الثلاثة تتسبب بجريمة وإثم ومعصية للخالق، وإيذاء للمخلوق، كما أن النقد البناء المثمر مطلوب جدا للتقويم والتقييم، وذلك بخلاف الانتقاد غير البناء الذي يراد من ورائه التسقيط، وتقليل الشأن أكثر من تقويم الإعوجاج، وتشخيص الأخطاء، فبالتقويم والنقد البناء يُفصل المُجمل، ويوضح المُشكّل، وتُستجلى الحقائق، وتبين الوقائع، وبه توضع النقاط على الحروف وذلك بخلاف الانتقاد غير البناء الذي يوغر الصدور، ويفرق الجموع، ويكثر من المراء والجدل، ومن الشحناء والبغضاء، ومن القيل والقال، ولاسيما في أزمنة الشح المطاع والهوى المتبع والدنيا المؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه كتلك التي نعيشها حاليا.

*أنت ناشط في مجال الدعوة والتربية المدرسية والرقمية على سواء ولا يكاد يمر يوم إلا وتنشر فيه من خلال صفحاتك على مواقع التواصل الاجتماعي مقطعا تربويا هادفا تارة عبر البث المباشر أو خلال رحلة مدرسية أو

ندوة ثقافية أو حلقة قرآنية، فما هي أهم الأسباب والمعطيات الموضوعية التي دعتك الى بذل كل هذا المجهود المضي المبارك؟



العدل
أمانة ومسؤولية
وضن أقامها فقد أقام الحق

ابتزاز
خيانة للأمانة
وجريمة يعاقب عليها القانون

**المحاسبة رسالة
لإقامة العدل،
لا وسيلة لابتزاز الضعفاء.**

كرامة الناس
مصونة، ومن انتهكها
فقد خسر دينه ودنياه.

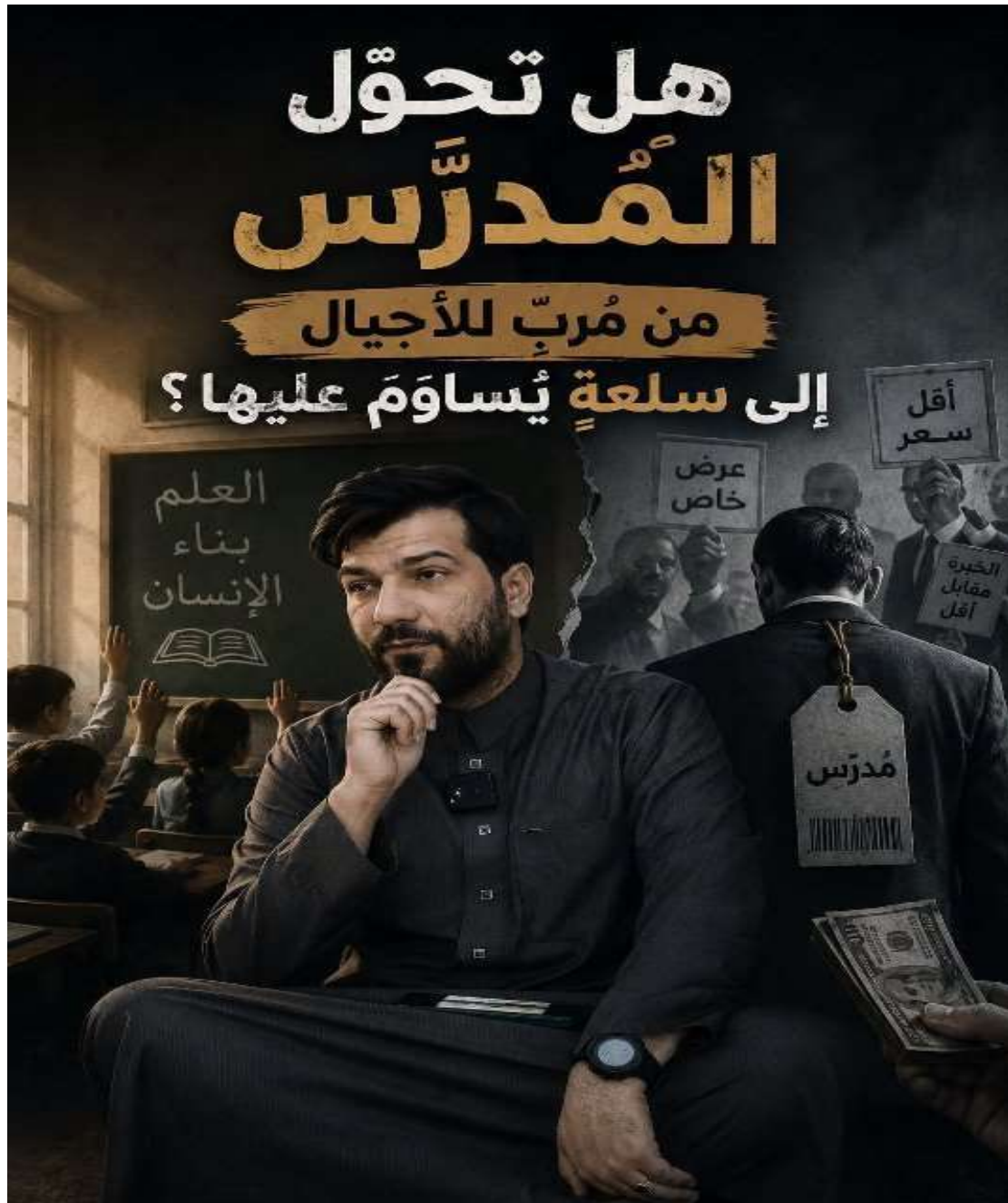
ادافع بالحق
ولا تستغل حاجة
موكلتك.

احفظ الأمانة
فهي مسؤوليتك
أمام الله وأمام الناس.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ
[النساء: 58]

- عندما نرى نسمع وعلى مدار الساعة جرائم الاباحية والقتل والمخدرات والانتحار والاتجار بالأعضاء البشرية والابتزاز الالكتروني إضافة الى الإغواء وقرصنة الحسابات وترويج الإلحاد زيادة على المحتوى الهابط الذي تقدمه الفاشينيسسات والانفلونسريات وأشباههن من صناع هذا النوع من المحتوى من خلال ما بات يعرف بـ "الديب ويب" و "الدارك ويب" وكل ذلك من دون رد مقابل يوازيه في القوة ويعاكسه في الاتجاه وبما لا يعطينا من المسؤولية أمام الباري عز وجل، كل ذلك دفعني الى صناعة محتوى تربوي هادف وبما يحلو لبعضهم تسميته بـ "الوايت ويب" أو "الفضيلة ويب" ليمثل مواجهة حقيقية وفاعلة بين "المحتوى النابض" من جهة، وبين المحتوى الهابط " من جهة أخرى، أما عن أسباب التقصير غير المحمود لبعض الناشطين فمرده أحيانا الى قلة الخبرة بعوالم

وتقنيات الفضاء السيبراني من قبل بعض الفضلاء، وربما لخشية بعضهم من الدخول في مهارات علنية و
مماحكات مع السفهاء والدخلاء ممن لا يناقشوا لينتفعوا أو يتعلموا وإنما ليسفهاوا المقابل ويحطوا من قدره
ومن قيمة ما يقوله فحسب ولا بد لنا من إعداد المعلم الرسالي الذي أرجوه بصدق وإخلاص لإشاعة ونشر ثقافة
المجادة في الحياة ولنشعر بطعم النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.
وبفضل الله تعالى فقد أتممت البرنامج التفاعلي الموسوم "مملكة القيم وتطبيقات الذكاء الاصطناعي" بثلاث
جلسات في هذا البرنامج الذي يهدف إلى استكشاف تطبيقات القيم وفهم آليات عملها للبروفيسور الدكتور زهير
المزدي..



* بما أنك أستاذ وتربوي تعمل جاهدا على بناء الافكار وغرس القيم المجتمعية، ونشر الوعي فهل تطرقت في
مقاطعتك المصورة الى حالة الغش في الامتحانات التي تمثل عبئا على التربية والتعليم فضلا على كونها تغمط
حقوق المجتهدين والمثابرين من الطلبة لصالح الكسالى والمغيبين؟

-نعم بالتأكيد فقد أعددت مقطع ريلز وتم بثه على صفحتي في فيس بوك تناولت فيه مخاطر تعليم الأبناء الحيلة والغش من حيث ندري ولا ندري مع دعوتي الى تصحيح طرق التفكير وأساليب تربية الاطفال، وبفضل الله تعالى فقد حظي الريلز باهتمام كبير وبتفاعل واسع، ولا يفوتنا بأن كثرة الدلال معاناة في الصغر وشقاء في الكبر، ولقد حرصت في محاضرة أخرى على تعليم الأولاد فن (إدارة المشكلات) وذلك من خلال نشاط عملي يعزز قيمة الأخوة، ليكون عوناً لهم في تحمل مسؤولياتهم والتعامل مع ضغوط الحياة بحكمة وثبات.

ولعل من جميل ما شاركت فيه مؤخراً هو مخيم الأمين التربوي الأول الذي أقيم في جامع الأمين صلى الله عليه وسلم بناحية طق طق التابعة لقضاء كويسنجق في مدينة أربيل حيث تخللت الملتقى فقرات تربوية وثقافية تقوي صلة الشباب برهيم، وصلتهم بدينهم متناولة أهمية الصلاة في حياة المسلم، الأسرة وبر الوالدين، استخدام الأنترنت بشكل إيجابي، مهارة استثمار الوقت، اضافة الى فقرات ترفيهية ورياضية وزيارة الأماكن السياحية.



من

متطلبات المرحلة؛

- ضبط النفس .. 
- والحد من المشكلات .. 
- ورد المظالم .. 
- وجمع الكلمة .. 

**” كل ذلك لمن استطاع
إليه سبيلاً .. “**

أ. علاء ياسين العزاوي

- ضبط النفس 
- الحد من المشكلات 
- رد المظالم 
- جمع الكلمة 

*"كونوا مشاعل نور فالوقت عصيب والحاجة ملحة" واحد من بوستاتك الجميلة التي لا تفتأ تكررهما وتؤكد عليها ضمن قاعدة " العلم وسيلة والرحمة غاية " فهل هناك مقترحات عملية في هذا المجال بالإمكان ترجمتها الى واقع ملموس أملا باقتباسها ونشرها بين المهتمين؟



-الحقيقة لابد من التحرك العاجل غير الآجل لنشر الفضائل وكبح جماح الرذائل بالحكمة والموعظة الحسنة كما أسلفنا ولابد من تخطي حالة التدين المنكوس الذي كرهه الناس ولفظوه عند الدعوة فبعض من يعيش في العالم الافتراضي (مواقع التواصل) يظهر غيظه على الدين ليعطي انطبعا للمشاهدين والمتابعين كمال إيمانه وتقواه، لينشر أحدهم على سبيل المثال قصة عن تبرج النساء، وإهمال تربية الآباء لأبنائهم وبالأخص الإناث منهم، وهذا ولا شك جهد مشكور، وعمل مبرور، مع تحفظي على بعض ألفاظه، ولكن أن تجد ذات الشخص وبعد فترة وهو بمعية جمع من النساء المتزينات والمتبرجات يتبادل معهم النكات والضحكات فهنا تدرك حجم الفصام والانقسام بين المبادئ المنطلقة من الشريعة والثوابت والقيم، وبين المصالح المنطلقة من الأهواء والأمزجة والرغبات، وعندما وقع بصري على هذا المنظر قلت في نفسي صدق رسول الله ﷺ القائل (إذا خلا

بمحارم الله انتهكوها) وهذا الصنف وأمثاله قد توعدهم الباري عز وجل في كتابه الحكيم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)....

كما ألفت عناية المهتمين الى عدم تضييع الأفكار نتيجة رداءة الأسلوب وهذا الموضوع ولا شك يحتاج إلى دربة ومران للحفاظ على التميز في طرح الفكرة وتسويقها بحرفية، ومعلوم أن الشخصية العراقية بطبيعتها تميل الى الجدال وليس من السهل إقناعها وتأسيسا على ذلك فإن معاناتنا كبيرة في هذا الشأن وكثير من المؤسسات بشق صنوفها ومجالاتها، لا يحسن بعض إداريها الحديث بطريقة محبة تشد المتابعين والمستمعين.



*من جميل مقاطعك الدعوية الهادفة مقطع يتحدث عن استثمار ذكرى المولد النبوي العطرة في وحدة الأمة وتآلفها وتحقيق مقومات التقدم النهضوي، والازاحة الفكرية المطلوبة في هذه المرحلة العصبية، حدثنا عن ذلك قليلا.

لا شك أن ذكرى ميلاد المصطفى ﷺ هو مشروع لوحدة الأمة واجتماع كلمتها وإنتاج فكر جديد لهضبة أمتنا المكشوفة الموجهة المفزعة المحاربة في هويتها ووجودها، ونبراً إلى الله ممن خالف شريعة رسول الله وارتكاب المحرمات فهذا لا يمت للحبيب بصلة ولا يقبله ذو عقل ولا صاحب مروءة ولكن المصلحة المرجوة أن يكون الميلاد له رؤية أخرى في عالمنا الإسلامي، ولئن كان العالم بالأمس في حاجة إلى ولادة رسول الله ﷺ ؛ فإنّ عالم اليوم أشدّ حاجة إليها، ولكنّ الولادة اليوم لن تكون من رحم أمانة بنت وهب، بل يجب أن تكون في قلوب وعقول المسلمين

وبأيديهم وجهودهم؛ فإن لم يولد رسول الله ﷺ من جديد في عالم اليوم فنحن سنكون المسؤولين عن تأخر هذه الولادة أو إفشالها...

والاحتفال كما تعلمون في اللغة يأتي بمعنى الاجتماع والاهتمام والقيام بالشيء ويتعدى بالباء واللام، وهو فعل مباح في الأصل ويأخذ حكم المحتفل به أو لأجله...

والباء في (بالمولد) باء سببية أي سبب الاجتماع والاحتفال هو (المولد النبوي الشريف) ومن هنا نفهم أن الاحتفال فعل فطري جبلي ونحن نعلم بأن الشرعيات لا تتعلق بالجبليات من حيث الإيجاد والاعدام لذاتها ولكن تتعلق بها من حيث الدوافع والتوجيه والتهديب، والاحتفال فعل له دوافع وتعلقات منها الفطري المشاعري العاطفي ومنها التعبدية التوقيفية.

* كلمة أخيرة تودون توجيهها للشباب من جهة، وإلى الدعاة والتربويين من جهة أخرى.
-لقد جرت العادة أن يستعمل الناس النار لتبديد ظلمة الليل، واستعمل القرآن الكريم النور لتبديد ظلمة الجهل والزيغ والضلال (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)... فاللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشدي في أهلك طاعتك
ويهدى فيه أهل معصيتك، اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا وارزقنا الهداية والصلاح..

(*) حوار المنشور في "مجلة الكاردينيا العربية" الصادرة في زيورخ / سويسرا بتاريخ الثلاثاء، 15 تشرين 1/أكتوبر

2024

فنجان قهوة افتراضية..في عيادة الماسنجر الطبية مع البروفيسور أسعد فاضل حمودي(*)

* المداومة على تعاطي الأدوية المنومة والمهدئة للجهاز العصبي يمكن أن يؤدي إلى الإدمان الدوائي.

* هناك عدة عوامل وراء انتشار مرض السكري يتصدرها النظام الغذائي غير الصحي و قلة النشاط البدني والوراثة.

* النصيحة الذهبية التي أقدمها للنساء كافة للكشف المبكر عن سرطان الثدي تتمثل بإجراء الفحص الذاتي وبانتظام.



بداية وفي هذا الحوار الممتع أنه الى أن قهوتنا الافتراضية ستغادر عوالم الأدب والقصة والرواية والصحافة هذه المرة والتي لطالما عودنا قراءنا الأمانة عليها، لنغرد في عالمي الطب والعلاج والصحة المجتمعية مع واحد من ألمع الأطباء العراقيين المبدعين، وأحد الأكاديميين المتخصصين، وعلم من أعلام الاساتذة الجامعيين الخلوقين والمتميزين، إذ لطالما استهوتني كتابة المقالات والتقارير المتلفزة علاوة على إجراء الحوارات والمقابلات والتحقيقات الصحفية مع شريحة الأطباء الأعلام ممن كانت لهم بصمات وجولات في هذا المضمار الإنساني والحيوي الكبير، وكيف لا يكون ذلك من جملة اهتماماتي وفي صدارتها، وسجلنا الطبي العربي – الإسلامي حافل بأجدادنا من الأطباء العظام يتصدرهم الطبيب المسلم "ابن النفيس" وهو أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل وليام هارفي، يعقود طويلة، ومن مؤلفاته العلمية (شرح تشريح القانون) و(الشامل في الصناعة الطبية) و (الرسالة الكاملية في السيرة النبوية) ومن حكمه الخالدة " لنذكر دوما قولهم:إذا تساوت الأذهان والهمم، فمتأخر كل صنعة خير من متقدمها".

كذلك الحال مع الطبيب "ابن الهيثم" الذي سبق علماء الغرب في علم البصريات بثلاثة قرون، ومن أشهر مؤلفاته (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) الذي تضمن وصفا لـ 1400 عقار، و"المغني في الأدوية المفردة" و"رسالة في تداوي السموم" و"ميزان الطبيب" وقد تأثر به كل من المستشرق الألماني فون زونتهايمر، والطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك.

وعلى خطاهم الطبيب "الزهرابي" ويعد أول من ابتكر القسطرة وطور الأدوات الجراحية وابتكر خياطة الجروح، فضلا على أنه أول من اكتشف الطبيعة الوراثية لمرض (الهيموفيليا)، وأول من وصف عملية القسطرة، وأول من توصل الى وقف النزيف بربط الشرايين بخيوط الحرير، ومن أشهر مؤلفاته (التصريف لمن عجز عن التأليف) وقد ظل مرجعا في الطب لخمسة قرون في عامة أوروبا.

وعلى منولهم الطبيب "الرازي" الذي يعد الرائد الذي ألف في مرض الجدري و الحصبة، ليكتب أول دراسة سريرية للأمراض المعدية في التاريخ البشري، وهو أول من ابتكر "الفحص السريري"، والعلاج النفسي، والعلاج المفرد، وخيوط "القصاب" الجراحية، حتى عده المؤرخ الإيطالي ألدو ميللي، من "أعظم الأطباء العرب"، ومن أشهر كتبه "الحاوي في علم التداوي" الذي ظل مرجعا طبيا لـ 400 عام، كذلك كتابه الطبي ذائع الصيت "من لا يحضره الطبيب" و"المنصوري في التشريح" ومن نصائحه الطبية الخالدة قوله "إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة..ومن تطيب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم!".

ومثلهم الطبيب والفيلسوف "ابن سينا الملقب بـ"أرسطو المسلمين" والذي درج محرك البحث العالمي "غوغل" على الاحتفاء بميلاده سنويا ولاسيما وأنه قد برع في علوم الفلسفة والطب والرياضيات والفيزياء والفلك، وله أكثر من 240 مؤلفا أشهرها (القانون في الطب) و(الشفاء) وهو القائل "الوهم نصف الداء، والإطمئنان نصف الدواء، والصبر أول خطوات الشفاء..احذروا البطنة، فإن أكثر العلل إنما تتولد من فضول الطعام". وعلى خطاهم (زين الدين الأديني) وإن لم يكن الأخير طبيبا، إلا أنه كان أول من ابتكر طريقة الأحرف البارزة – النافرة – لمساعدة المكفوفين على القراءة، قبل الفرنسي لويس برايل بـ 550 عاما، والقائمة طويلة جدا وبما لايتسع المقام لاستعراض عشر معشارها ولو بالحد الأدنى.

ضيف كريم فوق العادة

عوداً على بدء فإن ضيف مقهى الماسنجر الطبي في هذه الحلقة هو البروفيسور الطبيب أسعد فاضل حمودي، الذي يحمل شهادة البكالوريوس في الطب الباطني والجراحة العامة من كلية الطب / جامعة بغداد، والحاصل على شهادة البورد (دكتوراه) في تخصص الأمراض المناعية، من المجلس العراقي للاختصاصات الطبية، يعمل حالياً استاذاً تدريسياً في كلية الطب-الجامعة العراقية / فرع الأمراض والطب العدلي الذي يترأسه.

ولضيفنا العزيز عدة بحوث علمية رصينة منشورة في مجلات عالمية متخصصة ضمن مستوعبات بحثية معتمدة، تتناول بحوثه مواضيع التقصي والتشخيص المناعي لعدد من الأمراض ومن بينها سرطانات الجهاز العصبي، الجهاز البولي، اضافة الى مجموعة بحوث أخرى تتعلق بأمراض الجهاز الهضمي والجوانب المناعية المرتبطة بها، التهابات المفاصل المناعية والبكتيرية، التدرن الرئوي والتعقيدات العلاجية المرافقة، سرطان الثدي والتشخيص المناعي.

مارس أ. د أسعد فاضل حمودي، الطب في المؤسسات الصحية الحكومية في بداية حياته المهنية قبل انتقاله الى سلك التعليم العالي والتدريس بكلية الطب.

تولى التدريس لأكثر من مرحلة دراسية في كلية الطب ولمواضيع متعددة ضمن الاختصاص وما حوله، شارك في عدد كبير من لجان ووحدات الكلية ذات الطابع التعليمي الأكاديمي والإداري - عضواً ورئيساً- كما أشرف على بعض الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه)، وشارك في العديد من لجان امتحانات طلبة الدراسات العليا ولجان المناقشات في عدة جامعات عراقية.

لقد بادرنّا أ.د أسعد فاضل، بسؤالنا الأول فأجاب عليه مصحوباً بابتسامته الجميلة المعهودة التي تنم عن تواضع أصحاب العلم، وعن طيب القلب، وقوة الشخصية، ابتسامة أسرة لم تغادر محياه طيلة حوارنا معه، لتتوالى الأسئلة المهمة، متبوعة بالإجابات الأهم وكلها تعنى بصحة الأفراد والأسرة والمجتمع مشفوعة بطرق الوقاية والعلاج من الأمراض الأخطر والأشهر:

* يعاني كثير من الكادحين وأصحاب الحرف اليدوية من ما يعرف بـ "أمراض المهن" وبعضها أمراض فيزيائية أو إشعاعية أو كيميائية أو بيولوجية تتمخض عن عشرات الأمراض الجلدية والعضوية و التنفسية والهضمية الحادة بمرور الوقت، إضافة الى الإصابة بالأمراض السمع- بصرية، فماذا ننصحون أصحاب المهن كافة للوقاية من تداعيات هذه الأمراض المزعجة والمكلفة؟

-الوقاية من أمراض المهن تتطلب اتباع إجراءات السلامة والصحة المهنية، نحو ارتداء الكمامات والقفازات والملابس الواقية، مثال: سترة الرصاص التي ينصح بارتدائها من قبل المصورين الشعاعيين في عيادات ومراكز التصوير الشعاعي الطبي، كذلك توفير بيئة عمل آمنة، والتدريب على التعامل مع المواد الكيميائية والفيزيائية بشكل صحيح. ولا يغيب عنا دور الفحوص الدورية المعمول بها ومنها قياس نسبة الإشعاع، وأحياناً الفحوصات المختبرية ومنها فحوصات الدم لمراقبة تأثير بعض العوامل المختلفة على الصحة العامة.

* ما تأثير المداومة على تعاطي الأدوية المسكنة والمنومة والمهدئة، وهل كلها تؤدي الى الإدمان الدوائي لاحقاً وبما يصعب علاجه مستقبلاً؟

-المداومة على تعاطي هذه الأدوية، و تحديداً المنومة منها كذلك المهدئة للجهاز العصبي، يمكن أن يؤدي إلى الإدمان الدوائي، خاصة إذا لم يتم تناولها تحت إشراف طبي. وليس كل هذه الأدوية تؤدي إلى الإدمان بالدرجة نفسها، ولكن يجب الحذر عند استخدامها. مع العلم أن تسمية "المسكنات" قد يعدها بعضهم أدوية شكلية وليست علاجية نهائياً، ولكن والحق يقال هي أدوية تقلل من الإحساس بالألام وتمنع الالتهابات الخلوية التي تحدث كثيراً في بعض أمراض العظام والمفاصل علاوة على بعض الأحشاء والأنسجة الرخوة والجلد وغيرها، بمعنى أنها ليست دائماً عديمة الفائدة من ناحية العلاج والتعافي.

* ما هي مسببات مرض الصرع الذي خصصت له الأمم المتحدة يوماً عالمياً في الـ 13 من شباط في كل عام، وهل للوراثة دور في إصابة بعض أفراد الأسرة بهذا المرض؟

-الصرع يمكن أن يكون ناتجاً عن أسباب مختلفة، بما في ذلك الوراثة، إصابات الدماغ، بعض المواد الكيميائية والأورام. فالوراثة تلعب دوراً في بعض أنواع الصرع، ولكن ليس كل الحالات تكون وراثية. ويجب التفريق بين الصرع الاختلاجات، أو ما يطلق عليه شعبياً "الشمرة" التي تحدث في بعض حالات ارتفاع درجة الحرارة عند الأطفال بأعمار تتراوح بين 5 شهور الى 5 سنوات، ويكون التفريق والتمييز من خلال استشارة الطبيب المختص وقيام ذوي الطفل بتوضيح تاريخ الحالة إضافة الى أوقات حدوثها وكيفيةها.

* منذ انتشار جائحة كورونا (كوفيد - 19) وتحوراتها المتلاحقة مشفوعة بتناقل العديد من المعلومات بشأن انتقالها من الخفافيش، أو القروود لاحظنا وجود هواجس وصلت الى حد الفوبيا من مغبة انتقال بعض الأمراض الحيوانية الى البشر وفي مقدمتها الحمى النزفية، و سارس، وإيبولا، وزيكا، و جدري القروود، وحمى الوادي المتصدع، وإنفلونزا الطيور، وعلى منوالها إنفلونزا الخنازير، وغيرها، ولطالما تردد سؤال حائر حول الأسباب التي تقف وراء ظاهرة انتقال بعض الأمراض الحيوانية الخطيرة الى البشر، وهل لظاهرة تربية الحيوانات بأنواعها في المنازل أو بالقرب منها والتي قد شاعت مؤخراً علاقة بانتشارها؟

-العديد من الأمراض الحيوانية يمكن أن تنتقل إلى البشر بسبب التفاعل الوثيق مع الحيوانات، سواء كانت تلك الحيوانات أليفة أو برية. ولاشك أن تربية الحيوانات في المنازل أو بالقرب منها يمكن أن تزيد من مخاطر انتقال الأمراض إذا لم تُتبع ممارسات النظافة والصحة العامة بشكل صحيح. ومن شأن المسببات لكثير من الأمراض، وبخاصة الفيروسات، والتي تتعرض لتغيير متعدد في تركيباتها الجينية ما يسمح لها بإصابة الأفراد بشكل متجدد برغم توفر بعض العلاجات وربما حتى بعض اللقاحات، لتتحول الإصابة من مرض يصيب الحيوانات - حصرياً - ليبداً بالانتقال الى البشر، وقد تكون الأخطاء التي تحصل في مراكز أو مختبرات حفظ نماذج معينة من الفيروسات أو غيرها من الأحياء المجهرية لأغراض بحثية أو علاجية، لتكون سبباً في تفشي مرض معين بشكل غير مقصود. لكن الوقاية تبقى هي السلاح الأهم وكذلك استشارة المختصين ومتابعة التوجيهات العلمية من الهيئات والمؤسسات المعتمدة والابتعاد عن الأخبار والادعاءات التي تروجها بعض المواقع والأشخاص ممن يصرحون بلا دليل علمي موثق ولا استخدام وسائل عملية معيارية (Evidence based Medicine and Standard operating procedures)

* لقد حل العراق في الإحصائية الدولية لمرضى السكري الصادرة عام 2024 بالمرتبة الـ 11 عربياً من بين 22 دولة، وبالمرتبة 58 عالمياً من أصل 208 دولة ونسبة إصابة بلغت 10.7%، فما هي أسباب انتشار مرض السكري على هذا النحو المقلق، وما هي الاحتياطات الواجب اتخاذها لمنع الإصابة به فضلاً على الحد منه بنوعيه، الأول والثاني ولاسيما وأن الأمم المتحدة قد خصصت له يوماً عالمياً في الـ 14 تشرين 1 من كل عام؟



-السكري ينتشر بسبب عوامل متعددة تشمل النظام الغذائي غير الصحي، قلة النشاط البدني، والوراثة. ويظن العلماء أن قائمة الأسباب تشمل أحياناً الإصابة بفيروسات معينة أو باضطراب مناعي ذاتي (خاصة النوع الأول الذي يصيب الأطفال غالباً).

ومؤكد بأن الاحتياطات تشمل اتباع نظام غذائي صحي، ممارسة الرياضة بانتظام، والفحص الدوري للكشف المبكر عن المرض. وللفحص المخبري سياق معين يفضل اتباعه للوصول للتشخيص الصحيح بإشراف الطبيب المختص، ولا ننصح بالاعتماد على نتيجة فحص في مرة واحدة، أو بتوقيت ليس ضمن السياق التشخيصي.

* يعاني كثير من الشرق أوسطيين من ما يسمى بـ التهاب العصب السابع، فما هو هذا المرض وما علاجه ولاسيما بوجود بعض الخرافات والعادات الشعبية المرتبطة به ولا أساس لها من الصحة؟
-التهاب العصب السابع، المعروف أيضًا بشلل الوجه النصفي، هو حالة تؤدي إلى شلل أو ضعف في عضلات الوجه. قد ينتج ذلك من إصابة فيروسية معينة أو اضطراب عصبي في نسيج العصب أو وظيفته أو بعض الأسباب المناعية. أما العلاج فيشمل الأدوية المضادة للفيروسات، الكورتيكوستيرويدات، والعلاج الطبيعي. ولا يمكن اعتماد الأساليب البعيدة عن الممارسة الطبية العلاجية الموثقة، كما نشاهدها في بعض المجتمعات، ولا يعني هذا اهمال دور مايسعى بالطب التكميلي على أن تقدر كل حالة بقدرها.

* نسمع كثيرا بمرض النقرس المعروف بداء الملوك والذي خصصت له الأمم المتحدة يوما عالميا من كل عام في الـ 22 مايو/أيار، فما هي أسبابه، ولماذا سمي بهذا الاسم الذي يثير جانبا من التحسس الطبي وبما يشي بأنه حكر على الأثرياء من دون الفقراء ؟

– النقرس هو نوع من التهاب المفاصل يحدث بسبب تراكم حمض اليوريك في الجسم. يسمى بـ "داء الملوك" بسبب ارتباطه بتناول اللحوم والكحول، وهي تسمية قديمة باعتبار أن كثرة تناول اللحوم تنتشر عندهم، ولكن وفي الحقيقة يمكن لأي شخص أن يصاب به، والأطباء المختصون ينصحون بأخذ العلاج في حالة ظهور الأعراض الخاصة بهذا المرض.

* هناك ما يعرف بالسجل المرضي للعائلة، حيث تعاني بعض الأسر والعوائل الكريمة من أمراض وراثية يتناقلها الأبناء عن الآباء كابرا عن كابر ليس أولها الاصابة بمتلازمة اسبرجر "التوحد" ولا آخرها متلازمة داون، مروراً بأمراض السمنة أو النحافة المفرطة، إضافة الى أمراض القلب والضغط والسكري والتقرن ونحوها، والسؤال هاهنا هو كيف السبيل الى فرط عقد السجل المرضي العائلي، وايقاف امتداده وتغوله وانتقاله إلى الأحفاد مستقبلاً؟

-يعد توثيق التاريخ المرضي لكل شخص مهماً جداً، وعند التعامل مع أحد المرضى للوصول للتشخيص والمعالجة يتم السؤال والاستقصاء عن عدة جوانب منها التاريخ المرضي للعائلة، حيث يمكن الاستدلال بشكل أو بآخر على كثير من احتمالات المرض من خلال هذا التاريخ. وأحياناً تسري بعض الأمراض في أفراد العائلة الواحدة لارتباط المرض باضطراب جيني أو استعداد عائلي لاكتساب المرض. بعض الاضطرابات الكروموسومية كالمثال الذي أوردته (متلازمة داون) ينتج عن خلل في عدد الكروموسومات وليس في جين معين، وليس بالضرورة أن يسري في العائلة نفسها.

هذا عدا ما يسمى بالعوامل المحيطة أو البيئية والتي تسهم في سريان عدد من الأمراض في العوائل..كما أن العديد من الأمراض الوراثية تزداد وتيرتها في حالات زواج الأقارب.. لذلك فإن الإستعداد لهذه الأمراض يسمى "متعدد العوامل"، ولمنع انتشار الأمراض الوراثية، يُنصح بالفحص الوراثي والاستشارة الوراثية للأسر التي لديها تاريخ مرضي. التوعية والتشخيص المبكر يمكن أن يساعد في إدارة هذه الأمراض.

* هناك بعض الأمراض الجلدية التي تصيب العديد من الناس والتي يتربع على صدارتها – البرص والصدفية – فلماذا تستعصي مثل هذه الامراض وبرغم التقدم العلمي والطبي الهائل ولا تستجيب للعلاج بسهولة؟

-الأمراض الجلدية مثل البرص والصدفية يمكن أن تكون مستعصية بسبب تعقيداتها واختلاف استجابة الأفراد للعلاج. ومن الأسباب المهمة لاستعصاء بعض هذه الأمراض هو أساسها الجيني أو الأساس المناعي المضطرب، فبعضها ينتج من ما يسمى باضطراب المناعة الذاتية، فمن الممكن أن يهاجم الجهاز المناعي مواقع أو تركيبات معينة أو خلايا من أنسجة الجسم نفسها لأسباب جينية أو إصابات ببعض الفيروسات أو عوامل بيئية مثل الأشعة فوق البنفسجية أو غيرها، كل ذلك ممكن أن يصعب المهمة العلاجية أو يجعلها ذات تأثيرات جانبية، مع ذلك فإن البحث المستمر وتطوير علاجات جديدة من شأنهما أن يساعد في تحسين إدارة التدابير التشخيصية والعلاجية لهذه الأمراض.

* يشكو بعض المرضى من تباين القراءات بين مختبر للتحليلات المرضية وآخر في بعض الأحيان، فهل لهذا التباين علاقة بنوع المواد والمحاليل المستخدمة وبمناشئها العالمية، كذلك الحال مع الأجهزة الطبية والكتات فضلا على تباين خبرات القائمين والعاملين ببعض المختبرات؟

-التباين يمكن أن يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة، وهي جودة المواد والمحاليل المستخدمة، دقة الأجهزة الطبية، وخبرة العاملين و ضبط أدائها. وبالإمكان التخلص من هذه الأسباب من جانب الجهة الفاحصة من خلال اتباع معايير الجودة والسيطرة النوعية وضمان الدقة في كل مختبر، حيث توجد برامج متعددة لفحص ومعايرة الجوانب المتعلقة بالعملية المختبرية برمتها تديرها دوائر وأقسام تابعة لوزارة الصحة - في بلدنا - أما من ناحية المرضى كذلك الحال مع الأشخاص الراغبين بإجراء الفحوصات فممكن استيضاح بعض جوانب الجودة لكل مختبر والاستعانة بتجارب المرضى السابقين ومعرفتهم بالمختبرات ذات الموثوقية فضلاً عن طلب النصيحة من الطبيب الفاحص و قيامه بالنظر في النتائج المستحصلة ومقارنتها مع الفحص السريري و مضاهاتها مع التوقع الممكن للتشخيص على وفق المعايير المهنية والعلمية السليمة.

* الحقيقة أن ما يصدق على بعض المختبرات، يصدق على بعض المذاخر والصيدليات، فهناك من الأدوية ما يكون فعالاً في علاج الأمراض التي وصفت لها وبسرعة قياسية لتسهم في تماثل معظم المرضى للشفاء عاجلاً غير آجل، وهناك ما يطول العلاج به ومن دون جدوى، فهل أن مرد ذلك إلى تباين نسب ومقادير المواد العلاجية بين دواء وآخر مخصص لذات المرض وبنفس التسمية، أم أن السبب يعود إلى سوء التخزين، أو إلى تباين معايير الجودة ورصانة المنتج بين شركات منتجة وجهات مصنعة ونظيراتها أخرى؟

-التباين في فعالية الأدوية يمكن أن يعود إلى جملة أسباب، تشمل جودة التصنيع، طريقة التخزين، وتباين الاستجابة الفردية للعلاج، والالتزام بالإرشادات الواضحة لتناول الأدوية من ناحية الجرعة والتوقيت والإرشادات ذات العلاقة. من المهم اختيار الأدوية من شركات ذات سمعة جيدة واتباع تعليمات وضوابط التخزين والاستخدام.

*لقد شخصنا ومن خلال تعاملنا الإعلامي المتواصل مع بعض الجمعيات الخيرية، والمنظمات الاغاثية والانسانية، أمراضاً تتسبب بأزمات مادية ونفسية وعائلية وصحية كبيرة لأصحابها، يتقدمها مرض التلاسيميا، وضمور العضلات الشوكي، والتصلب اللويحي المتعدد، والكانسر، فيما يواجه الضحايا شافاهم الله تعالى وعافاهم أجمعين، تحديين كبيرين، أولهما يتمثل برحلة العلاج والشفاء الطويلة والمرهقة مادياً ونفسياً، وثانيها نقص الاجهزة والمعدات المطلوبة للتشخيص المبكر والعلاج السريع مرفقا بارتفاع تكاليف الادوية والعمليات

الجراحية المخصصة لها، وقد اقترح العديد من النشطاء تدخل الجهات المعنية لتوفير العلاجات الناجعة وإجراء العمليات الجراحية مجاناً، أو بأسعار رمزية على الأقل للمرضى، فهل تؤيدون هذا المقترح وتشجعون عليه؟ -نعم، نؤيد فكرة توفير العلاجات والعمليات الجراحية بأسعار رمزية أو مجاناً للمرضى الذين لا يستطيعون تحمل التكاليف. فهذا من شأنه أن يساعد في تحسين جودة حياتهم وزيادة فرص شفائهم. ونحن نقوم ما أمكننا ذلك بالمشاركة في لتقديم التسهيلات والمساعدة الممكنة في هذا الباب لتتعاون نحن و كثير من الزملاء - كأفراد أو جمعيات إنسانية - مع ما يمكن الوصول إليه من المؤسسات والأطباء والصيديات والمختبرات وغيرها لتلبية الاحتياجات والتخفيف عن كاهل المرضى وذويهم.

* انتشرت في غضون العقدين الأخيرين ولأسباب عديدة لا مجال لذكرها في هذه العجالة ظاهرة العلاج بالأعشاب، أسوة بظاهرة ما يسمى بالطب البديل أو التكميلي وقد افتتحت لها العديد من العيادات في عشرات المدن والاقضية والنواحي للعلاج بـ العلق ولسعات النحل والوخز بالإبر والترصيص كذلك الحجامه بنوعها الجافة والرطبة، ورغم اقتحام عشرات الطارئين ومدعي الخبرة والكفاءة لهذا المجال الحساس، فهل تشجع زملائك من أساتذة الكليات الطبية الاجلاء على هذا النوع من التطبيب، وبماذا تنصحون من يواظبون على هذا النوع من الوسائل العلاجية البديلة، ممارسة أو علاجاً؟

العلاج بالأعشاب والطب البديل يمكن أن يكون له فوائد، ولكن يجب التعامل معه بحذر. نحن نشجع على دمج الطب البديل مع الطب التقليدي وحسب الضرورة، بشرط أن يتم ذلك تحت إشراف متخصصين مؤهلين. وللفادة فإن الطب التكميلي والمعالجة بالأعشاب الطبية والطب البديل يجري تدريسها والتدريب عليها في عدد من جامعات العالم بشكل يمنع تسلل غير المؤهلين لهذا العلم وتلكم المهنة ويمنح المرضى الراغبين به فرصة للحصول عليه من جهات مهنية وعلمية مرموقة. وفي الوقت نفسه فنحن ندعو الى عدم إهمال وسائل الطب المتطورة وعدم ترك الاستشارات الطبية ومن المهم التأكد من أن أي علاج يتم استخدامه آمن وفعال، وأنصح المرضى الأحبة شافاهم الله تعالى وعافاهم بالآتي:

-استشارة الطبيب: قبل اللجوء إلى أي نوع من العلاج البديل، إذ من المهم استشارة الطبيب لضمان عدم وجود تداخلات مع العلاجات الأخرى.

-البحث عن ممارسين مؤهلين: التأكد من أن الممارسين لديهم الخبرة والشهادات اللازمة.

- الوعي بالمخاطر: فهم المخاطر المحتملة والفوائد المتوقعة من العلاج البديل.

وأما عن نصيحتي الى الممارسين فهي الآتي:

-التدريب والشهادات: يجب أن يكون الممارسون مدربين جيداً ويحملون الشهادات اللازمة.

-الشفافية مع المرضى: يجب أن يكون المرضى على علم كامل بالعلاجات المقدمة ومخاطرها وفوائدها.

التكامل مع الطب التقليدي: العمل بشكل متكامل مع الأطباء والمرضى لضمان رعاية شاملة للمرضى.

* اليوم لا توجد امرأة على سطح الكوكب الأزرق لم يعد مرض سرطان الثدي بمثابة هاجسها الأكبر وعلى مدار الساعة، فما هي النصيحة الذهبية التي تقدمونها لأخواتنا الفضليات أجمعين للكشف المبكر عن المرض قبل استفحاله، وهل للرضاعة الطبيعية كما يشاع دور في الحد منه واقعا؟

-النصيحة الذهبية التي أقدمها للنساء للكشف المبكر عن سرطان الثدي هي إجراء الفحص الذاتي للثدي بانتظام، فالتدرب عليه سهل والنشرات والمطويات التي توضح ذلك متاحة وسهلة الاستخدام، إضافة إلى الفحوصات الدورية المنتظمة مع الطبيب المختص. فالفحص المبكر يمكن أن يساعد في الكشف عن أية تغييرات غير طبيعية في الثدي، ما يزيد من فرص الشفاء إذا تم اكتشاف المرض في مراحله المبكرة، علماً بأن وسائل الكشف والتشخيص قد قطعت شوطاً كبيراً في التطور والدقة وتكاد لا تخلو مستشفى من عيادة مختصة بهذا الفحص، سواء في مستواه السريري، أو التشخيصي (الشعاعي أو المختبري).

أما بخصوص الرضاعة الطبيعية، فهناك أدلة تشير إلى أن الرضاعة الطبيعية يمكن أن تلعب دوراً في تقليل خطر الإصابة بسرطان الثدي. والنساء اللواتي يرضعن أطفالهن رضاعة طبيعية لمدة أطول يبدو أنهن يستفدن من حماية أكبر. ومع ذلك، من المهم التأكيد على أن الرضاعة الطبيعية ليست وسيلة مضمونة للوقاية من سرطان الثدي، وإنما هي واحدة من العوامل التي يمكن أن تسهم في تقليل المخاطر.

ومن الضروري أن تدرك النساء أهمية الفحص الدوري والكشف المبكر، زيادة على اتباع نمط حياة صحي، للمساعدة في الوقاية من سرطان الثدي واكتشافه في وقت مبكر.

* هل هناك اهتمامات شخصية أخرى خارج نطاق الطب والتدريس؟

-أنا مهتم بقراءة وتعلم وتدبر علوم القرآن الكريم المختلفة، ولي اهتمامات بالشعر واللغة والأدب والتاريخ، فضلاً على مشاركتي في عدد من الأعمال الإنسانية والإغاثية في مفاصل متعددة وخاصة في أوقات الأزمات.

زيادة على مشاركتي في دورات ومناهج التدريب في العديد من الجوانب الإدارية والتخطيطية والتنفيذية للمؤسسات غير الحكومية، كذلك الإغاثية، المحلية منها والدولية، إضافة الى تدريب الأفراد في عدد من الدورات على التخصصات المذكورة.



ختامها مسك

لم أجد بدا وبعد تلكم الرحلة الطبية الجميلة الشائقة إلا أن حملت أوراقي مودعا البروفيسور أسعد فاضل حمودي، في طريقي الى شارع المتنبي بحثا عن كتاب "الطب والصيدلة في عصر الحضارة الإسلامية" و كتاب " موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام" و كتاب " مُعجم العلماء العرب" وكتاب " الحضارة العربية الإسلامية" لعلي أجد جلها أو كلها متمنيا، أو بتعبير أدق – مقترحا – على عمادات المعاهد والكليات الطبية كذلك رئاسات الجامعات كافة، تخصيص مواد ثابتة ولجميع المراحل الدراسية في كليات الطب والصيدلة وطب

الاسنان والتمريض والعلوم أسوة بالمعاهد الصحية والتقنية، تعنى بـ "سيرة ومسيرة الأطباء والعلماء المسلمين والعرب" لتستعرض جملة انجازاتهم وابتكاراتهم ومؤلفاتهم وحكمهم ولاسيما وأنها قد درّست على مدار قرون في معظم الجامعات الأوروبية، وتخرج بفضل معارفها وعلومها وفنونها وأدواتها ومن بين دفتي صفحاتها، ومعين مصنفاتها الثر الدافق عشرات الألوف من الاطباء الحاذقين والمتمرسين حول العالم ولخمس قرون خلت أو أكثر، ولله در القائل في فضل التعليم وطلب العلم والعلماء عامة، والأطباء خاصة:

أنتم	نجوم	العدل	وراث	الهدي	بالحق	عن	طه	لدي	الإنباء
أنتم	شفاء	الداء	إن	عدم	الدوا	أنتم	دواء	الجهل	في
									الأحياء

(*) حوار المنشور في "منبر العراق الحر" بتاريخ 18/6/2025

دردشة رمضانية.. مع الدكتور واثق عباس بمقهى الماسنجر الثقافي (*)

* حصلت على تقييم مهم كواحد من بين أفضل عشرة كُتّاب عراقيين في مجال القطاع الرقمي من مركز ابن خلدون للدراسات الإعلامية عام 2010م.

* برنامج "دقيقة ونص" هو برنامج تربوي وتوجيهي من إعدادي وتقديمي، تم عرضه بطريقة ماهرة ومحبة في آن واحد.

* برنامجي "سين جيم" يقع في 30 حلقة مخصصة للإجابة على استفسارات الطلبة في سائر المعاهد والكليات والجامعات.



ضيف مقهانا الافتراضي "مقهى الماسنجر الثقافي" هذه المرة هو أكاديمي عراقي وإعلامي معروف، لم يترك غصنًا من غصون الثقافة إلا وبني فوقه عشًا، ولا بستانًا من بساتينها الغناء إلا وغرس فيه غرسًا، مستلهمًا من أرومته العريقة الطيبة معينًا لعطائه الثر الدافق. فما قدمه في مجال الصحافة والإعلام على مدار 25 عامًا، بمختلف أبوابه من التدريس إلى كتابة المقال والتحقيق والحوار والتقرير والعمود الصحفي، ناهيك عن رئاسة تحرير الصحف والمجلات البارزة، زيادة على لقاءاته الصحفية اللافتة في العديد من القنوات الفضائية والمحطات الإذاعية، ومثلها مقاطعه الرقمية الهادفة التي تحظى بآلاف المشاهدات، تتناول بمجملها هموم المواطنين ومعاناتهم اليومية مع ملف الخدمات والكهرباء والصحة والنقل والتربية والتعليم، مع تسليط الأضواء الكاشفة على بعض المظاهر الاجتماعية السلبية التي تخالف الأعراف الحسنة وتتقاطع مع القيم النبيلة، والتنبيه إلى

مخاطرها على الأجيال كابرًا عن كابر، ولاسيما جيل "زد" و"ألفا". إضافة الى محاضراته الصيفية والربيعية في العديد من دورات وورش العمل الإعلامية، وكان لا بد من محاوره هذه الشخصية الشاملة، فكان هذا الحوار الذي تنقلنا خلاله من مرفأ إلى آخر، في رحلة تنسمنا خلالها عبق السلطة الرابعة. كيف لا وضيفنا في هذا الحوار هو الدكتور واثق عباس، المعروف بابتسامته العفوية الدائمة التي قلّما تغادر محيّا طيلة حوارنا معه:

س1: ماذا تقرأ ببطاقتك الشخصية؟

ج: اسمي واثق عباس عبدالرزاق طه، أحمل شهادة الدكتوراه بأطروحتي الموسومة: "الضوابط الأصولية لعمل القنوات الفضائية وأثرها في السياسة الشرعية" 2014م، وقبلها شهادة الماجستير في الإعلام عام 2007م إضافة إلى شهادة دكتوراه فخرية من جامعة ليفورد الأميركية، تخصص الإعلام الحديث.

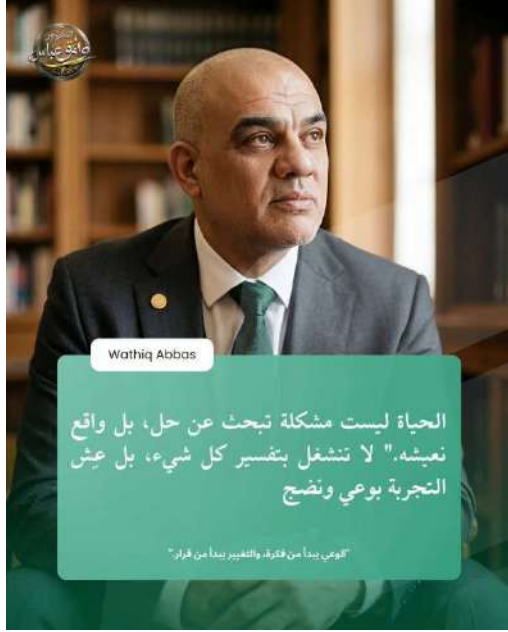
س2: وماذا عن أبرز الخبرات التراكمية والمهام الأكاديمية والمسؤوليات الإدارية التي أنيطت بك؟

ج: أما عن خبراتي في مجال التدريس ومهامي الإدارية فتمتد لأكثر من 18 عامًا في كلية الإعلام، الجامعة العراقية. فأنا أستاذ مادة الإخراج الصحفي منذ 2008، وقد توليت مهام أستاذ مادة تقنيات الصحافة في كلية الإعلام بين 2009-2010، وشغلت منصب مدير وحدة موقع الجامعة العراقية الإلكتروني بين 2010-2012، وأستاذ مادة حقوق الإنسان في كلية الإعلام، الجامعة العراقية 2011-2012، وأستاذ مادة القانون الصحفي في كلية الإعلام، الجامعة العراقية 2010-2011، وأستاذ مادة التصوير الصحفي في كلية الإعلام، الجامعة العراقية 2013، وأستاذ مادة الإعلام العربي والدولي في كلية الإعلام، الجامعة العراقية 2013، فضلًا عن إدارة قسم الإعلام والعلاقات العامة في الجامعة العراقية 2012-2014، وأستاذ مادة إدارة المؤسسات الإعلامية في كلية الإعلام، الجامعة العراقية 2013، ومدير قسم الإعلام والعلاقات العامة في الجامعة العراقية مرة أخرى 2014-2016، وأستاذ مادة اقتصاديات الإعلام في كلية الإعلام، الجامعة العراقية 2015-2016، وأستاذ مادة المعلوماتية في كلية الإعلام، الجامعة العراقية لعام 2017-2018. كما أنني مقرر قسم الصحافة منذ عام 2017، ورئيس قسم الصحافة بين عامي 2018-2019. وباختصار فإن مسيرتي في المجال الإعلامي تمتد لأكثر من 25 عامًا.



س3: لقد تنامي إلى علمي، ومن خلال متابعتي لسيرتك الشخصية واطلاعي على مسيرتك الأكاديمية والمهنية، أنك حاصل على العديد من الجوائز الرفيعة في المجال الإعلامي، حدثنا عن بعضها فضلًا وليس أمرًا.

ج: لقد حصلت على تقييم مهم كواحد من بين أفضل عشرة كُتّاب عراقيين في مجال القطاع الرقمي من مركز ابن خلدون للدراسات الإعلامية عام 2010، إضافة إلى جائزة سمير قصير، وجائزة مؤسسة أريج للصحافة الاستقصائية، وجائزة العمل الصحفي المتميز، وجائزة الإبداع للإدارة الناجحة، علاوة على جائزة مؤتمر الحضارات، وجائزة العمل الإداري الناجح، وجائزة الشرف في منتدى العمل الإسلامي.



س4: معلوم بأن لعضوية النقابات والاتحادات المهنية، إضافة إلى المشاركات الفاعلة في الدورات المحلية والإقليمية والدولية، قصب السبق في تقييم الإعلاميين والصحفيين عملياً ومهنيّاً، نود من جنابك الكريم أن تطلعنا بإيجاز على عضوية النقابات والاتحادات والمنظمات، وأهم المشاركات في مجال تخصصك العام والدقيق.

ج: أما بالنسبة إلى عضوية النقابات المهنية، فأنا عضو في نقابة الصحفيين العراقيين، وعضو في الهيئة التأسيسية لرابطة الصحافة الإسلامية، وعضو في منظمة أريج للصحافة الاستقصائية، وعضو نادي دبي للصحافة، وعضو نقابة المعلمين، وعضو مشارك في منتدى الإعلام العربي/الإمارات العربية المتحدة 2012، وعضو جمعية الأكاديميين والتدريسيين، وعضو مجلس نقابة الأكاديميين العراقيين 2018.

وأما بالنسبة لأهم المشاركات، فقد شاركت في مؤتمر اللغة العربية صاحبة الجلالة "توجهات اللغة العربية داخل المنظومة الإعلامية" دبي 2015، ومؤتمر الوقف عن دور التعليم في التنشئة وبناء المجتمع ومناهضة الإرهاب والطائفية، ومؤتمر "توجهات الإعلام في معالجة الغلو والتطرف" في بغداد، زيادة على مشاركتي الدائمة والمتواصلة طوال العام الدراسي، ولأكثر من عقد ونصف، في عشرات الندوات والمحاضرات والمهرجانات وورش العمل العلمية الدورية منها والفصلية داخل العراق وخارجه.

س5: أنت أكاديمي غزير القراءة والكتابة والبحث العلمي بفروعه الوصفية والنقدية والتحليلية، حدثنا بإيجاز عن أهم البحوث التي قدمتها خلال مسيرتك العلمية والأكاديمية الحافلة.



ج: بالنسبة للبحوث ففي كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: بحث الإخراج الصحفي "نظرة في الفنون الصحفية"، وبحث عن الحكم الشرعي لتوجهات اللغة العربية داخل المنظومة الإعلامية، وبحث عن مواجهة التطرف في منهجية الشريعة والإعلام الإسلامي، وبحث عن توظيف الإعلام الجديد لنصوص القرآن الكريم في بناء القيم. ولدي أيضاً بحث عن حكم الشرع في الإعلانات داخل وسائل الإعلام المقروءة، وتوظيف الصحافة عند العلامة الخطيب الرشيد، وبحث عن الصحافة العراقية وقيم المجتمع المدني، ورؤى مستقبلية في الإطار النظري للتدريس في قسم الإعلام، كذلك بحث حول توجهات

الإعلام في الحد من ظاهرتي الغلو والتطرف، وبحث بشأن المسؤولية الإعلامية في إدارة الأزمات الأمنية "توجهات المواقع الإلكترونية تجاه أزمة قصف مخازن الأسلحة العراقية"، وبحث عن دور الإعلام المعاصر في مواجهة ظاهرة الإلحاد، وآخر عن دور الإعلام الرقمي في مجابهة الظواهر المجتمعية السلبية المعاصرة، وغيرها كثير مما لا يتسع المقام لاستعراضه هاهنا جميعاً.



س6: لنمر قليلاً خلال هذه المحطة على جانب من مشاركتك في الدورات الداخلية والخارجية.

ج: شاركت في دورة "نحو إعلامي ناجح" ضمن فعاليات معهد مارا الهولندي 2003، ودورة "التربية بالأهداف" مؤسسة المرتقى الأهلية 2004، ودورة عن "منظمات المجتمع المدني في منظمة الصليب الأحمر" في عمان 2005، كذلك دورة "الإعلام المتميز" في وزارة الخارجية التركية بالتعاون مع الرابطة الإعلامية - تركيا، ودورة "القادة المتميزون" في وزارة التخطيط - بغداد، ودورة "التفاعل بين الإعلام ومنظمات المجتمع المدني" منظمة NCC في الأردن عام 2007، و"دور الإعلام في الانتخابات" منظمة NDI أربيل 2008، و"التطور التكنولوجي الإعلامي" صحيفة نيويورك تايمز - أمريكا 2011، ودورة

"المهارات القيادية والإدارية" في منظمة أبكس التركية 2013، ودورة تدريب المدربين TOT في مركز ديونو لتعليم التفكير - بغداد 2015، فضلاً عن دورة إعداد المدربين ضمن فعاليات شركة إبداع الأفكار للتدريب والتطوير والاستشارات، ودورة "انتقاء الأفراد" في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - بغداد.



س7: إضافة إلى كل ما سبق من شهادات وتكريمات ومناصب، فأنت كاتب ألمعي لك عشرات الأعمدة والمقالات والحوارات والتحقيقات الصحفية المنشورة في العديد من المواقع والمدونات والصحف والمجلات العربية والعراقية، زيادة على ترؤسك أو إدارتك تحرير العديد منها، ولاسيما "مجلة بلسم" الاجتماعية التربوية الثقافية الموجهة للبراعم والفتيان، حدثنا عن هذه المجلة المهمة قليلاً.

ج: مجلة بلسم هي مجلة شهرية معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين ودار الكتب والوثائق العراقية. تُعنى المجلة بالعائلة الممتدة والأسرة النواة والمجتمع، تصدر عن جمعية الشبان، يرأس تحريرها الأستاذ عايد جاسم محمد، فيما أتولى أنا إدارة تحريرها. تتناول المجلة في أعدادها المتتابعة، التي حافظنا على توقيات صدور

بطباعة أنيقة وتصميم فني رائع، العديد من المقالات والموضوعات الشائقة والأبواب الثابتة والزوايا الممتعة، حيث القصص والحكايا الجميلة المخصصة للفتيان كسير الصحابة، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، إضافة إلى زوايا الصحة والتراث والشذرات والقطوف والخواطر والعلوم واللطائف، وعلى منوالها المعالم الأثرية، ورسومات القصص المبهرة من إبداع الأستاذ عقيل سالم الحمداني، وسيناريو القصص من إبداع الأخت الفاضلة أم بشير، كذلك القصائد الهادفة من نظم الأستاذ خضير عمير، وحيث العبر والعظات والحكم والأمثال والتدبير المنزلي ومطبخ بلسم والحديقة المنزلية، وكلها تدور في سياق التربية والتعليم والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد ألحقنا بها مؤخرًا مجلة "بلسم الصغير" المخصصة للأطفال، وقد حظيت المجلة بملحقها الجديد بمزيد من المتابعة والاهتمام والثناء.

س8: بعيدًا عن تخصصك الإعلامي ومجال عملك الأكاديمي، فأنت ناشط معروف في مجال العمل الإغاثي والإنساني، لنقف عند هذه المحطة المهمة قليلًا قبل المضي قدمًا إلى بقية المحطات.

ج: بما أن "هندسة التجويع" و"برمجة الجوع" تجتاح العالم حاليًا، حيث مئات الملايين يواجهون مستويات خطيرة من انعدام الأمن الغذائي بحسب المرصد العالمي للجوع، فلا أقل من إطلاق حملات ميدانية تلو أخرى لإطعام البطون الجائعة امتثالًا لتعاليم النبي الأكرم، وشعارنا في ذلك: "أو إطعام في يوم ذي

الدكتور واثق عباس
دورة

إعداد المراسل الميداني

مع الدكتور واثق عباس

دورة متكاملة تؤهلك لتكون مراسلًا ميدانيًا محترفًا قادرًا على نقل الحقيقة بصوت وصورة وكلمة مؤثرة.

محاور الدورة

الوقوف أمام الكاميرا طريقة الوقوف، التعامل مع الكاميرا، الحركة والأداء	كتابة التقرير طريقة كتابة التقرير، صياغة الخبر، وإجازة التقرير في الميدان بإحترافية
صناعة المحتوى طريقة صناعة التقرير خاص بصانع المحتوى عبر مواقع التواصل الاجتماعي	إجراء اللقاءات طريقة إجراء اللقاءات، طرح الأسئلة، والتركيز على نقاط القوة
التصميم أساسيات التصميم للمحتوى الإعلامي والمشاورات الرسمية	

كن صوت الحقيقة وأوصل الرسالة بإحترافية

dr.wathiq_abbas

مسغبة"، مشفوعة بحملات لعمل دراسات وكتابة بحوث ومقالات وإنتاج تقارير إذاعية ومتلفزة وأفلام وثائقية، كلها تدور حول أساليب "مكافحة الجوع" و"طرق الوقاية من المجاعات" و"سبل تحقيق الاكتفاء الذاتي وتوفير الأمن الغذائي" و"مخاطر برمجة الجوع"، لأن بعض الجوع في حقبة دبلوماسية الطعام ودبلوماسية المائدة دبلوماسية الغذاء، في عصر الموكبانغ والسمنة المفرطة والتخمة الحادة، عبارة عن صناعة عالمية محبوكة بإتقان مكتملة الأركان بكل ما تعنيه الكلمة من دلالات ومعاني، إضافة إلى ارتفاع معدلات البطالة والتضخم والركود والنزوح والتشرد والغلاء والتصحر والإجهاد المائي والكوارث الطبيعية والتغير المناخي. فهذه كلها تدفعنا

للإسهام في حملات إغاثية وإنسانية داخلية وخارجية، جماعية وفردية، تشمل توزيع سلال رمضان سنوياً، وحفر الآبار السطحية والارتوازية في الأماكن التي تشج فيها المياه، وكفالة الأيتام، وإقامة دورات تعليمية في فنون الخياطة والتطريز مخصصة للأرامل والمطلقات، إضافة إلى دورات لتعليم فنون الحلاقة، ومثلها في تعليم الكمبيوتر وإصلاح أجهزة الموبايل وفنون التصوير وغيرها مخصصة للشباب العاطلين عن العمل، مع منحهم شهادات معتمدة في ختامها وما تيسر من أدوات العمل الضرورية ليشقوا طريقهم بأنفسهم، كذلك توزيع لحوم الأضاحي بين العوائل المتعففة، وعلى منوالها إقامة حملات إغاثية دورية إلى خيام النازحين للتخفيف من أعباء الفقر والجوع والفاقة عن عاتق الأسر النازحة والمتعففة وذات الدخل المحدود.



س9: لقد حظي برنامجك التربوي "دقيقة ونص" في رمضان من العام الماضي 1446هـ بمتابعة كبيرة، وحصد آلاف المشاهدات والمشاركات والتعليقات، حبذا لو أعطينا نبذة عن هذا البرنامج المهم.

ج: الحقيقة أن برنامج "دقيقة ونص" هو برنامج رمضاني تربوي وتوجيهي من إعدادي وتقديمي، تم تقديمه بطريقة ماهرة ومحبة في آن واحد، وبأسلوب يخلب الألباب ويستهي المشاهدين ويشد انتباههم من غير إطالة مملة ولا اقتضاب مخل. وقد تناول البرنامج في 30 حلقة متتالية طيلة الشهر الفضيل نصائح وإرشادات مهمة، كآثر الكلمة الطيبة على النفوس، ودور مكارم الأخلاق في بناء المجتمعات، وعلى منوالها الإخلاص والصدق والكرم وحفظ الأمانة وبر الوالدين واحترام الجار والاجتهاد والمثابرة ونبد التكاسل والالتكالية والبطالة المقتنعة والتحذير من العادات السيئة والآفات الضارة ونحوها من الموضوعات التي تهم الجميع دون استثناء. وباختصار، فإنه - وكما لخصته المقدمة الإنشادية الجميلة المصاحبة للبرنامج -: "دقيقة ونص دقيقة يا زمن السريع.. نلتقي ويا الحبايب كلمة إلهم نذيع.. دقيقة ونص دقيقة بها تسمع حقيقة، دقيقة ونص دقيقة وتالي كلمن طريقه".

س10: تحدثنا عن برنامجك الرائع في رمضان الماضي، لنمر الآن على برنامجك الجديد في رمضان التالي 1447هـ.

ج: برنامجي الآخر يحمل عنوان "سين جيم"، وخلاصته: عندك فكرة أو استفسار... "سين جيم" أفضل خيار. ويقع البرنامج في 30 حلقة تم تصويرها بالتزامن مع بداية الشهر الفضيل وكل حلقاته تجيب عن أسئلة المشاهدين والمتابعين، وكثير منهم من طلبة الجامعات والمعاهد والكلليات، في مختلف مناحي الحياة العائلية والطلابية والاجتماعية، مشفوعة بالبحث على تقديم الأعمال الخيرية وصلة الأرحام والمواظبة على الطاعات

والبذل والتواصل بين الأقرباء والأصدقاء، مع الدعوة إلى الأخوة والألفة والمحبة والتسامح. وقد أُعدَّ البرنامج بطريقة السهل الممتنع، لتخرج الإجابات خلاله بصورة مباشرة وعفوية ومن القلب إلى القلب.

س11: لقد مثلت كلية الإعلام - الجامعة العراقية في المؤتمر الدولي للعلوم الإنسانية بسلطنة عُمان، حبذا لو أعطيتنا نبذة عن هذه المشاركة الدولية المهمة.

ج: نعم، لقد شاركت في أعمال المؤتمر الدولي الحادي عشر للعلوم الإنسانية والاجتماعية المحكّم، الذي عُقد في سلطنة عُمان تحت شعار "التكامل المعرفي في العلوم الإنسانية والاجتماعية لتحقيق رؤية التنمية المستدامة"، بهدف مدّ جسور التعاون بين مختلف الاختصاصات العلمية لتحقيق أهداف التنمية الشاملة، وتنظيم مشترك بين الكلية العلمية للتصميم ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح - الأردن).

قدّمت خلال جلسات المؤتمر بحثاً علمياً بعنوان: "دور السياسات التحريرية للجرائد العراقية في تأطير التفاعلات المجتمعية عبر المنصات الرقمية"، تناول آليات عمل المؤسسات الصحفية العراقية في الفضاء الإلكتروني، وكيفية صياغة سياساتها التحريرية لتوجيه التفاعلات المجتمعية بما ينسجم مع التطورات التقنية الحديثة التي فرضتها المنصات الرقمية.

س12: كلمة أخيرة تود قولها لطلابك وجمهورك وكل محبيك.

ج: أولاً أقول للجميع: رمضانكم مبارك، وكل عام وأنتم وأهليكم وعوائلكم الكريمة بألف خير. وأما ثانياً، فأهيب بالجميع التسابق في أعمال البر وأوجه الخير المختلفة، والاجتهاد مع بذل الوسع للتنافس في الطاعات، مقابل نبذ الخلافات والحفاظ على السلم الأهلي والتعايش المجتمعي، وأن ننحي كل الخلافات العشائرية والطائفية والقومية والإثنية جانباً، ولنعيش سوياً على اختلاف مكوناتنا وطوائفنا من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، إخوة تجمعنا أواصر الألفة والمحبة في كنف وطن واحد، يعرف كل واحد منا ما له من حقوق وما عليه من واجبات. وشكراً لكم على هذه الاستضافة الجميلة في أروقة مقهى الماسنجر الثقافي.

(*) حوار المنشور في موقع "ميدل إيست أون لاين" بتاريخ الاثنين 23/02/2026

حكاية مسجد وبان وإمام....(2) جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني (*)

كنت أذرع الأرصفة جيئة وذهابا بمنطقة السنك لشراء بعض اللوازم الضرورية، وإذا بأذان الظهر يصدر في الأفاق بصوت رخيم ينساب عذبا رقيقا على الطريقة العراقية ليشفنف الاسماع، ويغلب الالباب، ويأخذ بمجامع القلوب من مآذن جامع أثري عريق يتوسط رصافة بغداد، في منطقة كانت تسمى قديما بـ "محلة باب الانج" وكانت تضم مدرسة شرعية تحمل إسمها - مدرسة باب الانج - تأسست سنة 541 هـ، حتى تغير اسم المدرسة والمحلة المحيطة بها فسميا تيمنا باسم عاشق الجياع، وملهم العلماء، "الشيخ عبد القادر الجيلاني" الذي قال فيه الإمام النووي في كتابه (بستان العارفين) "كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد وانتهت إليه رئاسة العلم في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر وانتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق"، وقال فيه الإمام الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) "الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء"، وقال فيه ابن رجب الحنبلي، في كتابه (طبقات الحنابلة)، "انتصر أهل السنة الشريفة بظهوره وانخذل أهل البدع والأهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر الأقطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك".

إنه أبو صالح محيي الدين عبد القادر، ويرجع نسبه الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وأمه هي أم الخير، فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي، وكانت زاهدة ورعة عابدة، ولد الشيخ عبد القادر الجيلاني الملقب بـ "تاج العارفين" و "محيي الدين" عام 470 هـ / 1077 م على الرأي الراجح وكانت ولادته في جيلان أو كيلان فعرف بالجيلاني أو الكيلاني، ولقب أيضا بـ "الجيلي" لقضائه أكثر مجاهداته وسياحاته في "جيل" التابعة الى منطقة المدائن في العراق، وقيل لأنه من مواليد "جيل" على



شاطيء دجلة، والرأي الأخير هو رأي للعلامة مصطفى جواد، والعلامة حسين علي محفوظ، كما أنه ورد في كتاب "بهجة الأسرار ومعدن الأنوار".

وصل الشيخ عبد القادر الجيلاني الى بغداد في ريعان شبابه ليمضي فيها 73 سنة متتالية، كان الجيلاني يتيما توفي والده وهو في سن صغير، وأوصته أمه بالصدق الذي ينجي الإنسان من المهالك، ويقربه من الله تعالى، يوم هم بطلب العلم فالتزم بوصيتها طوال حياته، تفقه الجيلاني على أبو سعيد المبارك المخرمي الذي أنشأ مدرسة باب الأرج، وصحب الشيخ حماد الدباس، ومن ثم لازم ودرّس في المدرسة ردحا طويلا من الزمن.



هابه السلاطين والحكام حيث كان يبغض الظلم والطغيان ولا يخشى في الله لومة لائم ولقد عاصر خمسة من خلفاء بني العباس وكان يقول الحق ولو على نفسه وهو القائل "إذا عَظُمَت جِبايرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعْظِمْه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصير مَنْ عَظُمَت صنمك"، فيما تاب على يديه 100 ألف عاص ولص وقاطع طريق كانوا قبل توبتهم يعيثون بأمن البلاد والعباد، كما أسلم على يديه 5 آلاف من غير المسلمين وحسن إسلامهم.



عوتب الجيلاني ذات يوم لكثرة إنفاقه على الفقراء والمحرومين فقال "ماذا أصنع، كفي مثقوبة ولو جاءني الف دينار من الذهب لم تبت عندي" حتى قال فيه الشيخ أبو سعد السمعاني "كان فقيها صالحا كثير الذكر، دائم الفكر، شديد الخشية، مجاب الدعوة، أقرب الناس للحق، ولا يرد سائلاً ولو بأحد ثوبيه".

ولاشك أن من بركات ذلكم الكرم والجود الذي لازم الشيخ طوال حياته فقد أكرمه الله تعالى به حتى بعد مماته فصارت - الشوربخانة - الملحقة بجامع الشيخ عبد القادر، والتي توزع الطعام بين الجياع والمحرومين والفقراء طوال العام ولاسيما في شهر رمضان المبارك، من أقدم وأعرق المطابخ الخيرية التي عرفها العالم من أقصاه الى أقصاه وما تزال تعمل بجهود الخيرين والمتبرعين والمتطوعين، كيف لا ومن وصايا الشيخ الجيلاني الخالدة قوله "فتشت الأعمال كلها، فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع" وهو القائل في حسن التربية "صحبتك للأشرار توقعك في سوء الظن بالأخيار.. اغسل ثيابك من الوسخ واغسل قلبك من الذنوب" وقوله في السلوك "كُنْ عاقلاً وتأدب مع الله عزَّ وجل، وأعلم بأن الإقبال على الخلق، هو عين الإدبار عن الحق، ولا تتكل على أعمالك الصالحة، فإن اتكالك عليها شريك بربك عز وجل".



أما في فضل العلم والتعلم وطريقة التربية والتعليم فقال نظماً:

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد	والأفدجال يقود إلى جهل
عليم بأحكام الشريعة ظاهراً	ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للوراد بالبشر والقرى	ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره	عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه	مهذبة من قبل ذو كرم كلي

أشهر كتب الشيخ عبد القادر
الجيلاني "الببل الصادى بمولد
الهادي" و" تفسير الجيلاني "
و"جلاء خاطر" و" الغنية لطالبي
طريق الحق "و" إغائة العارفين
وغاية منى الواصلين " و"آداب
السلوك والتوصل إلى منازل الملوك"
و" تحفة المتقين وسبيل العارفين"
وغيرها الكثير.



وبعد أن دمر المغول المدرسة
والمحلة المحيطة بها قام المهندس
العثماني الشهير "خوجه معمار
سنان آغا " بإعادة بنائها بأمر من
السلطان سليمان القانوني، الذي
فتح شمال إفريقيا والمجر وفينا
والقدس، وسمي ب" القانوني " نسبة
إلى القوانين المهمة والدستور الذي
سنه لتنظيم شؤون البلاد والعباد."



انتقل الجيلاني الذي قال فيه أبو عبد الله محمد بن يوسف الإشبيلي "كان مجاب الدعوة، سريع الدفعة، دائم الذكر، كثير الفكر، رقيق القلب، دائم البشر، كريم النفس، سخي اليد، غزير العلم، شريف الأخلاق، طيب الأعراق، مع قدم راسخ في العبادة والاجتهاد" إلى باريته تاركا دار الفناء، إلى دار البقاء في ربيع الثاني سنة 561 هـ الموافق / 1166م فضجت بغداد وارتجت لخبر وفاته، ودفن في مدرسته التي أفتى عمره في التدريس والوعظ والتربية والفتيا فيها لكل مستفت وسائل وطالب علم.



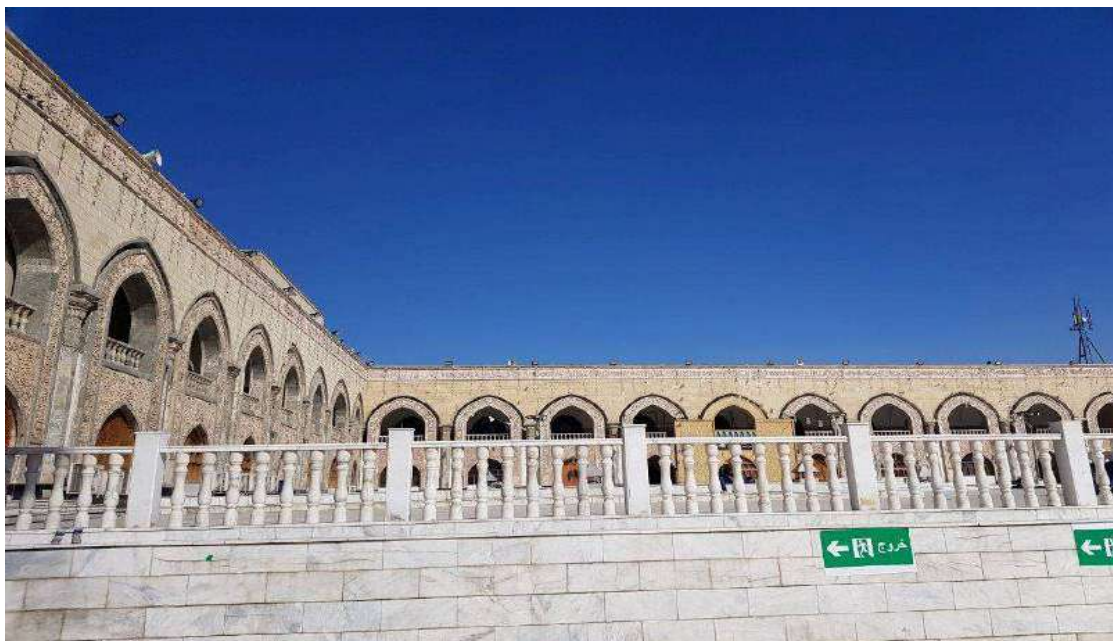
تحتضن الحضرة القادرية اليوم مكتبة عامرة وضع نواتها الأولى أبو سعيد المبارك المخرمي، ومن ثم عهدت إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وتضم نفائس الكتب ونوادير المخطوطات فضلا على روائع المصادر والمراجع والمطبوعات.

ولأن الشيخ ظل طوال حياته مستثمرا للوقت بكل ما هو نافع، داعيا الى عدم إضاعته فيما لا نفع فيه البتة، فقد أكرمه الله تعالى بعد وفاته وزين مسجده العامر الكبير بساعة موضوعة على برج عال، تم صنعها في مدينة مومباي الهندية تعد الساعة الأقدم والأجمل في بغداد أهديت الى الجامع من قبل مسلمي الهند وتتميز بأربعة أوجه كبيرة وتحتوي على ثلاثة أجراس.

تعاقب على الفتيا والتدريس والإمامة والخطابة في جامع الشيخ عبد القادر الجيلاني، عدد كبير من الائمة والعلماء الأعلام على مر قرون وكان من بينهم مفتي العراق وعلامته الشيخ عبد الكريم محمد فاتح سليمان المدرس، المعروف بعبد الكريم بيارة، نسبة الى قريته بيارة في شمال العراق، وقد اتخذ ركننا دائما في مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني، للافتاء في الامور الشرعية، وكان طلبة العلوم الشرعية فضلا على عامة الناس يتقاطرون عليه من كل حذب وصوب لسؤاله في أمور دينهم ودنياهم، ومن مؤلفاته "إرشاد الأنام إلى أركان الإسلام" و "جواهر الفتاوى" و "مواهب الرحمن في تفسير القرآن".

ولله در الشيخ عبد القادر الجيلاني، القائل في الثقة بالله تعالى، وحسن التوكل عليه:

أيدركني	ضيم	وأنت	ذخيرتي	وأظلم	في الدنيا	وأنت	نصيري
إذا ضاق	حالي	اشتكت	لخالقي	قدير	على تيسير	كل	عسير
فما بين	أطباق	الجفون	وحلها	إنجبار	كسير	وإنفكاك	أسير



(*) مقال المنشور في صحيفة "الجزائرية للإخبار" الصادرة باللغات العربية والفرنسية والأمازيغية بتاريخ 19 / كانون الأول / 2024

نصائح فندقية للمسافرين عامة وللوفود الدبلوماسية خاصة (*)



أكتب السطور الآتية على هامش الضجة الكبيرة التي تناقلتها وسائل الإعلام العربية كافة والمتمثلة باتهام دبلوماسية عراقية وقد أنكرت الموما إليها ذلك وبشدة، بسرقة مناشف وأكواب وساعة وريموت كونترول كلها بمجملها لا تساوي أكثر من 10 دولارات من أحد الفنادق العربية الفخمة بعد الإقامة فيه، والحقيقة وفي حال صحة المعلومة فأؤكد بأنها عادة شائعة مع أنها خاطئة كلياً يقع فيها كثير من النزلاء العاديين فضلاً على رجال الأعمال والتجار والمشاهير والرياضيين والإعلاميين ونزلاء الفنادق الراقية خمس، أو سبع نجوم تحديداً لأن نظيراتها من فنادق النجمة الواحدة أو الثلاث نجمة كـ بعض فنادق العلاوي والبتاويين والباب الشرقي والسعدون أنموذجاً، فهذه يصدق على بعضها ولا أقول كلها ما قاله شاعر الكدية العباسي الشهير بـ "أبي الشمقمق" قديماً:-

ليس إغلاقي لبابي أن لي	فيه ما أخشى عليه السرقة
وإنما أغلقته كيلا يرى	سوء حالي من يمر الطرقة
منزل أوطنه الفقر فلو	دخل السارق فيه سرقة

فمثل هذه الفنادق البائسة عليك أن تحترس أنت جدياً من أمرين إثنين خلال الإقامة في بعضها، "القمل والجرب" من جهة، وسرقة حقائبك أو أمتعتك الشخصية من قبل بعض نزلائها الوقتيين أو الدائمين من جهة أخرى وليس العكس!!

وأنصح المسافرين بعدم استعمال أية منشقة مهما بدت لك نظيفة، ولا أية صابونة داخلها، كما أنصح باستعمال شرف - وأوجه مخدات - احتياطية جديدة تجلبها معك مسبقاً لتضعها فوق شرف الفندق ووساداته، لأنها

وفي الأعم الأغلب ستنقل لك ما لم يخطر ببالك، وربما بما لم يرد في الموسوعات الطبية أيضا من فطريات وطفيليات وبكتيريا، ولتكن هذه هي النصيحة الأولى التي لا تصلح فقط لفنادق الدرجات الدنيا فحسب وإنما للموتيلات والبانسيونات كذلك، والأخيرة أشد فتكا، وأفدح خطرا وفي كل دول العالم من دون استثناء – قليل بعضها عبارة عن سويغات تؤجر لممارسة كل أنواع الرذائل والفواحش والموبقات، إضافة الى تعاطي الحشيش وحقق المخدرات إلا ما رحم ربك ولطالما تورط النزلاء الشرفاء بها ممن يضطرون للسكن فيها لرخصها أولا ولقربها من المطارات ثانيا، ولاسيما خلال الترانزيت الطويل، أو خلال رحلات الطيران الليلية المتأخرة جدا، أو لظروف جوية طارئة وبما يربك بعض الرحلات الجوية أو يؤجلها فجأة ” وقد نزلت في واحدة منها ذات يوم اضطرارا في دولة ما لاكتشف وبعد فوات الأوان بأن الغرف المجاورة كلها كانت مشغولة بالفينيات والمكسرات، وما يصح في الموتيلات يصدق على ما يسمى بالاستوديوهات كذلك من حيث انعدام النظافة وإن بدت للناظرين كلها نظيفة، فأنا أتحدث هاهنا عن معدلات التلوث الأخلاقي والجراثيمي غير المرئي الهائل في الغرف والحمامات والمغاسل والمناشف والفرش والطاولات والموكيتات، بل وحتى في مقابض الأبواب والنوافذ، فضلا على التلوث السمعي والبصري المتأتي من بعض المطاعم والكافيتريات والكازينوهات والمقاهي الملحقة بالفندق أو القريبة منه، وبعض نزلاء هذه الأماكن وبما يستدعي الى ذاكرتنا الجبلى حرفيا ما قاله الشاعر والسياسي السوري الساخر، فخري البارودي، عن الليلة البائسة التي قضاها عام 1952م بفندق نيو رويال في العاصمة اللبنانية بيروت:

يا ليلة النحس في بيروت حالفني	فيها النعاس وكرب النفس مشؤوم
لا البق لا القمل لا البرغوث أزعجني	لا البرغش الفظ لا الذبان لا البوم
لكنما صرَّ صرصور فأقلقني	وطار نومي وجفني منه محروم
في أول الليل صوت الجاز أرقني	والقلب في الصدر مهموم ومغموم
ما كاد يسكت قرع الطبل وا أسفي	حتى سمعت صريرا كله شوم

والآن دعونا ننقل الى النصائح الخاصة بالفنادق الراقية:

1- تأكد وقبل أن تغامر بالمسموح استعماله وتناوله مجانا، وبالذي يتوجب عليك دفع حسابه عند المغادرة وبأسعار خيالية، وبالتالي فلا تأكل ولا تشرب أي شيء من ثلاثة الغرفة إلا بعد التأكد من أنها مجانا، أو على حساب الجهة التي أوفدتك، أو ابتعتك، أو دعتك، أو استضافتك، لتمثلها في هذا البلد أو ذاك أثناء حضور ندوة ثقافية، مؤتمر علمي، مهرجان فني ...الخ، فلقد وقعت شخصا وأحد الزملاء الأعزاء بفخين سابقين مماثلين، الأول دفعنا حسابه صاغرين بعد شد وجذب – طلع متعة السفارة من خشومنا –، أما الثاني فلقد نزلنا الى السوق واشترينا ما يناظر كل ما تناولناه وشربناه حرفيا وبِعُشر معشار أسعار الفنادق الباهظة والمبالغ بقيمتها لنضعها في الثلاثة وقبل فوات الأوان!!

2- لا تأخذ أي شيء من الفندق إلا إذا كان مسموحا لك بأخذه، لا لغرض الذكرى ولا بدافع دناءة النفس، ومعلوم بأن معظم ملاعق وأكواب وشوكات وسكاكين المطاعم الفندقية الراقية، ومثلها مناشف وصوابين وعطور ومعطرات وشامبوات فنادق الدرجة الأولى عادة ما تختفي بعد مغادرة النزلاء، لا فرق في ذلك بين نزيل مليونير، ولا بين نزيل – إفلاسونيير- وكل ظن النزلاء بأنها غير ذات قيمة لإدارة الفندق، ولن تشكل عبئا ماديا عليه، كما أنها مشاعة ولن تشكل – من وجهة نظرهم – مثلبة أخلاقية، ولا خرقا قانونيا أيضا، ولاسيما وأن الفندق قد – قطهم – مسبقا وبأسعار خيالية لليلة واحدة، أو عدة ليالي! والأمر ليس كذلك بالمرّة فالفنادق التي تكتشف مثل هذه التجاوزات فإنها تتعامل معها على أنها أخذ ما ليس لك حق فيه، ومن دون إذن مسبق منها وبما يعد سرقة

في بعض القوانين والأعراف السياحية والفندقية وبما يعرضك للمساءلة القانونية حرفيا وربما للسجن والغرامة المالية -التي تكسر ظهرك -أيضا!

3- تأكد من الوجبات المجانية بدءا من وجبة الفطور الصباحي وانتهاء بوجبة العشاء قبل أن - تكره اليوم الذي نزلت فيه بهذا الفندق -!

4- لا تترك أي شيء من أمتعتك وراءك مكشوفاً ولا مفتوحاً على الإطلاق أثناء مغادرتك الغرفة، وخذ جواز سفرك وتذكرتك معك، فما توثقه الكاميرات يوميا وتنشر التقارير عنه دوريا يشيب لهوله الولدان من قبل بعض العاملين في الفندق، ومنها العبث بمقتنياتك وتصوير جواز سفرك لأغراض التزوير لاحقا، زيادة على تنظيف توالت ومغسلة الغرفة بفرشة أسنانك حقدًا عليك، وقس على ذلك ما شئت من خروقات ولا مروءات، بعضهم يفعل ذلك حقدًا عليك على أسس قومية..عرقية..دينية...عنصرية..وبعضهم على أسس طبقية، فنزولك بفندق خمس نجوم لعدة أيام قد يدفع بعض العاملين فيه من ذوي الدخل المحدود الى الانتقام منك - طبقيا - لظنهم بأنك ايلون ماسك زمانه في بلدك، وهم لا يعلمون بأن -الأخ فلاس ووجع راس- قدم الى هذا الفندق على حساب جهة ما أثناء حضوره فعالية ما "ولو كان الأمر بيده لنزل ضيفا عند صديق، أو في فندق نجمة واحدة من فئة- خمسة صراصير وأربعة فئران - حيث 8 أشخاص محشورين في غرفة واحدة يطلق عليها عادة مصطلح "غرفة البراغيث" وحشر مع الناس عيد كما يقال كل ذلك لضغط النفقات وتوفيرها قدر الإمكان أثناء السفر، لأن المال في أية غربة..وطن كما أن الفقر في الوطن غربة!!

5- لا تخلع ملابسك إلا في الحمام فهناك بعض الفنادق تضع كاميرات خفية في زوايا لا تخطر على بالك، بعضها موضوع في المرأة، أو في أجهزة التكييف، أو الإنارة، أو في جهاز التلفاز، أو في إطار اللوحة الجميلة التي تواجه فراشك، وغيرها.

6- إذا كنت مدخنا شرها فلا تدخن داخل الغرفة، وافتح النوافذ، أو دخن في الشرفة الخارجية لأن بعض الدخان الكثيف الساخن القريب قد يطلق جهاز إنذار الحرائق!

7- خذ كارت الفندق الذي تقيم فيه معك أينما حللت وارتحلت تحسبا لضياك وعدم اهتدائك إلى طريق العودة ولاسيما في البلدان التي تزورها للمرة الاولى، أو التي لا تجيد التحدث بلغتها الأم.

8- لا تترك فراشك هملا من دون ترتيب.. صحيح أن هناك عمال خدمة هذا هو واجبهم، إلا أنك لا تريد أن تترك انطبعا لدى العاملين ولاسيما إذا ما عرفوا من أي بلد أنت، ومن أية قومية ودين، بأنك "إنسان فوضوي ومخربط"، رتب فراشك قبل مغادرة غرفتك واترك انطبعا طيبا عن بلدك وشعبك ودينك لدى الجميع بحضورك وفي غيابك..ولا ترتبه فور قيامك من نومك، دعه قليلا قبل الترتيب لإزالة بقايا الرطوبة التي تكثر من انتشار البكتيريا، هكذا ينصح الأطباء والمتخصصون!

9- لا تأخذك العزة بالإثم ولا تغرنك خلوتك في غرفة بعيدا عن الأنظار لتقلب ما تشاء من قنوات تلفزيونية وصفحات سيبرانية بعضها فاضحة، واعلم بأن الله تعالى يراك حيثما كنت أولا وآخرا، ومن ثم عليك أن تعلم بأن بعض إدارات الفنادق الراقية تعلم عن ماذا تبحث، وفي أي القنوات تقلب وفي أي شيء -تبصص-!!

10- كاميرات المراقبة موضوعة وموجودة في كل مكان من الفندق، وهي تسجل كل شاردة وواردة وعلى مدار الساعة، في المصاعد، في السلالم، في المطاعم، في الكافيهات، في الممرات، في جميع المداخل والمخارج، فتصرف على هذا الأساس، وإياك أن تأتي بتصرف غير لائق يسيء إليك، أو الى سمعة بلدك ودينك وشعبك على الإطلاق..

11- لا تعامل عمال النظافة وعمال الخدمة على أنهم عبيد عندك كما فعلها أحدهم أمام ناظري وهو شخصية معروفة ولا أريد تسميته حين كان يلح على الجرسون في أحد فنادق دبي الفاخرة وبكل عنجهية وبصوت قبيح

أجش وبعد الفراغ من تناول طعامه بعبارة – شيل..شيل..شيل – وكأن الجارسون خادمه أو عبده أو أنه يعمل في بيت أبيه بالأجرة!!-

12- حذار من دخول صالات القمار ومثلها حانات وكازينوهات الفندق الليلية والنهارية ولأي سبب كان ولو للبحث عن صديق طال غيابه، واحذر أيما تحذير من نساء حسناوات أجنبيات يقفن بالقرب من مداخل الفنادق الرئيسية بذريعة إجراء اتصال عابر، أو بانتظار أحد ما، أو أنهم يجلسن بمفردهن بلا عمل في زوايا المطاعم وعلى بعض موائد، كذلك في صالات الاستقبال يزعم أنهم سائحات ومن نزيلات الفندق يقضين أوقانهن هاهنا قبل الصعود الى الغرف لاحقا – وبالأخص بعد الساعة 11 ليلا – والحليم بالإشارة يفهم..!

13- ثلاثة أرباع سيفيات الضيوف العابرين أثناء التعارف الفندقي – كاذبة وزائفة – فلا تصدق 80 % من المعلومات التي يقدمها لك أحدهم مجاناً في معرض حديثه عن نفسه عندما يشاركك طاولة الطعام، أو أثناء جلوسه بقربك ولدقائق معدودة في صالات الاستقبال الرئيسية أثناء الدخول أو الخروج فجلهم هاهنا – يبيع وهما لمن يشتره ولن يصدقه – ولكل واحد منهم غايته وهدفه ودوافعه.

14- مؤكداً أن من حقلك أن تستمتع بسفرتك وإقامتك في فندق فاخر خمس أو سبع نجوم خارج البلاد لتعيش حياتك بالطول والعرض، ولكن نصيحة أخوية من مجرب ومحب، اياك اياك أن تعيش أقصى درجات الفخخة لتتشرّب المكان وتتقمص الشخصية في أروقة هذه الأماكن الفاخرة، لأنك وبعد أيام قلائل ستعود الى أدنى درجات – الحموضية والسخسة والطخخة والمخمخة – وبما يجعلك تعيش حالة من الفصام أو الانفصام بين حياتين لا جسر ولا رابط بينهما البتة.. حياة تكييف وترف ومساح وجاكوزي وتدليك وجمال وثناء، لتعود بعدها الى حياة مغبرة جافة لاهبة وصاخبة بلا طعم ولا رائحة، حيث لا ماء صالح للشرب ولا كهرباء!!

15- زيك التقليدي والفلكلوري والتراثي هويتك وهو زي تعتد به الأمم والشعوب في كل زمان ومكان، فإياك أن تغير زيك التقليدي، بتغير المقام، فإذا كنت معمماً فلا تخلع جبتك وعمامتك لتظهر بملابس الأفندية إلا إذا كنت تفعل ذلك بين الحين والآخر في بلدك الأم..أما أن تكون معمماً طوال الوقت داخل بلدك، لتصبح أفندياً طوال الوقت خارج بلدك فهذه يرصدها المتصيدون بالماء العكر ولات حين مندم ولاسيما من جماعة مصوري الفضائح – الباباراتزي- وعلى نحو ذلك إذا كنت معتاداً ومألوفاً بين الناس بلبس الغترة والعقال والعباءة العشائرية الرجالية الأنيقة فلا تخلعها في سفرك إلا للضرورة القصوى وقس على ذلك ما شئت، والعكس صحيح حين تكون عربياً بلباسك التراثي والتقليدي الجميل في بلدك ومن ثم تصبح مكسيكياً، أو صينياً، أو هندياً أحمر، أو من رجال الزولو، أو الكاوبوي، أو رهبان الشاولين لتلبس ملابسهم التراثية والفلكلورية على الدوام وطيلة وجودك على أراضيهم وفي بلدانهم ظناً منك بأنهم سيقولون لك – عفية – مع أنهم سيقولون عنك وبلغتهم الأم وبما معناه – وااا، ياله من ثعلب مكار، ومن سائح لوكي غدار-، وأخص بذلك كله النساء فبعضهن يخلعن الحجاب في أوروبا وأميركا ويلبسنه في بغداد وعمان ودمشق وبيروت والقاهرة!!

16- إذا أعطبت أو كسرت شيئاً من ممتلكات الفندق خطأ، أو سهواً فحاول أن تخبر إدارته وتعتذر لهم خشية أن يتم تشويه سمعتك أو ملاحقتك قانونياً فيما بعد.

17- تأكد من حيازة وجمع كل مقتنياتك وأوراقك وأمتعتك قبل مغادرة الفندق، مع تسليم المفاتيح التقليدية، ومثلها بطاقات المفاتيح الرقمية الذكية الى إدارة الفندق.

18- لا تحاول استعمال أية أقذار وإن بدت لك نظيفة للغاية قبل غسلها وتنظيفها جيداً بالماء، أو تعقيمها بالمناديل الورقية المعقمة، كذلك الحال مع أجهزة الريموت كونترول، والهاتف الفندقي الداخلي، وغلاية المياه، والمغاسل والحمامات كافة.

19- تجنب حجز الفنادق في المناطق التي تشهد اضطرابات سياسية، أو خروقات أمنية، واختر الفنادق في المناطق الآمنة والمستقرة نسبياً أو كلياً فحسب.

20- حاول ومنذ الوهلة الأولى من نزولك في أي فندق حول العالم التعرف على شروط السلامة، وعلى مخارج وأرقام الطوارئ، ولا تفتح باب الغرفة إلا لشخص تعرفه، أو لشخص معرف من قبل إدارة الفندق، وحذار من تناول أي طعام أو شراب يقدمه لك الغرباء في طوابق الفندق وممراته ومصاعده، ولا تستخدم المصاعد مطلقاً عند اندلاع الحرائق.

(*) مقال المنشور في موقع " المعهد العربي الدبلوماسي"، التابع الى جمعية الدبلوماسيين العرب بتاريخ 15/10/2025.

النسخة الإنجليزية..من مختصر مقال "نصائح فندقية" المنشور في موقع صحيفة

International political newspaper (POSP) (*)

Hotel tips for travelers in general and delegations in particular!!



I write the following lines in light of the huge uproar being circulated by all Arab media outlets, represented by the accusation of an Iraqi diplomat – which the aforementioned person has vehemently denied – of stealing towels, cups, a watch, and a remote control, all worth no more than \$10, from a luxury Arab hotel after staying there. In fact, if the information is true, I confirm that it is a common habit, although completely false, that many ordinary guests fall into, as well as businessmen, merchants, celebrities, athletes, media professionals, and guests of upscale five- or seven-star hotels in particular, because their counterparts, one- or three-star hotels, such as some of the Alawi, Al-Bataween, Bab Al-Sharqi, and Al-Saadoun hotels, for example. Some of these hotels, but I do not say all of them, are true of what the famous Abbasid poet of Al-Kidīyah, known as “Abu Al-Shamqmaq,” said in the past:

“I do not close my door because I have something in it that I fear will be stolen.

I only close it so that he does not see the bad state of mine who pass the roads by.

A house whose homeland is poverty. If a thief enters it, he will be stolen.”

You must be seriously worry of two things when staying in such miserable hotels: lice and scabies on the one hand, and the theft of your bags or personal belongings by some of its temporary or permanent guests on the other hand, and not the other way around!! I advise travelers not to use

any towel, no matter how clean it seems to you, nor any soap inside it. I also advise using a new spare sheet and pillowcases that you bring with you in advance to place over the hotel sheet and pillows, because they will most likely transmit to you what you never imagined, and perhaps even fungi, parasites, and bacteria that are not even mentioned in medical encyclopedias. Let this be the first piece of advice that is not only suitable for lower-class hotels, but also for motels and pensions, the latter being more deadly and more dangerous in all countries of the world without exception – their entire night is hours rented out for practicing all kinds of vices, obscenities, and indecencies, in addition to using hashish and injecting drugs, except for those whom God has mercy on. Honest guests have often gotten involved in them, who are forced to live in them because of their cheapness first and their proximity to airports second, especially during long transit, or during very late-night flights, or due to emergency weather conditions that disrupt some flights or suddenly delay them. In one of them, one day, I was forced to discover, after it was too late, that all the adjacent rooms were occupied with fines and nuts. What is true of motels also applies to so-called studios in terms of the lack of cleanliness, even if they all appear clean to onlookers. I am talking here about the enormous levels of moral and invisible germ pollution in the rooms, bathrooms, sinks, towels, mattresses, tables, carpets, and even in the door and window handles. In addition to the audio and visual pollution emanating from some restaurants, cafeterias, casinos, and cafes attached to or near the hotel, and some of the guests of these places. What literally brings to mind what the Syrian poet and satirist, Fakhri al-Baroudi, said about the miserable night he spent in 1952 at the New Royal Hotel in the Lebanese capital, Beirut:

Oh, the night of ill omen in Beirut, I was... In it, drowsiness and anguish were ominous.
Neither bedbugs, lice, nor fleas bothered me... Neither the rude gnat, nor flies, nor... Owl
But a cricket chirped, disturbing me...and my sleep was lost, and my eyelids were deprived of it.
Early in the night, the sound of jazz kept me up at night...and my heart was worried and sad in my chest.
No sooner had the drums stopped beating, oh my goodness...than I heard a screeching sound, all ominous.

Now let's move on to the tips for upscale hotels:

- 1- Make sure, before you venture out, that you are allowed to use and consume for free, and that which you must pay for upon departure at exorbitant prices. Therefore, do not eat or drink anything from the room refrigerator unless you are certain that it is free, or at the expense of the entity that sent you, or dispatched you, or invited you, or hosted you to represent them in this or that country while attending a cultural seminar, scientific conference, or art festival...etc. I personally, along with a dear colleague, fell into two previous traps. The first, we paid for it humbly after a tug of war—the joy of the trip was gone from our noses—while the second,

we went to the market and bought what matched everything we ate. We literally drank it for one-tenth of the exorbitant hotel prices, so we could put it in the fridge before it's too late!!

- 2- Don't take anything from the hotel unless you're allowed to take it, not as a souvenir or out of selfishness. It's well known that most spoons, cups, forks, and knives from upscale hotel restaurants, as well as towels, soaps, perfumes, fragrances, and shampoos from first-class hotels, usually disappear after guests leave. There's no difference between a millionaire guest and a bankrupt guest. All guests assume is that they're of no value to the hotel management and won't constitute a financial burden. They're also commonplace and, from their perspective, won't constitute a moral or legal breach, especially since the hotel has already taken them at exorbitant prices for one night, or several! This is not the case at all. Hotels that discover such transgressions treat them as if you've taken something you don't have the right to, without prior permission, which is considered theft under some tourism and hotel laws and customs, exposing you to serious penalties. Literally legally, and possibly even imprisonment and a back-breaking fine!
- 3- Make sure you have free meals, starting with breakfast and ending with dinner, before you hate the day you stayed at this hotel!
- 4- Never leave any of your luggage behind, uncovered or open, when you leave your room. Take your passport and ticket with you. What cameras document daily and regularly report on is horrifying to children, especially those working at the hotel. This includes tampering with your belongings and photographing your passport for later forgery purposes. In addition, the toilet and sink in the room are thoroughly cleaned.

Be careful, and do not open the room door except to someone you know, or to someone known by the hotel, and beware of eating any food or drink offered to you by strangers on the hotel floors, corridors, and elevators, and never use the elevators when a fire breaks out.

(*) مقال باللغة الانجليزية المنشور في صحيفة "بوسب السياسية الدولية" بتاريخ 2025/10/15.

أطباء التخدير.. متاعب مهنية ومخاطر صحية وفصول عشائرية وحساد على امتيازات المهنة (*)

منذ أن دَوَّنَ أحد أطباء التخدير مشاعره وكتب يومياته عام 2007م ونشرها في إحدى الصحف المعروفة وأنا أحترم ذلكم الشخص وأعني به - طبيب التخدير - وأذكر بأن الطبيب إياه كان قد كتب وبالحرف: "أن تكون طبيب تخدير فهذا يعني أنك بنظر المرضى وذوهم ذاك الرجل الذي يقتل المرضى بسبب الجرعة الزائدة! وأن تكون طبيب تخدير يعني أنك الرجل الذي يحق لجميع المرضى ومن يرافقهم الكذب عليه بمنظورهم وإخباره بأن المريض لم يأكل شيئاً قط منذ 7 ساعات - مع أنه تناول طبق باقلاء بالدهن، مع كاسة محلي، أعقمها بعشر سجائر مضروبة قبل نصف ساعة من موعد العملية فحسب، وربما أتبعها بقطعتي زلابية وزنود الست بزعم أنه قلق ومتوتر من العملية وهو معتاد أن يأكل بشراهة عند شعوره بالتوتر والقلق!!- وأن تحاليله ممتازة وأنه على أتم الإستعداد لإجراء العملية، وإن كان بتزوير نتائج التحاليل!!".

معلوم بأن إقرار قانون "تشجيع أطباء التخدير" إنما كانت غايته وهدفه الأساس هو تشجيع الأطباء للعمل في فرع التخدير الذي يعاني من فرار جماعي إلى أقسام طبية أخرى، فضلاً عن استقطاب أصحاب الكفاءات والخبرات الطبية في فرع التخدير للعودة إلى العراق ولدعم وتشجيع ذوي المهن الصحية من تقني التخدير ومساعدتهم من العاملين بشكل فعلي في هذا المجال، كان لزاماً إجراء حوار مع أحد أشهر أطباء التخدير في العراق، الدكتور عمار وجيه، لإضاءة محاور عدة بشأن المهنة الأخطر والأهم داخل الصالات الجراحية قاطبة.

* دكتور عمار، نود أولاً أن تعطينا نبذة عن التخدير وأنواعه.

- التصنيف التقليدي لأنواع التخدير هو ثلاثة أنواع رئيسية: التخدير العام الذي يُفقد المريض وعيه، إضافة إلى مواد أخرى مزيله للألم ومرخية للعضلات بدرجة أو أخرى، الثاني هو التخدير الموضعي الذي تزرق فيه مواد التخدير في الموضع الذي يراد إجراء العملية فيه كما في عمليات رفع الأكياس الشحمية وكثير من العمليات التجميلية لا سيما للجروح، الثالث هو التخدير المناطقي regional حيث يتم زرق المخدر الموضعي في السائل الشوكي أسفل الظهر، أو في جذور الأعصاب فوق الذراعين، أو الساقين للحصول على مساحة كبيرة من التخدير، أحياناً تبدأ من السرة حتى أخمص القدم. وعلم التخدير قد تطور كثيراً خلال الـ 30 عاماً الأخيرة وما يزال يتطور.

* هل هناك آثار جانبية ناجمة عن التخدير؟

- لا يوجد نوع من التداوي يخلو من الآثار الجانبية، فكيف إذا استخدمت أدوية لتنويم المريض نوماً عميقاً، أهم جهازين على طبيب التخدير الاعتناء بهما، الرئتان والقلب، لأن التخدير له علاقة مباشرة مع التنفس، لذا فإن أغلب العمليات الكبرى وفوق الكبرى تُستخدم فيها أجهزة التنفس الصناعي Ventilators التي تضخ مزيج الأوكسجين والهواء إلى رئتي المريض بطريقة الشهيقي والزفير الآلي، القلب والدورة الدموية يتأثران صعوداً ونزولاً، ضعفاً وقوة نتيجة التخدير، وكل الآثار الجانبية مسيطر عليها في أنواع التخدير الحديثة وبنسبة عالية.

* تعاني المستشفيات المحلية بصورة عامة من نقص في أطباء التخدير بمعدل طبيب تخدير واحد لكل 4 صالات عمليات جراحية الأمر الذي ينعكس سلباً على مواعيد إجراء العمليات الجراحية الطارئة وأحياناً تؤدي إلى وفاة

بعض المرضى من جراء التأخير الحاصل نتيجة النقص الكبير بسبب عدم قدرة طبيب التخدير على فتح عيادة خاصة به ما أثر سلباً على موارده المادية، إضافة إلى انخفاض أجورهم وعدم وجود فرص عمل لهم في المستشفيات الأهلية، وخطورة المهنة خشية تعرض المريض إلى مضاعفات، أو وفاته لا قدر الله تعالى أثناء التخدير، وما يترتب على ذلك من أعراف وتقاليده ودكات عشائرية، وتداعيات اجتماعية يكون طبيب التخدير ضحية لها وفي مقدمتها الفصل العشائري، ما دفع العديد منهم إلى ترك المهنة والتوجه إلى اختصاصات طبية أخرى، بماذا تعلق على ذلك؟.

- مهنة التخدير والعناية المركزة بشتى أنواعها فيها حساسية كبيرة وتحتاج إلى بيئة مستقرة سياسياً وأمنياً ومجتمعياً، باعتبار أننا نتعامل مع تقنية عالية جداً يمتزج فيها الطب والصيدلة والهندسة الميكانيكية والإلكترونية!

ضمان عدم انقطاع الكهرباء أمر مطلوب لضمان عمل أجهزة التخدير ومراقبة الفعاليات الحيوية بكفاءة. وجود تقنيات حديثة وأدوية تخدير غير منتهية الصلاحية ومساعدین أكفاء ومراقبة كفئة بعد العمليات في غرف العلاج المركز والعناية المركزة، كلها متطلبات مهمة لا يمكن تجاوزها.

الوضع المضطرب يؤثر كثيراً على تلك المفردات والمعطيات، ومع الوقت يولد نوعاً من الأسى والملل لدى الكفاءات الطبية وغير الطبية ومنهم طبيب التخدير والعناية المركزة بشكل خاص.

في عام ٢٠٠٥م كنت مسؤولاً عن وحدة العناية المركزة، وجيء بمواطن عراقي قد دهسته عربة همر أمريكية وهو يقود سيارته فتسببت بكسر أضلاعه وتمزق عضلاته. لا أخفيك، في وقتها كنت أشعر بالمرارة في أننا نبذل جهداً مع بعض مرضانا ربما لتسعة أشهر لتعود لهم عافيتهم، وتأتي الحروب لتحطمهم في ثوان معدودة، لم يكن ذلك الشعور سهلاً، فكيف وقد أهدرت أرواح مئات الألوف من الأبرياء في الفتنة الأهلية؟

* هناك بعض الطواقم الصحية من قد أزعجهم إقرار قانون تشجيع أطباء التخدير لأنه ظلم فئة مهمة من الطواقم الصحية التي تمثل 70% من العاملين في المستشفيات، ممن تزيد أعدادهم على 285 ألفاً، إذ لم يشملوا بامتيازات أطباء التخدير، ولاسيما الحاصلين منهم على شهادة الدبلوم العالي من قسم التخدير، وعددهم عدة ألوف بصفة مساعد طبيب تخدير كما أن القانون يتضمن منح مخصصات إضافية لتشجيع أطباء التخدير من دون أية امتيازات للمساعدین على حد وصفهم، كيف ترد على ذلك؟

- أولاً وتصحيحاً للمعلومة، الدبلوم العالي يمنح للحائزين على البكالوريوس بعد دراسة سنة أو سنتين. أظن أنك تقصد الدبلوم المكافئ لدراسة المعاهد.

في كل الأحوال، جميع الشرائح لها حق وثمة اجحاف واضح لخريجي كلية التقنيات الطبية، ولخريجي المعاهد. والصواب أن لا نلغي مخصصات أطباء التخدير وإنما ندفع باتجاه تشريع قوانين أخرى للتقنيين والمساعدین. وليس في التخدير فقط بل في كل أقسام العناية أو العلاج المركز، تنفسياً كان أو قلبياً أو قسم غسيل الكلى أو غسيل الدم أو الجملة العصبية ونحو ذلك.

* مخصصات القانون تضمنت صرف مخصصات بنسبة 100% على الراتب الاسمي وقطع أراض سكنية مجزية بمركز بغداد بمساحة 200م، وفي المحافظات ميسان وذي قار والمثنى بمساحة 400م، وفي باقي المحافظات 300م، ما فتح الباب أمام العائنين والحساد إلى النظر إليكم بأعين مفتوحة – وقاكم الله شرها وشررها – مع

أنهم لم ينظروا الى المميزات من زاوية أخرى لسد النقص الحاد بموازاة مخاطر لا حصر لها قبل وبعد التخدير، ماهو رأيكم؟

- للعلم، لم يحصل أطباء التخدير لا في النظام السابق ولا بعد الاحتلال على امتيازات. ومن حق جميع المواطنين الحصول على حقوقهم. العاقل الذي ينظر إلى أن تلك الحوافز سيكون المستفيد الأول منها المواطن باعتبار أن من شأنها أن تشجع الأطباء على البقاء وترك الهجرة، عندها لن يحسد بل يعدّ ذلك مقدمة لمصلحة وطنية ونرجو أن تشرع قوانين أخرى لكل فئات الشعب بالتدريج.

*حدثنا عن موقف طريف وآخر غريب واجهك خلال أو قبيل تخديرك أحدهم ما يزال عالقا في الذاكرة.
- المواقف الطريفة كثيرة. ومن أطرفها أنه وفي زمن الحصار شحت الأدوية إلى حد كبير ما اضطرنا الى استخدام البدائل. في وقتها توفرت في المستشفيات الحكومية مادة "الكيتامين" وهو مخدر قوي لكن من مشاكله أنه يسبب هلوسة بعد الإفاقة. لذا لم نستخدمه بكثرة إلا وقت الحصار.

أفاق رجل محترم من التخدير، وكنت واقفاً أراقبه، ويبدو أنه تذكر أيام حرب الخليج الأولى 1980-1988 وكانت تسمى حينها بالقادسية الثانية، فسألني عند الإفاقة وبالطبع كان يترنح قائلاً: هل خدمت في القادسية؟ قلت نعم. قال: أبوك قاتل في القادسية؟! فجاملته وقلت نعم. ثم قال: أمك قاتلت في القادسية!!! فتملكني الضحك ولم أملك أن اسكت وضحك من حولي من الاطباء والمساعدين.

الموقف الغريب أننا خدرنا مريضاً لنجري تنظيراً للمثانة. وأغلب المرضى يكتفون بما يقارب ٣٥٠ ملغم من مادة "البنثوتال" لكنه لم ينم إلا بعد أن زرقت به ١٠٠٠ ملغم، أي ثلاثة أضعاف ثم وضعت الكمادة على وجهه ليستنشق رذاذ الفلوثين. وبعد أن أجريت له عملية التنظير التشخيصي من قبل الاستاذ اسامة نهاد رفعت، أغلقت المواد المخدرة، فاستيقظ في ١٠ ثوان وابتسم في وجهي قائلاً: الله بالخير شلونك زين؟ علما أنه لم يكن يحتسي الخمر!!

* خلال الحرب العراقية - الإيرانية أصبت بشظية هاون 120 ملم استقرت على الشريان الصاعد في الرقبة، وخشي الأطباء الميدانيون من اخراجها وأحالوني الى مستشفى القوة الجوية وهناك أخبرني الطبيب الجراح بضرورة إجراء عملية في الموعد الفلاني، يومها رفضت أن يرافقني أحد من الأهل والأصدقاء وذهبت وحيدا الى المستشفى، وبعد وصولي صباحا أغرتني رائحة الشواء القريبة فتناولت "نفر تكة، ونصف نفر كباب، مع البصل والطماطة المشوية + قدح شاي مهيل" ودخلت الى الصالة كالتاووس، فسألني طبيب التخدير: "متى تناولت آخر وجبة طعام؟" قلت قبل عشر دقائق، قال وماذا أكلت؟ "قلت كذا وكذا!! فقال امش اطلع بره.. تريد تموت!! ترى ماهي الضوابط والمخاطر والخطوات التي يتوجب على المريض اتباعها قبل خضوعه الى التخدير؟
- عوافي عليك التكة والكمباب وبعد لا تسويها!!

في المعدل يجب أن يمتنع المريض عن الطعام والشراب لمدة ٤ ساعات في الأقل قبل العملية. وثمة إجراءات أخرى كثيرة لذوي الحالات الخاصة. مثلاً المدخن ننصح به بترك التدخين لمدة أسبوعين في الأقل. وإذا كانت الحالة ملجئة فيومين.

مرضى السكر والضغط والقلب يجب أن يأخذوا أدويتهم بانتظام ووفق بروتوكول خاص قبل العملية كي لا تتدهور حالتهم بعد الإفاقة.

المرضى الذين يتناولون مضادات التخثر مثل "الوارفرين"، يطلب منهم ترك الدواء قبل يومين أو ثلاثة ثم يزرعون بدواء وريدي اسمه هيبارين... وهكذا.

المريض الذي لا يلتزم يؤدي نفسه قبل غيره. فإذا كان قد تناول الطعام قبل العملية ثم تقيأ أثناء التخدير قد يعرض حياته للخطر، ويدخل الطعام الى رنتيه ويسبب كوارث!!

* هناك من يحمل طبيب التخدير تبعات فشل العملية أو نجاحها، ترى من أين تأتي مثل هذا العرف الخاطئ وما ترتب عليه من فصول وملاحظات عشوائية واعتداءات وتجاوزات تطال أطباء التخدير بعيد فشل العمليات الجراحية وأحيانا قبلها؟

- كثير من الأعراف أقرب الى الخرافات أو الشائعات التي فشلت من دون تمحيص حالها حال عدم جواز أكل السمك مع اللبن. الإساءة التي تبدر من الفريق الطبي إن وجدت فهي ما بين التعدي أو التقصير. وقد يكون من الجراح أو المخدر أو المساعدين أو الطبيب الباطني الذي يكشف على المريض قبل العملية أو الفريق الذي يتابع ويراقب بعد العملية. وكلها حالات سهلة الاكتشاف لاسيما وإذا كانت اللجنة التحقيقية ذات خبرة وكفاءة. ومع ذلك فثمة إجراءات تقلل الى حد كبير الأخطاء الطبية، ومنها جودة التعليم والتدريب، الثقافة العامة، الالتزام الديني والسلوكي، الرقابة والتفتيش، البيئة المجتمعية، الحقوق، الخ.

* ابن القف... الطبيب المسلم المولود سنة 630 هـ كان قد أفرد في كتابه "العمدة في الجراحة" فصلا كاملا للحديث عن تسكين الألم الجراحي، ذكر الأفيون واللفاح والبنج، وكذلك فعل ابن سينا، والرازي، وعيسى بن علي، حين كتبوا عن الاسفنجة المرقدة، واستعمالها في تخدير المرضى أثناء بعض الجراحات، ممهدين الطريق بذلك لظهور فكرة التخدير الإنشائي والتي تعد القاعدة الأساس التي بني عليها علم التخدير في العصر الحديث بعد اكتشاف مادة الايتر عام 1842م، نود سؤال جنابك الكريم عن ماهية المادة المخدرة المستعملة حاليا في العمليات الجراحية؟

-بالمناسبة، كلمة بنج مشتقة من الفارسية أو الكردية (بنج) وتعني خمسة مواد تخلط وتستنشق. فمواد التخدير مخلوقة قبل آدم عليه السلام ومنه شجرة الأفيون والپاپايرتم وهكذا.

وقد تطورت أدوية التخدير كما ذكرت في البداية، وتميل كثير من مستشفيات العالم الى التخدير الوريدي الحديث الذي يمكن ضبط جرعة التخدير فيه الى درجة كبيرة خاصة بعد أن اكتشفت أجهزة التقطير الإلكترونية قبل حوالي ٢5 عاما، وساعدت في ضبط التقطير الكترونيا.

من المؤلم أن العراق استخدم مادة "الپروپوفول" منذ أواخر الثمانينات، وقد أجريت عام ١٩٨٩ أكثر من ٢٠٠ عملية بواسطة هذه المادة. ثم عرضت علي عام ٢٠٠١ في مستشفى أردني على أنه دواء حديث!! قلت لهم لقد استخدمت هذا الدواء منذ ١٢ عاماً!!

كذلك تقنيات المراقبة. فقد استخدمت جهاز مراقبة نسبة الأوكسجين النبضي في مستشفى الناصرية العام في سنة ١٩٨٥م بيد أنه لم ينتشر في الدول العربية إلا أواسط وأواخر التسعينات! العراق سبق كثيرا، ومن ثم تراجع كثيرا، ونسال الله تعالى أن يعيد إليه عافيته.

* كلمة أخيرة تود إضافتها.

- كلمة أخيرة أقولها لزملائي في الطب، وقد تبدو غريبة بعض الشيء، ففي عام ١٩٩٠م عاد الى العراق طبيب تقدير مختص بالباطنية. قلت له لم لم تبق في لندن؟ قال هل تريدني أن أعالج الغريب وأنسى ابن بلدي الذي يحمل ديني وهويتي؟

صحيح أن البقاء في البلد قد يكون صعبا جدا على العديد من الكفاءات، ولكن عزاءنا أننا نعالج أو نتعامل مع أهلنا. إنه ثمن يجب أن يدفع. والجزاء سيكون كبيرا من ربنا سبحانه.



(*) مقال المنشور في صحيفة "الحوار المتمدن" العدد: 6499، بتاريخ 25 / 2 / 2020

بصيص من الوعي والمنطق السليم في عالم يغص بالعيب والتجديف السقيم!

كنت أستنشق الهواء الذي بدا أكثر نقاء من سابقه بغياب الملوثات الصناعية نتيجة الحظر الشامل للتجوال أيام انتشار وباء كورونا (كوفيد - 19) في بداياته، وإذا بملوثات فكرية تخبث مزاجي الرائق ساعتها حين تنامي الى سمعي وبرغم تأكيد منظمة الصحة العالمية على عدم وجود علاج ناجع للوباء حتى الآن، مفاده أن بعض الكتاب والإعلاميين خرجوا علينا وبكل وقاحة جهارا نهارا، عيانا بيانا، وفي بث متلفز ليشجعوا الهلوعين على معاقرة الخمور للوقاية من الوباء على حد زعمهم وهرائهم وتجديفهم وعبثهم!!

وهؤلاء وغيرهم يُرد عليهم بدعوة مسؤولين في منظمة الصحة العالمية ذاتها، الحكومات كافة في أنحاء العالم إلى تطبيق التدابير المعمول بها للحد من استهلاك الكحول وتجنب أي تخفيف للوائح الخاصة بذلك، وسط جائحة فيروس كورونا لأن الكحول يضعف المناعة!

ويُرد عليهم بما كشفت عنه دراسة علمية أقرها مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة الأمريكية، وخلصتها، أن "الخمير يزيد خطر الإصابة بـ كوفيد 19، ويؤدي إلى أمراض الكبد وأمراض القلب والسكتة الدماغية والسرطان!!".

ويُرد عليهم بما كشفت عنه النقيب خبيرة التغذية السريرية، الدكتورة دانا إليس هانس، مؤلفة كتاب "وصفة للبقاء على قيد الحياة" قائلة "نحن نعلم أن الكحول مرتبط بالتثبيط في العديد من الجوانب".

ويُرد عليهم بما قاله الدكتور فاروق علام "توجد عدة عوامل أخرى وإضافة الى إضعاف الكحول للمناعة الشخصية، تجعل مدمني الكحول من الفئات الأكثر عرضة لانتقال الفيروس وفي مقدمتها مخالطة حاملي العدوى في البارات وأماكن تناول الكحوليات "مضيفا، إن "الوقاية الفعلية من فيروس كورونا وغيره من المخاطر الصحية المحتملة تبدأ بعلاج جذور المشكلة وهي إدمان الخمير".

ويُرد عليهم بما نشرته المجلة الطبية البريطانية، عن ملخص دراسة علمية أجريت بين عامي 2008 - 2016 وشملت آلاف النساء بالمستشفى التعليمي التابع الى جامعة آرهوس الدنماركية انتهت الى، أن "النساء المعاقرات للخمور تنخفض نسبة الخصوبة لديهن بواقع 11 % عن غيرهن".

على النقيض من ذلك - وإن تسببوا بلغط مماثل أيضا - فإن هناك من خبراء التغذية والأمراض الانتقالية من شددوا على تناول بعض الأطعمة للوقاية من الأوبئة لدورها في تقوية جهاز المناعة، فهذه أستاذ علم الميكروبيولوجي الدكتورة ابتسام حماد، تؤكد بأن "المش والجعضيض والجرجي"، هي سلاح فتاك ضد الوباء "واصفة إياها بأنها "غذاء الفقراء"!!

ساعتها قلت في نفسي "أخشى ما أخشاه هو أن يزاحم رجال المال والأعمال والأغنياء والساسة وبعد ترك المشوي والمحشي - المشمر والمحمر- هذه المرة، ليدافعوا الفقراء على طعامهم كما زاحموهم قبلا على - بناطيلهم الممزقة والمرقعة - فصار البنطال الممزق أغلى من سواه، وصار نظيره عبارة عن براند يتهافت - مرقعوا الثقافة والوعي والفكر - لشرائه وبأي ثمن ومهما كان باهظا، ليتحفنا بعدها رئيس وحدة التثقيف الغذائي الدكتور مجدي نزيه، في لقاء متلفز بوصفة علاجية أخرى سبق وأن استعملها الفراغنة قبل آلاف السنين على حد وصفه متمثلة بوجبة "الشلولو" وهي عبارة عن ملوخية جافة بالثوم والليمون لمواجهة كورونا وتقوية جهاز المناعة، ولا ريب بأن رواد مواقع التواصل قد أساءوا فهم المختصين وحولوا كلامهم الى موضع للنقد اللاذع والسخرية والتهكم ما دفع الخبراء والمختصين الى توضيح اللبس وسوء الفهم الحاصل حول تصريحاتهم السابقة وذلك في لقاءات متلفزة جديدة، مشددين على، أن الحديث كان يدور حول تقوية جهاز المناعة عموما وهي أساس الوقاية من معظم

الأمراض والأوبئة، ولم يكن الحديث منصبا على اكتشاف لقاح أو عقار أو مصل جديد غير مكتشف من قبل منظمة الصحة العالمية لاتقاء شر كورونا وغيرها من الأوبئة والجائحات الفتاكة!

خوف ونصح

تحبس البشرية منذ مدة ليست بالقصيرة أنفاسها ليس بسبب أزمت الطاقة الخانقة، ولا على خلفية الركود والانكماش والبطالة والتضخم، ولا من جراء حروب الشرق الأدنى والأوسط التي لا تنتهي أبدا بتحريض وتمويل وتخطيط دائم ودائب من الدول العميقة، ونظيراتها من الحكومات الحاكمة الصفيفة، ولا على خلفية الحرب الروسية -الأوكرانية التي دخلت عامها الخامس، أو إغلاق مضيق هرمز الذي أسفر عن تعطل سلاسل التوريد والإمداد، وارتفاع أسعار الأغذية والأدوية والمحروقات في أرجاء المعمورة، فحسب، وإنما في أعقاب تحذيرات متكررة وتوجسات وإنذارات متتالية تتصاعد بحدة في آن واحد من مغبة انتشار فاشيتين فايروسيين فتاكيتين أعقبنا غلق ملف فيروس التاج مؤقتا، الأولى بطلها فيروس هانتا بسلالته الجديدة "أنديز"، والثانية بطلها فيروس ايبولا بسلالته الجديدة "بونديبوغيو"، وبما يشي بوجود نوايا مسبقة للإسهام بنشر الفيروسين على أوسع نطاق وبأسرع وقت ممكن لتعطيل الحياة مجددا على سطح الكوكب، ولإطلاق دفعات مليارية من اللقاحات والأدوية والعقاقير والأمصال والمعدات الطبية بزعم الوقاية من الجائحة البائية، أو لعلاج الحالات المرضية المتفاقمة، ولدفع دول فقيرة نائمة، وعلى منوالها دول ذات اقتصادات ريعية نامية للاستدانة من البنك الدولي، وصنوه صندوق النقد الدولي وإغراقها جميعا بالديون والقروض الربوية الفاحشة، إضافة الى إثراء شركات الأدوية الاحتكارية التي يقودها ويملكها الإيستينيون الجدد ومن لف لفهم حول العالم وبما أعاد الى الأذهان ما وصفه ثعلب السياسة الأميركية هنري كيسنجر، في مقال سابق له بصحيفة "وول ستريت جورنال" قائلا، بأن "جائحة كورونا ستغير النظام العالمي للأبد وأن الاضطرابات السياسية والاقتصادية التي أطلقها قد تستمر لأجيال عديدة، ولسر أغوار الفايروسات والجائحات، التقينا الدكتور أحمد رعد رشيد، المتخصص في علم الأحياء المجهرية البيطرية، ليضيء لنا بعض الجوانب التي أعتمت وأشككت على الناس وبإدراجه بالسؤال الأول:

* ماهو الفرق بين الفايروسات والطفيليات والبكتيريا، وهل كلها داخله ضمن ما يعرف بالميكروبات وحبذا لو تذكر لنا نماذج معروفة عن كل منها؟

– الفرق بين البكتيريا والفايروسات أنها تختلف من الناحية البايولوجية، فالفايروسات لايمكن القضاء عليها من خلال المضادات الحيوية على النقيض من البكتيريا التي يمكن علاجها بواسطة المضادات الحيوية، أما مع الفايروسات فنستخدم اللقاحات للوقاية منها على سبيل المثال اللقاح ضد شلل الأطفال ولقاح الأنفلونزا. وبإختصار فإن الطفيليات هي كائنات تتخذ من كائنات حية أخرى موطناً لها وتتطفل عليها كالديدان المستديرة، والديدان الدبوسية، والشريطية، والبورتوزوا، وأمثالها، أما البكتيريا فهي كائنات حية دقيقة تتكون من خلية واحدة ومن أخطر الأمراض التي تسببها السيلان، التهاب السحايا، التهاب الرئوي، التسمم الغذائي وغيرها.

*كيف تتطور الفايروسات كل 10 سنين كما يشاع، وكيف تحولت الكثير من الطفيليات والبكتيريا الى مقاومة لأشد المضادات الحيوية فتكا؟

– الفايروس عادة ما يغير من هويته، وهذه الفايروسات تُقسم إلى عدة أنواع بالإعتماد على أسس مختلفة تتضمن شكلها ونوع الكائن المضيف ونوع الحمض النووي الذي تحمله، فأمّا أن يكون (DNA) أو (RNA)، ونشير هنا الى أن الأنفلونزا تتطور وتوجد فيها عدة عثر، ومنها ما يصيب الإنسان والحيوان ومنها ما يكون شديد الأمراض

مثلا العترة (H5N1) التي تصيب الدواجن، ومنها قليلة الإمراضية مثل (H9N2) والتي أكملت دراستي للماجستير عليها، فعندما أجريت اختبارات حول إصابة الحمام البري والحمام الداجن لعترة محلية معزولة وجدت أن الحمام عامل يقوم بنقل هذه العترة ويصاب بها وقد ظهرت الأعراض السريرية على الحمام إلا أنه لم يتسبب بأية هلاكات وتم تشخيصها بالفحوصات المصلية والنسجية!

الباحثون عموما يعتمدون على دراسة التركيبية الوراثية والجينية للفايروس بما فيها كورونا، حيث يتم أخذ عينات من المرضى ممن تم إصابتهم، ويشير العلماء الى أن اكتشاف لقاح ضد الكورونا يتطلب من 12 – 16 شهرا وذلك لإيجاد اللقاح المناسب والفعال ضد الفيروس وتؤكد التقارير أن الدراسات على السلسلة الجينية للفيروس مازالت مستمرة وقائمة على قدم وساق.

* فضلا وليس أمرا أوجز لنا أهم وسائل وطرق الوقاية من الأوبئة والجائحات القاتلة، والوقاية وكما يعلم الجميع هي خير من العلاج، أو وكما قال أجدادنا قديما "درهم وقاية خير من قنطار علاج".

-الوقاية من الفايروسات تتمثل بالمكوث في المنزل عند انتشارها وعدم الخروج منه إلا للضرورة القصوى وإرتداء الكفوف والكمامات والإبتعاد عن التجمعات البشرية قدر الإمكان والحرص على جعل مسافة آمنة بينك وبين الآخرين، إضافة الى غسل اليدين المتكرر وبصورة منتظمة بالماء والصابون، فضلا على الإبتعاد عن بعض السلوكيات المجتمعية كالمصافحة والمعانقة والتقبيل، على الأقل لحين زوال الوباء، ولايفوتنا التذكير بأداب العطاس والسعال وضرورة وضع المناديل على الفم والأنف خلالها ورميها في سلة المهملات بعيد إستعمالها.

* مع انتشار الأوبئة والجائحات وإذا بمواقع التواصل تضح بوصفات علاجية شعبية بعضها أسطورية وبعضها تحدث عن دور البصل والثوم والجرجير والعسل والعسل والحبة السوداء ونحوها، فما صحة ذلك برأيكم؟
- البصل والثوم والعسل والبرتقال والخضار والفواكه عموما لها فوائد في تقوية الجهاز المناعي فهي تعمل على رفع مستوى المناعة وتقوية الجهاز المناعي لدى الإنسان ولعل هذا ما يدفع الناس للحديث عن فوائدها باستمرار.

* نصيحة أخيرة للجميع للوقاية من سائر الجائحات الوبائية.

- قطعاً أن الالتزام بالحجر المنزلي هو أسلم طريقة للوقاية ولاسيما مع انتشار الفايروسات المستجدة وفي طي الدراسة والبحث العلمي الدقيق داخل المراكز والمختبرات البحثية العالمية، وأشدد هنا على ضرورة اتباع التعليمات والإرشادات الصحية الصادرة من الدوائر والمؤسسات الصحية حفاظا على السلامة الشخصية والعامة وأتمنى للجميع موفور الصحة ودوام السلامة.

انتشار الفواحش وظهور الأمراض والأوجاع المفاجئة

بهذه المناسبة وقبل وقوع الفأس بالرأس كما يقولون أستهل المقال بحديث النبي الأكرم ﷺ: "خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركنهن" وأسرد أولها هاهنا على أن أستعرض بقية الأربع في مبحث آخر وهي: "لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا...".
فحذار من الفواحش والكبائر والآثام، ما ظهر منها وما بطن، لأنها إذا ما قُنِيَتْ وأُقرت بين الناس، وإذا ما شاعت حتى أصبحت عرفاً، وإذا ما استحالت طباعاً لا يستهجنها ولا ينكرها ولا يحذر من آفاتِها ومخاطرها وتداعياتها أحد، بل ويشجع عليها أصحاب العقد النفسية الغائرة والأغراض الفكرية الدنيئة والنوايا السيئة، فإن أمراضاً

وأسقاما بيولوجية وفسيولوجية وسيكولوجية، بشرية وحيوانية ونباتية شتى لم تخطر على بال أحد حتى في أسوأ كوابيسهم ستنتشر على حين غرة بعد ظهورها المفاجئ لتفتك بالملايين، وحسبي أن أضرب تاليا أمثلة عدة بالآتي:

- وباء الإنفلونزا الإسبانية (H1N1) وقد ظهر فجأة عام 1918 بعد الحرب العالمية الأولى ليفتك بـ 50 مليون شخص حول العالم.
- مرض نقص المناعة المكتسبة "الايدز" الذي ظهر أول مرة في صيف عام 1981 تطلق المؤسسات الطبية الأمريكية عليه اسم "سرطان مثلي الجنس"، وذلك بعد ظهوره المفزع بينهم بداية، ومن ثم بين البغايا والمومسات وبائعات الهوى ومدمني المخدرات، إضافة إلى كل من يتصل ويحتك جنسيا بهؤلاء وأمثالهم، أو يتلوث بإفرازات ودماء ومخلفاتهم، ليصيب المرض القاتل ومنذ ظهوره المشؤوم ما يزيد على (88) مليون إنسان حول العالم، مات منهم أكثر من (42) مليوناً حتى الآن، والحبلى على الجرار وفقاً لوكالة روسيا اليوم.
- مرض "إنفلونزا الطيور" H5N1، وقد ظهر لأول مرة وفقاً لمنظمة الصحة العالمية في هونغ كونغ عام 1997، ليصبح مسؤولاً عن وقوع فاشيات ووفيات بين بني البشر في 16 بلداً في إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، والشرق الأوسط يسببها فيروس "الإنفلونزا شديد الأمراض A(H5N1) ويصيب الملايين.
- مرض "إنفلونزا الخنازير" المعروف علمياً بـ (H1N1) وقد ظهر للمرة الأولى عام 1918 بين قطعان الخنازير، قبل أن يظهر مجدداً وفي أول إصابة بشرية عام 2009 ليصيب بعدها الملايين.
- وباء الكوليرا وعدد ضحاياه بعشرات الملايين في 30 بلداً، وقد ظهر المرض فجأة وبما عرف بـ الكوليرا الآسيوية الحقيقية في الهند بين عامي 1817-1824، أما عن طرق الوقاية منه وببساطة شديدة فتلخصها لنا الدكتورة كيت ألبيرتي، المسؤولة عن فريق منظمة الصحة العالمية الجوال المعني بمكافحة الكوليرا، قائلة في واحدة من حلقات برنامج (العلوم في خمس) الذي تبثه منظمة الصحة العالمية، "هناك خمسة أمور أساسية للوقاية من الكوليرا، أولها شرب الماء النظيف والطهي به، وثانيها تطبيق إجراءات النظافة وأهمها غسل اليدين جيداً بعد استخدام المرحاض، وقبل تحضير الطعام، وقبل تناوله"، وهذه كلها سنن نبوية شريفة ومؤكدة إذ لا يجوز في الإسلام استعمال الماء غير الطاهر، والماء الملوث الذي تغير طعمه ورائحته ولونه لا في الشرب، ولا في الطبخ، ولا في الغسل، ولا في الوضوء، إضافة إلى تأكيد السنن النبوية على ضرورة غسل اليدين بعد قضاء الحاجة، وقبل تناول الطعام وبعده.
- وباء الطاعون الفتاك وقد ظهر أول مرة وبما عرف بطاعون جستنيان، بين عامي 541-750 ميلادية وبما غير وجه أوروبا كلها وفتك بالملايين.
- مرض الزهري "السفلس" الذي ظهر أول مرة عام 1494م في مدينة نابولي الإيطالية بعد حملة عسكرية مارس جنودها أنواع الرذائل مع المومسات والبغايا.
- وباء السارس وظهر أول مرة في الصين عام 2002م.
- وباء الإيبولا وظهر أول مرة في إحدى قرى دولة غينيا قرب نهر إيبولا وسعي باسمه، قبل انتشاره عالمياً، وقد انتشر الفايروس في 17 فاشية منذ اكتشاف لأول مرة عام 1976، وأخيرها وليس آخرها الفاشية الحالية في شمال شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، هذه الفاشية المتحورة المسماة بـ سلالة بونديبوغيو (Bundibugyo). وهي أخطر من "سلالة زائير" السابقة.
- مرض الحمى القلاعية وقد تم توثيقه أول مرة عام 1870م.
- مرض جنون البقر وظهر أول مرة في الماشية عام 1986م.

- مرض الجمبورو الذي يفتك بالدجاج بعمر أقل من أسبوعين ظهر لأول مرة عام ١٩٦٢م في مدينة جمبورو بالولايات المتحدة الأميركية ولذلك حمل اسمها.
 - مرض زيكا وظهر لأول مرة عام 1947م، في فرد المكاك بغابات زيكا الأوغندية، قبل أن ينتشر بين البشر عام 1952م مسببا العديد من الفاشيات في أربع قارات، وينتقل الفيروس عن طريق البعوض، وبما يسبب تشوهات في المخ للمواليد الجدد وفقا لمنظمة الصحة العالمية.
 - وباء نيو كاسل أو "شبيه طاعون الدجاج" وكان قد ظهر فجأة عام 1926م في مدينة نيو كاسل وحمل اسمها.
 - وباء الجدري الفعلي وبشكله الفتاك الأخير وإن كان الوباء قديم وبنوع مشابه له، كان قد ظهر فجأة عام 1580 م.
 - وباء كورونا وقد ظهرت أول إصابة بشرية به عام 2012م قبل أن يستفحل الفيروس ويقاوم الأدوية ليلبلغ أشده بمتغيره (كوفيد - 19) الذي ظهر في الصين أواخر العام 2019، وتسبب وبحسب منظمة الصحة العالمية بوفاة أكثر من 7 ملايين إنسان، وإصابة ما يقرب من 704 ملايين آخرين!
 - مرض نيباه وقد ظهر أول مرة عام 1999م في ماليزيا، وهو مرض فيروسي خطير للغاية تنتقل عدواه الى البشر من الخفافيش والخنازير وتعد مستودعا رئيسا للفيروس، إما عبر التلامس المباشر مع الحيوانات المريضة، أو من خلال تناول أطعمة ملوثة ببعض فضلاتها، وليس لهذا المرض الفيروسي الفتاك الذي يقتل ضحاياه بنسبة تتراوح بين 40- 75 %، أي لقاح أو مصل أو علاج حتى الآن.
 - فيروس "هانتا" الخطير الذي بدأ في الانتشار خارج نطاق سفينة الرحلات البحرية MV Hondius، التي شهدت تفشياً مقلقاً للعدوى لسلالة جديدة من المرض اسمها "سلالة أنديز، سمي فيروس هانتا نسبة الى "نهر هانتان" في كوريا الجنوبية حيث لوحظ انتشاره هناك خلال الحرب الأهلية الكورية 1950-1953، وقد أصاب 3 الاف جندي تابع لقوات الأمم المتحدة من دون تشخيص حالاتهم المرضية آنذاك على وجه الدقة، فيما تم عزل الفيروس أول مرة عام 1970 بواسطة العالمين كارل جونسون، وهو وانغ لي، ليتم تشخيص الحالات الأولى بالمرض عام 1993.
- علما بأن معظم الأوبئة الفتاكة تنتقل عن طريق تربية القردة والخنازير، أو ملامسة إفرازات وفضلات القوارض ولاسيما الفئران والجردان كذلك الخفافيش أو عن طريق لسعات البعوض.
- كل ذلك مصداقا لقوله تعالى في محكم التنزيل: (ويخلق ما لا تعلمون)، ومصداقا لما جاء في السنة النبوية المطهرة من ظهور الأمراض والأوجاع والأسقام غير المألوفة فجأة بالتزامن مع انتشار الفاحشة وإعلان ومجاهرة الناس بها، والفاحشة كما ورد في المعاجم اللغوية هي: القبيح من القول والفعل، وجمعها قَوَاحِشٌ، ولاسيما تلكم الفواحش المتمثلة بالعبث بموازين الفطرة والأخلاق والأسرة والمجتمع والبيئة، زيادة على مختبرات الأسلحة الكيميائية والبيولوجية ومثلها الغازات السامة، ومحاولة تطوير أنواع من الفيروسات والبكتيريا والطفيليات القاتلة والمقاومة للقاحات والمضادات الحيوية مختبريا كنوع من أنواع الحروب والأسلحة وبما يعرف بالأسلحة الجرثومية، مسؤولة بشكل كبير ومباشر عن ظهور العديد من الأمراض الفتاكة المفاجئة حول العالم... الحملات الاستعمارية الفاحشة للعديد من الدول العذراء قد نقل إليها أمراضا لم تكن تعرفها من قبل كمرض الجدري الذي انتشر في القارة الامريكية عبر المهاجرين والباحثين عن الذهب في الأرض الجديدة بعد اكتشافها ما أسهم

بإبادة الهنود الحمر.. جلب العبيد قسرا بعشرات الألوف من افريقيا نقل إلى أوروبا أمراضا ليس بوسعهم مقاومتها، والعكس صحيح، حين نقل الاوربيون أمراضا لم تطبقها مناعة الافارقة ولم تتكيف معها وعلى منوالها نقل حيوانات ونباتات مختلفة من بيئاتها الأصلية والعمل على مكائرتها أو استنباتها في بيئات أخرى غير مناسبة لها ولأهداف عدة كل ذلك تسبب بظهور أوبئة لا حصر لها وعبث بالتوازن الطبيعي والنظام البيئي أخل به كثيرا، وبما أسفر عن تكاثر سلالات حيوانية ونباتية مقابل انقراض أو تراجع أخرى، إزالة الغابات والعبث بالمحميات الطبيعية، اطعام الحيوانات اللاحمة أطعمة نباتية، بإطعام الحيوانات النباتية أنواعا من الاطعمة ليست ضمن قوائم غذائها الطبيعية عبر التاريخ، كل ذلك أنتج منظومة مقلوبة رأسا على عقب وعلى الصعد كافة تمخضت عن أنواع شتى من الأوجاع والأسقام والأمراض و الجائحات الفتاكة مصداقا لما جاء في الحديث النبوي الشريف، فهل من معتبر أو متعظ؟

الدكتور خالد القيسي.. رئيس المركز الوطني للثقافة والإعلام والفنون بضيافة مقهى الماسنجر الثقافي

*سبق وأن أصدرنا مجلة صدى العرب الشهرية، وصحيفة صدى الناس الأسبوعية، وأطلقنا سلسلة إلكترونية ثقافية مؤخرًا.

*أقمنا ورش عمل ودورات تدريبية في كتابة الخبر الصحفي، والتقارير الإخباري، وتصميم الصحف والمجلات، وفنون التصوير.

*دأب مركزنا على التعريف بنساء مبدعات، كاتبات، شاعرات، خطاطات، تشكيليات، طبيبات، مهندسات، روائيات، مخرجات معروفات.

س1: دكتور خالد القيسي المحترم، وبعد أن ارتشفنا قهوتنا، وانتهينا من المجاملات والمقدمات والتحيات، دعنا نبادرك بالسؤال الأول، متى تأسس مركزكم، وما هي الرؤية والرسالة والهدف من تأسيسه، ولا سيما وأن شعاره يزواج بين الثقافة والإعلام والفنون، ويوائم بينها مجتمعة؟

ج: تأسس مركزنا أول مرة عام 2004، ولقد حرصنا ومنذ الانطلاقة الأولى على أن يكون حاضنة وصوتا صادحا بالحق دفاعا عن المثقفين والإعلاميين والفنانين مع تسليط الأضواء على حقوقهم وكل ما يؤرقهم، والعمل على إزاحة كل ما يقف حجر عثرة وعقبة كؤود في طريق إبداعهم وتآلقهم، فكل مؤلف وكاتب وأديب وقاص وشاعر وروائي فهذا هو مركزه وبيته، كل خطاط ومصور ورسام ونحات ومسرحي وإذاعي وتلفزيوني فهذا هو مركزه وبيته، كل صحفي صاحب قضية وقلم حر رصين، كذلك كل مقدم ومعد برامج مقروءة ومرئية ومسموعة محترم، وكل محرر أخبار موضوعي، وكل مراسل مخلص ومجد في عمله يسعى الى نقل الحقيقة الى المؤسسة التي يعمل لصالحها بكل شفافية وحيادية بعيدا عن التحيز والتعصب، وكل صانع محتوى إعلامي هادف يتناول القضايا الإنسانية، وأبرز الملفات الاجتماعية التي تهم الجميع فمركزنا ولا شك هو حاضنته وبيته.

فإذا كانت الصحافة حرة وهذا ما يتوجب أن تكون عليه واقعا، وإذا كان بإمكان الجميع القراءة فسيعم السلم المجتمعي ويتحقق الأمان، كما نوه الى ذلك توماس جفرسون، وأما عن الثقافة وكما قال الحكماء فإنها تغذي العقل والروح، وتهذب النفوس وتصلح القلوب، وعلى نحوها فنون الخط والزخرفة والشعر والرسم والمسرح الجاد والفن الرصين والموسيقى الهادفة.

ولا يفوتني الإشارة الى أن مركزنا سبق وأن أصدر مجلة صدى العرب الشهرية، وصحيفة صدى الناس الأسبوعية، وكنت أنا رئيسا لتحريرها، والاستاذ خالد ستار رئيس تحريرها التنفيذي، زيادة على إقامة دورات تدريبية وورش عمل وندوات ومؤتمرات في مجال كتابة الخبر الصحفي، وكتابة التقارير الإخباري، وتصميم الصحف والمجلات، والتصوير الفوتوغرافي والفيديو وكان الإقبال عليها لافتا.

فيما أطلقنا سلسلة إلكترونية ثقافية وتوعوية مؤخرًا استهلّت وبمناسبة حلول شهر رمضان الماضي 1447هـ، بكتاب "الورد والريحان في آداب شهر رمضان" باللغتين العربية والفرنسية، كذلك كتاب "مشاهير أجانب أسلموا تأثرا بالوصايا النبوية الشريفة" لمعها الأستاذ أحمد جود الخير، ترجمة وتصميم الأستاذ قيس العاني، على أن

نستكمل هذه السلسلة المباركة لتتناول مواضيع مهمة وقضايا شائكة وآفات اجتماعية وأخلاقية مختلفة كافة الإبتزاز الإلكتروني، التنمر، الإنتحار، المخدرات، الاتجار بالبشر، التسول، البطالة الاختيارية والمقنعة، الرشوة، التزوير، العنف الأسري، التهريب، عمالة الاطفال، الأمية الابدجية والتقنية، التسرب المدرسي، وما يماثلها من مخاطر وآفات جمة تهدد السلم الأهلي، وتفكك النسيج المجتمعي.

س2: معلوم بأنه و بين الفينة والأخرى يتم اختيار مدينة أو محافظة عراقية لتدرج إما ضمن قائمة اليونسكو، أو قائمة الإيسيسكو، أو قائمة الألكسو، وكلها معنية بالتربية والثقافة والعلوم، عاصمة للسياحة، أو الثقافة العربية والإسلامية، وأخيرها وليس آخرها اختيار بغداد عاصمة للسياحة العربية لعام 2024 وذلك بالتزامن مع ترشيح سامراء لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية، فما هي اسهاماتكم في هذا المجال الحيوي لتعريف العرب والعالم بحضارة العراق الضاربة في القدم؟

ج: قطعاً أن المعالم والآثار العراقية هي جزء لا يتجزأ من خططنا وبرامج عملنا السنوية و مركزنا يواظب على تسليط الضوء من خلال اللقاءات والمقالات والحوارات والندوات والتحقيقات الصحفية على معالم وآثار العراق، كذلك على متاحفه ومناطقه التراثية والسياحية والفلكلورية، كملوية سامراء، بيت الحكمة، زقورة اور، القشلة، شارع الرشيد، المتنبي، آثار الحضر، الأهوار، بحيرة ساوة، سوق السراي، المقبرة الملكية، مساجد وساعات بغداد والمحافظات الاثرية، ومثلها المتحف العراقي، المتحف البغدادي، متحف التاريخ الطبيعي ونحوها لما لهذه المعالم من أهمية تراثية وتاريخية، اضافة الى كونها عناصر جذب ثقافية وسياحية لا يمكن الذهول عنها البتة.

س3- حدثنا قليلا عن مكانة المرأة العراقية سواء ضمن أنشطة المركز الدورية، أو ضمن تغطياتكم الصحفية.
ج: للمرأة وهي نصف المجتمع، بل ونصف القمر المنير في سمائه، حصة الأسد في ذلك ولقد دأب مركزنا على التعريف بنساء عراقيات مبدعات ومتميزات في شتى المجالات (كاتبات، شاعرات، خطاطات، تشكيليات، طبيبات، مهندسات، مسرحيات، مخرجات معروفات) أمثال زها حديد، ونازك الملائكة، جنة عدنان، انعام كججي، ميسلون هادي، زهرة الربيعي، هناء الداغستاني، كروان الاذاعة العراقية كلادس يوسف، ونحوهن وقد أجرى قسم الإعلام التابع لمركزنا العديد من الحوارات الصحفية المهمة مع كثير من مبدعاتنا داخل العراق وخارجه وبما تم نشره في العديد من المجلات والصحف الورقية والإلكترونية، العراقية والعربية وحقق أصداء طيبة وانتشارا واسعا في معظمها.

س4- تحدثنا عن المبدعات العراقيات، فماذا عن المبدعين العراقيين؟
ج- لاغرو أن مؤلفاتنا وبحوثنا وحواراتنا ومقالاتنا ولقاءاتنا الصحفية، وعندما أتحدث بصيغة الجمع هاهنا فأعني بذلك كل إعلامي ومؤسسي وأعضاء المركز وكتابه ومثقفيه، وكل واحد منهم له بصمة مشهود لها في استعراض مسيرة مبدعين من بلادي، من السابقين واللاحقين، الأحياء والأموات، وبما سلط ويسلط الضوء على شخصيات عراقية فذة كان لها حضور عربي ومحلي بارز في شتى العلوم والمعارف نحو الرصافي، السياب، الزهاوي، جلال الحنفي، بهجت الاثري، بهنام أبو الصوف، مؤيد البدري، كامل الدباغ، منير بشير، جواد سليم، اسماعيل فتاح الترك، محمد غني حكمت، حافظ الدروبي، هاشم الخطاط، فائق حسن، عماد عبد السلام رؤوف، محيي هلال السرحان، جميل ابراهيم حبيب، وأمثالهم من النخيل العراقية الباسقة التي يفتخر ويتفاخر



بها العراقيون والعرب والعالم بأسره، ولمسؤول قسم الدراسات والبحوث في مركزنا الاستاذ خضر البدري، العديد من المؤلفات بهذا الصدد، أذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر، كتابه المميز (قارىء الطين) الذي يتناول سيرة عالم الآثار العراقي الكبير، وخبير اللغات الآرامية و السومرية والاكديّة " طه باقر " هذا الرجل الذي عرف بترجمته لـ "ملحمة جلجامش" من الأكديّة الى العربيّة، إضافة الى اكتشافه (قانون أشنونا) المتقدم على قانون "حمورابي" وبما يقرب من قرنين من الزمن فضلاً على اكتشاف وتنقيب طه باقر، في العديد من المواقع البابليّة والسومرية القديمة، واكتشافه "تل حرمل" المعروف قديماً بـ (شادوبوم).

ولا أذهل عن كتابه الثاني "ينابيع المعرفة" بـ (466)

صفحة سلطت الضوء على أربع شخصيات عراقية بارزة؛ هي كل من (مصطفى جواد، أحمد سوسة، الأب انستاس الكرملي، عبد الرزاق الحسيني)، وعلى منواله كتاب "من سفر الخالدين" الذي تناول سيرة حياة عالم الاجتماع الكبير علي الوردي، صاحب المؤلفات الشهيرة "مهزلة العقل البشري"، "وعاظ السلاطين"، "خوارق اللاشعور"، "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث".

س5: نود من جنابك الكريم أن توجز لنا آليات عمل مركزكم.

ج- أبرز آليات ومهام مركزنا هو تنسيق العمل مع الجهات المناظرة، وتعريف الجمهور العريض بأنشطته المختلفة على مدار العام وذلك عبر الإعلام المرئي والمقروء والمسموع التابع للمركز ومن خلال منصاته على فيس بوك، انستغرام، تيك توك، تليغرام، إكس (تويتر سابقاً)، زيادة على دور قسم العلاقات العامة التابع للمركز نشاطه المهم في الانفتاح على الجهات ذات العلاقة، وتوطيد العلاقات المثمرة مع المؤسسات والنقابات والاتحادات والروابط ومنظمات المجتمع المدني وعمادات الكليات ورئاسات الجامعات كافة بهدف تبادل الخبرات، وتنظيم المؤتمرات، وإقامة الندوات، وإنجاح المهرجانات، إنضاج ورش العمل ذات الاهتمام المشترك ولاسيما في المناسبات الدولية وأهمها (يوم اليتيم العالمي، يوم الطفل العالمي، عيد الأم، عيد المرأة، عيد العمال العالمي، عيد المعلم، ونحوها).

س6: هل يولي مركزكم اهتماماً بالمشهد الرياضي الحافل في العراق خاصة، والمنطقة العربية عامة؟

ج- معلوم للجميع بأن الرياضة تعد جزءاً لا يتجزأ من اهتمامات مركزنا وبالأخص ما يتعلق بسيرة ومسيرة الشخصيات الرياضية الرائدة، ومثلها الأندية الرياضية العريقة، إضافة الى متابعة وتوثيق الأوسمة الملونة والإنجازات القياسية للرياضيين العراقيين في مختلف البطولات الاولمبية والبارالمبية، العربية منها والاقليمية، مع

الحرص على استضافة وإجراء لقاءات وحوارات موسعة بشكل دوري مع العديد من الشخصيات الرياضية المعروفة على مر الأجيال.

س 7: وماذا عن مجمل أنشطتكم في مجال الفنون ولا سيما وأنكم تحملون اسمها؟



ج- اهتمامنا في المجال الفني ينصب على متابعة وتوثيق الحركة الفنية عامة تزامنا مع المشاركة الفاعلة والحضور المؤثر في مختلف أنشطة المسرح، السينما، الدراما العراقية، المعارض التشكيلية، معارض الصور، فن الستاند اب كوميدي، فن البانتومايم، فن السايكو دراما، معارض الخط العربي والزخرفة، زيادة على إجراء اللقاءات والحوارات بشكل دائم مع أهم القامات الفنية العراقية المتميزة وفي مختلف الفنون، سواء تلك الشخصيات الفذة التي

تعيش داخل العراق أو خارجه، والعراق وكما هو معلوم للقاصي والداني زاخر بالموهب والقامات الفنية الباسقة التي يشار إليها بالبنان وبما يغنيننا عن الاستفاضة في ذكرها مع حفظ الألقاب.

س8- في معرض تعريفكم للمركز قلتم بأنه مهتم بالقضايا الإنسانية والإجتماعية البارزة التي تهم المواطنين، فضلا وليس أمرا اطلعنا على بعضها.

ج: يهتم مركزنا بتسليط الضوء على معاناة المتقاعدين ولا سيما من شريحة المثقفين والإعلاميين والفنانين. كذلك المعاناة الكبرى لمرضى غسيل الكلى ممن يعانون الأمرين، ومرضى التلاسيميا " فقر دم البحر الابيض المتوسط " ممن يحتاجون الى تزويدهم بالدم كل 3-4 اسابيع، اضافة الى إبر الدسفيرال، وحبوب الفوليك أسيد، ومأساة الأطفال من ضحايا مرض " ضمور العضلات الشوكي " الذي يفتك بالئات من أطفالنا من دون علاج يذكر ما عدا حقنة "Zolgensma" الأغلى ثمنًا في العالم والتي يبلغ سعر الحقنة الواحدة منها 2.1 مليون دولار، أو بعمليات زرع نخاع باهظة الكلفة، ومن أشهر ضحايا هذا المرض الوراثي "رسامة القدم "جنات الجميلي التي توفيت بسببه قبل خمسة أعوام تقريبا، على منوالهم معاناة ذوي الإعاقات البدنية وأصحاب الإعاقات الحسية والذهنية، ومتلازمة داون (المنغول)، وأطفال التوحد.

ومرضى السرطان وتصلب الأعصاب المتعدد، وتأسيسا على ما تقدم فنحن حريصون أشد الحرص على الإسهام في كتابة الأعمدة الصحفية، وإجراء الحوارات والتحقيقات الصحفية، والإشراف على إعداد وتحرير الصفحات المعنية بالأسرة والمجتمع والطفل والصحة في العديد من الصحف والمجلات العراقية الثقافية والمجتمعية.

س9: شخصيا هل خضت تجارب مسرحية وسينمائية على مستوى الإخراج والتمثيل؟

ج- بالتأكيد فلقد مثلت في مسرحيات متعددة منها "أصدقاء" للمؤلف هريبرت فارجيون، ومسرحية "كوريو لاين" إخراج عوني كرومي، وفي مسرح الطفل "الباص القديم عنتر" للمخرج الألماني هانز، مسرحية "رغبة تحت شجرة الدردار"، أما في مجال السينما فقد أخرجت أفلاما روائية ذات ملامح تسجيلية وأخرى تسجيلية فازت في

مهرجانات محلية ودولية، أذكر منها فيلم "تأهيل" وفيلم "عطاء" وفيلم "الجامع" وفيلم "كن رجلا ولا تتبعني لغوتيه، وأفلام لصالح التلفزيون منها "بابل بابلونيا" و"عالمه فضة"، وأما على مستوى الإذاعة فكانت أعد برنامج "صباح الخير يا عراق" ولعامين متتالين، أما في التلفزيون فـ "ابيض واسود" كمساعد مخرج مع فارس مهدي.

س10: بعد أن أبدعت في الحوارات والتحقيقات الصحفية، مخرت سفينتك عباب بحر السلطة الرابعة لتستقر في مرفأ العمود الصحفي والمقالة، لماذا اخترت هذا اللون من دون سواه؟
ج- أحمد الله على أنني قد تدرجت مهنيا وأعتقد أنه ومن القلائل في هذه المهنة من وجد نفسه ملتزما بالانتقال من موقع الى آخر، فقد تدرجت من المحرر الى مسؤول صفحة الى سكرتير تحرير تنفيذي ومن ثم مدير تحرير وصولا الى رئيس تحرير وبرغم مهنيتي إلا أنني درست الصحافة أكاديميا، وكانت محطات كثيرة ومنها مجلة وادي الرافدين، مجلة السراج، الأوقات العراقية، صحيفة شيحان الأردنية، السينما والناس المصرية، الاتحاد الاماراتية، ومن ثم رئيسا لتحرير جريدة "الأرض الطيبة" و"الحق المشروع" و"الغد الاسبوعية"، مجلة صوت الجامعة، ومجلة ألق شبعاد، ومجلة توقد، وقبل ذلك كله مجلة أوروك السياحية.



س11: لتتوقف قليلا عند أوروك السياحية، ماذا تمثل لك صحفيا وسياحيا؟

ج- القدر هو الذي وضعني في مجال كنت أحبه ولكنني كحللم وردي وجدت نفسي في مكان شغل فكري طويلا لأجد نفسي في مجلة "وادي الرافدين" السياحية، ليتحول اسمها الى اوروك نسبة الى العراق القديم و بموضوعات شتى وإخراج صحفي متميز برفقة زملاء بعقلية سياحية، منهم أنور الهاشمي، ووجدان ادور، وآخرون لننتقل من المواضيع التقليدية الى نظيراتها غير مطروقة محليا مثل الباص السياحي، حفلات الزواج الجماعي، ندوات حول التراث والآثار، ومهرجانات التزيين، ومهرجان الفواكه والثمار، مسابقات الطيور الزاجلة، ومسابقات جماهيرية مبتكرة، و يوم في حياة فنان، وغيرها الكثير ما لا يتسع المجال لذكرها مع تأسيس نقابة للسياحيين هي الأولى عراقيا.

س12: بما أن المسرح يقع ضمن اهتمامات مركزكم الثقافية فنود من جنابك أن تطلعنا على أسباب مرور المسرح العراقي بفترات مختلفة تتراوح بين صعود وهبوط، وماهو تقييمكم لواقع المسرح اليوم ومن وجهة نظر أكاديمية بحثة؟!

ج- كما يعلم الجميع بأن المسرح هو أبو الفنون ولذلك إن تحدثنا عن المسرح العراقي فلا بد لنا من الإشارة الى محطات مضيئة في سفر تأريخ هذا المسرح العريق، برغم أن المسرح مر بفترات صعود وفترات أفول فقد ظهرت

تجارب متجددة حدثت منها مسرح الصورة، لصالح القصب الذي يختلف من حيث تكنيك المسرح وجغرافيته عن المسرحيات الكلاسيكية، وجماعة المسرح الفني الحديث، وجماعة الستين كرسي بمسرحيات تركت أثرا لدى المهتمين والمتابعين لحركة المسرح وفي مقدمهم "سامي عبد الحميد، بدري حسون فريد، جاسم العبودي فظهرت لنا كلكامش وعطيل، وإذا أردنا أن نتحدث عن تجارب حدثت فعوني كرومي، ترك بصمة في ذلك كمسرحية كربولين، وفي فترة الستينات بلغ النضج المسرحي أوجه بدليل أن المسرحيات التي عرضت وقتئذ تبنتها الفرقة القومية للتمثيل والمسرح الحديث، لتأتي بعدها تجربة الجماهير التي تبناها محسن العلي ضمن المسرح العسكري "وقدمت روائع مثل بيت وخمس ببيان، المحطة، بيت الطين، وغيرها" وهناك مسرحيات استلقت بعض نصوصها من المسرح العالمي، وتم تعريبها وقد جسد أدوارها نخبة من الفنانين العراقيين "طالب الفراتي، قائد النعماني، سعدية الزبيدي، فوزية عارف، يوسف العاني، وجدي العاني، ابراهيم جلال، قاسم محمد، عماد بدن، كاظم عبد الجبار، وقدموا لنا أعمالا لنصوص مميزة وبرؤية اخراجية متميزة، وبأداء ماهر أسهم بشكل وبآخر بالتخفيف عن وطأة معاناة المرحلة، وقد غلفت بطابع كوميدي مع إيصال رسالة ضمنية فيها الكثير من المعاني المستترة إختلفت في تأطيرها، بعضها يحمل من الكوميديا وبعضها يحمل من التراجيديا، وبعضها يحمل الجانبين كونه ينطوي على وجهي الصراع، الخير والشر، وهناك نصوص قدمت من خلال كليات ومعاهد الفنون الجميلة حافظت على تقديمها وفق القاعدة الارسطية وصاغها اساتذة مميزون، عزيز جبر، وحامد خضر، لتظهر بعدها أشكال من المسرح أطلق عليه المسرح الاستعراضي والآخر المسرح الشعبي، وبما يطلق عليه بعض النقاد مصطلح المسرح التجاري، بعضها وللأسف كان يستخدم ألفاظا ويقدم عروضاً لا تتناسب وحجم المشاهدة من قبل العوائل العراقية من خلال مسارح عديدة في العاصمة بغداد، ونحن كمتابعين لحركة المسرح ولكون المسرح العراقي الرائد عربيا واقليميا، فنحن مبالون الى المسرح صاحب الرسالة الذي يطرح موضوعا معاصرا ليستنهض همم المتلقي بغية الإصلاح والتطوير والتنوير.

س13: بصفتكم أحد الدارسين في المدارس الأوربية ومتابعة كل ما يتعلق بالدراما والسينما فما هو تقييمكم لواقع السينما العراقية بين الأمس واليوم؟

ج- في الحقيقة سؤالك جميل إذ أن المتطلع إلى تاريخ السينما العراقية وهي بالحسابات الفنية كجامعة للفنون وأسمائها، أنها مرت بمراحل متعددة وبرغم عراقيتها بعد مصر، إلا أنها وللأسف لم تأخذ نصيبها من الاهتمام، ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة يأتي في مقدمتها غياب الاهتمام الفعلي وتأثير الفيلم العراقي على الجمهور من النواحي التربوية والنفسية والاجتماعية وتتعدى ذلك حتى الاخلاقية، وكما نعلم ان السينما فن وتجارة وصناعة، لذلك لا يمكن إغفال أي جانب من تلك الجوانب، فالتكنولوجيا عامل مهم في التأثير على المشاهد ومتابعته للحدث الدرامي للفيلم، ولذلك من اشكالات السينما العراقية ان الفيلم بحاجة الى المال، والى التسويق وهذا ضعيف على المستوى المحلي، علاوة على الافتقار الى شروط اللجان التحكيمية في مدة الفيلم وموضوعه، افتقار الممثل في هذا المجال الى دورات تطويرية عالمية وضعف الصناعة السينمائية في العراق بصورة عامة، فضلا عن عدم وجود نصوص لتكون عملا سينمائيا، فنجيب محفوظ على سبيل المثال كان يكتب روايات تصلح للسينما، ولايفوتي أن أنه الى من أسباب انحسار السينما العراقية يكمن في عدم وجود معهد متخصص لكتابة السيناريو مع وجود تجارب ابداعية شكلت محطة مضيئة في السينما العراقية "كفيلم الأسوار، الظامئون، سعيد افندي، الحارس، الجابي".



س14: وما هو تقييمكم للإنتاج المشترك، وهل شكل قفزة في عالم السينما العراقية؟

ج- بلا شك أن الانتاج المشترك يمنح البلدين تناقل خبرات ويعمل على تلاقحها، ومن نتاجها فيلم المسألة الكبرى، بابل حبيبي، القادسية، القاهرة بغداد، قطار الشرق، لقد أنتجنا 100 فيلم، قبل أن تباغتنا على حين غرة موجة الأفلام السكرين التي أفقدت رونق وجمالية وسحر الشاشة الكبيرة وطردت جمهورها، لينتهي بعدها عصر السينما العراقية اضافة الى غياب صالات السينما محليا وعزوف الأسرة العراقية عنها لأسباب عديدة، بعد أن كانت هناك دور عرض متميزة تضاهي نظيراتها الأوروبية كسينما اطلس، الخيام، بابل، النصر، غرناطة، سميراميس، النجوم، أفلت كلها وتحول معظمها بعد تقطيعها الى أسواق ومخازن ومحال لبيع قطع الغيار وما شاكل.

س15: مرت الدراما العراقية بمراحل متعددة منها ما حققت شهرة ومنها ما أصبح في ضمير الغيب، أين تضع الدراما المحلية بين مثيلاتها العربية؟

ج- في أغلب الوسائل المرئية أمر طبيعي أن تعاني الدراما من مراحل صعود و هبوط في المستوى والأداء وهذا راجع الى عوامل كثيرة، منها ثيمة العمل وواقعيته والاستخدام التقني للدراما فضلا عن وجود شخصيات محبوبة لدى الجمهور، اضافة الى كاتب السيناريو المميز، فلو قارنا منصفين بين الدراما العراقية وبين نظيراتها المصرية والسورية نجد أن هناك بونا شاسعا بينها لأن عامل التشويق المهم للتواصل مع أحداث المسلسل ضعيف محليا، أسامة انور عكاشة على سبيل المثال عندما يكتب فإنه يكتب بلغة الصورة، ويحاول أن يجعل المتلقي في تشويق دائم لما سيحدث، ليهيم المشاهد بحلقاته الى نهاية المسلسل خلال 30 حلقة وما يرفع من رصيد المسلسل لدى المتلقي وجود ممثلين من صناع الدراما، بخلاف المسلسل العراقي إذا ما استثنينا (الذئب وعيون المدينة، و النسر وعيون المدينة) وفتاة في العشرين والدواسر وأمثالها، نجد أعمالا و قد بذلت فيها جهود كبيرة من ناحية استخدام الكاميرا، المونتاج السريع، اللغة التلفزيونية التي تتعامل مع الصورة، إلا أن الفشل يكمن في عناصر

التشويق والجذب لعدم توظيف الممثلين مع وجود التصنع والمبالغة في تجسيد الأدوار وبالأخص في المسلسلات التاريخية، ومعظمنا يتصور بأن الصراخ والعويل هو الفيصل الفاصل في نجاح الممثل والعمل، إضافة الى المكياج والتعبير الذي لم يستخدم بالطرق المثلى!



س16: على ذكر المكياج ترى لماذا لم يكن المحلي منه على وفق الأساليب العالمية التي تمنح المشاهد الثقة بأن هذه الشخصية حقيقية وليست مصطنعة؟

ج- للأسف لم نستفد من تجربة، مؤيد داود وهبي، أستاذ التعبير وفن المكياج وهو خريج إيطاليا في أكاديمية الفنون ومحاولة إبراز معالم الشخصية الانسانية وتحويل شاب بمقتبل العمر الى رجل بعمر السبعين، حيث ظل استخدام اللحي الصناعية بطريقة ساذجة، مع عدم استخدام الأقنعة كما في مسلسل (فارس بلا جواد) وبطله الفنان محمد صبحي، الذي ظهر بأكثر من قناع مقنع للجمهور، لقد نجح إبراهيم عبد الجليل في إبراز مواهب جميع الممثلين العراقيين، فيما أخفق غيره في أعمال وارتقوا في أخرى ولا نعمم، وهناك مسلسلات تفتقر الى البنية الدرامية وتسلسل الأحداث فضلا عن الاستخدام الأمثل للتكنيك التلفزيوني، بخلاف المسلسل الأجنبي إذ أن المشاهد لا يمكنه الإحجام عن المشاهدة لأنه و في كل ثانية يفاجأ بحديث جديد مرتبط بالذي سبقه وبالذي يليه وفق تسلسل درامي بحبكة جيدة يبدعها السيناريست بشكل جيد وهذا ما نفتقد إليه في أعمالنا الدرامية لعدم وجود معهد متخصص كما في فرنسا لكتاب السيناريو الذين يتمتعون بمخيلة خصبة في كتابة الدراما على مستوى التلفزيون والسينما والاذاعة.

س17: على ذكر الإذاعة فلقد كان لصوت الجماهير وإذاعة بغداد حضور فاعل من قبل الجمهور طغى في كثير من الأحيان على التلفزيون، لماذا برأيك؟

ج- لا يختلف إثنان على إن إذاعات العراق كانت متميزة، لوجود تخطيط مدروس منذ نشأتها في زمن الملكية، و إذاعة قصر الزهور التي كان يشرف عليها الملك غازي الول شخصيا، فضلا عن وجود ملاك عامل مميز لأغلبهم ممن لا ينتقل الى التلفزيون إلا بعد مروره بالإذاعة لكونها تمثل مختبرا جيدا للمذيعين بوجود مركز متخصص لإختبار قدرة المذيع في سلامة اللغة واتقان مخارج الحروف والتوقفات المعلقة والدائمة والصوت الرخيم ومن

يجتاز تلك الدورات فإنه محظوظ بمواصفات معينة لا تقبل الوساطات ولا المحسوبيات والمنسوبيات بعيدا عن كل التدخلات حيث كان الجيد يفرض نفسه فكان هناك جيل من المذيعين والمذيعات امثال كلادس يوسف وأمل المدرس وهالة عبد القادر، والمذيعين كحافظ قباني، موفق العاني، مشتاق طالب، غازي فيصل، بهجت عبد الواحد، سعاد الهرمزي، ونهاد نجيب ممن تعزز بهم المشهد الثقافي، كما أن الدراما الإذاعية كانت بمثابة دراما تعتمد على الاستخدام الأمثل للمؤثرات الصوتية والموسيقية وكان هناك مخرجون قد أبدعوا في نتائجهم الإذاعية كمهند الأنصاري، وحافظ مهدي ماجد، محمد زهير حسام، إضافة الى التنوع في البرامج وفق الطيف المتاح كبرامج ' صباح الخير يا عراق، وبرنامج ما يطلبه المستمعون 'سكن الليل، الفيروزيات، ولا يفوتني ذكر برنامج "سلام الله عليكم" للدكتور حارث عبود، وغيرها كثير، حيث كان هناك دورة برامجية تحدد فيها البرامج بتوقياتها، وهناك هيكلية قوامها مجموعة من الأقسام التي تمتلك الصلاحية الكاملة في صلاحية العمل من عدمها، وهناك قسم الموسيقى والانشاد الذي تعاقب عليه فاروق هلال، وديع خندة، وطالب القرغولي، وكانوا معنيين باختبار الاصوات التي تخضع الى لجنة متخصصة لإختبار قدرة وقابلية أداء المطرب من ناحية الكلمات غير الخادشة للحياء، واللحن، وهناك قسم للتخطيط وقسم للمنوعات وقسم للدراما، تتولى تكليف أحد المخرجين بأعمال فنية منتقاة من حيث الثيمة والحبكة.

ولا يختلف الحال مع التلفزيون العراقي الرائد على مستوى الوطن العربي، ولعل الكثير من برامج تركت بصمات لا تمحى في الذاكرة والذكرة العربية، منها برنامج ' الرياضة في اسبوع ' المؤيد البدري، وبرنامج ' العلم للجميع ' لكامل الدباغ، والسينما والناس، سينما الأطفال، المرسم الصغير، استراحة الظهيرة، زيادة على البرامج الرائدة في مجال التربية والتعليم التي كان يقدمها ويشراف عليها مؤسس التلفزيون التربوي الدكتور جاسم الصافي، ناهيك عن الدراما التلفزيونية والمسهرات والتمثيلات والمسلسلات وبقية البرامج المطعمة بكاريزما وإمكانات معدي ومقدمي نشراته الإخبارية، وبرامجه الثقافية والتربوية.



س18: بإعتبارك أحد مؤسسي رابطة الفنانين التشكيليين العراقيين والخطاطين الشباب، ما هي إسهاماتكم في هذين المجالين؟

ج- الكل يعلم أن الشباب عماد المستقبل وهم القلب النابض وقد خططنا أنا ومجموعة من الأساتذة الفنانين من ذوي الإختصاص لتشكيل رابطة تجمع الشباب من ذوي المواهب والقدرات الفنية، سواء كانت في التشكيل أم

الخط والزخرفة لتفجير طاقاتهم واحتضان مواهبهم فكان للفنانين الشباب الدور المتميز في ممارسة أعمالهم الفنية وأقمنا مخيما فنيا في ديالى وبابل وبغداد جهرناها بالمستلزمات الفنية كافة استثمرنا جمال الطبيعة لرسم اللوحات ومن ثم عملنا منها معرضا لاقى صدى إعلاميا واسعا، وكذا الحال للخط الزخرفة إذ تسابق الخطاطون الشباب لإبداع لوحات جميلة مازجت بين فن الارابيسك والخط العربي بأنواعه المتعددة، الكوفي، الثلث، الرقعة، النسخ الديواني، الإجازة.

س19: لقد سجلت الحركة التشكيلية في العراق منعطفًا كبيرا على المستوى العربي والإقليمي والعالمي وأنجبت قامات سامقة طرزت تأريخ الفن بأحرف من نور، برأيكم هل حافظ الفن التشكيلي على ألقه أم أنه قد شهد تراجعاً شأنه شأن بقية الفنون؟

ج- لقد عانى التشكيل بصفته فنا فرديا راقيا كبقية الفنون الأخرى من انحسار لعدة عوامل، منها صعوبة نقل اللوحات والمشاركة بها في معارض عالمية، إضافة الى اضمحلال دور وزارة الثقافة في دعم الفنان واغفاله، كانت هناك في السابق معارض نوعية ومعارض شخصية، وكل مجموعة 'كجماعة الاربعة' على سبيل المثال تقيم معارض خاصة بهم، فضلا عن وجود قاعات نابضة بالحياة كقاعة الصراف والاورفلي، ولكنها تلاشت ما دفع الكثير من الفنانين الى الرحيل، إما بسبب الضائقة المالية أو الظروف الأمنية، الساحة الفنية العراقية ولادة أنجبت الكبار كالنحاتين جواد سليم، بنصبه الشهير (نصب الحرية) في ساحة التحرير، عبد الحميد سعيد، اسماعيل فتاح الترك بروائعه النحتية (تمثال معروف الرصافي، الشاعر عبد المحسن الكاظمي، أبو نواس، تمثال الرسام يحيى بن محمود الواسطي) وكلها في بغداد، وكذلك النحات محمد غني حكمت، المتأثر بالنحت السومري والذي ابدع بوابة اليونسكو والامم المتحدة، تمثال شهریار وشهرزاد، إضافة الى نصب كهربانة وسط بغداد، ونصب علي بابا والأربعين حرامي وجدارية مدينة الطب وتمثال أبو الطيب المتنبي، وغيرها، وكذلك النحات عطا صبري، ونداء كاظم الذي نحت تمثال بدر شاكر السياب، و تمثال أبي تمام في الموصل، وتمثال الفراهيدي في البصرة، ومحمد ميران السعدي مبدع نصب ساحة النسور، وسهيل الهنداوي، وخالد الرحال بنصبه الجندي المجهول وقوس النصر، وعلاء الحمداني، أما على صعيد الرسم فهناك أسماء لامعة كفائق حسن، حافظ الدروبي، وداد الاورفلي، ليلى العطار، اسماعيل الشخيلي، كاظم حيدر، ومحمد الكناني وغيرهم الكثير. وأنه الى ظهور جيل ثان تتلمذوا على أيدي هؤلاء العمالقة و تأثروا بمنهجهم، الواقعية والانطباعية والسوريالية والتكعيبية وغيرها، معي خلفية تأثر بفائق حسن وأغلب لوحاته يغلب عليها منظر الخيول، موفق احمد إختط طريقة جديدة لرسم لوحاته بالسكين، ولكن ولشديد الاسف وعلى خطى أساتذتهم أضطر هؤلاء الى الهجرة والاعتراب لذات الظروف العصبية - المادية والأمنية - إضافة الى بعض التقاليد الاجتماعية التي قيدت حركتهم واثنت عزيمتهم.

س20: تلمست حزنا في بريق عينيك وحسرة تملأ صدرك وأنت تتحدث عن هجرة الفنانين واغترابهم! ج - ومن ينسى زملاء الدراسة والمهنة ممن أبعدهم المسافات كرها أو طوعا، كان وجودهم في العراق من شأنه ان يحافظ على ديمومة المتوارث عن جيل الجهابذة ليطوره وينقله الى الاجيال القادمة، فمن ينسى أصدقاء مثل كنعان علي، والنجم بهجت الجبوري، والقيصر كاظم الساهر، والموسيقار نصير شمة، والرسام محمد فرادي، والمخرجة سعاد السامر، والمخرجة السينمائية سؤدد جورج، وظافر وعاتكة الخطيب، والمخرج المسرحي محسن العلي، وحمودي الحارثي (عبوسي)، والفنانة الاكاديمية فوزية الشندي.

س21: لو رشحت الى منصب ثقافي ما فماذا ستقدم الى جمهورك؟

ج - لأنني جزء من الحالة التي يعيشها كل عراقي لم تنجح المغريات بدفعي الى مغادرة بلدي الحبيب فقطعا سأناضل لكي أحقق تطلعات الجمهور وتلبية حاجاته وفق المتاح بما حباني الله به من حب للآخرين وخدمتهم ورعايتهم لأن المسؤولية تكليف لا تشريف ولذلك سأسعد عندما أمسح على رأس يتيم وأمسح دمعة أرملة ورفع الحيف عن المظلومين وأعمل على متابعة قضاياهم بحسن العلاقات واستثمارها في إغاثة الملهوفين والتخفيف عن كاهل المهمومين وسأجعل من الكتاب ضالة الإنسان مسترشدا بالحكمة التي تقول 'اقرأ كتابا تهزم 10 أعداء' والعمل جاهدا على إختصار الزمن فأنا ضد الروتين كوني مؤمن والابتكار واكتشاف المبدعين ورعاية الموهوبين في مختلف المجالات، والعمل لأستحداث مدارس للمتميزين والمخترعين بكافة التخصصات.

ودعت الدكتور خالد القيسي على أمل اللقاء به مجددا وحملت نفسي بعيدا وأنا أحث الخطى قدما تجاه مبدع آخر تزخر بهم بلادي لأسلط الضوء على الجانب المشرق من هذه الأرض المعطاء التي علمت البشرية القراءة والكتابة منذ فجر التاريخ.

(*) حوار المنشور في "صحيفة المثقف" العربية الصادرة في أستراليا بتاريخ 1 شباط/ فبراير 2026

عدسة عراقية...أجادت اقتناص الظل والضوء فأنجبت إبداعا حلق في سماء العالمية (*)

يقول الناقد الأدبي الروسي الشهير، فيساريون بلنسكي: "الإبداع ليس لهواً، والمؤلف الفني ليس ثمرة وقت فراغ أو نزوة، إنه يحمل بذرة الفكرة الإبداعية، كما تحمل الأم صغيرها في أحشائها" وانطلاقاً من رؤية بلنسكي للإبداع فقد حفلت الساحة العراقية الولادة بمئات الأسماء اللامعة التي حفرت في صخر الواقع بعد ولادتها من رحم المعاناة أعمالا خلدها الذائقة الفنية والتشكيلية والشعرية العربية والعالمية، ولعل المصور الشاب، أو فنان الظل والضوء، حسين كولي، واحداً من هؤلاء المتميزين ممن ينتظرهم مستقبل واعد ليضع اسمه وإبداعاته في سجل طويل بين القامات العراقية السابقة واللاحقة.



*حصل الفنان الشاب، حسين كولي، على جائزة أفضل مصور في مهرجان الأفلام القصيرة الذي أقامته وزارة الشباب والرياضة وهذه ليست الجائزة الأولى التي تحصل عليها في مشوارك الإبداعي، هل لك أن تجمل لنا حصيلة الجوائز التي حصدها داخل العراق وخارجه؟

— ما يخص الجوائز فلدي جوائز طلابية وأخرى محلية وواحدة عالمية، أما الطلابية فعلى مدار خمس سنين وأنا أحصل على الجائزة الأولى في معهد الفنون الجميلة لحين تخرجي من المعهد في المرحلة الخامسة وبعد دخولي الى كلية الفنون الجميلة ومشاركتي بالمعرض السنوي الفوتوغرافي حصلت على الجائزة الأولى بالفوتوغراف ولمدة ثلاث سنين ولكن وللأسف قد منعت من المشاركة في السنة الرابعة من دون سبب يذكر "ربما خشية الفوز بها للمرة الرابعة على حساب الآخرين " أما ما يتعلق بالأفلام فقد حصلت على جائزة السيناريو لفيلم من تألوفي بعنوان (الكلاب) وحصلت على أفضل عمل متكامل لفيلم (وتصرخ حواء)

وهو بمثابة أطروحة تخرج في معهد الفنون الجميلة.

أما في كلية الفنون الجميلة فلدي مشاركات كثيرة في السينما إذ حصلت على ثلاث جوائز، جائزة أفضل تصوير، وجائزة أفضل عمل متكامل، وصورت 25 فيلماً قصيراً على مدار 4 سنوات، حصلت 20 منها على جوائز.



*هل هناك انجازات خارج المؤسسات الأكاديمية والنشاطات الطلابية؟

– نعم هناك نشاطات أخرى بعيدة عن الطلابية تتعلق بالفوتوغراف تحديداً، وكانت أول مشاركة لي في الجمعية العراقية للتصوير في المعرض السنوي الذي ضم مصوري العراق كافة في الداخل والخارج عام 2011 وكنت يومها أصغر المصورين المشاركين سناً وحصلت على الجائزة البرونزية وبعدها في العام الذي يليه حصلت على الجائزة الأولى التقديرية وبعدها على الجائزة الثانية الفضية بالرغم من أن الصورة الحاصلة على المركز الأول كانت مسروقة لمصور من الناصرية وبعد علم اللجنة تم حجب الجائزة الأولى.

وفي عام 2014 حصلت على 6 جوائز ما بين كانون الثاني – حزيران وكانت جميعها بالمركز الأول، ضمن مسابقات نظمتها الجمعية العراقية للتصوير وأخرى مراكز متخصصة بالفوتوغراف، كما تم اختياري بعدها ضمن لجنة التحكيم في الجمعية العراقية للتصوير وفي هذه الاختيار اكون أصغر مصور في لجنة تحكيم الجمعية منذ عام 1972 حتى 2016 وكنت قد توفقت في هذا المجال كوني معاصراً لجيلين.

ولدي معرض شخصي في بغداد بعنوان " محاكاة " عام 2009 وبعدها معرض شخصي بأشراف الـ UN اقيم في النرويج وأستراليا.

أما فيما يخص الجائزة العالمية فكانت كأفضل مدير تصوير في مهرجان عالمي يقام سنوياً في العديد من الدول الأوروبية و الشرق الأوسط تحت شعار " العنف ضد المرأة " الفيلم الذي فاز بالجائزة كان بعنوان " زهرة " ودخل في منافسة حامية الـ ووليس مع افلام اوروبية وايرانية.

حصلت على جائزة أفضل تصوير لفيلم " حالة رقم " في مهرجان بغداد السينمائي الدولي عام 2013، وجائزة أفضل تصوير في مهرجان وزارة الشباب في العراق لذات الفيلم، كما حصل الفيلم على جائزة أفضل فيلم متكامل في مهرجان كلكامش للأفلام القصيرة، وجائزة أفضل تصوير في مهرجان ستوكهولم للفيلم العراقي، كما شارك في مهرجان " فجر " الإيراني مع أنهم استعاروا الفيلم من دون علمي ولا إذني من مهرجان بغداد السينمائي وقد أبلغوني قبل العرض ولذلك لم أذهب لحضور المهرجان.



* أشرت في إحدى لقاءاتك الى أن التصوير (السلوت) يعد واحدا من أصعب أنواع التصوير بالنسبة للمصور المحترف، ماذا تعني بالسلوت، وما هي مكامن الصعوبة التي يشكلها بالنسبة للمحترفين؟
 – صعوبة السلوت تتبلور في أن المصور يجب أن يدرك الماهية الجمالية التي تظهر في الشيء المراد تصويره وعليه أن يمتلك ثقافة عامة وخاصة وأعني بالثقافة الخاصة هنا هو ذلك التمكن من الأدوات التي يستخدمها للتصوير أما العامة فعليه أن يكون على دراية بالرسالة والرؤية والهدف التي يظهرها للمتلقى والمختص على سواء.
 “السلوت” هو أحد محاور الفوتوغراف وتكون أشعة الشمس فيه أو الضوء أمام العدسة ما يحدد أو يضلل الأشياء التي تقبع بين الضوء والعدسة وله جمالية وموضوعية مع أن هناك وللأسف الشديد من يظن واهما بأن تصوير الغروب يعد أحد محاور “السلوت” وهو ليس كذلك!

* حصلت على جائزة أفضل تصوير عن فيلم (بقايا) ضمن فعاليات مهرجان السماوة السينمائي الثاني للأفلام القصيرة، حدثنا عن الفيلم وماذا يتناول؟
 -فيلم بقايا هو مشروع الذي حصل على ثاني افضل عمل متكامل في كلية الفنون الجميلة وحصل على جائزة التصوير في مهرجان السماوة وبصراحة ولكوني اعده فيلما طلابيا لذا فأنا لم اشارك به في مهرجان آخر غير السماوة.
 فكرة الفيلم تدور حول شخص يفقد حياته بدون سبب ليرى في العالم الافتراضي أرواحا من مختلف الأزمنة في العراق وهي معلقة ومنها اربع حقبة مر بها العراق اصبحت مؤثرة في حياة الأجيال الحالية نحو حقبة الحرب الاليرانية – العراقية احدث الطائفية عام 2006، فيضان بغداد عام 1952، ومنها غير معاشة نحو مجاعة الموصل قديما وماشابه.

* الضوء والظل يشكلان ثيمة تفرد بها حسين كولي، في مجمل أعماله الفوتوغرافية حتى أن الجمعية العراقية للتصوير في معرضها السنوي بدورته الأربعين منحتك الجائزة الفضية عن صورتك “الضوء والظل” بمشاركة نحو

600 مصور من داخل العراق وخارجه في المعرض الذي ضم أكثر من 1900 صورة، ترى ما هو سر الضوء والظل الذي أبدعت عدستك في اقتناصهما؟

-الموضوع المثير بالنسبة لي كون الفوتوغراف يصنف كفن فردي وشخصي تابع للانطباعات والبيئة التي يعيش فيها المصور وبناء على ذلك فقد كان لطفولتي دور فيها التي عانيت خلالها من مرض مزمن اقعدني لفترة من الزمن، وبت ارى جميع الأشياء منذ ذلك الحين سوداء معتمة لا جمال فيها وقد وظفت ذلكم الانطباع السائد على صوري وكنت مميزا به.

وعلى هذا الأساس فإن أغلب المصورين باتوا متأثرين بي وبالأسلوب الذي أتناوله مع أن الظل والضوء وقراءته ليست بالأمر الهين وعلى المصور أن يهتم بالموضوع والمضمون والشكل فيما أغلب المصورين غير مهتمين بالرسالة لهذا المحور، نعم أنا لا اقلل من أهمية الجمال في الصورة إلا أن الموضوع والمضمون شيء مهم جدا فالمتلقي يبحث عن شيء لما تراه العين المجردة.



*سبق وأن نوهت ولأكثر من مرة الى أن إقبال الشباب على تعلم الفوتوغراف ناتج عن التطور التقني إلا أن ما يؤسف عليه حقا هو تلاشي رواد الصنعة من الفوتوغرافيين المحترفين أمام التطور التقني، مقابل دخول عدد هائل من الشباب الى هذا الفن، ما مرد هذا الإحجام من قبل الرواد، أهو نتيجة عدم القناعة بالتصوير الديجتال خارج السياقات التي تربوا عليها مثلاً، أم إنها الفجوة التقنية بين الأجيال؟

-لدينا أنانية في هذا الفن والمصور غالباً ما يتصور نفسه بأنه هو الافضل واخص الرواد منهم، مع ان التقنية شيء مهم يساعد المصور على التمكن من اظهار النتيجة الافضل وانا قد صورت في الكاميرا الفيلم لستين، نحن الان نعيش فوضى فوتوغرافية فالشباب اليوم يبحث عن شيء يوصله الى النجومية ليكون شيئاً وليس رقماً في هذا العالم والفوتوغراف يمكنه من تحقيق ما يصبو اليه ليكون لهم متابعين واصدقاء كثر وعلى هذا الاساس كان الاقبال على الفوتوغراف من قبل الشباب.

أما بالنسبة لبعض الرواد ولو اطلعنا على CV بعض منهم فلن نشاهد مصورين لديهم شهادات تصوير فوتوغرافي بمعنى أن معظمهم ليسوا أكاديميين ومن لديه شهادة منهم فري من خارج العراق وبعضهم منزوع من الشباب ليس بسبب الديجتال وإنما حتى في المعالجة ودقة الصورة والتقنيات المتوفرة.

* بماذا تنصح المصورين الفوتوغرافيين الشباب وأنت مدرب ومشرف على عدد من الدورات التي أقيمت لهذا الغرض؟

-أنصح المصور بأن يهتم بالبيئة التي يعيش فيها فهو الوحيد الذي يعبر عنها وهو الوحيد الذي يظهرها للعالم، وعليه الاهتمام بالقراءة ودراسة كتب علم النفس لأن علم النفس طريقك الى إثارة العاطفة لدى المتلقي وعلى الجمعيات المختصة أن تعزز مؤسساتها بدماء شابة لأنهم على دراية بالتقنية والدروس الحديثة.

* أي أنواع الكاميرات تفضل، وهل الكاميرا هي التي تصنع الإبداع، أم من يقف خلفها؟
- أفضل كاميرا بالنسبة لي هي NIKON وبالرغم أن الكاميرا مجرد آلة وأنت الذي تصنع جمالها من خلالها وعدسة النيكون هي العين الثالثة بالنسبة لي.



* كتاب لا تمل قراءته؟

- كتب دكتور ابراهيم الفقي جميعها.

* صورة أفرحتك كثيرا، وأخرى أحزنتك.

- جميع الصور التي التقطتها أثارت بي العاطفة وأحزنتني، والصور التي تفرحني هي التي تتغلب على أقرانها وتفوز بجائزة.

(*) مقال المنشور في "مجلة الكاردينيا" الصادرة باللغة العربية في زيورخ / سويسرا، بتاريخ الأحد، 12 نيسان/أبريل

2020

دردشة عن الاستشراق والإذاعة والتلفزيون وملتقى القلوب مع الدكتور أمجد الجنابي (1)



رائع هو الإبداع والتألق ولأريب، إلا أن الأروع هو ذلك التنقل الممنهج والترحال المدروس بين مجال أكاديمي وآخر من دون تقاطع ولا تضاد بينها ولا انقطاع حتى لبعضد أولها آخرها ويكملة بمهنية واحترافية عالية، ولاشك أن من جاب بساتين الثقافة وحلق في سماء المعرفة بعصر التصحر العلمي والجذب المعرفي كنحلة جواله ليرتشف من رحيق هذه الزهور وتلك حري بتسليط الضوء على سيرته ومؤلفاته ومجمل أعماله وإن كان معروفا لشريحة كبيرة من المتابعين وذلك في حوار شائق يمازج بين في "دقق المعلومات، وسيرالشخصيات" لينتج لنا في نهاية المطاف ألقا مفعما بعبق خاص يستحق المتابعة ليملاً الأجواء ويذكرها بعطر فواح ونحن نتنقل بمعينته من محطة الى أخرى، ونتجول برفقته من مرفأ الى ثان ومحطتنا ستكون مع مبدع عراقي له في كل مجال بصمة، إنه الدكتور أمجد يونس عبد مرزوك الجنابي، الذي أبدى إستعداده للحوار بصدر رحب وابتسامة عراقية جميلة وبادرناه بالسؤال الأول وإن كان مطولاً:

*حدث في بداية الثمانينات أن كنت برفقة زميل لي في جولة إعلامية خارجية وهناك على ضفاف نهر الالبة بمدينة هامبورغ الألمانية وفي إحدى الأمسيات بفندق انتركونتيننتال شاركننا الطاولة قدرا كابتن طيار ألماني ما إن علم بأننا عرب حتى بادرننا بسؤال اقشعرت له أبداننا وأصابنا بمقتل حين قال لنا وبالحرف "لماذا تعبدون محمدا؟! فلم نجر جوابا بداية الأمر لهول الصدمة إلا أننا وما إن إستجمعنا أفكارنا وللمنا شعطنا حتى شرعنا بمحاولة إقناعه -عبثاً- بأن المعلومة التي تعشعش في رأسه غير صحيحة بالمرة وإنما هي من مخاض الإستشراق المتحامل عموما ومن نتاج المستشرقين الحاقدين وسبق لي أن ذكرت تلكم الواقعة في الحلقة الأولى من سلسلة "لماذا أحب محمدا

﴿؟﴾"وبما أنك متخصص بالدراسات الاستشراقية وحامل لشهادة الدكتوراه فيها، وبما أن لجنايبك الكريم كتابا طبع مرتين في غضون ثلاثة أشهر لأهميته القصوى بعنوان (آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية) الصادر عن مركز تفسير بالرياض عام 2015 أرجو أن تحدثنا قليلا عن دور الاستشراق الأوروبي عامة والألماني خاصة في حرف بوصلة الحقائق وتشكيل العقل الجمعي الأوروبي تجاه تعزيز كراهية الإسلام والمسلمين وترسيخ نظرية "الإسلاموفوبيا". (2)



– بداية شكرا لك على هذه الاستضافة وتحية لك
ولن يقرأ ويتابع هذا الحوار..

الاستشراق هو دراسة غير المسلمين لحضارة الشرق عموما وللإسلام خصوصا؛ وبدأ مع الإزهاصات الأولى للحروب الصليبية من أجل التعرف على الأرض الجديدة (الشام وفلسطين ومصر) وكان لا بد لزاما التعرف على ثقافة ودين تلك البلدان حتى أن أقدم ترجمة لمعاني القرآن الكريم تعود إلى عام 1150 م تقريبا..

والحركة الاستشراقية تاريخيا كانت وما زالت ترعاها مؤسستان منفصلتان عن بعضهما متفقتان في أهدافهما العامة؛ المؤسسة الأولى؛ هي الكنسية والتي يديرها ويوجهها رجال الدين من المسيحيين وقد اسشرق الكثير منهم وكتبوا

كتابات حول الإسلام وحاضروا ونشروا مقالات عبروا فيها عن رؤيتهم له وقد شاب نظراتهم وكلامهم الكثير من المغالطات والشبهات التي أثاروها هنا وهناك..

المؤسسة الثانية هي الأكاديمية وبرز فيها دور اساتذة الجامعات والباحثين حيث انشأت مراكز بحوث وأقسام علمية في الكليات تبحث في الحضارة الاسلامية والشرقية عموما وقد نعى المستشرقون فيها علميا موضوعيا بحسب ما يدعونه لكن الواقع يشهد بعكس ذلك وإن كانوا أقل ضررا وأخف تهجما على الإسلام.

كلا المؤسستين تسير وفق توجهات المؤسسة السياسية الغربية وهي المحرك لهما في كثير من المحطات. بالنسبة للاستشراق الألماني فالأمر مختلف قليلا حيث يعده الباحثون في الاستشراق منصفاً وموضوعياً مع أنني وآخرين نتحفظ على هذا التوصيف المتفائل لسببين رئيسيين؛ الأول أنني وفي أثناء دراستي اكتشفت أن الألمان لا يجاهرون بالعداء وإنما يخفونه وراء عبارات مهذبة ومن خلال دس الشبهات بشكل أذكى من غيرهم، والسبب الثاني أن كل مستشرق يعبر عن نفسه ورأيه فهم ليسوا سواء أبداً، وكثير من الأساتذة الألمان العاملين في هذا المجال تجد عندهم الاحترام والتقدير للإسلام والمسلمين بدرجات متفاوتة وذلك واضح من خلال كتاباتهم..

أما عن مصطلح (الإسلاموفوبيا) فهو بالتأكيد تعكز أصحابه على كتابات وبحوث المستشرقين الذين نبشوا التراث الإسلامي وانتقوا منه ما يعزز هذه النظرية وقد صرفت لهم أموال وبذلت جهود كبيرة في سبيل ترسيخ هذا المفهوم عند الأوروبيين والغربيين عموما ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / ديسمبر..

اليوم نلاحظ انحسار هذا المفهوم بسبب الجهود التي بذلت من الدعاة والعاملين في المراكز الإسلامية الغربية من المسلمين وبالأخص مع أجواء الحرية المكفولة عنهم في تلك البلاد.



*في ذات العام على الحادثة الأنفة عرض "فيلم الرسالة" بنسخته الانجليزية وللمرة الأولى في ألمانيا وسط حراسة أمنية مشددة وبدأ العرض فسال الدمع، ساد الصمت، جاشت المشاعر، هاجت الذكريات وكلما صدحت سمفونية الموسيقى الفرنسي مورييس جاز، كلما همنا عشقا وطرنا شوقا في رحاب المصطفى ﷺ حتى إنتهى الفيلم..وووبدأنا، وكم تمنيت لو أن الطيار الألماني إياه كان برفقتنا ساعتها ربما لغير الكثير من قناعته لما للسينما من دور خطير في تنميط الصور والسلوك والافكار علاوة على غسيل العقول وتغيير القنوات سلبا أو إيجابا ولا أدل على ذلك من قلب المعادلات عبر أفلام

السباكيي ويسترن التي جعلت من الهنود الحمر وهم سكان أمريكا الأصليين مجرد وحوش وأوباش ماكان يدفعنا للتصفيق عند قتلهم وسلخ رؤوسهم، كذلك فعلت بالمكسيكيين وحولتهم الى ثلة من اللصوص وقطاع الطرق ليس إلا، ودعني أسأل هنا وبما أنك قد قدمت برنامجين متلفزين مهمين جدا، الأول "السياسة بعين السينما" والثاني "أبعاد سينمائية" عن دور الفن السابع الذي أغفلناه عمدا وأهملناه سهوا وربما حرّمناه أيضا في قلب الحقائق عالمها واطمها!!

– السينما رافد مهم من روافد الثقافة؛ والغريب أننا ننظر لها أنها مكان لتضييع الأوقات وللعيش في الأوهام بينما في الغرب عموما يتعاملون مع ما يعرض فيها من أفلام بصفته حقائق تاريخية وتغذية معرفية في الكثير من المجالات، ويكفي أن تعمل استبياننا بسيطا لتكتشف أن الشاب الغربي قد شاهد مئات الأفلام ويعد ذلك جزءا لا يتجزأ من حياته وهو ما يفسر لنا سرعة انتشار الصورة النمطية عن العرب والمسلمين في أوروبا والأمريكيتين... من خلال متابعتي وتقديمي لأكثر من مائتين وخمسين ساعة تلفزيونية عن الأفلام المنتقاة بعناية باللغة وجدت أنها تحمل قيم انسانية كثيرة وفيها مادة غزيرة نفهم من خلالها المجتمعات الغربية وكيف ينظرون الى ما حولهم ومن حولهم وكيف ينظرون لنا وما هي المفاهيم السائدة لديهم..

السينما أداة مهمة جدا في تشكيل الوعي المجتمعي وفي توجيه السلوك العملي، ولمن يجهل أهميتها يكفي أن يطلع على الملايين التي تصرف من أجل فيلم واحد تاريخي أو سياسي أو حربي ليعرف حجم الامكانات التي تحشد لترسيخ الافكار عن طريق الافلام وصناعتها جنبا الى جنب مع مراد الحكومات الغربية وفي هذا المقام يطول الكلام..

برأيي أن بداية النهوض من واقعنا تكون بالاهتمام بشكل موضوعي واحترافي بما عند الآخرين من خير والسينما وما فيها من أفلام قد تتعدى نسبتها الـ 15% تصب في تعزيز الثقافة ونشر الوعي ويجب ان لا تهمل مع ضرورة تحليل وتفكيك بعض المشاهد في الافلام من اجل فلترة واعية لما يقدم عبر الشاشة.

* جنابك الكريم أعددت وقدمت برنامجين إذاعيين مهمين قد حظيا بمتابعة جماهيرية واسعة قاربت الـ 50 حلقة إذاعية، أولهما كان بعنوان "أحسن الحديث" والثاني "أضواء على الحدث"، حدثنا قليلا عنهما فضلا عن التجربة الإذاعية ودورها في الإرشاد والتربية والتعليم.

– البرامج الإذاعية أنيسة لمن يكثر التنقل في سيارته أو لركاب السيارات بشكل عام وهي تسهم الى حد كبير في نشر الوعي وذلك لتركيز السامع على ما يقال دون تشتيت لأن الصورة والمؤثرات قد تهره فلا ينتبه الى المحتوى بينما البرنامج الإذاعي ليس له من محتوى غير الكلام فيلتقط السامع الفكرة بشكل أدق وأكثر انتباهاً..

في البرنامجين كان الحديث عن نشر القيم لا سيما قيم العدالة والحرية والحقوق العامة.. وقد لاحظت أن الكثير من الأصدقاء والمعارف قد استمعوا للبرنامجين لا سيما وأن حلقاتهما تتكرر في أكثر من وقت خلال اليوم ولأحظت كذلك أن السامعين يلتقطون العبارات ويفهمونها ويناقشون فيها بشكل أكثر دقة من البرنامج المرئي وهي نقطة قد يغفل عنها صناع المحتوى الإعلامي..

النية والعزم والإرادة تبرز أكثر في نبرة الصوت ومن يتقن الأداء الصوتي فسيكون له حضور لافت في الإذاعة وسيحقق من خلال ذلك توجيها تربويا ونشرا للوعي بشكل يحقق له الرضا والسلام الداخلي كونه ينجز شيئا مهما.



* الرواية صنف أدبي رفيع وخطير له ما له وعليه ما عليه، ولطالما شغلت البشرية وترسخ في ذاكرتها روايات شهيرة كان لها الدور الأكبر في صياغة منظوماتها الفكرية والثقافية المتفحة أحيانا والمتضادة أحيين ولكم في هذا المضممار تجربة واحدة هي رواية "توأم وعواصم" بطبعتين عراقية ومصرية زيادة على ثلاث روايات وهي على التوالي (الكأس الشاهدة)، (الرئيس الخادم)، (ساقى الملك)، ترى ماهي رؤيتكم للدور الذي يلعبه هذا الفن الأدبي الراقي وبالأخص بعد عودته الى الواجهة بقوة بعد فترة أفول مؤقتة ألمت به لأسباب لا مجال لاستعراضها

هاهنا مع الاقبال منقطع النظير عليه للمثقفين العرب وأخص منهم الشباب حتى أن الرواية الفائزة بجائزة البوكر العربي "الديوان الأسبرطي" للجزائري عبد الوهاب عيساوي، سبقها للظفر بالبوكر رواية "فرانكشتاين في بغداد" للعراقي أحمد السعداوي، كذلك رواية "دوامة الرحيل" الفائزة بجائزة كتارا للأدبية العراقية الراحلة ناصرة السعدون، وغيرها قد نفدت من الأسواق وترجمت الى لغات عديدة؟

– الرواية فن لا يمل ونص لا يستهلك وهي مطلوبة على كل الأصعدة ومن جميع الفئات وبالأخص الشباب..



ومقارنة بسيطة بين الكتاب المؤلف بنص أكاديمي وبين الكتاب المؤلف بنص روائي تكتشف أن الأول إن قرأه عشرات فالثاني يقرأه مئات وربما ألوف..

فكرت كثيرا في النص الأدبي الأول (توأم وعواصم) واستغرق مني قرابة السنة لإنهاءها وسلكت فيه مسلكا أعده من المسالك الأدبية الجديرة بالاهتمام وهي أنني جمعت في هذه الرواية والروايات التي بعدها نقطتين رئيسيتين هما: المتعة والفائدة..

وأرى أن الروائي الناجح هو الذي يقدم معلومات ثقافية وتوعوية دقيقة من خلال قالب أدبي ممتع..

الرواية ليست بديلا عن الكتاب بصورته النمطية وإنما هي شكل من الكتابة أكثر قبولا

للقارئ وأكثر استجابة لمتطلبات العصر، وأنا شخصيا قد شرعت بقراءة الروايات منذ وقت مبكر جدا وربما مر عليّ ربع قرن وأنا أقرأ وما زلت فأصبحت الروايات الرصينة التي تجمع ما بين المتعة والفائدة إحدى الروافد المهمة في تشكيل وعي وتنظيم معرفتي.

ولأضرب للقراء مثالا بسيطا؛ إذ أن كل قارئ للروايات يتعرف من خلالها على المجتمع الذي تتناوله الرواية إضافة إلى تعرفه على الأنماط الاجتماعية والنفسية لأبطال الرواية فالنص الروائي يقدم لك المجتمع بكل تقلباته وصراعاته في شكل يعكس لك المجتمع الحقيقي على الأرض في أي بلد تتناوله الرواية.



رواياتي الأربع تنوعت في الزمان والمكان والشخصيات والمواضيع فمثلا رواية "توأم وعواصم" كانت اجتماعية تدور أحداثها في بحر عشرين سنة في ثلاثة عواصم، بينما رواية "الكأس الشاهد" تدور أحداثها في مطعم شعبي في زمن عشرين ساعة فقط وهي رواية رمزية تروى على لسان كأس على منضدة تشهد الأحاديث العفوية للزبائن وهم يتناولون الطعام!

أما رواية "الرئيس الخادم" فسياسية تتناول تجربة سياسي في إدارة منصب رئاسي، بينما الرواية الرابعة فهي تاريخية تتناول قصة النبي يوسف، على لسان احد صاحبيه في السجن وهو (ساقى الملك)!

* أنت خبير ومحاضر فاعل داخل العراق وخارجه في برامج التنمية البشرية ومهارات التعامل مع وسائل الإعلام، الظهور الإعلامي الناجح، السياسة الدولية والبروتوكول، لغة الجسد، مهارات العلاقات الإعلامية، كيفية

أحد أبرز أسباب التخلف عن ركب المدنية والحضارة هو الجمود عند الأساليب القديمة في التعليم والوقوف عند عتبة ما كتبه الأولون..

بوابة العلم مشرعة ويتسابق في طريقها ملايين البشر ومن يأخذ بزمام المبادرة ويعمل على تطوير طرقه ومناهجه يصل قبل الآخرين، نحن اليوم أمام فرق هائل في العمل الأكاديمي إذ يعتمد العالم المتقدم على التعلم وليس التعليم بمعنى أن الطالب يتعلم كيف يبحث ويصل إلى المعلومة الدقيقة، وليس يتعلم المعلومة من كتب ومناهج خطتها عقول القرن العشرين!

اليوم نحن علينا أن نعلم الطالب كيف يستكشف المعلومة (How to discover) وليس (How to cover)؛ بعبارة أخرى علينا أن نغادر طريقة ضع يدك على المعلومات ورددها عن ظهر قلب!

ربما كانت أزمة كورونا فرصة سانحة للولوج إلى عالم التعليم الرقمي وقد لاحظت بالفعل تقدما ولو بطيئا في استثمار التكنولوجيا للتعليم عن بعد وربما ينقصها في هذه المرحلة المنهجية الصحيحة والدعم الفني لكن من سار على درب وصل كما يقولون وأنا متفائل بكون هذه المرحلة رغم صعوبتها، إلا أنها ستصنع فكرة استثمار التكنولوجيا وقد تكون في المدى المنظور جزء رئيسا في العمل الأكاديمي وهذا ما نطمح له.

* الملاحظ أن هنالك خلطا محليا عجيبا ولا أريد أن أقول هرجا بين الأمنيات الشخصية والفئوية من جهة وبين التحليلات السياسية الواقعية من جهة أخرى فترى المحلل السياسي العراقي في الأعم الأغلب إما أنه يغرق متابعيه بأمل زائف يمثل غاية أمانيه ويجسد قمة أحلامه، وإما أنه يصيهم بإحباط ونكوص داهم وفي بعض الأحيان دائم، فيما يذهب بعضهم بعيدا ويغرد خارج السرب ليتحدث بطريقة – المنجمين والعرافين وقراء الحظ والطالع – وبطريقة الجزم ظنا منه أن ما يقوم به على طريقة – ابو علي الشيباني ومعلمه الوهمي – هو محض استشراف مستقبلي مستلهم من استقراء تأريخي سابق وقراءة حاضرة لاحقة وبما أنك قد استضفت في قنوات عديدة لتحليل الشأن العراقي عبر فضائيات البغدادية وسامراء وبغداد وإذاعات محلية فضلا عن الحلقات المنشورة على قنواتك الخاصة بموقع اليوتيوب وقد كان لك حضور ملفت وقوة حجة وسداد رأي، أسأل جنابك هل انت مقتنع بما يقدمه المحللون السياسيون العراقيون لجماهيرهم، أم أن لديك مؤاخذات على بعضهم، إذ لم يظهر فينا حتى اليوم محلل كمحمد حسنين هيكل، ولا عبد الباري عطوان على سبيل المثال لا الحصر ورغم تحفظي على الكثير مما يطرحان الا أن " الكذب المصنف " كما يقول أجدادنا " خير من الصدق المخربط " فمابالك بـ"الكذب المخربط والتهويل والأمانى الفارغة" التي تساق لنا صباح مساء وعلى الهواء مباشرة؟

– قيل قديما (النائحة الثكلى غير النائحة المستأجرة) وهو قول يركز على صدق المتحدث وتبني قضية ما.. لكنني في هذا الصدد أقول أن التحليل فن من فنون الكلام له أصوله ومدارسه ونظرياته وكنت أتمنى أن تجتمع عند المحلل للشأن العراقي ثلاثية التحليل الدقيق؛ المعلومة الصحيحة والواقع الفعلي والاستشراف المستقبلي المبني على النقطتين الأولى والثانية.

وأرى أن السبب الرئيس وراء كثرة المحللين وعشوائيتهم هو وجود المال السياسي الذي يوظف لتلميع صورة فلان أو علان وهو ما نشهده يوميا عبر ساعات الفضائيات الإخبارية فيعتمد المحلل إلى اجتزاء الحقيقة وتوظيفها في تعبيد طريق من يدفع له أجرة الظهور!

كما أن غياب المراكز البحثية المستقلة عن المشهد هو أحد أبرز أسباب هذه الفوضى وربما سعى البعض لإنشاء هذه المراكز لكنها في النهاية وقعت في أحضان أصحاب المال والنفوذ فمالت عن أهدافها إلى مصالحهم الشخصية!



* على مدار أعوام طويلة كتبت عشرات المقالات المتعلقة بالشأن العراقي نشرت في مجلات البيان والنور والرائد والال والأصحاب وغيرها، انطلاقاً من ذلك كله كيف تنظر الى مستقبل الصحافة العراقية المكتوبة والمقروءة "الورقية" هل هي في طريقها الى الاندثار بغياب قانون فاعل يحمي الصحفيين ويضمن حقوقهم وفي كل يوم تطلع فيه شمس نسمع بإغلاق صحفية ومجلة ومؤسسة إعلامية لها باع طويل لقلّة الموارد.

– الصحافة المقروءة لا سبيل لاندثارها بأي شكل من الأشكال لأنها من صميم العمل الإعلامي لكنها قد تأخذ شكل النشر الإلكتروني لا الورقي وربما يصار إلى طريقة في النشر تتناسب والمواقع الإلكترونية أو مواقع التواصل والمنصات الأخرى..

كما أن الحرية وحقوق الصحفيين يجب أن تكون في أولويات الحكومة والنفابات المعنية وذلك لارتباطها المباشر بالثقافة والوعي الوطني والمجتمعي ونأمل أن نخرج من فوضى العمل إلى نظامه المكفولة فيه كل مقومات الصحافة المقروءة.

بالممارسة يا صديقي وجدت أن بعضاً من الشباب يميل الى الصحافة المقروءة ولا يحبذ العمل في المرئي والمسموع ومن هنا كان هذا المجال واعداً لهم وعلينا جميعاً أن نسعى لتشجيعهم والأخذ بأيديهم إلى المضي في تطوير مهاراتهم ونشر مقالاتهم وتشجيعهم.

كل كلمة حق تكتب وتُنشر هي بمثابة لبنة توضع في بناء حضارتنا واستقرار بلداننا، وتراثنا عامر بنصوص تمجد الكلمة في وجه الظالم وهي النور الذي ينير الطريق للأجيال التي تلحق..

أنا وأنت نتاج كلمة ما قيلت لنا من فم رجل حكيم ما فصرنا ما نحن عليه وسلكنا ذات الطريق وأمام أعيننا أول فعل في القرآن وهو الأمر بالقراءة وهل يمكن لنا قراءة ما لم يكتب!

* على مدار 11 سنة وبرنامج (ملتقى القلوب) الرمضاني الذي تعدّه وتقدمه وتديره جنابك الكريم ظل مترعاً على قلوب المشاهدين ممن ينتظرون مواسمه بشغف ولهفة عاماً بعد آخر ليحلق بهم عالياً في رحاب الإيمان ويتجول بمعيتهم بين حدائق المعرفة وبساتين الكلم الطيب حيث الحكمة والموعظة الحسنة على بصيرة والتي تناسب رقاقة عذبة كالماء الزلال على ألسنة الضيوف ممن تخرج كلماتهم الشجية الصادقة من قلوبهم الى قلوب المشاهدين مباشرة من دون استئذان ليكون البرنامج بذلك اسماً على مسمى (ملتقى القلوب) وبما يصدق فيه ما قد قيل قديماً للثناء على لسان الصدوق "إذا تعود اللسان الصدوق، نطق بأسرار المعرفة، ولعل واحدة من أسباب

نجاح برنامج (ملتقى القلوب) علاوة على براعة تقديمه وإعداده، وروعة تصويره، وحرفية مونتاجه، وحنكة إخراجيه، هي تلكم التلقائية والعفوية والوسطية المحببة التي يتحدث بها ضيوف الحلقات وبما يخلب الألباب، ويأخذ بأيدي الناس ومجامع القلوب، في عصر الإفراط والتفريط، فضلا على التصحر المعرفي، والجذب الثقافي، و"التغير المزاجي" و"الاحتباس الحضاري"، وطوفان العولمة والتغريب العابرة للحدود بغتها وسميتها، خسيستها ونفيسها، جيدها ورديتها، ومعلوم للقاصي والداني بأن الوسطية التي يتبناها البرنامج تندرج في سياق الوسط الذي قيل فيه "الوسط فضيلة محمودة بين رذيلتين مذمومتين"، وللإطلاع على كواليس البرنامج والجهود الحثيثة المبذولة لأعداده بأجمل صورة، وتقديمه بأبهى حلة، وإخراجه بحرفية عالية، وإنجازه بموعده المحدد قبل شهر رمضان من كل عام، حدثنا عن ذلك بإيجاز. (3)



*نعم لقد تم تصوير ثلاثة مواسم في أربيل وسبعة مواسم في تركيا في مدن مختلفة منها اسطنبول، وبارلا، وغازي عنتاب، ومرعش وتنوعت أماكن التصوير ما بين السهل والجبل والبحر وبعض الفقرات صورت في بغداد داخل بعض المساجد المشهورة هناك. فكرة التصوير بأماكن طبيعية وخرابة هي لجذب المشاهدين والتمتع بأجواء وألوان الطبيعة ليتناسب ذلك مع المواضيع التربوية الدعوية الوعظية التي تطرح في حلقات البرنامج. نقلنا بفضل الله تعالى الصورة النمطية للمحاضرات الدعوية من أجواء المساجد إلى الأجواء الخارجية لتمثل شمولية الإسلام أكثر. وأحيانا نقوم بجولات تعريفية في بعض المتاحف الإسلامية وأماكن الآثار مع شرح مجمل لما تضمه وتعرف به هذه الأماكن.

وهناك أيضا الجلسات المفتوحة للسمر في مراكز تجوب مضيق البسفور يشارك فيها أحيانا ضيوف شرف إضافة إلى ضيوف الموسم.

* نود من جنابك الكريم اطلعنا على أهداف البرنامج ورسالته، ومن هو مخرجه، فضلا على فريق التصوير والمونتاج الذي يقفون خلف الكاميرات والكواليس، وما هي أبرز القنوات الفضائية التي ستعرض موسمه العاشر؟

– يهدف البرنامج إلى التعريف بالمنهج الدعوي التربوي الوسطي والذي يحرص على التركيز على ما ينفع الناس من أصول دينهم دون الخوض في الخلافات ولا الواجهات الشرعية ونحاول أن نبهر ونشجع الطاقات الإبداعية من دعاة وأساتذة ليتعرف عليها عموم الناس ويسمعوا لهم.

مخرج البرنامج هو الأخ فيصل زيد السامرائي، مدير قناة سامراء الفضائية، وهو يقود طاقم التصوير المبدع وهم شباب يبذلون جهودا استثنائية طيلة أيام التصوير العشرة في كل موسم.

البرنامج يعرض تقريبا كمعدل في عشر قنوات على الأقل سنويا تتوزع على خريطة العالم العربي من مصر والأردن واليمن والمغرب والجزائر إضافة للعراق بالتأكيد.

* تتميز مقدمة الحلقات وخاتمتها بأنشودة جميلة، تؤدي بطريقة ساحرة تخلب الألباب، وبلحن جميل يضيف لكلماتها العذبة المعبرة ألق آخر يحلق بها وبنا عاليا إلى أفق أرحب، فمن هو شاعر الانشودة، وما اسم ملحنها وما اسم الفرقة الانشادية التي تؤديها؟

– كاتب كلمات المقدمة هو الشاعر العراقي الانباري أحمد هندي، وهو من اختار الفرقة التي لحن وأدت النشيد وبالفعل كانت المقدمة بصمة خاصة بالبرنامج تفاعل معها الجمهور بشكل كبير وأحبها وهي مشتقة من اسم البرنامج ملتقى القلوب...

* تتناول الحلقات وإضافة إلى دروس القرآن الكريم، والسيرة النبوية العطرة، ثلة مباركة من الصحابة والتابعين والعلماء الأعلام والصالحين والمصلحين، فتارة مع سيرة الخلفاء الراشدين، وأخرى مع مسيرة "التابعي عطاء بن أبي رباح" و"الحسن البصري" و"العز بن عبد السلام"، وعمر بن عبد العزيز" وهكذا دواليك، فما هي المساحة التي تشغلها سيرة الصحابة والصالحين والتابعين في حلقات البرنامج؟

– نحن نحرص على تبين المواقف المشرفة لقادة وعلماء الأمة من الصدر الأول وذلك لتقريب الصورة من المشاهدين الكرام في العالم العربي وهي فرصة للإسهام في نشر الوعي والثقافة بين أبناء الجيل.

* هل واجهتكم مواقف طريفة، غريبة، جميلة حدثت أثناء تصوير الحلقات في مواسمها المختلفة، حدثنا عن بعض منها إن وجدت فضلا وليس أمرا؟

– المواقف كثيرة جدا وأذكر منها أننا أحيانا نعيد تصوير الفقرة بسبب نسيان الضيف لاسم العالم الذي يتحدث عنه أو يخلط بينه وبين عالم آخر أو يذكر معلومة خاطئة فنضطر لإيقاف التصوير أحيانا.

ومرة حين يأخذ الضيف راحته ويتكلم حول قضايا شخصية جدا دون الحاجة إليها ولا سيما في جلسات السمر أو يتلفظ بألفاظ لا يفهمها إلا من يفهم اللهجة العراقية المحلية.

وللامانة أحيانا يحدث خطأ في المونتاج فيترك مشهدا كان يفترض أن يرفع من العرض لكن لطول الحلقات وتعدد الفقرات تحدث بعض الأخطاء.

عموما البرنامج وطيلة السنوات الماضية يحمل الكثير من الذكريات في مجالات عدة فنحن نتحدث عن أكثر من ١٠٠ ضيف شاركوا في البرنامج.

- (1) حوار المنشور بجزيئه بعد جمعها سوية في موقع " صوت الأمة العراقية " بتاريخ 2025 / 6 / 30.
- (2) الجزء الأول من الحوار سبق وأن نشر في صحيفة " دنيا الوطن " ، وميدل إيست أون لاين ، وصحيفة المثقف ، والجزائرية للأخبار ، وموقع مدونة التعليم الشامل / بصمة تقنية ، بتاريخ 2020 / 5 / 29-28.
- (3) الجزء الثاني من الحوار كان قد نشر في مجلة الكاردينيا ، وصحيفة صوت العراق ، وموقع منبر العراق الحر ، وصحيفة الحوار المتمدن بتاريخ الجمعة ، 08 آذار/مارس 2024